كتاب

صيانة الإنسان

عن وسوسة الشيخ دحلان

تأليف العلامة الكبير ، المحدث الفقيه النحرير

مولانا الشيخ محمد بشير السهسواني الهندي

المتوفى سنة ١٣٢٦ هـ

« رحمه الله تعالى »

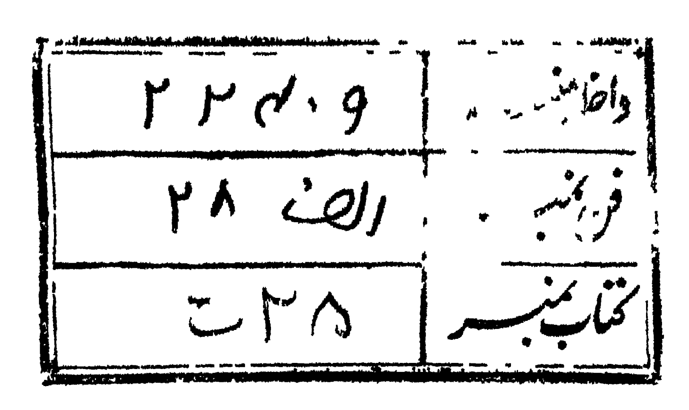
طبع المرة الأولى طبعة حجرية بالهند في عصر المؤلف

ونسب الى غيره لأمر ما كما يفعله كثير من العلماء المشهورين

« الطبعة الثانية على نفقة جماعة من الحجازيين والنجديين »

في سنة ١٣٥١ هـ

مطبعة المنار بمصر



فهرس كتاب



(ويليه)

ترجمة مؤلفه

ومقدمة التعريف به

بقلم مصححه

السيد محمد رشيد رضا

منشئ مجلة المنار

(فهرس كتاب صيانة الانسان)

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

تم الفهرس

تم الفهرس

﴿ تصويب أغلاط الطبع وأكثرها في النقط أو خفاء بعض الحروف ﴾

صفحة	سطر	خطأ	الصواب
٣	١	وشيء	أو شيء
٨	٧	تريد	نريد
٩	١٦	ولى	وعلى
١٢	١٧	متوصلين	متوسلين
١٣	٢	أن يغفر مالهم	أن يغفر لهم
٤١	٩	أكثر ذلك	أكثر من ذلك
٤١	١٠	أترك	الترك
٤٣	٢٠	رواه	رواه
٨٤	٩	قهام	فهام
٩٢	٢	ن	عن
٩٤	٢٠	يد	بد
١١٨	١١	أبوالهندالعدائي	أبو المهند العدائي
١٢٢	٤	أسألك	أسألك وأتوجه اليك
١٣٦	١٥	كثبرة	كثيرة
١٤٠	١١	دعن	وعن
١٤٧	٥	ومعناها	ومعناه
١٧٤	١	عنه	سنده
١٧٤	٢	لايشفغون	لايشمعون
١٧٨	١١	أسماء	أسمائه
١٨٥	١١	اذا	إن لم
١٩٥	١٣	الآدان	الاذان
١٩٧	١٣	ثلك	تلك
٢٠٠	٢٢	نعرض	أو تعرض
٢٠٣	٧	والمشعر	والمشعر

صفحة	سطر	خطأ	الصواب
٢٠٨	١و٢	القدرة خلق	القدرةالتي خلق
٢٠٨	٦	كره	أكره
٢١١	١٤	خي	حي
٢٥٩	١	سند	سند لهـا
»	٨	قبر	قبره
٢٦٧	٢٢	يؤمن به	يؤمر به
٢٨١	١٩	اسحق	اسحاق
٢٩٨	٢	فتلقاه	فتلقاها
٣٠٧	٢ و٣	فقال صاحبها	فقال في صاحبها
»	٦	الثوزي	الثوري
٣١٨	٥	ماءالمشمس	الماء المشمس
٣١٩	١٩	ولدك	والدك
٣٢٣	١٧	رياضها	رباضها
٣٣٤	١٧	معهم	معه
٣٣٧	٩	يعل	يفعل
٣٣٨	١٨	ويكون بالازمان	ويكون المراد بالازمنة
٣٦٢	٥	فاقض به	فاقض بها
٣٨٠	٩	يعمله له	لم يعمله له
٣٩٥	١٥	عملنا	علمنا
٤١٠	١٧	رجال	رجاله
٤٢٨	٤	با	بما
٤٤٣	١٣	وتضلالهم	وتضليلهم
٤٧٥	١٣	ين	أين
٤٧٨	١١	برهمان	برهان
٤٧٩	٣	تملون	تأملون
٥٣٠	١١	منه	منهم
٥٤٣	١٣	والعراق	العراق

مصادر الكتاب

﴿ كتب الحديث وشروحها ﴾

صحيح البخاري ، صحيح مسلم ، جامع الترمذي ، سنن أبي داود ، سنن النسائي ، سنن ابن ماجه ، سنن الدارمي ، سنن الدارقطني ، الترغيب والترهيب للمنذري ، مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي ، تلخيص الحبير للحافظ ابن حجر ، الاذكار للنووي ، شرح صحيح مسلم له ، تخريج الاذكار للحافظ ابن حجر ، شرح الاذكار لابن علان ، فتح الباري للحافظ ابن حجر ، شرح البخارى للقسطلاني ، تلخيص سنن أبي داود للحافظ المنذري ، تخريج أحاديث الهداية للزيلعي ، تخريج أحاديث الشفا للسيوطى ، الحصن الحصين لابن الجزرى ، نزل الابرار للنواب صديق حسن خان ، شرح الموطأ للزرقاني ، شرح معاني الآثار للطحاوي ، مسك الختام شرح بلوغ المرام للنواب صديق حسن خان ، بلوغ المرام للحافظ ابن حجر ، منتقى الاخبار للمجد ابن تيميه ، مشكاة المصابيح ، المقاصد الحسنة للسخاوي ، تنزيه الشريعة المرفوعة عن الاخبار الشنيعة الموضوعة لأبي الحسن علي بن محمد بن عراق الكناني

﴿ كتب الرجال والمصطلح والتاريخ والسيرة ﴾

تهذيب التهذيب	للحافظ ابن حجر
تقريب التهذيب	« «
لسان الميزان	« «
ميزان الاعتدال	للحافظ الذهبي
الكاشف	« «
خلاصة أسماء الرجال	« الخزرجي

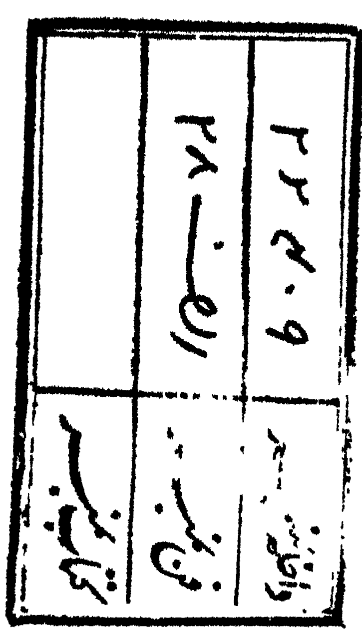
تدريب الراوي للحافظ السيوطي
علوم الحديث « ابن الصلاح
الانساب للسمعاني
توضيح الافكار لمحمد ابن اسماعيل الصنعاني
فتح المغيث للحافظ السخاوى
تنقيح الافكار على توضيح الافكار
تاريخ نجد لابن غنام
الرياض النضرة للمحب الطبري
المواهب اللدنية للقسطلاني وشرحه للزرقاني
الخصائص الكبرى للسيوطي

﴿ كتب التفسير ﴾

فتح القدير للشوكاني مفاتيح الغيب للفخر الرازي
تفسير أبي السعود مدارك التنزيل للنسفي
تفسير البيضاوي فتح البيان للنواب صديق حسن خان
تفسير ابن كثير الاكليل للسيوطي
معالم التنزيل للبغوي فتوحات الربانية

﴿ كتب الفقه وأصوله والجدل ونحوها ﴾

زاد المعاد في هدي خير العباد للحافظ ابن القيم
إغاثة اللهفان الكبرى « «
تبعيد الشيطان مختصر اغاثة اللهفان
رد المحتار لابن عابدين



الميزان الكبرى للشعراني
الفتاوي الحديثية لابن حجر الهيتمي
الاشباه والنظائر لابن نجيم
الصارم المنكي للحافظ ابن عبد الهادي
الجوهر المنظم لابن حجر الهيتمي
تلبيس إبليس لابن الجوزي
مجالس الابرار لملا سعد الرومي
البرهان شرح مواهب الرحمان فقه حنفي
المحلى على جمع الجوامع
حاشية السعد على العضدي
التلويح على التوضيح للسعد
تطهير الاعتقاد للصنعاني
الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد للشوكاني
جلاء العينين للسيد نعمان الآلوسي
منهاج التأسيس للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن
مصباح الظلام » » » » »

﴿ كتب اللغة ﴾

الصحاح للجوهري	المصباح المنير للفيومي
النهاية لابن الاثير	مجمع البحار للفتني
تهذيب الاسماء واللغات للنووي	
القاموس المحيط للفيروزابادي	

ترجمة المؤلف

(معربة من كتاب الياقوت والمرجان بتعريب أحد أفاضل علماء الهند)

قال العلامة مولانا محمد عبد الباقي السهسواني في كتابه (الياقوت والمرجان في ذكر علماء سهسوان) المسمى بحياة العلماء دام فيضه المطبوع منشيء نول كشور واقع لكهنؤ ۹۲۲ — ۱۳٤۰ ما ترجمته :

العلامة النحرير ، مولانا الشيخ محمد بشير ، المحدث الفاروقي ابن الحكيم محمد بدر الدين . كان تذكار السلف الصالحين في الفضائل والكمالات وأعظم مفخرة في العلم والحكمة، كان من المجددين للدين، وأحد المحققين المتأخرين، الذي بلغ درجة الاجتهاد المطلق في عصره ، ولد في وسط القرن الثالث عشر الهجري ، وتوفي أبوه وهو ابن تسع سنين ، وكان له اخوان أكبر منه وثالث أصغر

قضى زمن طفولته في لكهنؤ ، وبدأ فيها تعلمه بالقراءة على الشيخ محمد واجد علي ، وعلى بعض أفاضل (فرنجي محل) قرأ فنون المعقولات والمنقولات المتداولة ، وبعد ذلك ذهب إلى دهلي لتكميل علوم التفسير والحديث والفقه والاصول، فقرأ على السيد أمير حسن بعض الكتب الدينية ، واخذ عن مولانا سيد نذير حسين كتب الصحاح والسنن الستة وغيرها سماعا وقراءة ، واستجاز من الشيخ حسين بن محسن الانصاري اليمني والشيخ أحمد (بن ابراهيم بن عيسى النجدي) نزيل مكة ، والشيخ محمد السهارنبوري المهاجر بمكة

وبعد فراغه من الطلب اشتغل أولا بتدريس العلوم العقلية من المنطق والفلسفة ، ثم حصل له انهماك كثير في الفقه والاصول والأدب ، وكان يفتي في الفقه موافقا لمذهب الحنفية ، ثم صاحب السيد أمير حسن فغلب عليه ذوق التحقيق في الدينيات، وتقدم في تحقيق اتباع القرآن والحديث ، ومن ذلك الحين رجع في تحقيق جميع

المسائل الجزئية والفرعية إلى الكتاب والسنة ، وشرع في العمل بالحديث على طريقة المجتهدين ، وصار يفتي بوجوب ترك الآراء والتقليد الشخصي ، وكل مسألة وقع فيها اختلاف بين الائمة الاربعة كان يرجح فيها مسلك المحدثين بأقوال السلف وآثار الصحابة ، وكان يستدل لكل مطلب بالحجج القوية ، ويستنبط شواهده من الكتاب والسنة

وكان رحمه الله وحيد عصره في سعة المعلومات والاطلاع على مذاهب السلف — يصرف أكثر أوقاته في التدريس والتصنيف والوعظ والارشاد ، ثم صار مدرسا للغة الفارسية والعربية في كلية (سانت جونس) في آكره(١) وزيادة على هذا كان يدرس للطلبة الذين يجيئون إلى داره فنون المعقول والمنقول ، فقرأ عليه الحكيم مبارك علي والحكيم معصوم علي (كتاب الافق المبين) واشترك في هذا الدرس السيد أمير أحمد .

وقد خرج حاجا من (آكره) ولما رجع من الحج (أي بلا زيارة لقبر الرسول (ص) فاعترضوا عليه) صنف كتاب (القول المحقق المحكم في حكم زيارة قبر الحبيب الاكرم) فرد عليه الشيخ عبد الحي اللكنوي بكتاب أسماه (الكلام المبرور) فرد عليه الشيخ بكتابه (القول المنصور) فكتب جوابه الشيخ عبد الحي اللكنوي (المذهب المأثور) فكتب الشيخ جوابه وجمع فيه جميع الاعتراضات على هذه المسألة من قديم وحديث وأجاب عنها كلها بجواب جامع مانع سماه (اتمام الحجة على من أوجب الزيارة كالحجة) والمعارضون له وان كانوا قد كتبوا في جوابه لم يلتفت أهل التحقيق الى جوابهم ، ومع ذلك فقد كتب الشيخ جوابا على ذلك لكنه لم يطبع — وكان ابتداء هذا البحث من السيد امداد علي الذي كان من أكابر تلاميذ الشيخ بشير الدين القنوجي ، لكن الشيخ إمداد علي لما أحس بضعفه عن مقابلة الشيخ بشير دعا الشيخ عبد الحي

(١) آكره المدينة الشهيرة تكتب بكاف فارسية معقوفة وينطق بها مفخمة كالجيم المصرية .

لهذا الميدان وفوض اليه الامر وأعطاه جميع ما كتب ، وإمداد علي هذا كان نائب مدير المقاطعة، وكان الشيخ بشير المترجم مع ذلك كلما ذهب الى لكهنو نزل ضيفا على الشيخ عبد الحي فيستقبله بالاحترام والبشاشة ويمسكه في ضيافته أياما كثيرة أزيد مما يريد الشيخ ، ويجلس في درس وعظه مستمعاً مع الادب والتوقير للشيخ — وفي أيام مقامه (بآكره) حصل للشيخ أمير أحمد السهسواني مع الشيخ بشير اختلاف في بعض المسائل الفرعية وكان الشيخ أمير أحمد يدفع فيها بلين والشيخ بشير يخالفه بالشدة ، ثم انتهي الامر إلى الاعتراف بالحق والمصالحة بينهما

كان الشيخ بشير على جانب عظيم من الورع والتقوى والعبادة وقيام الليل، وكان يغلب عليه في وعظه رقة القلب والخشية حتى تدمع عيناه . وفي ٥ المحرم سنة ١٢٩٥ استدعاه النواب صديق حسن خان بهادر من (آكره) إلى (بهوبال وفوض اليه رياسة المدارس الدينية في إمارة بهوبال ، فكان يتبرع بتدريس التفسير والحديث، وكان يجيب عن المسائل ويكتب الفتاوى بطريق الاجتهاد ، وفي كل جمعة يجلس لدرس الوعظ في جامع القاضي ويصرح برأيه ولو خالف الحكومة بلامبالاة ، ويقيم حجته على المخالفين تقريراً وتحريراً مع التواضع وحسن الخلق

وكان يخالط أحبابه بلا تكلف ولا احتشام وكان ديدنه اكرام الضيوف وامداد الغرباء بلا رياء ولا عجب ولا سمعة ، وكان نصب عينيه اتباع آدابه الكتاب والسنة ، حتى كان يثقل على طبعه ترك المستحبات ، وقد أقر له أهل الهند كافة بقوة الاجتهاد والفضيلة العلمية واعترفوا له بها

تناظر الشيخ أحمد دحلان مفتي مكة في زمانه[1] والشيخ بشير في مسألة التوحيد

---

(١) لعل المناظرة كانت لما حج واجتمع بدحلان بمكة فناظره شفويا ثم لما رجع رد عليه بكتابه « صيانة الانسان »

فكتب الشيخ ردا عليه كتابه المسمى (صيانة الانسان عن وسوسة الشيخ دحلان) واشتهر الكتاب وطبعه علماء نجد ولم يرد عليه أحد من المخالفين

ولما حصل النزاع بين النواب صديق حسن خان والشيخ عبد الحي اللكنوي وكتبت كتب من الطرفين وقع في نفس الشيخ عبد الحي أن بعض رسائل الرد من تصنيف الشيخ وصرح بذلك في كتابه (ابراز الغي) فسعى الشيخ لدفع هذا الوهم عن فكر الشيخ عبد الحي وتصالحا بعد هذا

ولما توفي النواب رحمه الله في جمادى الاولى سنة ١٣٠٧ أراد الشيخ مفارقة بهوپال ولكن بيگم(٢) بهوپال تعلقت به وعطفت عليه واستبقته فكان يذهب في كل يوم اثنين من الاسبوع إلى تاج محل (قصر الاميرة بيكم) فيجلس للوعظ ويجتمع عليه النساء المتصلات ببيكم لسماع وعظه وطلب الدعوات الصالحة منه، وكان يتكلم في وعظه هذا بالترغيب والترهيب والامر بالمعروف والنهي عن المنكر بلا مداهنة ولا مبالاة، حتى توفيت بيكم رحمها الله في سنة ١٣١٩ ولما جلست بعدها على عرش ولايتها بنتها سلطان جهان بيكم وأخذت في نشر العلوم العصرية والفنون الاوربية وتقليل شأن العلوم الدينية والقائمين بها ارتحل الشيخ عن بهوپال إلى دهلي بعد ما أقام فيها خمسة وعشرين سنة

وكان الشيخ قد دعي لمناظرة مرزا غلام أحمد القادياني في دهلي فجاءها بأمر حكومة بهوپال فاقبل عليه أهل العلم والدين والتجار وغيرهم ممن لهم تعلق بالشيخ نذير حسين كبير علمائها ورغبوا اليه أن يقيم بدهلي بسبب ضعف الشيخ نذير حسين وكبر سنه للقيام مقامه ولكن لما كانت حكومة بهوپال لا تزال تعظم الشيخ وتسند اليه رياسة الامور الدينية لم يستطع اجابتهم إلى رغبتهم حينئذ فلما تغيرت الاحوال

---

(١) هي زوجة النواب صديق حسن خان أميرة بهوپال الشهيرة، وكاف بيكم مفخمة كالجيم المصرية و بعض كتاب العربية يكتبونها بيغم بالغين كأمثالها

في بهوپال استأنفوا الطلب فأجابهم إلى ذلك ، وتحول اليهم ثم جلس في مقام شيخه يدرس ويفتي ويعظ

﴿ تفصيل مناظرته مع القاديانية ﴾

كان مرزا غلام احمد ادعي أنه المنتظر ثم ترقى عن دعوى المهدوية لنفسه الى دعوى المسيحية وتحول عن اشتغاله بمناظرة المسيحيين و (اريا سماج) من الهندوس الى مناظرة علماء المسلمين ، وكان لا يناظر الا بالقرآن معرضاً عن الاحاديث واقوال الصحابة واشتهر امره حتى صرح بطلب المبارزة، حينئذ امرت بيكم بهوپال الشيخ محمد بشيران يتوجه الى دهلي لمناظرة المرزا ، ولما لم يرض مرزا بالمناظرة الشفوية تناظرا كتابة وهما في دهلي وكل منهما في محله

كان مرزا يصرح بموت المسيح مستدلا بقوله تعالى (إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ) فعارضه الشيخ مثبتا حياة المسيح بقوله تعالى (وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ موته) ثم اخذ مرزا على عادته يجادل بالتأويلات وينتقد القواعد النحوية والصرفية ليستدل على ان الآية لا تثبت حياة المسيح ، فرد عليه الشيخ بأجوبة لم يستطع ردها ، فانقطع عن المناظرة معتذرا بأن أحد اقاربه بتاديان مريض وانه سيسافر لعيادته ، وجميع المكاتبات التى دارت في هذه المناظرة حتى انقطع المرزا مدونة في كتاب (الحق الصريح في اثبات حياة المسيح) وهو مطبوع و كانت تلك المناظرة في سنة ١٣١٢

وفي مدة اقامته في دهلي كتب رسالة سماها (القول المحمود في رد السود) [1] وكان اصل تلك المسألة من الشيخ نذير احمد الدهلوى

ومن مفردات الشيخ انه كان يجيز الاضحية الى آخر ذي الحجة، وخالفه اهل

---

(١) اي الربا والسود لغة اوردية

العلم في ذلك فجمع كتابا استدل فيه على رأيه باقوال اهل العلم فجاء كتاباً ضخما ولكنه لم يطبع — وصنف كتابا مبسوطا في مسئلة القراءة خلف الامام سماه (البرهان العجاب، في مسئلة فرضية ام الكتاب) طبع بعد وفاته. وله غير ذلك رسائل دينية منسوبة الى بعض تلامذه

وكانت عادة الشيخ مدة مقامه في دهلي ان يعقد مجالس للتدريس في جميع العلوم ومن ذالك ساعتان بعد صلاة الصبح لتفسير القرآن بالحديث (١) وكان الناس يحضرون من اماكن بعيدة لاستماع هذا الدرس بشوق عظيم

توفي رحمه الله في دهلي سنة ١٣٢٦ وكان عمره حينئذ اربعا وسبعين سنة (انا لله وانا اليه راجعون) طيب الله ثراه، وجعل الجنة مثواه، وقد جمع الشيخ (نذر احمد) تاريخ وفاته بحساب الجمل الحرفية فكانت (قد دخل الجنة بلاحساب) والشيخ اعجاز احمد قد اخرج من لفظ مغفور تاريخ وفاته. وانشد في ذلك قصيدة عربيه فصيحة بليغة لا بأس با يراد شيء منها (قال)

حطب اباد نفوسنا الكبير وكذا الزمان على النفوس يجور
لما الهدى فضعضعت اركانه والدين اسقمه فنى وفتور
شمس الضحي افلت وغاب شروقها فـاذا النهار كانما ديجور

وقال بعد هذا ولله دره

تبكي عليه مساجد ومنابر ولأهل علم رنة وزفير
قد كان مجتهداً مصيبا ناسكا يحمي الشرائع سعيه المشكور
متخاشعا لله منقادا له متلالئا من وجهه التنوير
مسند اسناد الحديث ومنه كشاف اسرار الكتاب بصير
لما سألت اقلب عام وفاته فأجابني تاريخه (مغفور)

---

(١) لعل الاصل بالمأثور لان الاحاديث المرفوعة في التفسير قليلة وكذا الموقوفة

التعريف بكتاب صيانة الإنسان

بسم الله الرحمن الرحيم

(وقل جاء الحق وزهق الباطل ، إن الباطل كان زهوقا)

تمهيد في معنى السنة والجماعة والبدع

لما حدثت البدع في الامة وصار لها شيع وأنصار جعل لكل شيعة منها اسم وأطلق على المحافظين على ما كان عليه السواد الاعظم من الصحابة والتابعين المجتنبين للمحدثات والبدع لقب (أهل السنة والجماعة)

والمراد بالسنة هنا معناها اللغوي وهي الطريقة المخصوصة المسلوكة المتبعة بالفعل في أمر الدين فعلا وتركا من عهد النبي ﷺ فالمعروف فيها للعهد، وليس المراد بها اصطلاح علماء الحديث من إطلاقها على أقوال النبي ﷺ وأفعاله وتقريراته وشمائله ـ ولا ما اصطلح عليه الفقهاء من إطلاقها على ما واظب عليه ﷺ غالبًا على غير سبيل الوجوب ،فان جميع فرق المبتدعة في الاسلام يأخذون بالسنة بمعنييها الاخيرين على اصطلاحات لهم وقواعد في إثباتها ونفيها وتأويلها وتعارضها كما أن الفقهاء والمتكلمين المنسوبين الى السنة والجماعة بالمعنى الاصلي قواعد في ذلك

والتحقيق ان ما كان عليه السلف في الصدر الاول لم يكن يسمى مذهبًا ، ولا يصح أن يسمى مذهبًا في الاسلام لأنه هو الاسلام كله.وهو وحدة لا تفرق فيها ولا اختلاف ، والله يقول لرسوله (ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا لست منهم في شيء) ويقول (أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) وإنما صار يسمى مذهبًا بالاضافة الى ما حدث من البدع، التي تنعصب لها الشيع

ثم ان الاشاعرة جروا في تقرير العقائد للمسلمين في التعليم والتصنيف على صراط القرآن في اثبات ما أثبته ونفي ما نفاه والاستدلال بما استدل به من آيات الله في الانفس والآفاق والتزموا في ذلك هدي السلف من عدم تعطيل ولا تمثيل ولا تأويل ، ثم جروا في الرد على المخالفين على قاعدة الغزالي من كونه ضرورة تقدر

يقدرها في كل زمن بحسبه، بدحض شبهاتهم ، والتفرقة بين ما لا يتفق مع أصول الملة القطعية وما يتفق معها ولو بضرب من تأويل بعض الظواهر غير القطعية - لو أنهم فعلوا هذا وذاك لما كان ثم وجه لتقسيم أهل السنة والجماعة إلى مذهبين مختلفين: سلفية وخلفية، حتى افضى ذلك إلى رد بعض متكلمي الخلف على متبعي السلف من أهل الحديث ورد هؤلاء عليهم، كما رد الفريقان على المعتزلة وغيرهم من الذين خرجوا عن صراط الجماعة الذي كان عليه أهل الصدر الاول المتفق بينهما على هديهم وهداهم

وهذا ما جرينا عليه في مجلة المنار وفي تفسير المنار : نقرر مذهب السلف بالحجة وندافع عنه وندعو اليه . وقد نورد ما نراه ضروريا من تأويل الغير القطعي المجمع عليه لبيان سعة الاسلام ، وكون من لم يطمئن قلبه لبعض الظواهر على مذهبهم فان تأوله لها مع الايمان بكل ما هو قطعي مجمع عليه لا يخرجه من حظيرة الحنيفية السمحة، ولكن لا يقتدى به في تأويله ، وهذا هو الموافق لقول أئمة السنة والجماعة: لا نكفر احداً من اهل القبلة بذنب ولا ببدعة عملية وان المتأول المخطيء غير كافر.

ولكن الاشاعرة جروا على طريقة متكلمي المعتزلة في بناء العقائد على النظريات العقلية وتأويل النصوص المخالفة لها الا قليلا مما خالفهم فيه ابو الحسن وغيره من كبار نظارهم كمسألة الرؤية فصاروا فرقة غير أهل الحديث المتبعين للسلف من كل وجه

لما حدثت البدع كان الائمة يحتجون على أهلها بأنهم خالفوا السنة اي الطريقة المتبعة وفارقوا الجماعة والسواد الاعظم ، واتبعوا غير سبيل المؤمنين ، ويطبقون عليهم ما ورد في الكتاب والسنة من النصوص في وجوب الاتباع، وحظر الابتداع، والتفرق في الدين ، حتى كانت حجة الامام احمد بن حنبل (رح) على بدعة القول بخلق القرآن ان هذا قول لم يقله رسول الله ﷺ ولا خلفاؤه ولا أصحابه ولا علماء التابعين، أفلا يسعنا ما وسعهم؟ أي ان فرضنا انه في نفسه صحيح فكيف اذا كان رأيا باطلا في كتاب الله عز وجل فتح باب فتنة في الاسلام فرقت أهله شيعاً سفك بعضهم دماء بعض ويكفر بعضهم بعضاً ؟

وقد قال قبله إمام دار الهجرة مالك بن أنس (رض) أكلما جاءنا رجل ذكي فصيح برأي في دين الله زينه بخلابته اللسانية ونظرياته الفكرية نترك ما نزل به

جبريل من عندالله تعالى على محمد رسول الله ﷺ ونتبعه فيه ، حتى اذا جاء ذكي آخر بما ينقضه بقول افصح منه اتبعناه فيه ،وهكذا دواليك لا يستقر لنا في ديننا حال؟ اه مبسوطا بمعناه ، وكان يقول كل مالم يكن في عهد رسول الله ﷺ دينا لا يكون بعده دينا ، فان الله تعالى أكمل لنا الدين بنص كتابه قبل أن يقبضه اليه .

وقد قيل له ان ناساً من اهل المدينه يقفون عند قبر النبي ﷺ فيسامون . ويدعون ساعة، فقال لم يبلغني هذا عن أحد من أهل الفقه ببلدنا وتركه واسع ،ولا يصلح آخر هذه الامة الا ما أصلح أولها،ولم يبلغني عن أول هذه الامة وصدرها انهم كانوا يفعلون ذلك، ويكره الا لمن جاء من سفر أو أراده اه ذكر هذا في المبسوط

وانما استثنى مالك من أراد سفرا أو قدم منه لانه صح عن عبدالله بن عمر انه كان يفعل ذلك اي يأتي القبر فيقول السلام عليك يارسول الله ،السلام عليك ياأبا بكر، السلام عليك يا أبت، وينصرف كما في صحيح البخاري ، ولم يرو هذا عن غيره من الصحابة. وكان عبدالله بن عمر (رض) أشدهم عناية بمثل هذا فقد روي عنه انه كان يتحرى في نسكه تتبع خطوات النبي ﷺ ومواقفه وأمكنة طهارته وصلاته ومنحره ـ وان صح ان هذا غير مسنون ولم يكن يفعله ابوه ولا غيره من الخلفاء الاربعة وعلماء الصحابة لان النبي ﷺ قال كما في صحيح مسلم وغيره « وقفت هنا وعرفة كلها موقف »وقال مثل ذلك في المزدلفة وقال في منى « نحرت ههنا ومنى كلها منحر » لئلا يتحرى الناس موقفه ومنحره ويجعلوه مشروعا فيزدحموا عليه، وهذا زيادة في الشرع وهي كالنقص منه

ثم ان البدع فشت بضعف العلم والعمل بالكتاب والسنة ونصر الملوك والحكام لاهلها كما فعل بعض العباسيين في عصر دولة العلم ، وتفاقم في عصور من بعدهم من دول الاعاجم ، حتى صار لفظ « السنة والجماعة » لقباً مذهبياً انتحله بعض علماء الكلام المبتدع - وكادوا يحتكرونه دون متبعي السلف ، وهم الحنابلة واهل الحديث — ومن هؤلاء المتكلمين المقلدون في الفروع لأبي حنيفة ومالك والشافعي وكذا أحمد بن حنبل وإن خالفوا أئمتهم فيما كانوا عليه من اتباع السلف ، واجتناب البدع ، وعدهم علم الكلام منها ، فترى المتأخرين

قطب الكذب والافتراء على الشيخ ، وقطب الجهل بتخطئته فيما هو مصيب فيه.

أنشئت أول مطبعة في مكة المكرمة في زمن هذا الرجل فطبع رسالته وغيرها من مصنفاته فيها ، وكانت توزع بمساعدة أمراء مكة ورجال الدولة على حجاج الآفاق فعم نشرها ، وتناقل الناس مفترياته وبهاءته في كل قطر ، وصدقها العوام وكثير من الخواص ، كما اتخذ المبتدعة والحشوية والخرافيون رواياته ونقوله الموضوعة والواهية والمنكرة ، وتحريفاته للروايات الصحيحة ، حججا يعتمدون عليها في الرد على دعاة السنة المصلحين ، وقد فنيت نسخ رسالته تلك ولم يبق منها شيء بين الايدي ، ولكن الالسن والاقلام لاتزال تتناقل كل مافيها من غير عزو إليها ، ودأب البشر العناية بنقل مايوافق أهواءهم ، فكيف اذا وافقت هوى ملوكهم وحكامهم

كنا نسمع في صغرنا أخبار الوهابية المستمدة من رسالة دحلان هذا ورسائل أمثاله فنصدقها بالتبع لمشايخنا وآبائنا ، ونصدق أن الدولة العثمانية هي حامية الدين ولأجله حاربتهم وخضدت شوكتهم ، وأنا لم أعلم بحقيقة هذه الطائفة إلا بعد الهجرة إلى مصر والاطلاع على تاريخ الجبرتي وتاريخ الاستقصا في أخبار المغرب الاقصى فعلمت منهما انهم هم الذين كانوا على هداية الاسلام دون مقاتليهم ، وأكده الاجتماع بالمطلعين على التاريخ من أهلها ولاسيما تواريخ الافرنج الذين بحثوا عن حقيقة الامر فعلموها وصرحوا أن هؤلاء الناس أرادوا تجديد الاسلام وإعادته الى ما كان عليه في الصدر الاول ، واذاً لتجدد مجده ، وعادت اليه قوته وحضارته ، وأن الدولة العثمانية ماحاربتهم إلا خوفا من تجديد ملك العرب ، وإعادة الخلافة الاسلامية سيرتها الاولى

على أن العلامة الشيخ عبد الباسط الفاخوري مفتي بيروت كان ألف كتابا في تاريخ الاسلام ذكر فيه الدعوة التي دعا اليها الشيخ محمد عبد الوهاب وقال إنها عين مادعا اليه النبيون والمرسلون ، ولكنه قال ان الوهابيين في عهده متشددون في الدين . وقد عجبنا له كيف تجرأ على مدحهم في عهد السلطان عبد الحميد ورأيت شيخنا الشيخ محمد عبده في مصر على رأيه في هدايه سلفهم ، وتشدد خلفهم . وانه لولا ذلك لكان إصلاحهم عظيما ورجي أن يكون عاما . وقد ربى الملك عبد العزيز السعود أيده الله غلاتهم المتشددين منذ سنتين بالسيف تربية يرجى أن تكون تمهيد الاصلاح عظيم

ثم اطلعت على أكثر كتب الشيخ محمد عبد الوهاب ورسائله وفتاويه وكتب أولاده وأحفاده ورسائلهم ورسائل غيرهم من علماء نجد في عهد هذه النهضة التجديدية فرأيت أنه لم يصل اليهم اعتراض ولا طعن فيهم إلا وأجابوا عنه ، فما كان كذبا عليهم قالوا (سبحانك هذا بهتان عظيم) وما كان صحيحا أو له أصل بينوا حقيقته وردوا عليه ، وقد طبعت أكثر كتبهم ، وعرف الالوف من الناس أصل تلك المفتريات عنهم

ومن المستبعد جداً أن يكون الشيخ أحمد دحلان لم يطلع على شيء من تلك الكتب والرسائل وهو في مركزه بمكة المكرمة على مقربة منهم ، فان كان قد اطلع عليها ثم أصر على ماعزاه اليهم من الكذب والبهتان ولا سيما مانفوه صريحا وتبرؤا منه ، فأي قيمة لنقله ولدينه وأمانته ؟ وهل هو إلا ممن باعوا دينهم بدنياهم

ولقد نقل عنه بعض علماء الهند ما يؤيد مثل هذا فيه . فقد قال صاحب كتاب (البراهين القاطعة على ظلام الانوار الساطعة) المطبوع بالهند : إن شيخ علماء مكة في زماننا (قريب من سنة ١٣٠٣ هـ) قد حكم — أي أفتى — بايمان أبي طالب وخالف الاحاديث الصحيحة لانه أخذ الرشوة الربابي القليلة من الرافضي البغدادي اهـ وشيخ مكة في ذلك العهد هو الشيخ أحمد دحلان الذي توفى سنة ١٣٠٤ . وصاحب الكتاب المذكور هو العلامة الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي مؤلف (كتاب بذل المجهود شرح سنن أبي داود) والخبر مذكور فيه ، وهو قد نسب إلى أحد تلاميذ مؤلفه الشيخ خليل أحمد والصحيح أنه هو الذي أملاه عليه وهو كبير علماء ديوبند في عصره (رح)

وإذا فرضنا ان الشيخ احمد دحلان لم ير شيئا من تلك الكتب والرسائل ، ولم يسمع مخبر عن تلك المناظرات والدلائل ، وان كل ما كتبه في رسالته قد سمعه من الناس وصدقه ، أفلم يكن من الواجب عليه أن يتثبت فيه ، ويبحث ويسأل عن كتب الشيخ محمد عبد الوهاب ورسائله ويجعل رده عليها ، ويقول في الاخبار اللسانية قال لنا فلان أو قيل عنه كذا ، فان صح فحكمه كذا ؟

ان علماء السنة في الهند واليمن قد بلغهم كل ما قيل في هذا الرجل فبحثوا

وثبتوا وتبينوا كما أمر الله تعالى، فظهر لهم ان الطاعنين فيه مفترون لا امانة لهم ، وأثنى عليه فحولهم في عصره وبعد عصره ، وعدوه من أئمة المصلحين المجددين للاسلام ومن فقهاء الحديث كما نراه في كتبهم ، ولا تتسع هذه المقدمة لنقل شيء من ذلك وانما هي تمهيد للتعريف بهذا الكتاب في الرد عليه

كتاب صيانة الانسان ومؤلفه

كان الشيخ محمد بشير السهسواني رحمه الله تعالى من فحول علماء الهند وكبار رجال الحديث فيهم ، ومن النظار الجامعين بين العلوم الشرعية والعقلية مع العمل بالعلم والتقوى والصلاح ، وهو قد اجتمع بالشيخ احمد دحلان في مكة المكرمة وناظره في التوحيد الذي هو اساس دعوة الوهابية وأقام عليه الحجة ولما عاد إلى الهند ألف كتابه هذا ولكنه طبع في عهده منسوبا الى العلامة الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن بن عبدالرحيم السندي كما حصل في كتاب (بذل المجهود) والعلماء كثيراً ما يفعلون هذا في عصورهم ، وهذا كتاب نيل الاماني في الرد على النبهاني هو من تأليف علامة العراق السيد محمود شكري الالوسي (رحمه الله تعالى) وعزي إلى الشيخ ابي المعالي الشافعي السلامي

جرى الشيخ في رده على منهاج المحدثين في التثبت في النقل بتحرير الروايات وعزو الاحاديث والاخبار إلى مخرجيها ، وبيان علل أسانيدها ، وتحكيم قواعد الجرح والتعديل في رجالها ، بنقل ما قاله كبار المصنفين في نقد الرجال في أشهر كتبهم فاضطر إلى التكرار الممل فيها ، ولعل سببه اتقاء تهمة كتمان بعض ماقيل في جرح المجروح منهم كما يفعله أولو العصبيات المذهبية في محاولة تضعيف ما يخالف مذاهبهم وتقوية ما يؤيدها ، وقد فضح بهذا جهل دحلان بعلم الحديث وأثبت انه غير ثقة ولا صادق في النقل

وجرى في تفنيد مطاعنه على طريقة الاستقلال الاجتهادي في الاستدلال وتحرير ماهو من دين الاسلام وما ليس منه ، والاعتماد فيما هو منه وماهو بدعة على نصوص الكتاب المعصوم ، والسنن الصحيحة المأثورة . وما كان عليه اهل الصدر الاول من الصحابة والتابعين ، وأئمة الأمصار المجتهدين ، في مقابلة احتجاج دحلان بالآثار الموضوعة والمنكرة ، وبأقوال لبعض علماء التقاليد المعروفين الذين تجمع أئمتهم على أن أقوالهم لا يعتد بها ، وبقول لا يعرف له قائل ، وبتحريف بعض

النصوص الثابتة عن مواضعها ، وجعلها مثبتة للبدع المحدثة المردودة بالنصوص القطعية ، وسيرة السلف الصالحة ، كحديث استسقاء عمر بالعباس (رضي الله عنهما) وهو صحيح ولكنه حجة على القبوريين لا لهم ، وحديث توسل الاعمى بالنبي ﷺ وهو على كونه غير صحيح يدل على توسله بدعائه ﷺ في حياته لا بشخصه ، وهو حجة على توسل القبوريين المخالف لاصول الدين ونصوص القرآن والسنن الصحيحة

علم مما أجملناه ان قواعد الجهل التي بنى عليها الشيخ احمد دحلان رده على الوهابية وإباحة دعاء غير الله تعالى من الانبياء والصالحين الميتين والاستغاثة بهم وشد الرحال الى قبورهم لدعائهم عندها وطلب قضاء الحوائج منهم - ثلاث قواعد

(١) الروايات الباطلة وما في معناها من الحكايات والمنامات والاشعار ، وهي لا قيمة لها عند أحد من علماء الملة في الاستدلال ، وانما روج بضاعتها في سوق العوام

(٢) الاستدلال بالنصوص على ما لا تدل عليه شرعا كاستدلاله بالسلام على أهل القبور ، وبخطاب النبي ﷺ لقتلى المشركين ببدر وأمثال ذلك على حياة الموتى وجواز دعائهم ومطالبتهم بقضاء الحوائج ودفع المصائب ، ووجه الجهل في هذا انه يقيس حياة البرزخ على حياة الدنيا ، وعالم الغيب على عالم الشهادة ، وهو قياس باطل عند علماء أصول الشرع وعند جميع العقلاء ، ويترتب عليه عقائد وأحكام تعبدية لا تثبت إلا بنص الشارع ، مع كون الذي يثبتها مقلداً ليس من أهل الاجتهاد باعترافه واعتراف متبعه في جهله هذا كبعض المحررين لمجلة مشيخة الازهر المسماة ظلما بنور الاسلام

(٣) قلب الحقيقة وعكس القضية فيما ورد من الترغيب في اتباع جماعة المسلمين والترهيب من مفارقة الجماعة . فالجماعة بزعمه ومقتضى جهله هم الاكثرون في العدد في كل عصر ، وهذه الدعوى مخالفة لنصوص القرآن والاحاديث الصحيحة وآثار السلف والواقع ونفس الامر في كثير من البلاد والازمنة ، ومدعي المؤلف هذه الدعوى بما اوتي من سعة الاطلاع على كتب الحديث والآثار فمن ماورد من الآيات والروايات فيها ، وما قاله أئمة العلماء في تفسيرها ، وما في معناها من ضبر البدع والضلالات بعد خير القرون ، وكون كل زمان يأتي شراً مما بعده ومن تمام

طائفة على الحق في كل زمان هم الاقلون، حتى تقوم الساعة، فعلم من هذا التفصيل المؤيد بالنقل ما هو الحق في هذه المسألة المهمة التي بينا في التمهيد سبب ضلال المتأخرين فيها

ومن فضائل هذا الكتاب ومؤلفه علو أدبه في عبارته وتحاميه المبالغة في ذم المذموم، ومدح الممدوح، فهو لا يطري الامام المجدد الذي يدافع عنه، ولا يهجو المتجرم الذي يرد عليه هجواً شعريا يدخل في مفهوم السباب المذموم وإن كان جزاء وفاقا، ومقابلة للسيئة بمثلها، فتراه يقول في كل فرية من مفترياته على الشيخ نفسه أو نقوله غير المسندة هذا قول لم تصح به رواية فليأت بروايته وما قيل في تعديل رواتها لنجيب عنها

وجملة ما يقال في هذا الكتاب انه ليس ردا على الشيخ دحلان وحده ولا على من احتج بما نقله عنهم من الفقهاء مما لا حجة فيه كالشيخ تقي الدين السبكي والشيخ احمد بن حجر الهيتمي المكي، بل هو رد على جميع القبوريين والمبتدعين حتى الذين جاءوا بعده الى زماننا هذا كبعض المحررين لمجلة مشيخة الازهر ومؤلف الكتاب الخرافي البدعي في عبادة الصالحين، ومن أمضاه له من المعممين المعاصرين، الذين يزيدون على الستين

ومما ينتقد على كتاب (صيانة الانسان هذا) من ناحية صناعة التصنيف انه لم يجعله أبوابا مقسمة، ولا فصولا مفصلة، ذات عناوين تسهل المراجعة، وقد تلافينا هذا في طبعتنا هذه فجعلنا لكل صفحة عنوانا في أعلاها لأهم ما فيها، ووضعنا خطوطا فوق العبارات المردود عليها، وبعض المسائل المراد توجيه النظر اليها، وأحصينا في الفهرس جميع المسائل المهمة فيها، فبهذا سهل سبيل المراجعة لها كلها.

وقد طبع من نسخة الطبعة الهندية الاولى وهي طبعة حجرية كثيرة الغلط والتحريف فمنه ما هو معروف بالبداهة، ومنه ما هو منقول عن كتب موجودة راجعناها عند التصحيح. ومنه ما وضعنا له حواشي بينا رأينا فيه، وما عدا هذا قليل يمكن فهم المراد منه بقرينه غالبا. ونسأل الله تعالى ان يثيبنا على ما انفقناه من وقت طويل في العناية بهذا الكتاب المفيد، والحمد لله على ما من به من التوفيق

وكتب في صفر سنة ١٣٥٢ محرره محمد رشيد رضا

منشىء مجلة المنار الاسلامية بمصر



تأليف العلامة الكبير، المحدث الفقيه النحرير

مولانا الشيخ محمد بشير السهسواني الهندي

المتوفى سنة ١٣٢٦ هـ

« رحمه الله تعالى »

طبع المرة الاولى طبعة حجرية بالهند فى عصر المؤلف

ونُسِبَ الى غيره لأمر ما كما يفعله كثير من العلماء المشهورين

الطبعة الثانية على نفقة جماعة من الحجازيين والنجديين

فى سنة ١٣٥١ هـ

مطبعة المنار بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي تعالى عن الشريك والمثل والكفؤ والنديد ، والحمد لله الذي لا ملجأ ولا منجا منه إلا اليه وهو فعال لما يريد ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له كلمة خلقت لاجلها الجن والانس من إماء وعبيد ، ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المبعوث بالملة الحنيفية القيمة وخالص التوحيد، اللهم فصل وسلم على سيدنا محمد قاطع ذرائع الكفر وحبائل التقليد ، وعلى آله وصحبه الآخذين بسنته والمقتدين بأمره في المدن والقرى والبيد ، وعلى العدول الحاملين لهذا العلم النافين عنه تحريف كل غال عنيد، وانتحال كل مبطل مريد، وتأويل كل جاهل ضديد[1]

(أما بعد) فاني وقفت على الرسالة التي جمعها الشيخ احمد بن زيني دحلان، أنقذه الله من دحلان الخذلان ، وسماها (الدرر السنية ، في الرد على الوهابية) ورأيت مؤلفها يدعي في ديباجة رسالته الباطلة الساقطة الدنية الردية، أنه جمع فيها ماتمسك به أهل السنة في زيارة النبي (ص) والتوسل به من الدلائل والحجج القوية، من الآيات والاحاديث النبوية، فتعجبت منه التعجب الصراح ، كيف وليس في الباب حديث واحد حسن فضلا عن الصحاح ، فتأملت فيها تأمل الناقد البصير ، لكي أعلم انه هل صدق في تلك الدعوى أم كذب كذب المجادل الضرير، فوجدت دعواها عارية عن لباس الصدق والحق المبين، محلاة بحلية الزور والكذب والباطل المهين، فانه ليس فيها من الاحاديث إلا ما أورده التقي السبكي (في شفاء الاسقام)[2] وهي دائرة بين الاحتمالات الثلاثة السقام، إما موضوعة عملتها أيدي الوضاع الاثام،

---

(١) مبالغة من الضد (٢) سماه في الصارم شفاء السقام، وذكر في هذا الكتاب بالاسمين فتركناه على أصله في كل موضع فليعلم

أو ضعاف واهية رواها من وسم بمثل كثرة الغلط والخطأ والاوهام، وشيء يسير من الصحيح والحسن في زعمه قاصر عن إفادة المرام، كما بين ذلك كله الامام أبو عبدالله محمد بن احمد بن عبدالهادي في (الصارم المنكي) وليس فيهما من الآيات والاحاديث الصحاح والحسان ما يدل على المطلوب المحكي، وكان حقاً على المؤلف تعاطي واحد مما يذكر، لئلا يعد كلامه مما يهجر وينكر، إما إيراده لاحاديث صحيحة أو حسنة دالة على المطلوب غير ما أورد في الشفاء[1]، أو الاجابة عما تكلم به عليها صاحب الصارم وغيره من الائمة الاذكياء، وإذ لم يفعل هذا ولا ذاك فليس لها فائدة، ولا يؤول هذا الطول إلى منفعة وعائدة، ومن عجائب صنيعه أن المؤلف مع زعمه انه من جملة المقلدين. يستدل بالادلة الشرعية وهو منصب المجتهدين، فعنّ لي أن أنبه على ما وقع فيها من مساوي المفاهيم، وزخارف الاقوال، وأراجيف الاستدلال، لئلا يغتر بها من يقف عليها ممن لا خبرة له بحقائق علم السنة من المتون والرجال، فالله أستعين وأقول، وبه أحول وبه أصول:

قوله: اعلم رحمك الله تعالى ان زيارة قبر نبينا ﷺ مشروعة

أقول: لا نزاع لنا في نفس مشروعية زيارة قبر نبينا ﷺ. وأما ما نسب إلى شيخ الاسلام ابن تيمية (رح) من القول بعدم مشروعية زيارة قبر نبينا ﷺ فافتراء بحت، قال الامام العلامة أبو عبد الله محمد بن احمد بن عبدالهادي القدسي الحنبلي في (الصارم المنكي) واعلم قبل الشروع في الكلام مع هذا المعترض ان شيخ الاسلام (رح) لم يحرم زيارة القبور على الوجه المشروع في شيء من كتبه ولم ينه عنها ولم يكرهها، بل استحبها وحض عليها، ومصنفاته ومناسكه طافحة بذكر استحباب زيارة قبر النبي ﷺ وسائر القبور. قال (رح) في بعض مناسكه:

---

[1] يعني شفاء الاسقام الذي مر ذكره آنفا

باب زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم

« اذا أشرف على مدينة النبي صلى الله عليه وسلم قبل الحج أو بعده فليقل ماتقدم ، فاذا دخل استحب له أن يغتسل نص عليه الامام احمد فاذا دخل المسجد بدأ برجله اليمنى وقال بسم الله والصلاة على رسول الله ، اللهم اغفر لي ذنوبي ، وافتح لي أبواب رحمتك ، ثم يأتي الروضة بين القبر والمنبر فيصلي بها ويدعو بما شاء ، ثم يأتي قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيستقبل جدار القبر لايمسه ولا يقبله ، ويجعل القنديل الذي في القبلة عند القبر على رأسه ليكون قائما وجاه النبي صلى الله عليه وسلم ، ويقف متباعداً كما يقف لو ظهر في حياته بخشوع وسكون منكس الرأس ، غاض الطرف ، مستحضراً بقلبه جلالة موقفه ، ثم يقول السلام عليك يارسول الله ورحمة الله وبركاته ، السلام عليك يانبي الله وخيرته من خلقه ، السلام عليك ياسيد المرسلين ، وخاتم النبيين ، وقائد الغر المحجلين ، أشهد أن لاإله إلا الله ، وأشهد أنك رسول الله ، أشهد أنك قد بلغت رسالات ربك ونصحت لامتك ، ودعوت إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وعبدت الله حتى أتاك اليقين ، فجزاك الله أفضل ماجزى نبيا ورسولا عن أمته ، اللهم آته الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محموداً الذي وعدته ، ايغبطه به الاولون والآخرون ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل ابراهيم انك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم انك حميد مجيد ، اللهم احشرنا في زمرته ، وتوفنا على سنته ، وأوردنا حوضه ، واسقنا بكأسه شربا(١) لانظمأ بعده أبداً

« ثم يأتي أبا بكر وعمر رضي الله عنهما فيقول: السلام عليك ياأبا بكر الصديق ، السلام عليك ياعمر الفاروق ، السلام عليكما ياصاحبي رسول الله صلى الله عليه وسلم وضجيعيه ورحمة الله وبركاته ، جزاكما الله عن صحبة نبيكما وعن الاسلام خيراً

(١) الذي في كتاب الصارم المنكي المطبوع ، مشربا رويا

(سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار) قال ويزور قبور أهل البقيع وقبور الشهداء إن أمكن » هذا كلام الشيخ رحمه الله بحروفه انتهي مافي الصارم

وقال في موضع آخر : وقد قال الشيخ رحمه الله في منسك له صنفه في أواخر عمره (١)

فصل

واذا دخل المدينة قبل الحج أو بعده فانه يأتي مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ويصلي فيه . والصلاة فيه خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام ، ولا تشد الرحال إلا اليه وإلى المسجد الحرام والمسجد الاقصى ، هكذا ثبت في الصحيحين من حديث ابي هريرة وابي سعيد وهو مروي من طرق أخر ، ومسجده كان أصغر مما هو اليوم ، وكذلك المسجد الحرام لكن زاد فيهما الخلفاء الراشدون ومن بعدهم ، وحكم الزيادة حكم المزيد في جميع الاحكام ثم يسلم على النبي (ص) وصاحبيه فانه قد قال : مامن أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام . رواه ابو داود وغيره . وكان عبد الله بن عمر اذا دخل المسجد قال : السلام عليك يارسول الله ، السلام عليك يا أبا بكر ، السلام عليك يا أبت ، ثم ينصرف وهكذا كان الصحابة يسلمون عليه ، واذا قال في سلامه : السلام عليك يارسول الله ، السلام عليك يا نبي الله ، السلام عليك ياخيرة الله من خلقه ، السلام عليك يا أكرم الخلق على ربه ياإمام المتقين ، فهذا كله من صفاته بابي هو وأمي صلى الله عليه وسلم واذا صلى عليه مع السلام عليه فهذا مما أمر الله تعالى به ، ويسلم مستقبل الحجرة مستدبر القبلة عند أكثر العلماء كمالك والشافعي واحمد . أما أبو حنيفة فانه قال يستقبل القبلة فمن أصحابه من قال يستدبر الحجرة ، ومنهم من قال يجعلها عن يساره ، واتفقوا على انه لايستلم الحجرة ولا يقبلها ولا يطوف به ولا يصلي اليها

(١) فى عبارته مخالفة قليلة لهذا المنسك المطبوع بمصر سنة ١٣٢٤

ولا يدعو هناك مستقبلا للحجرة ، فان هذا كله منهي عنه باتفاق الائمة ، ومالك من أعظم الائمة كراهية لذلك

وقوله: أما الكتاب فقوله تعالى (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ) اه أقول في هذا الاستدلال فساد من وجوه

(الاول) إن قوله دلت الآية على حث الامة على المجيء اليه ﷺ ماذا أراد به؟ ان أراد حث جميع الامة فغير مسلم فان الآية وردت في قوم معينين كما سيأتي وليس هناك لفظ عام حتى يقال العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص المورد ، بل الالفاظ الدالة على الامة الواقعة في هذه الآية كلها ضمائر . وقد ثبت في مقره أن الضمائر لا عموم لها ، ولذا لم يتشبث أحد من المستدلين بهذه الآية على القربة من التقي السبكي والقسطلاني وابن حجر المكي بعموم اللفظ حتى ان صاحب الرسالة أيضاً لم يذكره . وأما ماقال صاحب الرسالة تبعا للتقي السبكي والقسطلاني وابن حجر المكي من أن الآية تعم بعموم العلة ففيه أنه على هذا التقدير لا يكون الدليل كتاب الله بل القياس . وقد فرض أن الدليل كتاب الله ، على أن المعتبر عند من يقول بحجية القياس قياس المجتهد الذي سلم اجتهاده الجامع للشروط المعتبرة فيه المذكورة في علم الاصول. وتحقق كلا الامرين فيما نحن فيه ممنوع ، كيف وصاحب الرسالة من المقلدين والمقلد لا يكون من أهل الاجتهاد ، مع أن الاجتهاد عند المقلدين قد انقطع بعد الائمة الاربعة، بل المقلد لا يصلح لان يستدل بواحد من الادلة الشرعية، وما له وللدليل فان منصبه قبول قول الغير بلا دليل ؟ فذكر صاحب الرسالة الادلة الشرعية هناك خلاف منصبه ، وإن أراد حث بعض الامة فلا يتم التقريب

(والثاني) ان صاحب الرسالة جعل المجيء اليه ﷺ الوارد في الآية عاما شاملا للمجيء اليه ﷺ في حياته وللمجيء إلى قبره ﷺ بعد مماته ، ولم يدر

أن اللفظ العام لا يتناول إلا ما كان من افراده، والمجيء الى قبر الرجل ليس من افراد المجيء إلى الرجل لا لغة ولا شرعا ولا عرفا ،فان المجيء الى الرجل ليس معناه إلا المجيء الى عين الرجل ، ولا يفهم منه أصلا أمر زائد على هذا ، فان ادعى مدع فهم ذلك الامر الزائد من هذا اللفظ فنقول له: هل يفهم منه كل أمر زائد أو كل أمر زائد يصح إضافته الى الرجل أو الامر الخاص أي القبر؟

والشق الاول مما لا يقول به أحد من العقلاء ،

فان اختير الشق الثاني يقال يلزم على قولك الفاسد أن يطلق المجيء الى الرجل على المجيء الى بيت الرجل وإلى أزواجه وإلى أولاده وإلى أصحابه وإلى عشيرته والى أقاربه وإلى قومه والى أتباعه والى أمته والى مولده والى مجالسه والى آباره والى بساتينه والى مسجده والى بلده والى سككه والى دياره والى مهجره ، وهذا لا يلتزمه الا جاهل غبي، وان التزمه أحد فيلزمه أن يلتزم أن الآية دالة على قربة المجيء الي الاشياء المذكورة كلها وهذا من أبطل الاباطيل

وان اختير الشق الثالث فيقال ما الدليل على هذا الفهم؟ ولن تجد عليه دليلا من اللغة والعرف والشرع . أما ترى أن أحداً من الموافقين والمخالفين لا يقول في قبر غير قبر النبي ﷺ اذا جاءه أحد انه جاء ذلك الرجل ، ولا يفهم أحد من العقلاء من هذا القول انه جاء قبر ذلك الرجل

فتحصل من هذا أن المجيء الى الرجل أمر والمجيء الى قبر الرجل أمر آخر كما أن المجيء الى الرجل أمر والمجيء الي الامور المذكورة أمور أخر ، ليس أحدهما فرداً للآخر

اذا تقرر هذا فالقول بشمول المجيء الى الرسول: المجيء الى الرسول والمجيء الى قبر الرسول ، كالقول بشمول الانسان الانسان والفرس ، وهذا هو تقسيم الشيء الى نفسه والى غيره وهو باطل باجماع العقلاء، وهكذا جعل الاستغفار عنده

عاما شاملا للاستغفار عنده في حياته وللاستغفار عند القبر بعد مماته ، مع أن الاستغفار عند قبره ليس من أفراد الاستغفار عنده

فان قلت :لا نقول ان المجيء اليه ﷺ شامل للمجيء اليه في حياته وللمجيء الى قبره بعد مماته حتى يرد ما أوردتم ، بل نقول ان المجيء اليه شامل للمجيء اليه في حياته الدنيوية المعهودة والمجيء اليه في حياته البرزخية ، ولما كان المجيء اليه في حياته البرزخية مستلزماً للمجيء الى قبره ثبت من الآية المجيء الى قبره ﷺ الذي هو المسمى بزيارة القبر

(قلنا) لا سبيل الي اثبات الحياة البرزخية من لغة ولا عرف ، فلا يفهم من هذا اللفظ بحسب اللغة والعرف الا المجيء اليه في حياته الدنيوية المعهودة فلا يكون المجيء اليه في حياته البرزخية فرداً للمجيء اليه بحسب اللغة والعرف ، انما تثبت الحياة البرزخية ببيان الشرع ، لكن يبقى الكلام في أن كون المجيء اليه في حياته البرزخية فرداً من المجيء اليه هل يثبت من الشرع أم لا ؟ وعلى مدعي الثبوت البيان ، وفي أن المجيء الي قبره هو عين المجيء اليه في حياته البرزخية أو مستلزم له أم لا ؟ وعلى المدعي الدليل ، لم لا يجوز أن لا يكون المجيء الى قبره عين المجيء اليه في حياته البرزخية ولا مستلزماً له بل يتوقف المجيء اليه في حياته البرزخية على أن يموت الجائي وينتقل الي عالم البرزخ . فلابد من نفي هذا الاحتمال بدليل من الشرع ، ويؤيد هذا أنا اذا قلنا جئنا زيداً ، انما نريد به انا جئنا الى مكان يُرى منه زيد ويسمع كلامه بحسب العادة ، والمجيء الي القبر ليس مجيئاً الي مكان يُرى منه المقبور ويسمع كلامه ويسمع المقبور كلام الجائي — أما تعلم ان الحي لو دفن في القبر كما يدفن الميت لن يرى أصلا وان يسمع كلامه ولا هو يسمع كلام الجائي وأما سماع الموتى خفق نعالنا وغير ذلك مما ثبت في الاحاديث فليس بحسب العادة انما هو باسماع الله تعالى بخلق قوة فيه هي خارجة عن العادة أو بطريق آخر لا علم لنا بتعيينه ، انما نجزم انه بطريق غير عادي

يرشدك الى هذا أن الزوار لايرون القبور ولا يسمعون كلامه، والقبور يرى الزائر ويسمع كلامه، وهذا أدل دليل وأوضح برهان على أن رؤية المقبور وسماعه ليس بطريق عادي بل بطريق غير عادي ، والا لسمع الزائر أيضا كلام المقبور ورآه ، على أن المجيء اليه قد انقطع بعد موته كما انقطع سائر الاحكام التي سيأتى ذكرها في الوجه الثالث ، والفرق بين المجيء اليه وسائر الاحكام لا يقبل بغير بيان فارق شرعي وأنّى له ذلك . وأما ما قال السبكي في تعليله وتبعه القسطلاني تعظيما له فيرد عليه انه على هذا يلزم أن لا ينقطع جميع الاحكام المذكورة أيضاً تعظيما له ، على انه ما الدليل على أن التعظيم يوجب عدم انقطاع هذا الحكم بالموت من كتاب وسنة ؟

(والثالث) أن قوله (وهذا لا ينقطع بموته) قول لا دليل عليه فان انقطاع هذا الحكم لا استبعاد فيه كما أن سائر الاحكام من الامامة (١) الصغرى والكبرى والجهاد ، والصلاة ، والصيام ، والحج ، والزكاة ، وصلة الارحام ، والامر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وتحريض المؤمنين على القتال والمشاورة . وتجهيز الجيوش ، وحفظ الثغور قد انقطعت بعد موته . فان زعم زاعم أن النبي ﷺ حي في قبره فما معنى انقطاعه بعد الموت ؟ قل إن الحياة البرزخية هل هي مساوية للحياة الدنيوية في كل الاحكام عندكم أم لا ؟ والاول بديهي البطلان لاطباق الامة على انقطاع الاحكام المذكورة من الامامة الصغرى وغيرها . وعلى الثاني فلا استبعاد في انقطاع حكم المجيء اليه بعد موته ﷺ

(الرابع) قوله (فأما استغفاره ﷺ فهو حاصل لجميع المؤمنين بنص قوله تعالى (وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ) فاسد بانه أن المراد باستغفار الرسول الواقع في آية (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ

---

(١) الامامة الصغرى إمامة الصلاة والكبرى هي الخلافة وتنفيذ الاحكام

جاءوك) الاستغفار بعد وقوع الظلم استغفاراً مستأنفاً فان استغفر [١] (وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ) معطوف على (استغفروا الله) وهو الظاهر أو على جاؤك كما زعم السبكي في شفاء السقام وعلى كلا التقديرين يكون بعد وقوع الظلم . أما على الاول فلأن استغفروا الله متأخر عن جاءوك بدليل فاء التعقيب والمعطوف في حكم المعطوف عليه فيكون استغفر لهم الرسول متأخراً عن جاءوك ، وجاءوك متأخراً عن الظلم ، والمتأخر عن المتأخر عن الشيء متأخر عن ذلك الشيء . وأما على الثاني فلأن استغفر لهم الرسول على هذا التقدير معطوف على جاءوك والمعطوف في حكم المعطوف عليه ، وجاءوك متأخر عن الظلم فاستغفار الرسول متأخر عن الظلم . فعلم بذلك أن الاستغفار العام المأمور به ﷺ في قوله تعالى (وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ) لا يكفي فيما هنالك ويدل عليه الآية الاخرى والسنة

أما الآية فقوله تعالى في سورة الممتحنة (يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)

فعلم أن الاستغفار العام المأمور به ﷺ لا يكفي بل كان ﷺ مأموراً باستغفار آخر وقت أخذ البيعة والتوبة من الشرك والمعاصي

وقوله تعالى في سورة الفتح (سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا) وقوله تعالى في سورة

---

(١) كذا في الاصل ، ولعل الاصل : فان قوله واستغفر ـ أو : فان فعل استغفر ـ من قوله (واستغفر لهم الرسول) معطوف الخ

المنافقين (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللهِ لَوَّوْا رُؤُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ)

فإن هاتين الآيتين تدلان على أن المسلمين كانت عادتهم أن أحدهم متى صدر منه مايقتضي التوبة جاء إلى النبي ﷺ فيقول يارسول الله فعلت كذا وكذا فاستغفر لي، وكان هذا فرقا بينهم وبين المنافقين، وهذا الاستغفار كان غير ماأمر به ﷺ في قوله تعالى (وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ)

وأما السنة فما روي عن كعب بن مالك حين تخلف عن غزوة تبوك في حديث طويل فيه : فلما قيل ان رسول الله ﷺ قد أظل قادما زاح عني الباطل وعرفت أني ان أخرج منه أبداً بشيء فيه كذب ، فأجمعت صدقه وأصبح رسول الله ﷺ قادما وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فيركع فيه ركعتين، ثم جلس للناس ، فلما فعل ذلك جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون اليه ويحلفون له وكانوا بضعة وثمانين رجلا فقبل منهم رسول الله ﷺ علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم إلى الله. وفي ذلك الحديث: وسار رجال من بني سلمة فاتبعوني فقالوا لي والله ماعلمناك كنت أذنبت ذنباً قبل هذا ولقد عجزت أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله ﷺ بما اعتذر به المخلفون ، قد كان كافيك من ذنبك استغفار رسول الله ﷺ . وفي ذلك الحديث قال كعب : وكنا تخلفنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله ﷺ حين حلفوا له فبايعهم واستغفر لهم وأرجأ رسول الله ﷺ أمرنا حتى قضى الله فيه . رواه البخاري ومسلم وغيرهما واللفظ للبخاري . فعلم من هناك انه كان من عادته ﷺ أنه إذا جاءه مذنب وتاب واستغفر يستغفر له النبي ﷺ استغفاراً مستأنفا ، ولا يقنع بالاستغفار العام

على ان الله تعالى أمر رسوله ﷺ في قوله تعالى (وَاسْتَغْفِرْ

لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ) بالاستغفار لاهل الايمان وآية (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ) الآية وردت في شأن المنافقين فالاستغفار الذي فعله ﷺ بامتثال قوله تعالى (واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات) لا يكون شاملا للاستغفار لاهل النفاق بل قد نهى الله تعالى رسوله ﷺ عن الاستغفار للمنافقين فقال تعالى (اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ) وقال تعالى (وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ) وقال تعالى (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ) فلا بد من أن يراد باستغفار الرسول الذي ورد في شأن المنافقين غير ما ورد في قوله تعالى (واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات) فان المنافقين داخلون في آية (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم) دخولا أوليا ، وإن سلم دخول غيرهم فيها بعموم العلة وما ضاهاه دخولا ثانويا

وههنا نظر وعنه جواب فتأمل، وهكذا فهم جمهور أهل التفسير من الاستغفار الاستغفار الخاص ولم يقل أحد منهم إن الاستغفار العام يكفي ههنا . قال الشوكاني (رح) في فتح القدير (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم) بترك طاعتك والتحاكم إلى غيرك (جاءوك) متوصلين اليك متنصلين عن جناياتهم ومخالفتهم (فاستغفروا الله) لذنوبهم وتضرعوا اليك حتى قمت شفيعا لهم فاستغفرت لهم

وقال الامام الرازي في مفاتيح الغيب : يعني أنهم عند ما ظلموا أنفسهم بالتحاكم إلى الطاغوت والفرار من التحاكم إلى الرسول جاءوا الرسول وأظهروا

الندم على مافعلوه وتابوا عنه واستغفروا منه واستغفر لهم الرسول بأن يسأل الله أن يغفر مالهم عند توبتهم (لوجدوا الله توابا رحيما) انتهى

وقال أيضا (المسئلة الثانية) لقائل أن يقول أليس لو استغفروا الله وتابوا على وجه صحيح لكانت توبتهم مقبولة فما الفائدة في ضم استغفار الرسول الى استغفارهم

(قلنا) الجواب عنه من وجوه (الاول) ان ذلك التحاكم الى الطاغوت كان مخالفة لحكم الله وكان أيضا إساءة إلى الرسول ﷺ وإدخالا للغم في قلبه ، ومن كان ذنبه كذلك وجب عليه الاعتذار ن ذلك الذنب لغيره ، فلهذا المعنى وجب ليهم أن يطلبوا من الرسول أن يستغفر لهم (الثانى) ان القوم لما لم يرضوا بحكم الرسول ظهر منهم ذلك التمرد فاذا تابوا وجب عليهم أن يفعلوا مايزيل عنهم ذلك التمرد ، وما ذاك إلا بأن يذهبوا إلى الرسول ﷺ ويطلبوا منه الاستغفار . اه

وقال أبو السعود : جاءوك من غير تأخير ، كما يفصح عنه تقديم الظرف ، متوسلين بك في التنصل عن جناياتهم القديمة والحادثة ، ولم يزدادوا جناية على جناية بالقصد إلى سترها بالاعتذار الباطل ، والأيمان الفاجرة ، فاستغفروا الله بالتوبة والاخلاص ، وبالغوا في التضرع اليك حتى انتصبت شفيعاً لهم إلى الله تعالى واستغفرت لهم . اه

وقال في المدارك [١] ولو وقع مجيئهم في وقت ظلمهم مع استغفارهم واستغفار الرسول لوجدوا الله توابا لعلموه توابا . اه وقال البيضاوي : فاستغفروا الله بالتوبة والاخلاص واستغفر لهم الرسول واعتذروا اليك حتى انتصبت لهم شفيعاً . اه

وقد علم من تلك العبارات أن عامة أهل التفسير قد فهموا من الآية ان استغفار الرسول يكون بعد استغفارهم . وأما ما قال السبكي في شفاء الاسقام : وليس في الآية مايعين أن يكون استغفار الرسول بعد استغفارهم بل هي محتملة والمعنى يقتضي

١) هو تفسير النسفي

بالنسبة إلى استغفار الرسول انه سواء تقدم أم تأخر فان المقصود إدخالهم بمجيئهم واستغفارهم تحت من يشمله استغفار الرسول ﷺ، وإنما يحتاج إلى المعنى المذكور إذا جعلنا (واستغفر لهم الرسول) معطوفا على (فاستغفروا الله) أما إن جعلناه معطوفا على (جاءوك) لم يحتج اليه. هذا آخر ما في الشفاء[1] ففيه نظر من وجوه

(الاول) ان عامة المفسرين قد فهموا من الآية أن يكون استغفار الرسول بعد استغفارهم، فالقول بأن ليس في الآية مايعين أن يكون استغفار الرسول بعد استغفارهم تخطئة للجمهور ومخالفة لهم (والثاني) ان تقديم استغفارهم على استغفار الرسول في الآية يستدعي أن يكون استغفارهم قبل استغفار الرسول ﷺ كما أن الشافعية استدلوا على وجوب الترتيب في الوضوء بالترتيب المذكور في الآية؛ والسبكي أيضاً منهم، ويقويه ماورد عن جابر بن عبدالله في صفة حج النبي ﷺ «ابدءوا بما بدأ الله به» أخرجه النسائي

(والثالث) انه لو سلم انه ليس في الآية مايعين أن يكون استغفار الرسول بعد استغفارهم فلاشك أن في الآية مايعين أن يكون استغفار الرسول بعد وقوع الظلم منهم. وهذا القدر يكفي لاثبات مرامنا، فانه يدل دلالة واضحة على أن الاستغفار العام غير كاف فيما هنالك

(والرابع) ان في قوله (٢) أما إن جعلناه معطوفًا على (جاءوك) لم يحتج اليه اهـ فان هذا العطف لايضرنا أصلا فانه يدل على أن استغفار الرسول بعد وقوع الظلم منهم إذ المعطوف في حكم المعطوف عليه. ولاشك أن جاءوك بعد وقوع الظلم منهم

(الخامس) من وجوه الاصل ان قوله (٣) فاذا وجد مجيئهم واستغفارهم فقد تكملت الامور الثلاثة الموجبة لتوبة الله ورحمته — مردود بأنا لانسلم انه إذا

---

١) أي شفاء السقام للسبكي ٢) أي السبكي في شفائه
٣) أي المردود عليه دحلان تبعا للسبكي في شفائه

وجد المجيء إلى القبر واستغفارهم عنده وجدت الامور الثلاثة الموجبة لتوبة الله ورحمته فان الامور الثلاثة الموجبة لتوبة الله ورحمته هي المذكورة في الآية وإنما هي المجيء اليه ﷺ في الحياة بعد الظلم واستغفارهم عنده في الحياة بعد الظلم واستغفار الرسول ﷺ لهم في الحياة بعد الظلم وفى زيارة القبر لا يوجد واحد منها

(السادس) قوله : وسيأتى فى الاحاديث الآتية مايدل على أن استغفاره ﷺ لا يتقيد بحال حياته — فيه انه سيأتى الكلام عليها فانتظره

(السابع) قوله : وقد علم من كمال شفقته ﷺ انه لا يترك ذلك لمن جاءه مستغفراً ربه — ظن محض وتخمين صرف ليس عليه اثارة من كتاب ولا سنة فلا يسمع ، على أن لنا أن نعارض فنقول انه لو كان استغفاره لمن جاءه مستغفراً بعد موته ممكنًا أو مشروعًا لكان كمال شفقته ورحمته يقتضي ترغيبهم فى ذلك وحضهم عليه ، ومبادرة خير القرون اليه ، لكن رسول الله ﷺ لم يرغب فى ذلك ، ولم يبادر خير القرون اليه ، فتبين أن الاستغفار بعد موته ﷺ ليس ممكنًا أو مشروعًا . وهذا التقرير مستفاد من الصارم[1]

(الثامن) قوله : والآية الكريمة وإن وردت فى قوم معينين فى حال الحياة تعم بعموم العلة كل من وجد فيه ذلك الوصف فى حال الحياة و بعد الممات

(قلت) الامر كما أقر به الخصم فى هذا المقام من أن الآية وردت فى قوم معينين من أهل النفاق يدل عليه قوله تعالى (وإذا قِيلَ لهم تعالَوْا إلى ما أنزلَ اللهُ وإلى الرسولِ رأيتَ المنافقينَ يصدُّون عنك صُدوداً) وورد نظير ذلك في حقهم في سورة المنافقين (واذا قيل لهم تعالَوْا يستغفرْ لكم رسولُ اللهِ لوَّوْا رءُوسَهم ورأيتَهم يصدُّون وهم مستكبرون) ولكن

[1]) يعنى الصارم المنكى فى الرد على السبكى للحافظ ابن عبد الهادى (رح)

عمومها بعموم العلة فقد تقدم مافيه في الوجه الاول وبعد تسليم ذلك العموم يقال ان الآية تعم ماوردت فيه وما كان مثله ، فهي عامة في كل منافق قيل له تعال إلى ما أنزل الله وإلى الرسول فصد عن الرسول صدوداً، وتحاكم إلى الطاغوت ثم جاء الرسول في حياته فاستغفر الله واستغفر له الرسول في حياته. وأما المؤمن الذي عصى فجاء قبر الرسول ﷺ فاستغفر الله فليس مثله

(التاسع) قوله : ولذلك فهم العلماء منها العموم للحالتين واستحبوا لمن أتى قبره (ص) أن يقرأها مستغفراً الله تعالى ، واستحبوها الزائر ورأوها من آدابه التي ليس[1] لهفعلها ، وذكرها المصنفون في المناسك من أهل المذاهب الاربعة

(قلت) هذا مما أورده السبكي في الشفاء ورد عليه العلامة ابن عبد الهادي (رح) في الصارم ؛ فلنذكر هنا عبارة الصارم بلفظها . قال في الصارم : وقوله : ولذلك فهم العلماء من الآية العموم في الحالتين — فيقال له من فهم هذا من سلف الامة وأئمة الاسلام ؟ فاذكر لنا عن رجل واحد من الصحابة أو التابعين أو تابعي التابعين أو الائمة الاربعة أوغيرهم من الائمة ،أو أهل الحديث والتفسير انه فهم العموم بالمعنى الذي ذكرته أو عمل به أو أرشد اليه ، فدعواك على العلماء بطريق العموم هذا الفهم دعوى باطلة ظاهرة البطلان . اه

ومن عجائب فهم صاحب الرسالة(٢) انه زعم ان ضمير حكاها في الشفاء راجع إلى الآية فقال : وذكر المصنفون . مع أن مرجعه حكاية العتبي ولفظ الشفاء هكذا : ولذلك فهم العلماء من الآية العموم في الحالتين واستحبوا لمن أتى إلى قبره ﷺ أن يتلو هذه الآية ويستغفر الله تعالى ، وحكاية العتبي في ذلك مشهورة وقد حكاها المصنفون في المناسك من جميع المذاهب . اه

لا يقال ان الامام مالك من الائمة الاربعة فهم العموم كما سيأتي في حكاية

---

١) كذا وصوابه ينبغي بالاثبات لا بالنفي
(٢) اي الشيخ دحلان المردود عليه

مناظرة الخليفة المنصور والامام مالك لانا نقول هذه الرواية ليست مما يعتمد عليه كما سيأتي -- على أن من فهم العموم فمناطه حكاية الاعرابي وهي ليست بثابتة ، كما ستطلع عليه عن قريب

(العاشر) قوله : ودلت الآية أيضاً على انه لافرق في الجائي بين أن يكون مجيئه بسفر أوغير سفر لوقوع جاءوك في حيز الشرط الدال على العموم

(قلت) هذا ذكره ابن حجر المكي في الجوهر المنظم وهوفاسد — بيانه أن عموم الفعل الواقع في حيز الشرط ليس إلا عموم النكرة في موضع الشرط . قال الامام المحلي في شرحه على جمع الجوامع : لتضمن الفعل المنفي لمصدر منكر وقال السعد في حاشيته على العضدي والمحققون من النحاة على أن المراد بتنكير الجملة ان المفرد الذي يسبك منها نكرة وعموم الفعل المنفي ليس من جهة تنكيره بل من جهة مايتضمنه من المصدر نكرة ، فمعنى لايستوي زيد وعمرو لايثبت استواء بينهما اهـ

وعموم النكرة في موضع الشرط ليس إلا عموم النكرة في موضع النفي ، قال السعد في التلويح يريد أن الشرط في مثل : إن فعلت فعبده حر أو امرأته طالق لليمين على تحقق نقيض الشرط إن كان الشرط فيها مثل :إن ضربت رجلا فكذا فهو يمين للمنع ،بمنزلة قولك والله لأضربن رجلا ،وان كان منفيا مثل:ان لم اضرب رجلا فكذا، فهو يمين للحمل بمنزلة قولك والله لاضربن رجلا ،ولا شك ان النكرة في الشرط المثبت خاص يفيد الايجاب الجزئي ، فيجب أن يكون في جانب النقيض للعموم والسلب الكلي والنكرة المنفية عام يفيد السلب الكلي ، فيجب أن يكون في جانب النقيض للخصوص والايجاب الجزئي ، فظهر أن عموم النكرة في موضع الشرط ليس إلا عموم النكرة في موضع النفي اهـ

فتحصل من هذا أن عموم الفعل في سياق الشرط لايكون إلا في موضع يحصل

فيه نكرة في سياق النفي وهذا لا يحصل إلا في مثل شرط يكون لليمين التي للمنع ، ولذا قال السعد في حاشيته على العضدي : قوله : أو ما في معناه ، يعني النكرة الواقعة في الشرط المستعمل موضع اليمين التي للمنع ، مثل إن أكلت فأنت طالق ، فانه للمنع عن الاكل إذ انتفاء الطلاق مطلوب وذلك بانتفاء الاكل ، فهو في معنى لا آكل البتة ، وهذا معنى قوله : إذ ينتفي الطلاق بأن لا يأكل اه

وقال في التوضيح والنكرة في موضع الشرط إذا كان مثبتاً عام في طرف النفي وإنما قيد بقوله إذا كان الشرط مثبتاً ، حتى لو كان الشرط منفيًا لا يكون عاما كقوله إن لم أضرب رجلا فعبدي حر ، فمعناه اضرب رجلا فشرط البر ضرب واحد من الرجال فيكون للايجاب الجزئي اه

وفي الآية الكريمة كون الشرط لليمين التي للمنع غير مسلم ، وأيضاً قد علم أن في قوله إن لم أضرب رجلا فعبدي حر — الفعل واقع في سياق الشرط مع انه ليس عاما ، فالقول بعموم الفعل الواقع في سياق الشرط عموما فاسد

(الحادي عشر) ان جميع الامة عصاة مذنبون ، و خطاء ظالمون ، ورد في الحديث القدسي « ياعبادي انكم تخطئون بالليل والنهار » رواه مسلم من حديث أبي ذر وفيه « ياعبادي كلكم ضال إلا من هديته » وعن أنس قال قال رسول الله ﷺ « كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون » رواه الترمذي وابن ماجه والدارمي وعن ابن عباس في قوله تعالى (إلا اللمم) قال رسول الله ﷺ

« إن تغفر اللهم تغفر جما وأي عبد لك لا ألما »؟

رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح غريب ، وفي حديث أبي ذر قال قال رسول الله ﷺ « كلكم مذنب إلا من عافيت » رواه أحمد والترمذي وابن ماجه ، وفي حديث ابن مسعود قال لما نزلت (الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم) شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ وقالوا يارسول الله أينا لم يظلم نفسه؟

فقال رسول الله ﷺ « ليس ذاك انما هو الشرك » رواه البخاري ومسلم

فلو كانت الآية تعم كل ظالم سواء كان مؤمناً أو كافراً أو منافقاً ، وسواء كانت بينه وبين النبي ﷺ مدة سفر أو لم تكن ، وسواء كان يدعي أو لم يدع ، وسواء كان مجيئه إلى النبي ﷺ في حياته أو إلى قبره بعد وفاته كما زعم صاحب الرسالة[1] يلزم أن يكون مجيء كل أحد من أمته بعد كل ظلم ومعصية صغيرة كانت أو كبيرة اليه ﷺ والاستغفار عنده قربة مطلوبة بالكتاب ، وهذا مما لم يقل به أحد من المسلمين ولا يطيقه أحد ، وأيضاً يلزم أن يكون جميع مسلمي زمانه ﷺ الذين لم يجيئوا اليه ﷺ بعد كل ظلم تاركين لهذه القربة ، وأيضاً يلزم أن لا يكون المجيء الى القبر مرة كافياً ، بل يكون المجيء بمرات غير محصورة علي قدر ذنوبهم قربة مطلوبة ، كيف وذنوبنا غير محصورة ولا واقفة عند حد . وأيضا يلزم مزية زيارة القبر علي الحج ، فان حج بيت الله فرض في العمر مرة وتكون زيارة قبر الرسول ﷺ قربة في كل سنة بل في كل شهر بل في كل أسبوع بل في كل ساعة بل في كل لمحة ، فانا لا نخلو في لمحة من اللمحات من الذنوب ، بل يلزم سكنى المدينة فيلزم أن يكون جميع الاكابر الذين لم يقيموا في المدينة من السلف والخلف تاركين لهذه القربة ، وأيضاً يلزم أن يكون الزاد والراحلة غير مشروط في الزيارة مع انهما شرطان في الحج ، وهذه المفاسد مما لا يلتزمها إلا جاهل غبي

(الثاني عشر) ان في الآية تقبيحاً لضرب من المجيء أي إتيانهم حالفين بالله حلفا كاذباً كما جاء المنافقون ، وتحسينا لضرب آخر منه وهو أن يجيء مستغفراً ، فالمقصود الحث على تقدير المجيء على المجيء مستغفراً فالثابت منها انه على تقدير المجيء الاتيان مستغفراً قربة لا ان نفس المجيء مع الاستغفار قربة ، والمطلوب الثاني لا الاول فلا يتم التقريب

(١) اي المردود عليها وهو دحلان

(الثالث عشر) انه لو صح الاستدلال المذكور بالآية المذكورة لصح بالاولى الاستدلال بالآية الواقعة في سورة الحجرات (انَّ الذينَ يُنادونَكَ مِنْ وَراءِ الحُجُراتِ أكثرُهم لا يعقلون * ولو أنهم صَبَروا حتى تخرجَ اليهم لكان خيراً لهم والله غفورٌ رحيم) على عدم كون زيارة القبر المعهودة في زماننا قربة الذي هو نقيض مطلوب صاحب الرسالة[1] فان الآية دلت على ذم نداء النبي ﷺ من وراء الحجرات، وهذا لا ينقطع بموته ﷺ تعظيما له كما قال الخصم في تقرير الآية بل هو أولى، فان النداء من وراء الحجرات بعد الموت بيا رسول الله وغيره من الالفاظ فرد من أفراد نداء النبي ﷺ من وراء الحجرات بلا ريب وشبهة، بخلاف المجيء إلى قبره ﷺ، فان كونه فرداً من أفراد المجيء الى النبي ﷺ فاسد كما تقدم، ودلت أيضاً على تعليق ثبوت الخيرية لهم بالصبر عن النداء من وراء الحجرات، والآية الكريمة وإن وردت في قوم معينين في حال الحياة تعم بعموم العلة كل من وجد فيه ذلك الوصف في حال الحياة وبعد الممات كما قرر الخصم في الآية، بل عمومه أولى بالنسبة الى الآية التي استدل بها الخصم فان في هذه الآية (الذين) لفظ موصول وهو من الالفاظ العامة بخلاف الآية المتقدمة فان فيها ضميراً وهو ليس من العموم في شيء، ولذلك فهم العلماء منها العموم للمنادين

قال القاضي عياض في الشفا ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين مالكا في مسجد رسول الله ﷺ فقال له مالك يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد فان الله تعالى أدب قوماً فقال (لا تَرْفَعُوا أصواتَكُم فوقَ صَوْتِ النبيِّ) ومدح قوماً فقال (ان الذين يغُضُّون أصواتَهم عندَ رسولِ الله) الآية، وذم

(١) اي دحلان.

قوماً فقال (ان الذين يُنادونك من وراء الحجرات) وبأن حرمته ميتاً كحرمته حياً ، فاستكان له ابو جعفر اه وهذه الرواية وإن كان فيها مقال كثير ولكنها من مسلمات الخصم

وأيضاً قال القاضي فيه ولما كثر على مالك الناس قيل له لو جعلت مستملياً يسمعهم فقال قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) وحرمته حياً وميتاً سواء اه

وقال القسطلاني في المواهب روي عن أبى بكر الصديق (رض) قال إنه لا ينبغي رفع الصوت علي نبي حياً ولا ميتاً ، وروي عن عائشة (رض) انها كانت تسمع صوت الوتد يوتد والمسمار يضرب في بعض الدور المطيفة بمسجد النبي ﷺ فترسل اليهم لا تؤذوا رسول الله ﷺ ، قالوا وما عمل علي بن أبي طالب (رض) مصراعي داره إلا بالمناصع توقياً لذلك ، نقله ابن زبالة اه

ودلت الآية أيضاً علي انه لافرق في الصابر بين أن يكون صبره بحيث تكون بينه وبين قبر النبي ﷺ مدة سفر أو لا لوقوع « صبروا » في حيز الشرط الدال علي العموم كما قرر الخصم ، علي أن زيارة قبره ﷺ المعهودة في زماننا هل يرفع فيها الصوت ويجهر له بالقول أم لا ؟ والاول منهي عنه لقوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا لا ترفَعُوا أصواتكم فوْقَ صوتِ النبيِّ ولا تجهروا له بالقَول كجَهْرِ بعضِكم لبعضٍ أن تحبَطَ أعمالُكُمْ وأنتم لا تَشعُرُون * ان الذين يَغضُّون أصواتَهم عند رسولِ الله أُولئك الذين امْتحنَ اللهُ قلوبَهم للتقوَى لهم مغفرةٌ وأجرٌ عَظيم) وعن أبى هريرة قال لما نزلت (ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول) قال أبو بكر والذي أنزل عليك الكتاب يارسول الله لا أكلمك إلا كأخي السرار (١) حتى ألقى الله ، أخرجه عبد بن حميد والحاكم

(١) هو المسارة أي كصاحب السرار أو كمثل المساررة لخفض صوته والكاف صفة مصدر محذوف ، اه مجمع البحار

وصححه ، وفي صحيح البخاري قال ابن الزبير فما كان عمر يسمع رسول الله ﷺ حتى يستفهمه ولم يذكر ذلك عن أبيه يعني أبا بكر ، قال القسطلاني وان أكابر الصحب ما كانوا يخاطبونه إلا كأخي السرار اه

وبما جاء في صحيح البخاري عن السائب بن يزيد قال كنت نائما في المسجد فحصبني رجل فنظرت فاذا هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال اذهب فائتني بهذين فجئته بهما فقال ممن أنتما ومن أين انتما ؟ قالا من أهل الطائف قال لو كنتما من أهل المدينة لاوجعتكما ، ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله ﷺ

وعن مالك قال بنى عمر رحبة في ناحية المسجد تسمى البطحاء وقال من كان يريد أن يلغط أو ينشد شعراً أو يرفع صوته فليخرج إلى هذه الرحبة. رواه في الموطأ كذا في المشكاة ، وعن أبي هريرة في حديث مرفوع في أشراط الساعة فيه «وظهرت الاصوات في المساجد» وفي رواية «وارتفعت الاصوات في المساجد» وعن مكحول في حديث في أشراط الساعة «وأن تعلو أصوات الفسقة في المساجد» رواه ابن أبي الدنيا مرسلا هكذا في الترغيب والترهيب للمنذري ففى هذا الشق يلزم ثلاث محذورات (الاول) رفع الصوت في المسجد (والثاني) رفع الصوت في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم (والثالث) رفع الصوت عند رسول الله ﷺ

قال القسطلاني في المواهب ومنها أنه حرم على الامة نداءه باسمه قال تعالى (لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً) أي لاتجعلوا دعاءه وتسمينه كدعاء بعضكم بعضا باسمه ورفع الصوت به ، والنداء وراء الحجرات، ولكن قولوا يارسول الله يانبي الله مع التوقير والتواضع وخفض الصوت اه قال الزرقاني بحرمة رفعه عليه والظرف أي بينكم متعلق بتجعلوا لا حال من الرسول لانه يوهم أنه لايحرم نداؤه باسمه بعد وفاته مع أن الحرمة ثابتة مطلقا اه

وقال القسطلاني في المواهب أيضاً: ومنها أنه يحرم الجهر له بالقول قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبَعْضٍ أن تحبَطَ أعمالُكمْ وأنتم لاتَشْعُرُون) اه قال الزرقاني أي خشية ذلك بالرفع والجهر المذكورين روى البخاري عن ابن أبي مليكة قال كاد الخيران أن يهلكا أبو بكر وعمر، لما قدم وفد بني تميم قال أبو بكر أمر القعقاع بن معبد وقال عمر أمر الاقرع بن حابس فقال أبو بكر لعمر انما أردت خلافي فقال عمر ماأردت خلافك فارتفعت أصواتهما عند النبي ﷺ فنزلت (يا أيها الذين آمنوا لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي — الى قوله — عظيم) قال ابن أبي مليكة عن ابن الزبير فكان عمر بعد اذا حدث النبي ﷺ بحديث حدثه كاخي السرار لم يسمعه حتى يستفهمه ولم يذكر ذلك عن أبيه يعني أبا بكر اه

وقال القسطلاني في المواهب وقال ابن عباس لما نزل قوله تعالى (لاترفعوا أصواتكم) كان أبو بكر لايكلم رسول الله ﷺ إلا كاخي السرار اه

وقال في المواهب وينبغي للزائر أن يستحضر من الخشوع ماأمكنه وليكن مقتصداً في سلامه بين الجهر والاسرار اه، وأيضاً في المواهب ثم يقول الزائر بحضور قلب وغض طرف وصوت وسكون جوارح وإطراق السلام عليك يارسول الله الخ

وقال ابن حجر في الجوهر المنظم اذا وقف أو جلس ثم سلم لايرفع صوته بل يقتصد فيقول السلام عليكم أيها النبي ورحمة الله وبركاته الخ. وقال السيوطي في (موجز اللبيب في خصائص الحبيب) ويحرم التقدم بين يديه ورفع الصوت فوق صوته والجهر له بالقول ونداؤه من وراء الحجرات والصياح به من بعيد اه والشق الثاني أيضاً باطل فان السلام المشروع عند القبر سلام تحية لاسلام دعاء

وسلام التحية لا بد فيه من أن يفعل بحيث يسمعه المسلم عليه حتى يرده على المسلم

قال في المواهب وشرحه للزرقاني : ويكثر من الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ بحضرته الشريفة حيث يسمعه ويرد عليه بان يقف بمكان قريب منه ويرفع صوته إلى حد لو كان حياً مخاطباً لسمعه عادة اه . وقال الزرقاني والظاهر أن المراد بالعندية قرب القبر بحيث يصدق عليه عرفا أنه عنده وبالبعد ما عداه وإن كان بالمسجد اه . ولما سدت حجرة عائشة (رض) التي هي مدفن رسول الله ﷺ وبنيت على القبر حيطان مرتفعة مستديرة حوله ثم بنى عليه جداران من ركني القبر الشماليين تعذر الوصول إلى قرب القبر فالزائرون اليوم انما يسلمون من مسافة لو سلم على حي من تلك المسافة لما سمعه فكيف يسمعه النبي ﷺ ويرده عليه ولو سلم حياته ﷺ في القبر؟ فان قيل ان رسول الله ﷺ بعد الممات يمكن أن يزداد قوة سمعه فيسمع من تلك المسافة ؟ فيقال أي دليل على هذا من كتاب وسنة؟ ومجرد الامكان العقلي لا يغني من شيء على أنه هل لذلك تحديد أم لا؟ على الثاني يستوي المسلم من بعيد والمسلم عند القبر وهذا باطل عند من يقول بقربة الزيارة فانهم فضلوا السلام عند القبر على السلام من بعيد كالسبكي وابن حجر المكي وعلى الاول فلا بد من بيانه بدليل شرعي وأنى له ذلك ؟

(الرابع عشر) أنه لو صح الاستدلال بالآية المذكورة لجاز أن يستدل على جواز بيعة رسول الله ﷺ بعد الموت بقوله تعالى في سورة الممتحنة (يا أيها النبيُّ إذا جاءكَ المؤمناتُ يبايعنَكَ على ألاَّ يُشركنَ بالله شيئاً ولا يَسرقنَ ولا يزنينَ ولا يَقتلنَ أولادَهن ولا يأتينَ ببُهتانٍ يَفترينَه بين أيديهنَّ وأرجلهنَّ ولا يَعصينَك في معروفٍ فبايعهنَّ واستغفرْ لهنَّ اللهَ إن اللهَ غفورٌ رحيم) وبقوله تعالى في سورة الفتح (إن الذين يُبايعونك انما يُبايعون الله يدُ الله فوقَ أيديهم فمن نكثَ فإنما ينكثُ على نفسه ومن أوفى بما عاهدَ

عليهُ اللهَ فسيؤتيهِ أجراً عظيما) وهذا لا ينقطع بموته ﷺ تعظيما له ﷺ كما قال الخصم ودلت الآية علي أنه لافرق في الجائية بين أن يكون مجيئها بسفر أو غير سفر لوقوع جاؤك في حيز الشرط الدال علي العموم كما قال الخصم ولكون الذين من الاسماء الموصولة وهي من ألفاظ العموم مع أن أحداً من الامة لم يقل بجواز بيعة رسول الله ﷺ بعد الموت ولم يفعلها أحد من السلف والخلف

(الخامس عشر) أنه لو دلت الآية على كون زيارة القبر قربة وعلي أنه شرع لكل مذنب أن يأتي إلى قبره ليستغفر له لكان القبر أعظم أعياد المذنبين وأجلها وهذه مضادة صريحة لما قاله رسول الله ﷺ «لا تجعلوا قبري عيداً»

(السادس عشر) أن أعلم الامة بالقرآن ومعانيه وهم سلف الامة لم يفهم منهم أحد إلا المجيء اليه في حياته ليستغفر لهم، ولم يكن أحد منهم قط يأتي إلى قبره ويقول يارسول الله فعلت كذا وكذا فاستغفر لي، ومن نقل هذا عن أحد منهم فقد جاهر بالكذب والبهت أفترى عطل الصحابة والتابعون وهم خير القرون على الاطلاق هذا الواجب القربة التي ذم الله سبحانه من تخلف عنها وجعل التخلف عنه من أمارات النفاق ووفق له من لا يؤبه له من الناس ولا يعد في أهل العلم(١)؟ وبالله العجب!

١) زاد في الصارم المنكي هنا ما نصه :

وكيف أغفل هذا الامر أئمة الاسلام، وهداة الانام، من أهل الحديث والفقه والتفسير ومن لهم لسان صدق في الامة، فلم يدعوا اليه، ولم يحضوا عليه، ولم يرشدوا اليه، ولم يفعله أحد منهم البتة، بل المنقول الثابت عنهم ما قد عرف مما يسوء الغلاة فيما يكرهه وينهى عنه من الغلو والشرك، الجفاة عما يحبه ويأمر به من التوحيد والعبودية، ولما كان هذا المنقول شجى في حلوق البغاة، وقذى في عيونهم وريبة في قلوبهم، قابلوه بالتكذيب والطعن في الناقل ومن استحى منهم من أهل العلم بالآثار قابله بالتحريف والتبديل ويأبى الله الا ان يعلي منار الحق ويظهر أدلته ليهتدي المسترشد وتقوم الحجة علي المعاند، فيعلي الله بالحق من يشاء، ويضع برده وبطره وغمص أهله من يشاء اه

أ كان ظلم الامة لانفسها ونبيها حي بين أظهرها موجوداً وقد دعيت فيه إلى المجيء اليه ليستغفر لها وذم من تخلف عن هذا المجيء؟ فلما توفي ﷺ ارتفع ظلمها لانفسها بحيث لا يحتاج أحدهم إلى المجيء اليه ليستغفر له . وهذا يبين أن هذا التأويل الذي تأول عليه المعترض هذه الآية تأويل باطل قطعاً ، ولو كان حقاً لسبقونا اليه علما وعملا وإرشاداً ونصيحة، ولا يجوز إحداث تأويل في آية أو سنة لم يكن على عهد السلف ولا عرفوه ولا بينوه للامة(١) وهذان الوجهان الاخيران مأخوذان من الصارم

قوله: وقد قال تعالى (وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إلى اللهِ وَرَسُولِه ثُمَّ يُدْرِكْهُ المَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ على الله) ولا شك أن من له أدنى مسكة من ذوق العلم أن من خرج لزيارة رسول الله ﷺ يصدق عليه أنه خرج مهاجراً إلى الله ورسوله لما يأتي من الاحاديث الدالة على أن زيارته ﷺ بعد وفاته كزيارته في حياته وزيارته في حياته داخلة في الآية الكريمة قطعاً ، فكذا بعد وفاته بنص الاحاديث الشريفة الآتية

أقول : هذا كله مأخوذ من كلام ابن حجر المكي في الجوهر المنظم وهو مردود من وجوه

---

(١) يعني ان أحكام العبادات العملية المنصوصة في القرآن لا يعقل أن يجهلها أو يترك العمل بها الصحابة والتابعون وسائر علماء السلف ثم ينفرد بعلمها وفهمها مثل السبكي وابن حجر المكي بعدهم ببضع قرون. وليس معناه انه ليس لاحد بعد الصدر الاول ان يفهم من علوم القرآن وحكمه مالم ينقل عنهم. فان هذا باطل لم يقل به أحد فعلوم القرآن وحكمه كدرر البحار لاتنفد ، ولا تفتأ تتجدد ، وكتبه محمد رشيد رضا

(الاول) ان الآية واردة في الهجرة من دار الشرك إلى دار الاسلام يدل عليه سياق الآية وسباقها (١) فان أولها (إنَّ الذينَ توفَّاهمُ الملائكةُ ظالمِي أنفسِهم قالوا فيمَ كنتم؟ قالوا كنا مستضعَفين في الأرضِ؛ قالوا ألم تكن أرضُ الله واسعةً فتهاجِروا فيها؟ فأولئك مأواهم جهنمُ وساءتْ مصيرا الا المستضعَفينَ من الرجالِ والنساءِ والوِلدانِ لا يَستطيعُونَ حيلةً ولا يَهتدون سَبيلا * فأولئك عسى اللهُ أن يعفوَ عنهم؛ وكان اللهُ عَفُوًّا غفورا * ومن يهاجر في سبيلِ الله يجد في الارض مُراغَماً كثيراً وسَعة) ويدل عليه أيضاً شأن نزولها أخرج أبو يعلى وابن أبي حاتم والطبراني ـ قال السيوطي (٢) بسند رجاله ثقات ـ عن ابن عباس قال: خرج ضمرة بن جندب من بيته مهاجرا فقال لقومه احملوني فأخرجوني من أرض الشرك إلى رسول الله ﷺ فمات في الطريق قبل أن يصل إلى النبي ﷺ فنزل الوحي (ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله) الآية . كذا في فتح القدير للامام الشوكاني (رح) ويدل عليه أيضاً معنى الهجرة . قال في المصباح والهجرة بالكسرة مفارقة بلد إلى غيره فان كانت قربة لله فهي الهجرة الشرعية اه.وفي الصحاح والمهاجرة من أرض الى أرض ترك الاولى للثانية اه وفي القاموس والهجرة بالكسر والضم الخروج من أرض إلى أخرى اه

وفي النهاية الهجرة في الاصل الاسم من الهجر ضد الوصل وقد هجره هجرا وهجرانا ثم غلب على الخروج من أرض إلى أرض وترك الاولى للثانية . وفي مجمع البحار الهجرة في الاصل الاسم من الهجر ضد الوصل ثم غلب على الخروج من أرض إلى أرض

(١) أي الآيات السابقة عليها (٢) أي في الدر المنثور

فقد علم من ههنا انه لا بد في معنى الهجرة من أمرين (الاول) الخروج من أرض إلى أرض (والثاني) ترك الاولى للثانية — والخروج لزيارة النبي ﷺ في حياته يتحقق فيه الامر الاول لا الثاني، ويدل على كون الامرين معتبرين في معنى الهجرة أحاديث منها ما روى الشيخان عن جابر بن عبدالله ان أعرابياً بايع رسول الله ﷺ فأصاب الاعرابي وعك بالمدينة، فأتى النبي ﷺ فقال يامحمد أقلني بيعتي، فأبى رسول الله ﷺ ثم جاءه فقال أقلني بيعتي فأبى، ثم جاءه فقال أقلني بيعتي فأبى، فخرج الاعرابي، فقال رسول الله ﷺ « انما المدينة كالكير تنفي خبثها وتنصع طيبها »

ومنها ماروى مسلم عن جابر قال جاء عبد فبايع النبي ﷺ على الهجرة، ولم يشعر انه عبد، فجاء سيده يريده، فقال له النبي ﷺ « بعنيه » فاشتراه بعبدين أسودين، ولم يبايع أحداً بعده حتى يسأله أعبد هو أوحر

ومنها ما رواه البخاري ومسلم عن ابي سعيد الخدري (رض) قال : جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فسأله عن الهجرة، فقال « ويحك ان الهجرة شأنها شديد فهل لك من إبل ؟ » قال نعم، قال «فنعطي صدقتها؟» قال نعم، قال «فهل تمنح منها ؟» قال نعم قال « فتحلبها يوم وردها ؟ » قال نعم قال « فاعمل من وراء البحار فان الله لن يترك (١) من عملك شيئا »

ومنها ماروى البخاري ومسلم عن العلاء بن الحضرمي قال قال رسول الله ﷺ « ثلاث للمهاجر بعد الصدر (٢) » ومنها مارواه البخاري عن سعد بن ابي وقاص قلت يارسول الله أخلف (٣) بعد اصحابي ؟ قال « انك ان تخلف فتعمل عملا تبتغي

---

(١) يترك بكسر التاء أي لن ينقصك (٢) الصدر بفتحتين الرجوع أي للمهاجر بعد الرجوع من منى وانتهاء حجه له ان يلبث في مكة ثلاث ليال
(٣) بتشديد اللام اصله أأخلف أي أتأخر

به وجه الله إلا ازددت به درجة ورفعة ، ولعلك تخلف حتى ينتفع بك اقوام ، ويضر بك آخرون ، اللهم أمض لاصحابي هجرتهم ولا تردهم على اعقابهم » لكن البائس سعد بن خولة يرثي له رسول الله ﷺ أن توفي بمكة (١)

ومنها ما رواه البخاري عن عائشة (رض) انها قالت لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وعك ابوبكر ،فكان ابوبكر إذا أخذته الحمى يقول

كل امرىء مصبح في أهله والموت ادنى من شراك نعله

وكان بلال إذا أقلع عنه الحمى يرفع عقيرته ويقول

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بواد وحولي إذخر وجليل؟

وهل أردن يوما مياه مجنة وهل يبدون لي شامة وطفيل؟

اللهم العن شيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة وأمية بن خلف كما أخرجونا من أرضنا الى أرض الوباء ، ثم قال رسول الله ﷺ « اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة أو أشد ، اللهم بارك لنا في صاعنا وفي مدنا وصححها لنا وانقل حماها الى الجحفة » قال القاضي في الحديث الاول انما استقاله(٢) على الهجرة ولم يرد الارتداد عن الاسلام ، قال ابن بطال بدليل انه لم يرد حل ماعقده إلا بموافقة النبي ﷺ على ذلك ، ولو أراد الردة ووقع فيها لقتله إذ ذاك وإنما لم يقله بيعته لانها إن كانت بعد الفتح فهي على الاسلام فلم يقله إذ لا يحل الرجوع الى الكفر وان كانت قبله فهي على الهجرة والمقام معه بالمدينة ولا يحل للمهاجر أن يرجع الى وطنه ، كذا قال القسطلاني

---

(١) جملة الاستدراك هذه مدرجة في الحديث من رواية الزهري عن ابراهيم ابن سعد وليست من كلامه (ص)

(٢) يعني ان الاعرابي انما طلب من النبي (ص) ان يقيله بيعته على الهجرة ليخرج من المدينة فرارا من الحمى ولم يطلب اقالته من الاسلام نفسه. أي لانه لو اراد هذا لفر من المدينة ولم يقل يا رسول الله اقلني بيعتي

قال النووي قال العلماء انما لم يقبله النبي ﷺ بيعته لانه لا يجوز لمن أسلم ان يترك الاسلام ولا لمن هاجر الى النبي ﷺ للمقام عنده ان يترك الهجرة ويذهب الى وطنه او غيره. إه

وقال النووي في الحديث الثاني وفيه ما كان عليه النبي ﷺ من مكارم الاخلاق والاحسان العام فانه كره أن يرد ذلك العبد خائبا مما قصده من الهجرة وملازمة الصحبة، فاشتراه ليتم له ما أراده اه

وقال القسطلاني في الحديث الثالث « فسأله عن الهجرة» اي ان يبايعه على ان يقيم بالمدينة « ويحك ان الهجرة شأنها » اي القيام بحقها «شديد » لا تستطيع القيام بحقها «فاعمل من وراء البحر» فلا تبال ان تقيم في بلدك ولو كنت في اقصى بلاد الاسلام اه وقال القسطلاني في الحديث الرابع وهو بعد الرجوع من منى من غير زيادة، وجوز بعضهم الاقامة بعد الفتح

قال النووي معنى الحديث ان الذين هاجروا من مكة قبل الفتح الى رسول الله ﷺ حرم عليهم استيطان مكة والاقامة بها ثم أبيح لهم اذا وصلوها بحج او عمرة او غيرهما ان يقيموا بعد فراغهم ثلاثة ايام ولا يزيدوا على الثلاثة . وقال القاضي عياض في هذا الحديث حجة لمن منع المهاجر قبل الفتح من المقام بمكة بعد الفتح قال هو قول الجمهور وأجاز لهم جماعة بعد الفتح مع الاتفاق على وجوب الهجرة عليهم قبل الفتح ووجوب سكنى المدينة لنصرة النبي ﷺ ومواساتهم له بنفسهم، وأما غير المهاجر ومن آمن بعد ذلك فيجوز له سكنى اي بلد أراد سواء مكة وغيرها بالاتفاق هذا كلام القاضي اه

وقال القسطلاني في الحديث الخامس « ولا تردهم على أعقابهم » بترك هجرتهم ورجوعهم عن استقامتهم «ان توفي » اي لاجل وفاته «بمكة» التي هاجر منها اه . وقال القسطلاني في الحديث السادس : وتأمل كيف تعزى أبو بكر

(رض) عند أخذ الحمى بما ينزل به من الموت الشامل للاصيل والغريب ، وبلال (رض) تمنى الرجوع إلى وطنه على عادة الغرباء يظهر لك فضل أبي بكر على غيره من الصحابة « رض » اه

ومنها ما روى مسلم عن أبي هريرة (رض) قال قال رسول الله ﷺ « كلا انى عبد الله ورسوله هاجرت الى الله واليكم والمحيا محياكم والممات مماتكم » قال النووي معنى هذه الجملة انهم رأوا رأفة النبي ﷺ بأهل مكة وكف القتل عنهم فظنوا أنه يرجع إلى سكنى مكة والمقام فيها دائما ويرحل عنهم ويهجر المدينة فشق ذلك عليهم فأوحى الله تعالى اليه ﷺ فأعلمهم بذلك اه وأيضا قال فمعناه اني هاجرت الى الله وإلى دياركم لاستيطانها فلا أتركها ولا ارجع عن هجرتي الواقعة لله تعالى بل أنا ملازم لكم المحيا محياكم ، والممات مماتكم ، اني لا احيا إلا عندكم ولا أموت الا عندكم اه

ومنها ما روى الترمذي عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ لمكة «ما أطيبك من بلد وأحبك إلي ولولا ان قومي اخرجوني منك ما سكنت غيرك »

ومنها ماروى مسلم عن سلمة بن الاكوع انه دخل على الحجاج فقال يا ابن الاكوع ارتددت على عقبيك تعربت قال لا ولكن رسول الله ﷺ اذن لي في البدو

قال النووي قال القاضي عياض أجمعت الامة على تحريم ترك المهاجر هجرته ورجوعه الى وطنه ، وعلى ان ارتداد المهاجر اعرابيا من الكبائر . ولهذا أشار الحجاج الى أن أعلمه سلمة أن خروجه إلى البادية انما هو باذن النبي ﷺ قال ولعله رجع إلى غير وطنه أو لان الغرض في ملازمة المهاجر ارضه التي هاجر اليها وفرض ذلك إنما كان في زمن النبي ﷺ لنصرته ، أو ليكون معه ، أو لان ذلك انما كان قبل فتح مكة لمواساة النبي ﷺ وموازرته ونصرة دينه وضبط شريعته اه

ومن ثم قال عثمان (رض) لما قال له الصحابة رضي الله عنهم ـ وقد حوصر ـ إلحق

بالشام : لن افارق هجرتي ومجاورة رسول الله (ص) فيها — كذا في الجوهر المنظم لابن حجر المكي . فقد علم من تلك الاحاديث ان الامرين المذكورين معتبران في معنى الهجرة.

وجملة القول في هذا المقام ان ليست الهجرة عين الخروج لزيارته «ص» بل بينهما عموم وخصوص من وجه يجتمعان في مادة كمن هاجر في حياته «ص» إلى المدينة وزار النبي « ص » ويفترقان كمن هاجر بعد وفاة النبي «ص» من دار حرب الى دار الاسلام فيصدق عليه انه خرج من بيته مهاجراً الى الله ورسوله فان معنى « الى الله وإلى رسوله » حيث امر الله ورسوله . كذا في المدارك .ولا يصدق عليه أنه زار النبي «ص» وكمن زار النبي «ص» في المدينة ثم رجع الى وطنه فيصدق أنه زار ولا يصدق عليه انه هاجر ، فدخول زيارته «ص» في حياته في الآية الكريمة ممنوع فضلا عن دخول الزيارة فيها بعد مماته

(والثاني) ان مثل من يستدل بهذه الآية على كون الزيارة قربة كمثل من يستدل على كون الزيارة قربة بحديث «انتدب الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه الا ايمان بي وتصديق برسلي ان أرجعه بما نال من اجر أو غنيمة او أدخله الجنة » متفق عليه وحديث « لغدوة في سبيل الله او روحة خير من الدنيا وما فيها » متفق عليه وحديث «ما اغبرت قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار» رواه البخاري وحديث « من فصل في سبيل الله فمات أو قتل او وقصه فرسه او بعيره اولدغته هامة اومات على فراشه بأي حتف شاء فانه شهيد وان له الجنة » رواه ابو داود وحديث « ان الهجرة تهدم ما كان قبلها » وحديث « فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله » وجميع الآيات التي ورد فيها ذكر الهجرة كقوله تعالى

(إِنَّ الذينَ آمنوا وَالَّذين هاجروا وَجاهَدُوا في سَبيل الله أُولئِكَ يَرْجونَ رَحمَةَ اللهِ وَالله غَفورٌ رَحيم) وقوله تعالى (الذين آمنوا وَهاجروا وَجاهدوا في سَبيل الله بأموالِهمْ وَأنفُسهمْ أعْظَمُ دَرَجةً عنْدَ الله وَأولئكَ هم الفائِزونَ * يُبَشِّرُهمْ ربُّهمْ برحمَةٍ منهُ وَرِضْوانٍ وَجنات لهمْ فيها نَعيمٌ مقيمٌ * خالدين فيها أبدًا انَّ اللهَ عندهُ أجرٌ عظيمٌ) وقوله تعالى (وَالذين هاجروا في سبيل الله ثم قتِلوا أَوْ ماتوا ليَرْزُقَنَّهمُ اللهُ رِزْقا حسنا وَإنَّ الله لَهوَ خير الرازِقين * لَيُدْخِلَنَّهمْ مُدْخَلاً يرْضَوْنه وَإنَّ الله لعليم حليم) وغير ذلك من الآيات مع ان احداً من اهل العلم والدين لم يستدل بهذه الاحاديث والآيات على كون الزيارة قربة

والثالث انه لو سلم دخول زيارته «ص» في الآية الكريمة في الحياة فلا نسلم دخول زيارته «ص» بعد الممات فيها، والاحاديث الدالة على ان زيارته (ص) بعد وفاته كزيارته في حياته لم يثبت واحد منها كما سيأتي

قوله : أما السنة فما يأتي من الاحاديث

أقول تلك الاحاديث ليس شيء منها قابلا لان يحتج بها كما ستطلع عليه عن قريب

قوله : وأما القياس فقد جاء أيضاً في السنة الصحيحة المتفق عليها الامر بزيارة قبور الخ

أقول الاستدلال بالسنة التي فيها الامر بزيارة القبور استدلال بالسنة لا بالقياس

ولذا ذكر السبكي هذا الاستدلال في الاستدلال بالسنة في شفاء الاسقام ونصه هذا ، وأما السنة فما ذكرناه في الباب الاول والثاني من الاحاديث وهي أدلة على زيارة قبره ﷺ بخصوصه . وفي السنة الصحيحة المتفق عليها الامر بزيارة القبور ، فقبر النبي ﷺ سيد القبور داخل في عموم القبور المأمور بزيارتها اه ملخصا . وهذا الغلط قد صدر من المؤلف تقليدا لابن حجر المكي في الجوهر المنظم وعبارته هكذا . وأما القياس فقد جاء أيضاً في السنة الصحيحة المتفق عليها الامر بزيارة القبور فقبر نبينا منها أولى وأحرى ، وأحق وأعلى ، بل لانسبة بينه وبين غيره

قوله : وأما إجماع المسلمين فقد قال العلامة ابن حجر في الجوهر المنظم في زيارة قبر النبي المكرم ﷺ قد نقل جماعة من الائمة حملة الشرع الشريف الذين عليهم المدار والمعول الاجماع

أقول ليس في المسألة اجماع لتحقق ثبوت الخلاف فيها عن بعض المجتهدين وإن كان قوله ضعيفا من حيث الدليل . قال شيخ الاسلام في أثناء كلامه : مع أن نفس زيارة القبور مختلف في جوازها قال ابن بطال في شرح البخاري كره قوم زيارة القبور لانه روي عن النبي ﷺ أحاديث في النهي عنها

وقال الشعبي لولا أن رسول الله ﷺ نهى عن زيارة القبور لزرت قبر النبي ﷺ ، وقال ابراهيم النخعي كانوا يكرهون زيارة القبور ، وعن ابن سيرين مثله ، قال وفي مجموعه قال علي بن زياد : سئل مالك عن زيارة القبور فقال قد نهى عنه عليه الصلاة والسلام ثم أذن فيه فلو فعل ذلك انسان ولم يقل الاخبرا لم أر بذلك بأسا وليس من عمل الناس ، وروي عنه انه كان يضعف زيارتها فهذا قول طائفة من السلف ومالك في القول الذي رخص فيها يقول ليس من عمل الناس وفي الآخر ضعفها فلم يستحبها لافي هذا ولا في هذا اه ما حكاه الشيخ

كذا في الصارم . وأما ماقال ابن حجر المكي في الجوهر المنظم شاذ لا يلتفت اليه لمخالفة اجماع غيرهما (فهو) مردود من وجهين (الاول) ان قوله لمخالفة اجماع غيرهما غير صحيح ، فان ابن سيرين ومالكا في قول موافق لهما (والثاني) سلمنا انه شاذ لكن كاف لنقض الاجماع كما تقرر في الاصول وما قال ابن حجر المكي من انه مؤول بفرض تسليمه الاعتداد به فهو لا يأتي في قبر نبينا ﷺ لا يخفى سخافته

قوله : واحتج القائلون بوجوب الزيارة بقوله ﷺ « من حج البيت ولم يزرني فقد جفاني » رواه ابن عدي بسند يحتج به .

أقول في سند ابن عدي نعمان بن شبل ومحمد بن محمد بن النعمان بن شبل وهما ضعيفان جداً ، أما النعمان فقد قال الحافظ ابن حجر في تلخيص الحبير : النعمان ضعيف جداً ، وقال الذهبي في الميزان النعمان بن شبل الباهلي البصري عن أبي عوانة ومالك قال موسى بن هارون كان متهما ، وقال ابن حبان يأتي بالطامات وقال في تنزيه الشريعة النعمان بن شبل الباهلي البصري عن أبي عوانة ومالك قال موسى بن هارون كان متهما وقال ابن حبان يأتي بالطامات وعن الاثبات بالمقلوبات ، وقال في الصارم قد اتهمه موسى بن هارون الحمال ، وقال أبو حاتم البستي يأتي عن الثقات بالطامات وعن الاثبات بالمقلوبات ، وأما محمد بن محمد بن النعمان فقال الحافظ في اللسان محمد بن محمد بن النعمان بن شبل الباهلي عن مالك روى عنه الوراق وقد طعن فيه الدارقطني واتهمه ، وقال في تنزيه الشريعة محمد بن محمد بن النعمان بن شبل الباهلي طعن فيه الدارقطني واتهمه وقال في الصارم والطعن فيه على ابنه محمد بن محمد بن النعمان كما ذكر ذلك شيخ الصنعة امام عصره وفريد دهره ونسيج وحده الحافظ الكبير أبو الحسن الدارقطني ولم يخالفه أحد يعتمد على قوله اه . وقال الحافظ في التقريب محمد بن محمد بن النعمان بن شبل

الباهلي البصري متروك اه ، فقولك بسند يحتج به باطل قطعا ، ومن ثم صرح جماعة من أهل النقد بضعف الحديث وجماعة بوضعه ولم يذهب أحد إلى صحته أو حسنه انما تفرد به ابن حجر المكي وقلده علي القاري ، ولا عبرة بتحسينهما فانهما ليسا بأهل لذلك ومن يدعي فعليه الاثبات

قوله ويدل لذلك أحاديث كثيرة صحيحة صريحة لا يشك فيها إلا من انطمس نور بصيرته

أقول : ليس في الباب حديث واحد صحيح فضلا عن الاحاديث الكثيرة الصحيحة ولا أراك شاكا في ان هذا القول غلط واضح وخطأ بين فان السبكي مع شدة سعيه في هذا الباب لم يثبت في زعمه إلا حسن حديثين أو صحتهما الاول « من زار قبري وجبت له شفاعتي » والثاني « من جاءني زائراً لا تعمله حاجة إلا زيارتي كان حقا علي أن أكون له شفيعا يوم القيامة » هذان الحديثان فيهما أيضاً كلام شديد كما سيأتي ، وبالجملة ادعاء صحة الاحاديث الكثيرة في زيارة قبر النبي ﷺ باطل بالبداهة

قوله منها قوله ﷺ « من زار قبري وجبت له شفاعتي »

أقول في هذا الحديث كلام من وجهين (الاول) أن في سنده موسى بن هلال العبدي وهو ضعيف ، قال الحافظ ابن حجر في لسان الميزان قال أبو حاتم مجهول ، وقال العقيلي لا يتابع على حديثه . ثم ذكر أي ابن القطان[1] كلامهم في موسى بن هلال وقال الحق أنه لم تثبت عدالته ، وفي أسئلة البرقاني أنه سأل الدارقطني عن موسى بن هلال فقال هو مجهول وقد أورد شيخنا في الذيل وهو المذكور فيه وأطلق عليه ذلك أبو حاتم اه ملخصا

فان قلت قال الحافظ ابن حجر فيه قال ابن عدي أرجو انه لا بأس به قلت هو صالح الحديث فقد حصل التوثيق

١ـ ابن القطان لم يسبق له ذكر يصحح عود الضمير اليه كما في لسان الميزان فكان ينبغي للمؤلف ان يقول ثم ذكر الحافظ عن ابن القطان كذا

(قلت) هاتان الكلمتان للتوثيق مما يكتب حديث صاحبها للاعتبار لا للاحتجاج (قال السيوطي في التدريب الرابعة وهي سادسة بحسب ماذكرنا) «صالح» فانه يكتب حديثه للاعتبار. وزاد العراقي فيها : صدوق إن شاء الله تعالى أرجو أن لا بأس به صويلح اه

وبالجملة فموسى بن هلال في عداد من ينجبر ضعفه بالمتابعة وتعدد الطرق ، فلينظر هل تابع أحد موسى بن هلال في رواية هذا الحديث أم لا ؟ وعلى الاول فهل ذلك التابع صالح للمتابعة أم لا ؟ فأقول قد تابعه مسلم بن سالم الجهني وهو لا يصلح للمتابعة ، فان أباداود السجستاني قال في حقه انه ليس بثقة ، نص عليه الحافظ في اللسان — ومن يكتب في حقه هذا اللفظ فهو لا يصلح للمتابعة

قال السيوطي في التدريب : وإذا قالوا متروك الحديث أو ذاهبه أو كذاب فهو ساقط لا يكتب حديثه ولا يعتبر به ولا يستشهد إلا أن هاتين مرتبتان وقبلهما مرتبة أخرى لا يعتبر بحديثها أيضا . وقد أوضح ذلك العراقي ، فالمرتبة التي قبل وهي الرابعة رد حديثه، ردوا حديثه، مردود الحديث، ضعيف جداً، واه بمرة، طرحوا حديثه، مطرح، مطرح الحديث ، ارم به، ليس بشيء، لا يساوي شيئا ، يليها متروك الحديث ، تركوه ، ذاهب ، ذاهب الحديث، ساقط . هالك، فيه نظر ، سكتوا عنه، لا يعتبر به، لا يعتبر بحديثه ، ليس بالثقة ليس بثقة ، غير ثقة اه

(الثانى) ان في سنده عبدالله بن عمر العمري وهو ضعيف . قال أبو عبدالله محمد بن احمد بن عبد الهادي في الصارم : وقد تكلم في عبدالله العمري جماعة من أئمة الجرح والتعديل ونسبوه إلى سوء الحفظ والمخالفة للثقات في الروايات

قال أبوحاتم محمد بن حبان البستي في كتاب المجروحين من المحدثين : عبدالله ابن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب العمري أخو عبيدالله بن عمر من

أهل المدينة يروي عن نافع ، روى عنه العراقيون وأهل المدينة ، كان ممن غلب عليه الصلاح والعبادة حتى غفل عن حفظ الاخبار ، وجودة الحفظ للآثار ، فوقع المناكير في روايته فلما فحش خطؤه استحق الترك ومات سنة ثلاث وسبعين ومائة حدثنا الهمداني ثنا عمرو بن علي قال كان يحيي بن سعيد لا يحدث عن عبدالله بن عمر ، قال أبوحاتم وهو الذي روى عن نافع عن ابن عمر ان النبي ﷺ كان إذا توضأ خلل لحيته وروى عن نافع عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال « من أتى عرافا يسأله لم تقبل له صلاة أربعين يوما » وروى عن نافع عن ابن عمر أن النبي ﷺ أسهم للفارس سهمين وللراجل سهما فيما يشبه هذا من المقلوبات والمزوقات التي ينكرها من أمعن في العلم وطلبه من مظانه . وقال أبوعيسى الترمذي في جامعه وعبد الله بن عمر ضعفه يحيي بن سعيد من قبل حفظه

وقال البخاري في تاريخه عبدالله بن عمر بن حفص العمري المدنى القرشي كان يحيي بن سعيد يضعفه . وقال النسائي في كتاب الكنى أبوعبدالرحمن عبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر ضعيف . وقال العقيلي حدثنا عبدالله بن احمد ابن حنبل قال سألت يحيي بن معين عن عبدالله بن عمر العمري فقال ضعيف

حدثنا عبد الله قال سألت أبي عن عبدالله بن عمر فقال كذا وكذا ، وقال أبوزرعة الدمشقي قيل لاحمد بن حنبل كيف حديث عبدالله بن عمر ؟ فقال كان يزيد في الاسانيد ويخالف وكان رجلا صالحا — وقد ذكر العقيلي هذا القول عن الامام احمد بن حنبل من رواية أبي بكر الأثرم عنه ، وروى اسحاق بن منصور عن يحيي بن معين قال عبد الله بن عمر صويلح وقال عبدالله بن علي بن المديني عن أبيه ضعيف ، وقال أبوحاتم الرازي يكتب حديثه ولا يحتج به ، وقال يعقوب ابن شيبة صدوق في حديثه اضطراب وقال صالح بن محمد البغدادي لين مخلط الحديث وقال الحاكم أبواحمد ليس بالقوي عندهم اه

قال الحافظ في التقريب عبدالله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب أبو عبدالرحمن المدني ضعيف عابد اه

(فان قلت) قد ورد من أئمة الجرح والتعديل في حقه مايدل على حسن روايته وتقويته كما في الكاشف وتهذيب التهذيب (قلت) تلك الالفاظ انما هي صويلح، لا بأس به، صدوق، ليس به بأس، يكتب حديثه ثقة، في حديثه اضطراب صالح ثقة — فمنها ما يكتب حديثه للاعتبار والاستشهاد لا للاحتجاج ومنها مايكتب حديثه وينظر فيه — وطريق النظر أن يقابل حديثه بحديث الضابطين فان كان أكثره موافقا فهو ضابط يحتج بحديثه ولا تضره مخالفته النادرة وإن كانت المخالفة اكثر والموافقة نادرة ففي ضبطه خلل لايحتج به ــ وعبدالله ابن عمر العمري كثير المخالفة ــ قال أبوحاتم محمد بن حبان البستي في كتاب المجروحين كان ممن غلب عليه الصلاح والعبادة حتى غفل عن حفظ الاخبار وجودة الحفظ للآثار فوقع المناكير في روايته فلما فحش خطؤه استحق الترك اه ومنها ما يدل على أن حديثه بانفراده لائق للاحتجاج وهو لفظ ثقة وهذا مما كتبه يعقوب بن شيبة وابن معين ولكن يعلم بعد البحث والنظر ان هذه اللفظة ليست نصاً على كونه قابلا للاحتجاج عموماً فان لفظة «ثقة» تطلق على معاني (الاول) العدل المطلق (والثاني) العدل الضابط (الثالث) رجل لم يرد في حقه جرح ولا تعديل وشيخه والذي يروي عنه ثقتان ولم يأت بحديث منكر فيحتمل أن يكون المراد في كلاهما بالثقة العدل المطلق، وحديث العدل المطلق لا يصح الاحتجاج به حتى يكون ضابطا ومما يعين ذلك الاحتمال أن يعقوب بن شيبة قال مع ذلك في حديثه اضطراب ويحيي بن معين قال مع ذلك ضعيف

قوله ﴿وفي رواية «حلت له شفاعتي» رواه الدارقطني وكثير من أئمة الحديث﴾

أقول هذا اللفظ رواه البزار في مسنده وإسناده هكذا حدثنا قتيبة ثنا عبدالله

ابن ابراهيم حدثنا عبد الرحمن بن زيد عن أبيه عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال « من زار قبري حلت له شفاعتي » وفي هذا السند ضعيفان (أحدهما) عبد الله بن ابراهيم الغفاري (والآخر) عبد الرحمن بن زيد بن أسلم

قال ابن عبد الهادي في الصارم المنكي واعلم أن هذا الحديث الذي ذكره من رواية البزار حديث ضعيف منكر ساقط الاسناد لا يجوز الاحتجاج بمثله عند أحد من أئمة الحديث وحفاظ الأثر كما سنبين ذلك ان شاء الله تعالى . وقتيبة شيخ البزار هو ابن المرزبان روى عنه غير هذا الحديث ، وأما عبد الله بن ابراهيم فهو ابن ابي عمرو الغفاري أبو محمد المدني يقال انه من ولد أبي ذر الغفاري وهو شيخ ضعيف الحديث جداً منكر الحديث وقد نسبه بعض الائمة إلى الكذب ووضع الحديث نعوذ بالله من الخذلان ، قال أبو داود وهو شيخ منكر الحديث ، وقال الدارقطني حديثه منكر ، وقال الحاكم ابو عبد الله يروي عن جماعة من الثقات أحاديث موضوعة لا يرويها عنهم غيره ، وقال البزار عقب رواية حديثه : وعبد الله بن ابراهيم حدث بأحاديث لا يتابع عليها ، وقال أبو حاتم بن حبان البستي عبد الله بن أبي عمرو الغفاري شيخ يروي عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وأهل المدينة واسم أبيه ابراهيم روى عنه سلمة بن شبيب والناس كان ممن يأتي عن الثقات بالمقلوبات وعن الضعفاء بالملزوقات روى عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال « ما جزت ليلة أسري بي من سماء إلى سماء إلا رأيت اسمي مكتوبا محمد رسول الله أبو بكر الصديق » وهذا خبر باطل فلست أدري البلية منه أو من عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، على أن عبد الرحمن بن زيد ليس هذا من حديثه بمشهور فكان القلب إلى انه من عمل عبد الله[1] بن أبي عمرو أميل اهـ

---

(١) في الصارم المنكي ابراهيم بدل ابن أبي عمرو، وهو هو

وأيضاً قال في الصارم وذكر ابن عدي لعبد الله بن ابراهيم أحاديث كثيرة منكرة بل موضوعة ثم قال وعامة ما يرويه لا يتابعه عليه الثقات

وقال العقيلي عبد الله بن ابراهيم الغفاري كان يغلب على حديثه الوهم، وأما عبد الرحمن بن زيد بن أسلم فضعيف غير محتج به عند أهل الحديث ، قال الفلاس لم أسمع عبد الرحمن بن مهدي يحدث عنه ، وقال أبو طالب عن أحمد بن حنبل ضعيف ، وقال عباس الدوري عن يحيى بن معين ليس حديثه بشيء ، وقال البخاري وأبو حاتم الرازي ضعفه علي بن المديني جداً ، وقال أبو داود وأبو زرعة والنسائي والدارقطني ضعيف ، وقال ابن حبان كان يقلب الاخبار وهو لا يعلم حتى أكثر ذاك في روايته من رفع المراسيل واسناد الموقوف فاستحق الترك . وقال الحاكم أبو عبدالله روى عن أبيه أحاديث موضوعة لايخفى على من تأملها من أهل الصنعة ان الحمل فيها عليه ، وقال ابن خزيمة عبد الرحمن ابن زيد ليس ممن يحتج أهل الحديث بحديثه ، وقال الحافظ أبو نعيم الاصبهاني حدث عن أبيه لاشيء ، وقال محمد بن عبد الله بن عبد الحكم سمعت الشافعي يقول ذكر رجل لمالك حديثا فقال من حدثك فذكر اسناداً منقطعاً فقال اذهب إلى عبد الرحمن ابن زيد يحدثك عن أبيه عن نوح

وقال الربيع بن سليمان سمعت الشافعي يقول سأل رجل عبدالرحمن بن زيد ابن أسلم: حدثك أبوك عن أبيه عن جده أن سفينة نوح طافت بالبيت وصلت ركعتين ؟ قال نعم اه

وقال في الخلاصة عبد الرحمن بن زيد بن أسلم المدني عن أبيه وعنه وكيع وابن وهب وقتيبة وخلق ضعفه أحمد وابن المديني والنسائي وغيرهم مات سنة اثنتين وثمانين ومائة ، وقال الذهبي في الميزان عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العمري مولاهم المدني اخو عبد الله وأسامة ، قال ابو يعلى الموصلي سمعت يحيى

ابن معين يقول: بنو زيد بن أسلم ليسوا بشيء ، وروى عثمان الدارمي عن يحيى ابن معين يقول بنو زيد ضعفاء ، وقال البخاري عبد الرحمن ضعفه علي جداً وقال النسائي ضعيف وقال احمد عبد الله ثقة والآخران ضعيفان اه

وقال الترمذي في جامعه: وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ضعيف في الحديث ضعفه احمد بن حنبل وعلي بن المديني وغيرهما من أهل الحديث وهو كثير الغلط اه

وقال الحافظ ابن حجر في اللسان قال وذكر يعني عبد الحق ان البزار رواه أيضاً وانما رواه البزار من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف أيضاً وفيه أيضاً عبد الله بن ابراهيم الغفاري وقد تكلموا فيه أيضاً اه ، وقال في تنزيه الشريعة عبد الله بن ابراهيم الغفاري ويقال ابن ابي عمرو نسبه ابن حبان إلى وضع الحديث ، وقال الذهبي في الميزان نسبه ابن حبان الى ان يضع الحديث وقال ابن عدي عامة مايرويه لا يتابع عليه ، وقال الدارقطني حديثه منكر وذكر له ابن عدي الحديثين اللذين في جزء ابن عرفة في فضل ابي بكر وعمر وهما باطلان وقال الحاكم عبد الله يروي عن جماعة من الضعفاء أحاديث موضوعة اه ملخصا وقال في تهذيب التهذيب قال أبو داود منكر الحديث ، وقال ابن حبان يضع الحديث ، وقال ابن عدي عامة مايرويه لا يتابع عليه اه

وقال الحافظ في التقريب عبد الله بن ابراهيم بن ابي عمرو الغفاري ابو محمد المدني متروك ونسبه ابن حبان إلى الوضع من العاشرة اه ، وقال الذهبي في الكاشف عبدالله بن ابراهيم بن الغفاري المدني عن ابراهيم بن مهاجر ومالك وعنه الكديمي وابو قلابة متهم

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال « من زار قبري حلت له شفاعتي » رواه البزار وفيه عبدالله بن ابراهيم الغفاري وهو ضعيف اه وقال في تنزيه الشريعة في حق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال الحاكم روى عن

أبيه أحاديث موضوعة لا يخفى على من تأملها من أهل الصنعة ان الحمل فيه عليه، وقال الذهبي في التذهيب ضعفه احمد وابو داود والنسائي وغيرهم ، وقال ابو حاتم كان في نفسه صالحا وفي الحديث واه وضعفه ابن المديني جداً ، وقال الحافظ في التقريب عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدوي مولاهم ضعيف اه ، وقال الذهبي في الكاشف عبدالرحمن بن زيد بن أسلم المدني عن أبيه وابن المنكدر وعنه أصبغ وقتيبة وهشام ضعفوه اه . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال «من زار قبري حلت له شفاعتي » رواه البزار وفيه عبد الله بن ابراهيم الغفاري وهو ضعيف اه ، وقال الحافظ في التلخيص ورواه البزار من حديث زيد بن أسلم عن ابن عمر وفي اسناده عبد الله بن ابراهيم الغفاري وهو ضعيف اه

وقال الامام الحافظ صفي الدين احمد بن عبد الله الخزرجي الانصاري في الخلاصة عبد الله بن ابراهيم بن عمر الغفاري ابو محمد المدني عن أبيه وابراهيم ابن مهاجر وعنه الحسن بن عرفة وسلمة بن شبيب قال ابن حبان يضع اه وقال في التهذيب قال ابن عدي عامة ما يرويه لا يتابعه عليه الثقات ، وقال الدارقطني حديثه منكر انتهى

قوله : وقد أطال الامام السبكي في كتابه المسمى شفاء السقام في زيارة قبر خير الانام في بيان طرق هذا الحديث وبيان من صححه من الائمة

أقول : قدرد الامام ابن عبد الهادي على السبكي رداً مشبعاً في كتابه المسمى (الصارم المنكي) وقد بين من ضعفه من الائمة

قوله : منها رواية « من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي ».)

أقول هذا الحديث رواه الدارقطني في سننه واسناده هكذا ثنا ابو عبيد والقاضي ابو عبد الله وابن مخلد قالوا ثنا محمد بن الوليد البسري ثنا وكيع ثنا خالد ابن أبي خالد وأبو عون عن الشعبي والاسود بن ميمون عن هارون بن أبي قرعة

عن رجل من آل حاطب عن حاطب قال: قال رسول الله ﷺ «من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي، ومن مات بأحد الحرمين بعث من الآمنين يوم القيامة»

قال في الصارم: والجواب أن يقال هذا الحديث الذي جعله ثامنًا هو بعينه الحديث السادس والسابع فهو حديث واحد ضعيف مضطرب الاسناد وهذه الرواية التي ذكرها لم تزده إلا اضطرابا في الاسناد وفي المتن أيضًا وقد خرجها البيهقي في كتاب شعب الايمان من طريق الدارقطني ثم قال كذا وجدته في كتابه. وقال غيره سوار بن ميمون وقيل ميمون بن سوار ووكيع هو الذي يروى عنه أيضًا وفي تاريخ البخارى ميمون بن سوار العبدى عن هارون بن أبي قزعة عن رجل من ولد حاطب عن رسول الله ﷺ «من مات في أحد الحرمين» قال يوسف ابن راشد ثنا وكيع ثنا ميمون والحاصل ان هذه الرواية المذكورة عن محمد بن الوليد عن وكيع لم تزد الحديث إلا ضعفًا واضطرابا في اسناده وفي لفظه فالحديث حديث واحد مجهول الاسناد مضطرب اضطرابا شديداً ومداره على هارون ابي قزعة وقيل ابن قزعة وقيل ابن ابي قزعة وبعض الرواة يذكره وبعضهم يسقطه وشيخه بعضهم يذكره وبعضهم يسقطه وبعضهم يقول فيه عن رجل من آل عمر وبعضهم يقول عن رجل من آل الخطاب، وبعضهم يقول عن رجل من ولد حاطب، ثم الرجل المبهم بعضهم يسنده عن عمر وبعضهم يسنده عن حاطب، وبعضهم يرسله ولا يسنده لا عن حاطب ولا عن عمر وهو الذى ذكره البخارى وغير واحد. ثم الراوى عن هارون يسميه بعض الرواة سوار بن ميمون ويقلبه بعضهم فيقول ميمون بن سوار، ويسميه بعضهم الاسود بن ميمون، ولا يرتاب من عنده أدنى معرفة بعلم المنقولات أن مثل هذا الاضطراب الشديد من أقوى الحجج وأبين الادلة على ضعف الخبر وسقوطه ورده، وعدم قبوله وترك الاحتجاج به، ومع هذا

الاضطراب الشديد في الاسناد فاللفظ مضطرب أيضاً اضطرابا شديداً مشعراً بالضعف وعدم الضبط

وأما ماوقع من الزيادة في الاسناد عن وكيع عن خالد بن أبي خالد وأبي عون أو ابن عون عن الشعبي أو باسقاط الشعبي فانها زيادة منكرة غير محفوظة وليس للشعبي مدخل في اسناد هذا الحديث وخالد بن أبي خالد وأبو عون أو ابن عون قد ذكر في الرواية الاولى أنهما يرويان عن الشعبي وفي الاخرى أنهما يرويان عن هارون بن أبي قزعة ولم يذكر في الاولى عمن أسند الشعبي الحديث وأسقط في الاخرى ذكره بالكلية وذكر الرجل الذي يروي عنه هارون الحديث وكل ذلك مشعر بشدة الضعف وعدم الضبط وقوله عن خالد بن أبي خالد وهم، وانما هو ابن أبي خلدة

قال البخاري في تاريخه: خالد بن أبي خلدة الحنفي الاعور، سمع الشعبي وابراهيم روى عنه الثوري ومروان بن معاوية منقطع. وقال ابن أبي حاتم: خالد بن أبي خلدة الحنفي الاعور روى عن الشعبي وابراهيم وروى عنه الثوري وابن عيينة ومروان ابن معاوية سمعت أبي يقول

والحاصل ان ذكر هذه الزيادة المظلمة في الاسناد لم يزد في الحديث قوة بل لم يزده إلا ضعفاً واضطرابا، فقد تبين ان هذا الحديث الذي احتج به المعترض على شيخ الاسلام وجعله ثلاثة أحاديث هو حديث واحد غير صحيح اه

وقال في الصارم تحت حديث «من زار قبري - أو - من زارني كنت له شفيعاً أو شهيداً» ومدار الحديث على هارون وهو شيخ مجهول لا يعرف له ذكر إلا في هذا الحديث، وقد ذكره أبو الفتح الازدي وقال هو متروك الحديث لا يحتج به وقال أبو بشر محمد بن أحمد بن حماد الدولابي في كتاب الضعفاء والمتروكين له: هارون أبو قزعة روى عنه ميمون بن سوار لا يتابع عليه قاله البخاري

وقال أبو احمد بن عدي في كتاب الكامل في معرفة الضعفاء وعلل الاحاديث هارون أبو قزعة سمعت ابن حماد يقول قال البخاري هارون أبو قزعة روى عنه ميمون بن سوار لا يتابع عليه . قال ابن عدي : وهارون أبو قزعة لم ينسب وانما روى الشيء الذي أشار اليه البخاري

هذا جميع ماذكره ابن عدي في ترجمة هارون، ولو كان عنده شيء عن أمره غير ماقاله البخاري لذكره كما هي عادته . فقد تبين ان مدار هذا الحديث على هارون ابن قزعة وهو شيخ لا يعرف إلا بهذا الحديث الضعيف، ولم يشتهر من حاله ما يوجب قبول خبره ؛ ولم يذكره ابن أبي حاتم في كتاب الجرح والتعديل ولا ذكره الحاكم أبو احمد في كتاب الكنى ولم يذكره النسائي في كتاب الكنى أيضا اه

قال الحافظ في اللسان : هارون بن قزعة عن رجل في زيارة قبر النبي ﷺ قال البخاري لا يتابع عليه . قال الازدي : هارون أبو قزعة يروي عن رجل من آل حاطب المراسيل (قلت) فتعين انه الذي أراد الازدي . وقد ضعفه أيضاً يعقوب بن شيبة وذكره العقيلي والساجي وابن الجارود في الضعفاء وأورد العقيلي حديثه من طريق الجندي اه ملخصاً . وقال الحافظ أيضاً في اللسان هارون بن قزعة لا يعرف قال الازدي متروك اه وقال البخاري روى عنه ميمون بن سوار لا يتابع عليه (قلت) مايبعد ان الازدي أراد من فوقه الذي تقدم اه

قوله : وفي رواية « من جاءني زائراً لا تعمله حاجة إلا زيارتي كان حقا علي أن أكون له شفيعا يوم القيامة »

أقول رواه الطبراني وفي سنده مسلمة بن سالم الجهني . قال في اللسان مسلم بن سالم الجهني البصري كان يكون بمكة قال أبو داود السجستاني ليس بثقة اه وقال في التقريب مسلم بن سالم الجهني بصري كان يكون بمكة ضعيف ، وينقلب به مسلمة بزيادة هاء اه قال الهيثمي في مجمع الزوائد وعن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ

« من جاءني زائراً لا تعمله حاجة إلا زيارتي كان حقا علي ان أكون له شفيعا يوم القيامة » رواه الطبراني في الاوسط والكبير ، وفيه مسلمة بن سالم وهو ضعيف

قال الامام ابن عبدالهادي في الصارم: هذا الحديث ليس فيه ذكر زيارة قبر ولا ذكر الزيارة بعد الموت مع انه حديث ضعيف الاسناد منكر المتن ، لا يصلح الاحتجاج به ولا يجوز الاعتماد على مثله ، ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة ،ولا رواه الامام احمد في مسنده ولا احد من الائمة المعتمد على ما أطلقوه في رواياتهم ،ولا صححه إمام يعتمد على تصحيحه ، وقد تفرد بهذا الشيخ الذي لم يعرف بنقل العلم ولم يشتهر بحمله ولم يعرف من حاله ما يوجب قبول خبره وهو مسلمة بن سالم الجهني الذي لم يشتهر إلا برواية هذا الحديث المنكر وحديث آخر موضوع ذكره الطبراني بالاسناد المتقدم ومتنه « الحجامة في الرأس أمان من الجنون والجذام والبرص والنعاس والضرس » وروى عنه حديث آخر منكر من رواية غير العبادي ؛ وإذ انفرد مثل هذا الشيخ المجهول الحال القليل الرواية بمثل هذين الحديثين المنكرين عن عبيدالله بن عمر أثبت آل عمر بن الخطاب رضي الله عنه في زمانه وأحفظهم عن نافع عن سالم عن أبيه عبدالله بن عمر من بين سائر أصحاب عبيد الله الثقات المشهورين ، والاثبات المتقنين ، علم انه شيخ لا يحل الاحتجاج بخبره،ولا يجوز الاعتماد على روايته

هذا مع أن الراوي عنه وهو عبدالله بن محمد العبادي أحد الشيوخ الذين لا يحتج بما تفردوا به وقد اختلف عليه في إسناد الحديث فقيل عنه عن نافع عن سالم كما تقدم وقيل عنه عن نافع وسالم وقد خالفه من هو أمثل منه وهو مسلم بن حاتم الانصاري وهو شيخ صدوق فرواه عن مسلمة بن سالم عن عبدالله – يعني العمري – عن نافع عن سالم عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ «من جاءني زائراً لم تنزعه حاجة إلا زيارتي كان حقا علي أن أكون له شفيعا يوم القيامة » هكذا رواه الحافظ

وقال أبو احمد بن عدي في كتاب الكامل في معرفة الضعفاء وعلل الاحاديث هارون أبو قزعة سمعت ابن حماد يقول قال البخاري هارون أبو قزعة روى عنه ميمون بن سوار لا يتابع عليه . قال ابن عدي : وهارون أبو قزعة لم ينسبوا انما روى الشيء الذي أشار اليه البخاري

هذا جميع ماذكره ابن عدي في ترجمة هارون، ولو كان عنده شيء عن أمره غير ماقاله البخاري لذكره كما هي عادته .فقد تبين ان مدار هذا الحديث على هارون ابن قزعة وهو شيخ لا يعرف إلا بهذا الحديث الضعيف، ولم يشتهر من حاله ما يوجب قبول خبره ،ولم يذكره ابن أبي حاتم في كتاب الجرح والتعديل ولا ذكره الحاكم أبو احمد في كتاب الكنى ولم يذكره النسائي في كتاب الكنى أيضا اه

قال الحافظ في اللسان :هارون بن قزعة عن رجل في زيارة قبر النبي ﷺ قال البخاري لا يتابع عليه . قال الازدي :هارون أبو قزعة يروي عن رجل من آل حاطب المراسيل (قلت) فتعين انه الذي أراد الازدي. وقد ضعفه أيضاً يعقوب بن شيبة وذكره العقيلي والساجي وابن الجارود في الضعفاء وأورد العقيلي حديثه من طريق الجندي اه ملخصاً . وقال الحافظ أيضاً في اللسان هارون بن قزعة لا يعرف قال الازدي متروك اه وقال البخاري روى عنه ميمون بن سوار لا يتابع عليه (قلت) ما يبعد ان الازدي أراد من فوقه الذي تقدم اه

قوله ﴿ وفي رواية « من جاءني زائراً لا تعمله حاجة إلا زيارتي كان حقا علي أن أكون له شفيعا يوم القيامة ﴾

أقول رواه الطبراني وفي سنده مسلمة بن سالم الجهني . قال في اللسان مسلم بن سالم الجهني البصري كان يكون بمكة قال أبو داود السجستاني ليس بثقة اه وقال في التقريب مسلم بن سالم الجهني بصري كان يكون بمكة ضعيف . ونقل فيه مسلمة بزيادة هاء اه قال الهيثمي في مجمع الزوائد وعن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ

« من جاءني زائراً لاتعمله حاجة إلا زيارتي كان حقا علي ان أكون له شفيعاً يوم القيامة » رواه الطبراني في الاوسط والكبير ، وفيه مسلمة بن سالم وهو ضعيف

قال الامام ابن عبدالهادي في الصارم: هذا الحديث ليس فيه ذكر زيارة قبر ولا ذكر الزيارة بعد الموت مع انه حديث ضعيف الاسناد منكر المتن ، لا يصلح الاحتجاج به ولا يجوز الاعتماد على مثله ، ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة ،ولا رواه الامام احمد في مسنده ولا احد من الائمة المعتمد على ما أطلقوه في رواياتهم ،ولا صححه إمام يعتمد على تصحيحه ، وقد تفرد به هذا الشيخ الذي لم يعرف بنقل العلم ولم يشتهر بحمله ولم يعرف من حاله مايوجب قبول خبره وهو مسلمة بن سالم الجهني الذي لم يشتهر إلا برواية هذا الحديث المنكر وحديث آخر موضوع ذكره الطبراني بالاسناد المتقدم ومتنه « الحجامة في الرأس أمان من الجنون والجذام والبرص والنعاس والضرس » وروى عنه حديث آخر منكر من رواية غير العبادي ، وإذ انفرد مثل هذا الشيخ المجهول الحال القليل الرواية بمثل هذين الحديثين المنكرين عن عبيدالله بن عمر أثبت آل عمر بن الخطاب رضي الله عنه في زمانه وأحفظهم عن نافع عن سالم عن أبيه عبدالله بن عمر من بين سائر أصحاب عبيد الله الثقات المشهورين ، والاثبات المتقنين ، علم انه شيخ لا يحل الاحتجاج بخبره،ولا يجوز الاعتماد على روايته

هذا مع أن الراوي عنه وهو عبدالله بن محمد العبادي أحد الشيوخ الذين لا يحتج بما تفردوا به قد اختلف عليه في إسناد الحديث فقيل عنه عن نافع عن سالم كما تقدم وقيل عنه عن نافع وسالم وقد خالفه من هو أمثل منه وهو مسلم بن حاتم الانصاري وهو شيخ صدوق فرواه عن مسلمة بن سالم عن عبدالله - يعني العمري - عن نافع عن سالم عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ «من جاءني زائراً لم ينزعه حاجة إلا زيارتي كان حقا علي أن أكون له شفيعا يوم القيامة » هكذا رواه الحافظ

أبو نعيم عن أبي محمد بن حبان عن محمد بن احمد بن سليمان الهروي عن مسلم بن حاتم الانصاري — وهذه الرواية رواية مسلم بن حاتم التي قال فيها عن عبد الله وهو العمري الصغير المكبر[1] الضعيف أولى من رواية العبادي التي اضطرب فيها وقال عن عبيد الله يعني العمري الكبير المصغر الثقة الثبت ، وكلا الروايتين لا يجوز الاعتماد عليهما لمدارهما على شيخ واحد غير مقبول الرواية وهو مسلمة بن سالم وهو شبيه بموسى ابن هلال صاحب الحديث المقدم الذي يرويه عن عبد الله العمري أو عن أخيه عبيد الله وقد اختلف عليه في ذلك كما اختلف على مسلمة اه

قوله ﴿ وفي رواية « من جاءني زائراً كان له حقا على الله عز وجل أن أكون له شفيعاً يوم القيامة »

أقول : قد روى (٢) أبو بكر بن المقري في معجمه بهذه اللفظة وفي سنده أيضا مسلمة بن سالم الجهني

قوله ﴿ وفي رواية لابي على والدارقطني والطبراني والبيهقي وابن عساكر « من حج فزار قبري — وفي رواية — فزارني بعد وفاتي عند قبري كان كمن زارني في حياتي »

أقول : في سنده حفص بن أبي داود وليث بن أبي سليم ، وفي بعض طرقه الحسن بن طيب وأحمد بن رشدين وكلهم ضعفاء مجروحون . قال الامام ابن عبد الهادي في الصارم : واعلم أن هذا الحديث لا يجوز الاحتجاج به ولا يصلح الاعتماد على مثله فانه حديث منكر المتن ساقط الاسناد لم يصححه أحد من الحفاظ ولا احتج به أحد من الائمة ، بل ضعفوه وطعنوا فيه ، وذكر بعضهم انه من الاحاديث الموضوعة والاخبار المكذوبة ، ولا ريب في كذب هذه الزيادة فيه

---

(١) قوله — المكبر — يعني به المسمى عبد الله وعن أخيه — المصغر — يعني المسمى عبيد الله (٢) الظاهر أن يقول قد رواه

وأما الحديث بدونها فهو منكر جداً ، وراويه حفص بن أبي داود هو حفص بن سليمان أبو عمر الاسدي الكوفي البزار القاري الغاضري وهو صاحب عاصم بن أبي النجود في القراءة وابن امرأته ، وكان مشهوراً بمعرفة القراءة ونقلها ، وأما الحديث فانه لم يكن من أهله ولا ممن يعتمد عليه في نقله ، ولهذا جرحه الائمة وضعفوه وتركوه ، واتهمه بعضهم قال عثمان بن سعيد الدارمي وغيره عن يحيى بن معين : ليس بثقة . وذكر العقيلي عن يحيي انه سئل عنه فقال ليس بشيء ، وقال عبدالله بن الامام أحمد سمعت أبي يقول حفص بن سليمان أبو عمر القاري متروك الحديث ، وقال البخاري تركوه

وقال ابراهيم بن يعقوب الجوزجاني قدفرغ منه من دهر ، وقال مسلم بن الحجاج متروك ، وقال علي بن المديني ضعيف الحديث وتركته على عمد ، وقال النسائي ليس بثقة ولا يكتب حديثه ، وقال مرة متروك الحديث ، وقال صالح بن محمد البغدادي لا يكتب حديثه وأحاديثه كلها مناكير ، وقال زكريا الباجي يحدث عن سماك وعلقمة بن مرثد وقيس بن مسلم وعاصم أحاديث بواطيل ، وقال أبو زرعة ضعيف الحديث وقال ابن أبي حاتم سألت أبي عنه فقال لا يكتب حديثه هو ضعيف الحديث لا يصدق متروك ، قلت ماحاله في الحروف ؟ قال أبو بكر بن عياش أثبت منه . وقال عبد الرحمن بن يوسف بن خراش كذاب متروك يضع الحديث ، وقال الحاكم ابو احمد ذاهب الحديث ، وقال الدارقطني ضعيف ، وقال أبو حاتم بن حبان كان يقلب الاسانيد ويرفع المراسيل وكان يأخذ كتب الناس فينسخها ويرويها من غير سماع ، وقال ابن عدي أخبرنا الباجي ثنا احمد بن محمد البغدادي قال سمعت يحيى بن معين يقول كان حفص بن سليمان وأبو بكر بن عياش من أعلم الناس بقراءة عاصم وكان حفص أقرأ من أبي بكر وكان أبو بكر

صدوقا وكان حفص كذابا ، وروى ابن عدي لحفص أحاديث منكرة غير محفوظة منها هذا الحديث الذي رواه في الزيارة ، قال وهذه الاحاديث يرويها حفص ابن سليمان ولحفص غير ما ذكرت وعامة حديثه عمن روى عنهم غير محفوظ

وقال العقيلي حدثنا عبد الله بن احمد قال حدثني أبي قال حدثنا يحيي القطان قال ذكر شعبة حفص بن سليمان وقال كان يأخذ كتب الناس وينسخها ، وقال شعبة أخذ مني حفص بن سليمان كتابا فلم يرده ، وقال العقيلي أيضاً حدثنا محمد ابن اسماعيل ثنا الحسن بن علي ثنا شبابة قال قلت لابي بكر بن عياش أبو عمر رأيته عند عاصم؟ قال قد سألني عن هذا غير واحد ولم يقرأ على عاصم احد إلا وأنا أعرفه ، ولم أر هذا عند عاصم قط

وقال أبو بشر الدولابي في كتاب الضعفاء والمتروكين حفص بن سليمان متروك الحديث ، وقد روى البيهقي في السنن الكبير حديث حفص الذي رواه في الزيارة وقال تفرد به حفص وهو ضعيف وقال في شعب الايمان وروى حفص ابن أبي داود وهو ضعيف عن ليث بن أبي سليم عن مجاهد عن ابن عمر مرفوعا « من حج فزار قبري بعد موتي كان كمن زارني في حياتي » أخبرنا ، أبو سعد المالبني أنبأنا ابو احمد بن عدي ثنا عبد الله بن أحمد البغوي ثنا أبو الربيع الزهراني ثنا حفص بهذا الحديث وأخبرنا علي بن احمد بن عبدان أنبأنا احمد بن عبيد حدثني محمد بن اسحاق الصفار ثنا بكار ثنا حفص بن سليمان فذكره وقال : قال رسول الله ﷺ قال البيهقي تفرد به حفص وهو ضعيف في رواية الحديث

هكذا ضعف البيهقي حفصاً في كتاب السنن الكبير وفي كتاب شعب الايمان وذكر أنه تفرد برواية هذا الحديث ، فاذا كانت هذه حال حفص عند أئمة هذا الشأن فكيف يحتج بحديث رواه أو يعتمد على خبر نقله مع أنه قد اختلف عليه في رواية هذا الحديث فقيل عنه عن ليث بن أبي سليم كما تقدم مع ان ليثاً

مضطرب الحديث عندهم ، وقيل عنه عن كثير بن شنظير عن ليث قال أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلي حدثنا يحيي بن أيوب المقابرى ثنا حسان بن ابراهيم ثنا حفص بن سليمان عن كثير بن شنظير عن ليث بن أبي سليم عن مجاهد عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « من حج فزارني بعد وفاتي عند قبرى فكأنما زارني في حياتي » انتهى، وأيضاً قال في الصارم وليث ابي سليم مضطرب الحديث قاله الامام احمد بن حنبل

وقال أبو معمر القطيعي كان ابن عيينة يضعف ليث بن أبي سليم ، وقال يحيي بن معين والنسائي ضعيف ، وقال السعدي يضعف حديثه

وقال ابراهيم بن سعيد الجوهري حدثنا يحيي بن معين عن يحيي بن سعيد القطان انه كان لايحدث عن ليث بن ابي سليم ، وقال احمد بن سليمان الرهاوي عن مؤمل بن الفضل قلنا لعيسى بن يونس ألم تسمع من ليث بن أبي سليم ؟قال قد رأيته وكان قد اختلط وكان يصعد المنارة بارتفاع النهار فيؤذن

وقال ابن أبي حاتم سمعت أبي وأبا زرعة يقولان ليث لا يشتغل به هو مضطرب الحديث ، وقال أيضاً سمعت أبا زرعة يقول ليث بن أبي سليم لين الحديث لاتقوم به الحجة عند أهل العلم بالحديث انتهى

وقال الذهبي في الميزان في ترجمة حفص بن سليمان وكان ثبتاً في القراءة واهيا في الحديث فانه كان لايتقن الحديث ويتقن القرآن ويجوده وإلا فهو في نفسه صادق انتهى ، وأيضاً فيه قال حنبل بن اسحاق عن احمد مابه بأس، وروى الحسين بن حبان عن ابن معين قال هو أصح قراءة من ابي بكر وأبو بكر أوثق منه ، وقال عبد الله بن احمد عن أبيه متروك الحديث فهذه رواية ابن ابي حاتم عن عبد الله . وأما رواية ابي علي الصواف عن عبد الله عن أبيه فقال صالح وقال ابن معين أيضاً ليس بثقة ، وقال البخاري تركوه ، وقال ابو حاتم متروك ، وقال

ابن خراش كذاب يضع الحديث ، وقال ابن عدي لا يصدق عامة أحاديثه غير محفوظة ، وقال ابن حبان يقلب الاسانيد ويرفع المراسيل ، وكان يأخذ كتب الناس فينسخها ويرويها من غير سماع

وقال احمد بن حنبل نا يحيي القطان قال : ذكر شعبة حفص بن سليمان فقال كان يأخذ كتب الناس وينسخها أخذ مني كتابا فلم يرده(١)وقال احمد بن محمد الحضرمي سألت يحيي بن معين عن حفص بن سليمان ابي عمرو البزاز فقال ليس بشيء انتهى ، وقال الذهبي في الكاشف ثبت في القراءة لا الحديث ، قال البخاري تركوه انتهى . وقال الحافظ ابن حجر في التقريب حفص بن سليمان الاسدي ابو عمرو البزاز الكوفي الغاضري بمعجمتين وهو حفص بن ابي داود القاريء صاحب عاصم ويقال له حفيص متروك الحديث مع إمامته في القراءة انتهى ، وقال الحافظ في التلخيص أما حفص فهو ابن سليمان ضعيف الحديث وإن كان احمد قال فيه صالح انتهى . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد وفيه حفص بن ابي داود القاريء وثقه احمد وضعفه جماعة انتهى

وقال في الخلاصة حفص بن سليمان الاسدي الغاضري بمعجمتين ثم مهملة ابو عمرو البزاز ابن امرأة عاصم ويقال له حفيص بن ابي داود الكوفي المقريء عن علقمة بن مرثد ومحارب بن دثار ، وعنه آدم بن ابي اياس ومحمد بن سليمان لوين وعلي بن حجر وخلق ، قال البخاري تركوه في رواية الحديث ، وأما القراءة فهو فيها ثبت باجماع انتهى

وقال في تنزيه الشريعة : حفص بن ابي داود وهو حفص بن سليمان صاحب القراءة ، قال ابن خراش كذاب يضع الحديث انتهى ، وقال الحافظ زكي الدين عبد العظيم المنذري في ترجمة ليث بن ابي سليم فيه خلاف وقد حدث عنه الناس وضعفه يحيي والنسائي ، وقال ابن حبان اختلط في آخر عمره

١) هذه العبارة مكررة تقدمت في اول ص ٥٠ نقلا عن العقيلي

وقال مؤمل بن الفضل سألت عيسى بن يونس عن ليث فقال قد رأيته وكان قد اختلط وكنت ربما مررت به ارتفاع النهار وهو على المنارة يؤذن، وقال الدارقطني كان صاحب سنة انما أنكروا عليه الجمع بين عطاء وطاوس ومجاهد حسب ووثقه ابن معين في رواية انتهى .

وقال النووي في شرح صحيح مسلم : وأما ليث بن ابي سليم فضعفه الجماهير قالوا واختلط واضطربت أحاديثه قالوا وهو ممن يكتب حديثه ، قال احمد بن حنبل هو مضطرب الحديث ولكن حدث الناس عنه ، وقال الدارقطني وابن عدي يكتب حديثه ، وقال كثيرون لا يكتب حديثه وامتنع كثيرون من السلف من كتابة حديثه انتهى ، وقال في تهذيب الاسماء اتفق العلماء على ضعفه وقال ابن جماعة في فوائده وأكثر المحدثين على تضعيفه في الحديث ، وصرح جماعة من أئمتهم بتركه انتهى

وفي الانساب للسمعاني ليث بن ابي سليم بن زنيم الليثي من الابناء وأصله من أبناء فارس واسم ابي سليم أنس كان مولده بالكوفة وكان معلماً بها يروي عن مجاهد وطاوس روى عنه الثوري وأهل الكوفة وكان من العباد ولكن اختلط في آخر عمره حتى لا يدري ما كان يحدث به ، وكان يقلب الاسانيد ، ويرفع المراسيل ، ويأتي عن الثقات ما ليس من أحاديثهم كل كان منه من اختلاط تركه يحيى بن القطان وابن مهدي واحمد بن حنبل ويحيى بن معين ومات ليث سنة ثلاث وأربعين ومائة ، قال عيسى بن يونس ليث بن أبي سليم كان قد اختلط ربما مررت به ارتفاع النهار وهو على المنارة يؤذن

وذكر محمد بن خلف العسقلاني انه رأى مجاهداً في النوم فقال له يا أبا الحجاج أي شيء حال ليث بن أبي سليم عندكم ؟ قال مثل حاله عندكم . هكذا في تراجم الحفاظ للبدخشي ، وقال الحافظ في التقريب الليث بن ابي سليم بن زنيم بالزاي

والنون مصغراً واسم أبيه أيمن ، وقيل أنس ، وقيل غير ذلك صدوق اختلط أخيراً ولم يتميز حديثه فترك انتهى

وقال الحافظ في الفتح قوله ولم يصح وذلك لضعف اسناده واضطرابه تفرد به ليث بن ابي سليم وهو ضعيف انتهى ، وقال الذهبي في الميزان في ترجمة الحسن ابن الطيب الحسن بن الطيب البلخي عن قتيبة ، قال ابن عدي كان له عم يقال له الحسن بن شجاع فادعى كتبه حيث وافق اسمه اسمه أخبرني بهذا عبدان وكان عبدان يروي عن عمه ، وقال ابن عدي وقد حدث أيضاً بأحاديث سرقها وكان قد حمل إلى بغداد وقرىء عليه ، وقال الخطيب حدث عن هدبة وقتيبة وأبي كامل الجحدري روى عنه ابن المظفر والزيات وطائفة ، قال البرقاني انه ذاهب الحديث وقال الدارقطني لا يساوي شيئا يحدث بما لا يسمع ، وعن مطين انه كذاب انتهى

وقال في الميزان في ترجمة أحمد بن رشدين(١ قال ابن عدي كذبوه وأنكرت عليه أشياء قلت فمن أباطيله رواية الطبراني وغيره عنه قال حدثنا حميد بن علي البجلي الكوفي نا ابن لهيعة عن أبي عثانة عن عقبة بن عامر مرفوعا « قالت الجنة يارب أليس وعدتني أن تزيني بركنين ، قال ألم أزينك بالحسن والحسين؟ فماست الجنة كما تميس العروس» انتهى

وقال في تنزيه الشريعة أحمد بن محمد بن الحجاج بن رشدين بن سعد ابو جعفر المصري ، قال ابن عدي كذبوه انتهى ، وقال السيوطي في التدريب وأوهى أسانيد المصريين أحمد بن محمد بن الحجاج بن رشدين بن سعد عن أبيه عن جده عن قرة بن عبد الرحمن عن كل من روي عنه فانها نسخة كبيرة انتهى وقال الحافظ في اللسان محمد بن حجاج بن رشدين المهري عن أبيه عن جده قال

١ ﴿ رشدين بكسر الراء

العقيلي في حديثه نظر روى عنه ابنه احمد بن محمد ، ويروي أيضاً عن ابن وهب توفى سنة ٢٣١ انتهى

وقال ابن عدي كأن بيت رشدين خصوا بالضعف رشدين ضعيف وابنه حجاج ضعيف وللحجاج ابن يقال له محمد ضعيف ، قلت وابن محمد أحمد ضعيف وقد تقدم ويقال له احمد بن رشدين ينسب إلى جده الاعلى اه

قوله (وفي رواية « من حج فزارني في مسجدي بعد وفاتي كان كمن زارني في حياتي)

أقول رواه بهذا اللفظ بعض الحفاظ في زمن عبد الله بن مندة وفي سنده حفص بن سليمان وليث بن أبي سليم وقد تقدم الكلام فيهما ، قال في الصارم وقال بعض الحفاظ في زمن عبدالله بن مندة حدثنا ابو الحسن حامد بن حماد بن المبارك السر من رأى(١) بنصيبين ثنا ابو يعقوب اسحاق بن سيار بن محمد النصيبي ثنا عامر بن سيار بمصر ثنا حفص بن سليمان عن ليث بن ابي سليم عن مجاهد عن عبد الله بن عمر قال قال النبي ﷺ « من حج فزارني في مسجدي بعد وفاتي كان كمن زارني في حياتي » هكذا رواه بهذا اللفظ اه

قوله (وفي رواية من زارني إلى المدينة كنت له شفيعاً وشهيدا)

أقول قال في الصارم والجواب أن يقال هذا اللفظ المذكور غلط في هذا الحديث حديث نافع عن ابن عمر ، ولفظ الزيارة فيه غير محفوظ ، ولو كان محفوظا لم يكن فيه حجة على محل النزاع ، والمحفوظ في هذا عن أيوب السختياني ما رواه هشام الدستوائي وسفيان بن موسى عنه عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ « من استطاع منكم أن يموت بالمدينة فليمت فانه من

---

١ ﴾ الظاهر ان هذا نسبة الى سر من رأى اسم للبلدة المشهورة التي استحدثها معتصم والنسبة اليها سري بضم السين وتشديد الراء كالنسبة الى تأبط شرا : تأبطي

مات بها كنت له شفيعاً أو شهيداً » هذا هو حديث أيوب عن نافع ، ليس فيه ذكر الزيارة أصلا ، وكذلك رواه الحسن بن أبي جعفر الجعفري وهو ضعيف عن أيوب عن نافع عن ابن عمر ، ورواه وهيب عن أيوب عن نافع مرسلا عن النبي ﷺ ، ورواه اسماعيل بن علية عن أيوب قال نبئت عن نافع قال قال رسول الله ﷺ — قال موسى بن هارون ووهيب وابن علية أثبت من الدستوائي ومن الجعفري ومن سفيان بن موسى ، وقد ذكرنا ألفاظ هذا الحديث فيما تقدم . وذكرنا من رواته نافعا من أصحابه ، وحكينا ماذكره الدارقطني وغيره في ذلك وقد وقف هذا المعترض على ما ذكره في كتاب العلل من الاختلاف في إسناد الحديث ومتنه ولم ينقل منه إلا طريقا واحدة أخطأ فيها ، ولفظا واحداً وهم فيه الناقل وأعرض عن ذكر الطرق الواضحة ، والالفاظ الصحيحة ، وهل هذا إلا عين الخذلان أن ينظر الرجل في ألفاظ الحديث وطرقه في موضع واحد فينقل منه الضعيف السقيم ، ويدع القوي الصحيح من غير بيان لذلك ثم يعتل بأن النسخة التي نقل منها سقيمة

وهذا الحديث الذي نقله المعترض من كتاب العلل للدارقطني أخطأ راويه في إسناده ووهم في متنه أما خطؤه في إسناده فقوله عن عون بن موسى ، وإنما هو سفيان بن موسى وهو شيخ من أهل البصرة ، روى له مسلم في صحيحه حديثا واحدا متابعة يرويه عن أيوب عن نافع عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال « إذا أقيمت الصلاة ووضع العشاء فابدءوا بالعشاء » وقد ذكر ابن أبي حاتم انه سئل عنه فقال مجهول ، وذكره ابن حبان في آفات الثقات

وأما وهمه في متنه فقوله ﷺ « من زارني إلى المدينة » ولفظ الزيارة في حديث أيوب عن نافع ليس بصحيح ، والمعروف من حديثه عنه « من استطاع منكم أن يموت بالمدينة فليفعل » وأصح منه اللفظ الذي رواه مسلم في صحيحه من

حديث ابن عمر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « لا يصبر على لأوائها وشدتها أحد إلا كنت له شهيدا أو شفيعاً يوم القيامة » اهـ

قوله ص وفي رواية « من زارني إلى المدينة كنت له شفيعا وشهيدا ومن مات بأحد الحرمين بعثه الله من الآمنين يوم القيامة » رواه بهذه الزيادة أبو داود الطيالسي ﷺ

أقول قال في الصارم والجواب أن يقال هذا الحديث ليس بصحيح لانقطاعه وجهالة إسناده واضطرابه ، ولأجل اختلاف الرواة في إسناده واضطرابهم فيه جعله المعترض ثلاثة أحاديث وهو حديث واحد ساقط الاسناد لا يجوز الاحتجاج به ولا يصلح الاعتماد على مثله كما سنبين ذلك ان شاء الله تعالى ، وقد خرجه البيهقي في كتاب شعب الايمان وفي كتاب السنن الكبير ، وقال في كتاب السنن بعد تخريجه هذا اسناد مجهول (قلت) وقد خالف أبو داود غيره في إسناده ولفظه ، وسوار بن ميمون شيخه يقلبه بعض الرواة ويقول ميمون بن سوار وهو شيخ مجهول لا يعرف بعدالة ولا ضبط ولم يشتهر بحمل الحديث ونقله ، وأما شيخ سوار في هذه الرواية رواية أبي داود فانه شيخ مبهم وهو أسوأ حالا من المجهول ، وبعض الرواة يقول فيه عن رجل من آل عمر كما في هذه الرواية ، وبعضهم يقول عن رجل من ولد حاطب ، وبعضهم يقول عن رجل من آل الخطاب

وقد قال البخاري في تاريخه ميمون بن سوار العبدي عن هارون أبي قزعة عن رجل من ولد حاطب عن رسول الله ﷺ « من مات في أحد الحرمين » قاله يوسف بن راشد ثنا وكيع ثنا ميمون ، هكذا سماه البخاري ميمونا من رواية وكيع عنه ولم يذكر فيه عمر وزاد فيه ذكر هارون وقال عن رجل من ولد حاطب وفي هذا مخالفة لرواية أبي داود من وجوه

وقال في حرف الهاء من التاريخ هارون أبو قزعة عن رجل من ولد حاطب

عن النبي ﷺ «من مات في أحد الحرمين» روى عنه ميمون بن سوار لا يتابع عليه، وقال العقيلي في كتاب الضعفاء هارون بن قزعة مدني روى عنه سوار بن ميمون حدثني آدم قال سمعت البخاري يقول هارون بن قزعة مدني لايتابع عليه هكذا ذكر العقيلي هارون بن قزعة والذي في تاريخ البخاري هارون أبو قزعة وقد يكون اسم أبي هارون قزعة وهارون يكنى بأبي قزعة

ثم قال العقيلي حدثنا محمد بن موسى ثنا احمد بن الحسن الترمذي ثنا عبد الملك ابن ابراهيم الجدي ثنا شعبة عن سوار بن ميمون عن هارون بن قزعة عن رجل من آل الخطاب عن النبي ﷺ قال «من زارني متعمدا كان في جواري يوم القيامة ومن مات في أحد الحرمين بعثه الله من الآمنين يوم القيامة» قال العقيلي بعد ذكر هذا الحديث الرواية في هذا لينة (قلت) هكذا في هذه الرواية عن رجل من آل الخطاب وهو يوافق رواية الطيالسي عن رجل من آل عمر، وكأنه تصحيف من حاطب، والذي في تاريخ البخاري عن رجل من ولد حاطب، وليس في هذه الرواية التي ذكرها العقيلي ذكر عمر كما في رواية الطيالسي، وكذلك رواية وكيع التي ذكرها البخاري وليس فيها ذكر عمر أيضا، فالظاهر ان ذكره وهم من الطيالسي وكذلك إسقاطه هارون من روايته وهم أيضاً انتهى

قوله (ثم ذكر أحاديث كلها تدل على مشروعية الزيارة

أقول قد رد على كلها صاحب الصارم فلم يبق واحد منها قابلا لان يحتج به على مشروعية الزيارة

قوله (فتلك الاحاديث كلها مع ماذكرنا صريحة في ندب بل تأكد زيارته ﷺ حياً وميتاً للذكر والانثى)

أقول قد عرفت فيما تقدم أن تلك الاحاديث ليست قابلة لان يحتج بها

على حكم من الاحكام الشرعية على ان بعضاً فيها غير دال على المطلوب فانه ليس فيه ذكر القبر ولا ذكر الوفاة

قوله (والزيارة شاملة للسفر لأنها تستدعي الانتقال من مكان الزائر إلى مكان المزور كلفظ المجيء الذي نصت عليه الآية الكريمة)

أقول هب أن الزيارة مطلقة شاملة للسفر ولكن قوله ﷺ « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ، ومسجدي هذا ، والمسجد الاقصى » مقيد لذلك الاطلاق، والتأويل الذي ذكره صاحب الرسالة ستطلع على فساده، على أن لفظ الزيارة مجمل كالصلاة والزكاة والربا فان كل زيارة قبر ليست قربة بالاجماع للقطع بأن الزيارة الشركية والبدعية غير جائزة فلما زار النبي ﷺ القبور وقع ذلك الفعل بياناً لمجمل الزيارة ، ولا يثبت السفر من فعله ﷺ مع أن الخروج إلى مطلق المسجد أيضاً شامل للسفر وهو قربة كما سيأتي بيانه فيكون السفر إلى مسجد غير المساجد الثلاثة أيضاً قربة والخصم أيضاً لا يقول به ، وكذلك الصلاة والذكر شاملان لجميع الصلوات المبتدعة والاذكار المحدثة ، فلو سوغ الاستدلال بمثل تلك الاطلاقات لزم جواز تلك الصلوات المبتدعة والاذكار المحدثة

قوله (وإذا كانت كل زيارة قربة كان كل سفر اليها قربة)

أقول هذا إما مبني على القاعدة الآتية وهي فاسدة كما سيأتي بيانه والمبنى على الفاسد فاسد أو مبنى على أن الزيارة شاملة للسفر فالجواب ماتقدم آنفاً من كون لفظ الزيارة مجملا ووقوع فعل النبي صلى الله عليه وسلم بياناً لاجماله وكون حديث « لاتشد الرحال » الحديث مقيداً لاطلاق الزيارة على تقدير تسليم شمول الزيارة للسفر

قوله (وقد صح خروجه ﷺ لزيارة قبور أصحابه بالبقيع وبأحد ، فاذا

ثبت مشروعية الانتقال لزيارة قبر غيره ﷺ فقبره الشريف أولى)

أقول الثابت بالحديث المذكور انما هو مشروعية الانتقال الذي هو دون السفر للزيارة ولا ينكره أحد والانتقال الذي تنكر مشروعيته هو السفر وهو ليس بثابت

قوله (والقاعدة المتفق عليها أن وسيلة القربة المتوقفة عليها قربة) إلى قوله (صريحة في أن السفر للزيارة قربة مثلها)

أقول فيه كلام من وجوه

(الاول) ان هذه القاعدة في أي كتاب من كتب الاصول والفقه وما لدليل عليها من الكتاب والسنة؟ ولا بد من نقل الاجماع عليها

(والثاني) ان هذه القاعدة منقوضة بأن اتيان مسجد قباء والصلاة فيه ركعتين قربة لما روى الشيخان عن ابن عمر (رض) قال كان النبي ﷺ يأتي مسجد قباء كل سبت ماشياً وراكباً ويصلي فيه ركعتين ، وعن أسيد بن ظهير الانصاري (رض) ان النبي ﷺ قال « صلاة في مسجد قباء كعمرة » رواه الترمذي وابن ماجه والبيهقي . وعن سهل بن حنيف قال قال رسول الله ﷺ « من توضأ فأحسن الوضوء ثم دخل مسجد قباء فركع فيه أربع ركعات كان ذلك عدل رقبة » رواه الطبراني في الكبير مع ان السفر إلى قباء ليس بقربة فانه سفر إلى مسجد غير المساجد الثلاثة التي تشد اليها الرحال ، وكذلك تحية المسجد في مسجد(١) غير المساجد الثلاثة قربة لحديث أبي قتادة ان رسول الله ﷺ قال « إذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس » متفق عليه وكذلك الغدو إلى مسجد غير المساجد الثلاثة لتعليم الآيتين إذ قراءتهما قربة لحديث عقبة بن عامر رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « أفلا يغدو أحدكم الى

(١) كلمة مسجد زائدة لا حاجة اليها هنا وفى مثله مما يأتى

المسجد فيعلم أو يقرأ آيتين من كتاب الله» الحديث رواه مسلم ، وكذلك الخروج إلى مسجد غير المساجد الثلاثة قربة لحديث أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له نزله من الجنة كلما غدا أو راح » متفق عليه ولحديث أبي موسى الاشعري قال قال رسول الله ﷺ « أعظم الناس أجراً في الصلاة أبعدهم فأبعدهم ممشى » متفق عليه . ولحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « وذلك انه إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج إلى المسجد لا يخرجه إلا الصلاة لم يخط خطوة إلا رفعت له بها درجة وحط عنه بها خطيئة » متفق عليه .

وعن بريدة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال « بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة » رواه أبو داود والترمذي

وعن أبي إمامة رضي الله عنه « من خرج إلى المسجد فهو ضامن على الله» رواه أبو داود وابن حبان في صحيحه مع أن السفر إلى مسجد غير المساجد الثلاثة ليس بقربة ، وكذلك دخول بيت الله قربة مع أن وسيلته في بعض الاحيان ـ أي دفع الرشوة التي يأخذها الحجبة ـ ليس بقربة ، كذا فى كتب الفقه ، وكذلك الحج قربة مع أن وسيلته فى بعض الازمنة والامكنة دفع الرشوة وإعطاء المكس والخفارة وهي ليست من القربة في شيء

(والثالث) ان القربة على نوعين نوع ورد الترغيب فيه من الشارع بخصوصه كصلاة الليل والضحى وغيرهما ، ونوع لم يرد الترغيب فيه من الشارع بخصوصه بل وقع الترغيب في عام وهي من أفراده كالنفل الذى يؤدى بعد الظهر عقب الراتبة فانه لم يرد في حقه ترغيب فى حديث بل إنما ورد الترغيب في مطلق التطوع وهو من أفراده ، والقربة التي هي من النوع الاول قربة بالذات ، وأما القربة التي هي

من النوع الثاني فانها داخلة في عموم الامر (١) بزيارة القبور ولم يثبت حديث في خصوص كون زيارة قبره ﷺ قربة كما عرفت فيما تقدم، فالقربة حقيقة فيما هنالك مطلق الزيارة وهو لا يتوقف على السفر بل تحصل هذه القربة بزيارة قبر من قبور بلد الزائر وقريته وإن كان فرده الكامل هو زيارة قبر النبي ﷺ

(والرابع) انا لا نسلم ان مطلق زيارة قبر النبي ﷺ قربة بل القربة هي الزيارة التي لا يقع فيها شد رحل بدليل حديث «لا تشد الرحال»

(والخامس) انه لو سلم كون مطلق زيارة قبر النبي ﷺ قربة فلا نسلم كونها متوقفة على السفر للزيارة لجواز أن يسافر لزيارة المسجد النبوي أو أمر آخر من التجارة وغيرها، ثم بعد وصول المدينة الطيبة يزور قبر النبي ﷺ، فحينئذ تكون الزيارة متوقفة على مطلق السفر (٢) لا على سفر الزيارة فيكون مطلق السفر قربة لا سفر الزيارة، ومطلوب الخصم هذا دون ذلك فلا يتم التقريب

(السادس) انه لو سلمت هذه القاعدة فهي إنما هي في وسيلة لم ينه الشارع عنها، والسفر للزيارة قد نهى الشارع عنه بدليل حديث «لا تشد الرحال»

قوله ﴿ ومن زعم أن الزيارة قربة في حق القريب فقط فقد افترى على الشريعة الغراء فلا يعول عليه ﴾

أقول هذا ليس من الافتراء على الشريعة في شيء بل هو الحق والصواب، فان لفظ الزيارة الواقعة في الاحاديث مجمل يشمل الزيارة البدعية والشركية وهما غير مرادتان بالاجماع ولم يعلم ان المراد أي الزيارة، فبين النبي ﷺ المراد

﴿١﴾ لعله سقط من هنا بيان عموم الامر بصلاة التطوع من هذا النوع، وان دخول زيارة قبره صلى الله عليه وسلم فى عموم الامر بزيارة القبور

﴿٢﴾ انما يجيء هذا فى غير المقيم بالمدينة وجوارها

منها بفعله والثابت من قوله ﷺ ليس إلا زيارة القبور القريبة التي ليست بينه ﷺ وبينها مسافة سفر ولو سلم ان المراد بالزيارة في الاحاديث مطلقها فحديث « لاتشد الرحال » يكون مقيدا لها على انه لو كانت الزيارة قربة في حق البعيد لفعلها النبي ﷺ أو واحد من أصحابه في زمنه ﷺ أو بعده ، ولما لم يفعلها النبي ﷺ ولا احد من أصحابه في زمنه ﷺ ولا بعده ، بل ولا فعله واحد من التابعين وتبع التابعين علم ان السفر لزيارة القبور ليس من القربة في شيء

قوله ﴿وأما تخيل بعض المحرومين أن منع الزيارة أو السفر اليها من باب المحافظة على التوحيد وان ذلك مما يؤدي إلى الشرك فهو تخيل باطل﴾

(أقول) لعل المراد ببعض المحرومين شيخ الاسلام ابن تيمية (رح) وأتباعه ولكن لم أجد بعد(١) ذلك التخيل في كلام الشيخ المذكور ولا في كلام أحد من أتباعه ، بل قد وجد في غير ما موضع من كلامه ما يدل صراحة على مشروعية زيارة قبر النبي ﷺ ، وقد تقدم نقل بعض عباراته في هذا الباب فنذكر فلعل هذا افتراء على الشيخ (رح) نعم قد منع شيخ الاسلام الافراط في تعظيم قبره ﷺ معللا بالعلة المذكورة وعليه اعترض السبكي في شفاء الاسقام حيث قال فان قلت الفرق أيضا ان غيره لايخشى فيه محذور وقبره ﷺ يخشى الافراط في تعظيمه أن يعبد (قلت) هذا كلام تقشعر منه الجلود ولولا خشية اغترار الجهال به لما ذكرته فان فيه تركا لما دلت عليه الادلة الشرعية، بالآراء الفاسدة الخيالية،

---

١) لعل كلمة ﴿ بعد ﴾ هنا من سبق القلم أو غلط الطبع لانها تدل على أنه يتوقع أن يجد ذلك بعد الآن وكيف وقد وجد ما يخالفه ؟ وهو ما ذكره بعده من تصريح شيخ الاسلام بان زيارة قبره صلى الله عليه وسلم قربة وهو ما تقدم فى أول الكتاب ـ ص ٣ ـ ٥

وكيف يقدم على تخصيص قوله ﷺ « زوروا القبور » وعلى ترك قوله « من زار قبري وجبت له شفاعتي » وعلى مخالفة اجماع السلف والخلف بمثل هذا الخيال الذي لم يشهد به كتاب ولا سنة ، وهذا بخلاف النهي عن اتخاذه مسجدا وكون الصحابة احترزوا عن ذلك للمعنى المذكور ، لأن ذلك قد ورد النهي فيه وليس لنا أن نشرع أحكاما من قبلنا (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله) فمن منع زيارة قبر النبي ﷺ فقد شرع من الدين ما لم يأذن به الله ، وقوله مردود عليه ، ولو فتحنا هذا الخيال الفاسد لتركنا كثيرا من السنن بل ومن الواجبات والقرآن كله والاجماع المعلوم من الدين بالضرورة وسير الصحابة والتابعين وجميع علماء المسلمين والسلف والصالحين على وجوب تعظيم النبي ﷺ والمبالغة في ذلك .

«ومن تأمل القرآن العزيز وما تضمنه من التصريح والايماء الى وجوب المبالغة في تعظيمه وتوقيره والادب معه وما كانت الصحابة يعاملونه به من ذلك امتلأ قلبه إيمانا واحتقر هذا الخيال الفاسد واستنكف أن يصغى اليه والله تعالى هو الحافظ لدينه ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلا هادي له ، وعلماء المسلمين مكلفون بأن يبينوا للناس ما يجب من الادب والتعظيم والوقوف عند الحد الذي لا يجوز مجاوزته بالادلة الشرعية وبذلك يحصل الأمن من عبادة غير الله، ومن أراد الله ضلاله من أفراد من الجهال فلن يستطيع أحد هدايته، فمن ترك شيئا من التعظيم المشروع لمنصب النبوة زاعما بذلك الادب مع الربوبية فقد كذب على الله تعالى وضيع ما أمر به في حق رسله، كما ان من أفرط وجاوز الحد إلى جانب الربوبية فقد كذب على رسل الله وضيع ما أمروا به في حق ربهم سبحانه وتعالى، والعدل حفظ ما أمر الله به في الجانبين ، وليس في الزيارة المشروعة من التعظيم مايفضي إلى محذور. انتهى ماذكره [1]

١ أي السبكي في شفائه

وقد أجاب عنه الامام العلامة أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي المقدسي الحنبلي في الصارم المنكي [1] فقال« قوله: فان قالت الفرق أيضاً أن غيره لا يخشى فيه محذور وقبره يخشى الافراط في تعظيمه أن يعبد ـ سؤال لا تخفى صحته وقوته على أهل العلم والايمان وقوله في جوابه :هذا كلام تقشعر منه الجلود ولولا خشية اغترار الجهال به لما ذكرته »

«فيقال نعم تقشعر منه جلود عباد القبور الذين إذا دعوا إلى عبادة الله وحده وأن لا يشرك به، ولا يتخذ من دونه وثن يعبد، اشمأزت قلوبهم، واقشعرت جلودهم واكفهرت وجوههم ، ولا يخفى أن هذا نوع شبه وموافقة للذين قال الله فيهم (وَاذَا ذُكِرَ اللهُ وَحْدَهُ اشمأزَّت قُلوبُ الذين لاَيُؤْمنونَ بِالآخِرَةِ)

«ثم يقال أما جلود أهل التوحيد المتبعين للرسول ، العالمين بمقاصده الموافقين له فيما أحبه ورغب فيه ، وكرهه وحذر منه ، فانها لا تقشعر من هذا الفرق بل تزيد قلوبهم وجلودهم طمأنينة وسكينة (وهم يستبشرون)

« وأما الذين في قلوبهم مرض فلا تزيدهم قواعد التوحيد وأدلته وحقائقه ، وأسراره إلا رجساً إلى رجسهم ، واذا سلك التوحيد في قلوبهم دفعته قلوبهم وأنكرته ظناً منهم أنه تنقص وهضم للاكابر وإزراء بهم وحط لهم عن مراتبهم، واتباع هؤلاء ضعفاء العقول ، وهم أتباع كل ناعق ، يميلون مع كل صائح ، لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجأوا الى ركن وثيق

« وأما أهل العلم والايمان فانما تقشعر جلودهم من مخالفة الرسول فيما أمر، ومن ترك قبول قوله فيما أخبر ، ومن قول القائل وإقراره بأن اليقين لا يستفاد بقوله، وانه يجب أو يشرع الحج إلى قبره ويجعل من أعظم الاعياد ، ويحتج بفعل العوام

(١) ص ٣٣٢ — ٣٣٨

والطغام على أن هذا من دينه، ويقدم هديهم على هدي المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان ، ويستحل تكفير من نهى عن أسباب الشرك والبدع ، ودعا إلى ما كان عليه خيار الامة وساداتها ، ويستحل عقوبته وينسب إلى التنقص والازراء فهذا وأمثاله تقشعر منه جلود أهل العلم والايمان

«وقوله: ان في هذا الفرق تركا لما دلت الادلة الشرعية بالآراء الفاسدة الخيالية، ففي هذا الكلام من قلب الحقائق وترك موجب النصوص النبوية والقواعد الشرعية والمحكم الخاص المقيد، الى المجمل المتشابه العام المطلق كما يفعله أهل الاهواء الذين في قلوبهم زيغ ، ما نبينه بحول الله ومعونته وتأييده ، فان النصوص التي صحت عنه ﷺ بالنهي عن تعظيم القبور بكل نوع يؤدي إلى الشرك ووسائله من الصلاة عندها واليها واتخاذها مساجد، وإيقاد السرج عليها ، وشد الرحال اليها، وجعلها أعياداً يجتمع لها كما يجتمع للعيد، ونحو ذلك، صحيحة صريحة محكمة فيما دلت عليه ، وقبور المعظمين مقصودة بذلك النص والعلة ، ولا ريب أن هذا من أعظم المحاذير وهو أصل أسباب الشرك والفتنة به في العالم، فكيف يناقض هذا ويعارض باطلاق « زوروا القبور» وبأحاديث لا يصح منها شيء البتة في زيارة قبره ولا تثبت خبر واحد، ونحن نشهد بالله انه لم يقل شيئاً منها كما نشهد بالله انه قال تلك النصوص الصحيحة الصريحة، وهؤلاء فرسان الحديث وأئمة النقل ومن اليهم المرجع في الصحيح والسقيم من الآثار ، وقد ذكرنا فيما تقدم أنهم لم يصححوا منها خبراً واحداً ولم يحتجوا منها بحديث واحد ، بل ضعفوا جميع ما ورد في ذلك وطعنوا فيه وبينوا سبب ضعفه وحكم عليه جماعة منهم بالكذب والوضع

وكذلك دعواه اجماع السلف والخلف على قوله فاذا أراد بالسلف المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان فلا يخفى أن دعوى اجماعهم مجاهرة بالكذب ، وقد ذكرنا غير مرة فيما تقدم انه لم يثبت عن أحد من الصحابة شيء في هذا إلا

عن ابن عمر وحده فانه ثبت عنه إتيان القبر للسلام عند القدوم من سفر ولم يصح هذا عن أحد غيره ولم يوافقه عليه أحد من أصحاب رسول الله ﷺ لا من الخلفاء الراشدين ولا من غيرهم

وقد ذكر عبد الرزاق في مصنفه عن معمر عن عبيد الله بن عمر أنه قال : مانعلم أحداً من أصحاب النبي ﷺ فعل ذلك إلا ابن عمر ، وكيف ينسب مالك إلى مخالفة اجماع السلف والخلف في هذه المسألة وهو أعلم أهل زمانه بعمل أهل المدينة قديما وحديثاً وهو يشاهد التابعين الذين شاهدوا الصحابة وهم جيرة المسجد ، وأتبع الناس للصحابة ، ثم يمنع الناذر من إتيان القبر ويخالف اجماع الامة؟ هذا لا يظنه إلا جاهل كاذب على الصحابة والتابعين وأهل الاجماع

وقد نهى علي بن الحسين زين العابدين الذي هو أفضل أهل بيته وأعلمهم في وقته ذلك الرجل الذي كان يجيء إلى فرجة كانت عند القبر فيدخل فيها فيدعو واحتج عليه بما سمعه من أبيه عن جده علي بن أبي طالب رضي الله عنهم عن النبي ﷺ أنه قال «لا تتخذوا قبري عيداً ولا بيوتكم قبوراً ، فان تسليمكم يبلغني أينما كنتم » وكذلك ابن عمه الحسن بن الحسن بن علي شيخ أهل بيته كره أن يقصد الرجل القبر للسلام عليه ونحوه عند غير دخول المسجد ورأى أن ذلك من اتخاذه عيداً ، وقال للرجل الذي رآه عند القبر مالي رأيتك عند القبر؟ فقال سلمت على النبي ﷺ ، فقال اذا دخلت المسجد فسلم ثم قال إن رسول الله ﷺ قال « لا تتخذوا بيتي عيداً ولا تتخذوا بيوتكم مقابر ، لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، وصلوا علي فان صلاتكم تبلغني حيثما كنتم » ما أنتم ومن بالاندلس إلا سواء »

وكذلك سعد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهري أحد الائمة الاعلام وقاضي المدينة في عصر التابعين ذكر عنه ابنه ابراهيم أنه كان لا يأتي

القبر قط وكان يكره إتيانه، أفيظن بهؤلاء السادة الاعلام أنهم خالفوا الاجماع وتركوا تعظيم صاحب القبر وتنقصوا به؟ فهذا لعمر الله هو الكلام الذي تقشعر منه الجلود

وليس مع عباد القبور من الاجماع إلا ما رأوا عليه العوام والطغام في الاعصار التي قل فيها العلم والدين، وضعفت فيها السنن، وصار المعروف فيها منكراً والمنكر معروفا من اتخاذ القبر عيداً والحج اليه، واتخاذه منسكا للوقوف والدعاء كما يفعل عند مواقف الحج بعرفة، ومزدلفة، وعند الجمرات، وحول الكعبة، ولا ريب أن هذا وأمثاله في قلوب عباد القبور لاينكرونه ولا ينهون عنه، بل يدعون اليه ويرغبون فيه، ويحضون عليه، ظانين أنه من تعظيم الرسول ﷺ والقيام بحقوقه، وإن من لم يوافقهم على ذلك أو خالفهم فيه فهو منتقص تارك للتعظيم الواجب، وهذا قلب لدين الاسلام وتغيير له، ولولا أن الله سبحانه وتعالى ضمن لهذا الدين ان لاتزال طائفة من الامة قائمة به لايضرهم من خذلهم ولا من خالفهم إلى قيام الساعة لجرى عليه ماجرى على دين أهل الكتاب قبله، وكل ذلك باتباع المتشابه ومالا يصح من الحدث، وترك النصوص المحكمة الصحيحة الصريحة .

« (وقوله) (١) إن من منع زيارة قبره فقد شرع من الدين مالم يأذن به الله وليس لنا ذلك

(جوابه) (٢) أن يقال أما من منع مما منع الله ورسوله منه، وحذر مما حذر منه الرسول بعينه، ونبه على المفاسد التي حذر منها الرسول ﷺ بتعظيم القبور وجعلها أعياداً واتخذها أوثانا ومناسك يحج اليها كما يحج إلى البيت العتيق، ويوقف عندها للدعاء والتضرع والابتهال كما يفعل عند مناسك الحج، وجعلها مستغاثا للعالمين ومقصداً للحاجات، ونيل الرغبات، وتفريج الكربات، فانه لم يشرع دينا لم

(١) يعني السبكي ٢) هذا خبر وقوله

يأذن به الله ، وإنما شرعه من خالف ذلك ودعا اليه ، ورغب فيه ، وحث النفوس عليه ، واستحب الحج إلى القبر وجعله عيدا يجتمع اليه كما يجتمع للعيد ، وجعله منسكا للوقوف والسؤال والاستغاثة به ، فأي الفريقين الذي شرع من الدين مالم يأذن به الله إن كنتم تعلمون ؟

ونحن نناشد عباد القبور هل هذا الذي ذكرناه عنهم وأضعافه كذب عليهم أو هو أكبر مقاصدهم وحشو قلوبهم ؟ والله المستعان

و(قوله)[1] والقرآن كله والاجماع المعلوم من الدين بالضرورة وسير الصحابة والتابعين وجميع علماء المسلمين والسلف الصالحين على وجوب تعظيم النبي ﷺ والمبالغة في ذلك

(جوابه) أنه قد عرف بما قررناه أهل تعظيمه المتبعون له ، الموافقون لما جاء به ، والتارك لتعظيمه بتقرير خلاف ماجاء به ، والحض على ماحذر منه ، والتحذير مما رغب فيه، وترك ماجاء به لآراء الرجال وعقولهم ،وتقريره وتقرير سلفه أن اليقين والهدى لا يستفاد بكلامه ـ وأن ما عليه عباد القبور هو من الغلو لا من التعظيم الذي هو من لوازم الايمان، فلا حاجة إلى اعادته

(وقوله) من تأمل القرآن وما تضمنه من التصريح والايماء إلى وجوب المبالغة في تعظيمه وتوقيره والادب معه ، وما كانت الصحابة تعامله به من ذلك، امتلأ قلبه إيمانا واحتقر هذا الخيال الفاسد واستنكف أن يصغى اليه

(جوابه) أن يقال : أنت واضرابك من أقل الناس نصيبا من ذلك التعظيم وإن كان نصيبكم من الغلو الذي ذمه وكرهه ونهى عنه نصيباً وافراً ، فان أصل هذا التعظيم وقاعدته التي ينبني عليها هو طاعته فيما أمر ،وتصديقه فيما أخبر، وأنت واضرابك اكتفيتم من طاعته بأن أقمتم غيره مقامه ، تطيعونه فيما قاله ، وتجعلون

---

(١) أي السبكي

كلامه بمنزلة النص المحكم ، وكلام المعصوم إن التفتم اليه بمنزلة المتشابه، فما وافق نصوص من اتخذتموه من دونه قبلتموه ، وما خالفها تأولتموه أو رددتموه أو أعرضتم عنه ووكلتموه الى عالمه . فنحن ننشدكم الله هل تتركون نصوص من قلدتموه لنصه؟ أو تتركون نصه لنص من قلدتموه، واكتفيتم من خبره عن الله وأسمائه وصفاته بخبر من عظمتموه من المتكلمين الذين أجمع الائمة الاربعة والسلف على ذمهم والتحذير منهم والحكم عليهم بالبدعة والضلالة، فاكتفيتم من خبره عن الله وصفاته بخبر هؤلاء، وجعلتم خبرهم قواطع عقلية ، واخباره ظواهر لفظية لاتفيد اليقين ،ولا يجوز تقديمها على أقوال المتكلمين

ثم مع هذا العزل الحقيقي عظمتم ما يكره تعظيمه من القبور وشرعتم فيها وعندها ضد ماشرعه ، وعدتم بهذا التعظيم على مقصوده بالابطال فعظمتم بزعمكم مايكره تعظيمه ، وتقربتم اليه بما يباعدكم منه ، واستهنتم بالايمان كله في تعظيمه ونبذتموه وراء ظهوركم، واتخذتم من دونه من عظمتم أقواله غاية التعظيم حتى قدمتموها عليه، وما أشبه هذا بغلو الرافضة في علي (رض) وهم أشد الناس مخالفة له ، وكذلك غلو النصارى في المسيح وهم من أبعد الناس منه وإن ظنوا أنهم معظمون له، فالشأن كل الشأن في التعظيم الذي لايتم الايمان إلا به ، وهو لازم وملزوم له ، والتعظيم الذي لايتم الايمان إلا بتركه فان إجلاله عن هذا الاجلال واجب،وتعظيمه عن هذا التعظيم متعين

(وقوله) : ان المبالغة في تعظيمه واجبة-أيريد بها المبالغة بحسب مايراه كل أحد تعظيما حتى الحج الى قبره والسجود له والطواف به ، واعتقاد انه يعلم الغيب،وانه يعطي ويمنع ويملك لمن استغاث به من دون الله الضر والنفع ، وانه يقضي حوائج السائلين ، ويفرج كربات المكروبين ، وانه يشفع فيمن يشاء ، ويدخل الجنة من يشاء ؟ فدعوى وجوب المبالغة في هذا التعظيم مبالغة في الشرك وانسلاخ من جملة

تقف على جعل كلام المشايخ كمحكم الشرع القطعي وكلام الرسول كالمتشابه يرد الى كلامهم المبتدع ويتأول ليوافقه

الدين ، أم يريد بها التعظيم الذي شرعه الله ورسوله ﷺ من وجوب محبته وطاعته ومعرفة حقوقه ، وتصديق أخباره ، وتقديم كلامه على كلام غيره، ومخالفة غيره لموافقته ولوازم ذلك ؟ فهذا التعظيم لا يتم الايمان الا به ، ولكن هذا المعترض وأضرابه عن ذلك بمعزل ، واذا أخذ الناس منازلهم من هذا التعظيم فمنزلتهم منهم أبعد منزل ، وهو وحقوقه كما قال الاول

نزلوا بمكة في قبائل هاشم ونزلت بالبيداء أبعد منزل

(وقوله) ان من ترك شيئا من التعظيم المشروع لمنصب النبوة زاعما بذلك الادب مع الربوبية، الى آخر كلامه - فنعم ولكن الشأن في التعظيم المشروع وتركه وهل هو الا طاعته وتقديمها على طاعة غيره ، وتقديم خبره على خبر غيره وتقديم محبته على محبة الولد والوالد والناس أجمعين . فمن ترك هذا فقد كذب على الله وعصى أمره وترك ما أمر به من التعظيم

« وأما جعل قبره الكريم عيداً تشد المطايا اليه كما تشد الى البيت العتيق، ويصنع عنده ما يكرهه الله ورسوله ، ويمقت فاعله ، ويتخذ موقفا للدعاء وطلب الحاجات وكشف الكربات ، فمن جعل ذلك من دينه فقد كذب عليه وبدل دينه. انتهى

*

هذا آخر ما في الصارم ومحصوله ان شيخ الاسلام لا يقول ان نفس الزيارة مما يؤدي الى الشرك، انما يقول ان الافراط في تعظيم قبره ﷺ بأن يجعل قبره الكريم عيدا أو يتخذه مسجدا أو موقفا ، أو يطلب الحاجات عنده أو يعتقد وجوب زيارة قبره ﷺ أو استحبابه استحبابا متأكدا فوق ما يثبت من قوله ﷺ « فزوروها » أو من فعله ﷺ زيارة قبور المسلمين - مما يؤدي الى الشرك، ولا يبعد ان يقال ان نفس الزيارة وإن كانت مشروعة عند شيخ الاسلام وجميع المسلمين ولكنها بالنسبة الى العوام والطغام قد تفضي الى الشرك فاذن يمنعون عن

نفس الزيارة أيضاً قطعاً للذريعة وسداً للوسيلة، كما لو كانت زيارة قبر أحد غيره صلى الله عليه وسلم بالنسبة الى العوام مفضية الى الشرك فيمنع العوام عن نفس الزيارة هناك أيضاً ، وهذا أمر جلي لايجحده من فهم باب قطع الذرائع وسد الوسائل حق الفهم من أهل الفقه والحديث ، ويدل عليه آيات بينات وأحاديث صحيحة صريحة وعبارات السلف والخلف من المتقدمين والمتأخرين لم نتعرض لذكرها خشية الاطناب

***

قوله(١) (ومنها أمران لابد منهما أحدهما وجوب تعظيم النبي ﷺ ورفع رتبته عن سائر الخلق ، والثاني افراد الربوبية واعتقاد ان الرب تبارك وتعالى منفرد بذاته وصفاته وأفعاله عن جميع خلقه)

أقول لايخفى مافي هذا الحصر من النظر فانه لابد هناك من أمر ثالث وهو عدم احداث ماليس من امر الدين مما لم يأذن به الله ورسوله ، بل من امر رابع هو الاجتناب عما نهى الله عنه ورسوله فمن احدث في امر الزيارة ماليس عليه دليل شرعي او ارتكب مانهى الله عنه ورسوله فقد صار مبتدعاضالا (٢)

(١) قوله يعني الشيخ دحلان

٢) هذه مسألة أخطأ فيها كثير من الناس زعموا انه لايحظر من تعظيم النبي (ص) الا وصفه بالربوبية والالوهية كما قال البوصيري :

دع ما ادعته النصارى في نبيهم واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم

وفي معناه :

دعوا مقال النصارى في نبيهم يامادحيه ومهما شئتم قولوا

والحق ان المدح غير المشروع نوعان (أحدهما) كفر وهو مايختص بالله تعالى ومنه الدعاء والاستغاثة في الشدائد ، ومنه معصية كالكذب واختراع الآيات والمعجزات غير المروية بالاسانيد القوية وهو كثير

قوله ومن بالغ في تعظيمه ﷺ بأنواع التعظيم ولم يبلغ به مايختص بالباري سبحانه وتعالى فقد أصاب الحق وحافظ على جانب الربوبية والرسالة جميعا وذلك هو القول الذي لا افراط فيه ولا تفريط)

أقول : فيه نظر عويص فان من أنواع التعظيم ماهو محدث ومنها ماهو منهي عنه مع انهما مما لايختص بالباري سبحانه وتعالى فكيف يقال لمرتكبه انه أصاب الحق ؟

قوله (وأما قوله ﷺ « لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هـذا والمسجد الاقصى » فمعناه أن لاتشد الرحال إلى مسجد لاجل تعظيمه والصلاة فيه إلا الى المساجد الثلاثة ـ إلى قوله ـ وهذا التقدير لا بد منه ، ولولم يكن التقدير هكذا لاقتضى منع شد الرحال للحج والجهاد والهجرة من دار الكفر ولطلب العلم وتجارة الدنيا وغير ذلك ولا يقول بذلك أحد)

أقول عدم التقدير المذكور لو اقتضى منع شد الرحال إلى الامور المذكورة فأي محذور فيه؟ فان الآيات والاحاديث الدالة على وجوبها أوجوازها تقع مخصصة لعموم حديث « لا تشد الرحال » وبناء العام على الخاص مسألة مشهورة،على أن ذكر الحج في الامور المذكورة غفلة شديدة ، إذ حديث « لاتشد الرحال» لايقتضي منع شد الرحال للحج أصلا (١)

(١) الاكتفاء بهذا التعليل السلبي قصور في تشنيع غفلة المعترض و بلادته فكان ينبغي أن يقول غفلة عن كون شد الرحال الي الحج هي عين شدها الى المسجد الحرام ، أفما قرأت يادحلان قوله تعالى (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا) وتفسير الرسول (ص) الاستطاعة بالزاد والراحلة ، ثم ألم تعلم أيها المفتي الذكي لم سميت الراحلة راحلة

قوله (قال العلامة ابن حجر في الجوهر المنظم ومما يدل أيضا لهذا التأويل الحديث المذكور التصريح به في حديث سنده حسن وهو قوله ﷺ « لا ينبغي للمطي أن تشد رحالها إلى مسجد يبتغي الصلاة فيه غير المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الاقصى »

أقول هذا الحديث رواه احمد في مسنده عن شهر بن حوشب قال سمعت أبا سعيد الخدري وذكر عنده صلاة في الطور فقال قال رسول الله ﷺ « لا ينبغي أن تشد رحال إلى مسجد ينبغي فيه الصلاة غير المسجد الحرام والمسجد الاقصى ومسجدي هذا . ولا ينبغي لامرأة دخلت في الاسلام أن تخرج من بيتها مسافرة إلا مع بعل أو ذي محرم منها . ولا ينبغي الصلاة في ساعتين من النهار : من بعد صلاة الفجر الى أن ترتحل الشمس ولا بعد العصر إلى أن تغرب الشمس . ولا ينبغي الصوم في يومين من الدهر يوم الفطر من رمضان والاضحى » قال الهيثمي في مجمع الزوائد (قلت) هو في الصحيح بنحوه وإنما أخرجته لغرابة لفظه اه فحكم الهيثمي عليه بالغرابة

والجواب عنه بوجوه (الاول) ان هذا الحديث ضعيف لان في سنده شهر ابن حوشب ، وهو وإن وثقه جماعة من الائمة فقد جرحه جماعة من النقاد هي أكثر عدداً من الاولى

قال الدارقطني في سننه شهر بن حوشب ليس بالقوي . وقال في موضع آخر منه حدثنا صالح بن احمد قال سألت موسى بن هارون عن هذا الحديث فقال ليس بشيء ، فيه شهر بن حوشب وشهر ضعيف اه ، وقال مسلم في صحيحه وحدثنا عبيدالله بن سعيد قال سمعت النضر يقول سئل ابن عون عن حديث شهر وهو قائم

على أسكفة الباب فقال ان شهرا نزكوه ان شهرا نزكوه (١) قال أبو الحسين مسلم بن الحجاج يقول أخذته ألسنة الناس تكلموا فيه ، وحدثني حجاج بن الشاعر قال ثنا شبابة وال قال شعبة ولقد لقيت شهرا فلم أعتد به اه (قلت) نقل مسلم جرحه عن ابن عون وشعبة وسكت عليه ولم ينقل توثيقه عن أحد ، وهذا يدل على أن الراجح عنده الجرح ومن ثم والله أعلم لم يورد حديثه في صحيحه إلا مقرونا بغيره

وقال الترمذي في جامعه قال احمد بن حنبل لا بأس بحديث عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب. قال محمد (٢) شهر حسن الحديث وقوى امره. وقال انما تكلم فيه ابن عون، ثم روى عن هلال بن أبي زينب عن شهر بن حوشب حدثنا ابو داود نا النضر بن شميل عن ابن عون قال ان شهراً نزكوه قال أبو داود قال النضر نزكوه أي طعنوا فيه اه قال الذهبي في الميزان : شهر بن حوشب الاشعري عن أم سلمة وأبي هريرة وجماعة وعنه قتادة وداود بن أبي هند وعبد الحميد بن بهرام وجماعة . قال احمد روى عن أسماء بنت يزيد أحاديث حسانا

وروى ابن ابي خيثمة ومعاوية بن ابي صالح عن ابن معين ثقة ، وقال ابو حاتم ليس هو بدون ابي الزبير ولا يحتج به ، وقال ابو زرعة لا بأس به، وروى النضر بن شميل عن ابن عون قال ان شهرا نزكوه ، وقال النسائي وابن عدي ليس بالقوي. يحيى بن ابي بكير الكرماني حدثني ابي قال : كان شهر على بيت المال فأخذ منه دراهم فقال قائل :

لقد باع شهر دينه بخريطة   فمن يأمن القراء بعدك ياشهر

---

(١) نزكوه بالنون والزاي عابوه وطعنوا فيه واصله الطعن بالنيزك وهو الرمح القصير ، واستعمل في الطعن بغير حق علمه الطاعن. قال في مجاز الاساس : نزكه ، عابه بغير مارأي منه ، وشهر قد نزكوه اه يعني شهر بن حوشب فهو قد حكى عبارتهم فيه شاهدا ، وكتبه محمد رشيد رضا (٢) يعني البخاري

وقال الدولابي شهر لايشبه حديثه حديث الناس كأنه مولع بزمام ناقة النبي ﷺ . قال السعدي قال القلاس كان يحيي بن سعيد لايحدث عن شهر ، وكان عبد الرحمن يحدث عنه. ابو داود نا شعبة عن ابي اسحاق عن عبد الله بن عطاء عن عقبة بن عامر قال شعبة فلقيت ابن عطاء فسألته فقال حدثني زياد بن مخراق فقدمت على زياد فسألته فقال حدثني رجل من بني ليث عن مجاهد عن شهر عن حديث عقبة بن عامر عن عمر بن الخطاب في الوضوء. معاذ بن معاذ سألت ابن عون عن حديث هلال بن ابي زينب عن شهر عن ابي هريرة عن النبي ﷺ « لايجف الارض من دم الشهيد حتى تبتدره زوجتاه » فقال مايصنع بشهر ان شعبة قد ترك شهرا. يحي القطان عن عباد بن منصور قال حججت مع شهر بن حوشب فسرق عيبتي

وقال علي بن حفص المدائني سألت شعبة عن عبد الحميد بن بهرام فقال صدوق إلا انه يحدث عن شهر ، قال احمد بن حنبل عبد الحميد حديثه مقارب من حديث شهر وكان يحفظها كأنه يقرأ سورة وهي سبعون حديثا. سيار بن حاتم ثنا جعفر بن سليمان عن ابي بكر عن شهر بن حوشب قال لما قتل ابن آدم أخاه مكث آدم مائة سنة لايضحك ثم أنشأ يقول :

تغيرت البلاد ومن عليها فوجه الارض مغبر قبيح
تغير كل ذي لون وطعم وكل بشاشة الوجه المليح

اسحق بن المنذر صدوق ثنا عبد الحميد بن بهرام عن شهر عن ابن عباس مرفوعا قال « لكل نبي حرم وحرمي المدينة »

قال ابن عدي ثنا محمد بن يحيي المروذي ثنا اسحاق قال ابو عيسى الترمذي قال محمد هو البخاري شهر حسن الحديث وقوّى أمره ، وقال احمد بن عبدالله العجلي ثقة شامي ، وروى عباس عن يحيي: ثابت ، وقال يعقوب بن شيبة شهر ثقة

طعن فيه بعضهم ، قال ابن عدي شهر ممن لايحتج به ولا يتدين بحديثه ، قلت قد ذهب الى الاحتجاج به جماعة فقال حرب الكرماني عن احمد ما أحسن حديثه ووثقه وهو حمصي ، وروى حنبل عن احمد ليس به بأس ، وقال الفسوي شهر وإن تكلم فيه ابن عون فهو ثقة ، قلت أما روايته عن بلال وتميم الداري فظاهرة الانقطاع ، قال صالح جزرة قدم على الحجاز فحدث بالعراق ولم يوقف منه على كذب وكان رجلا يتنسك وتفرد ثابت عنه عن أم سلمة ان النبي ﷺ نهى عن كل مسكر ومفتر انتهى

وقال المنذري في الترغيب والترهيب شهر بن حوشب قال ابن عون تركوه وقال شبابة عن شعبة لقيت شهراً فلم أعتد به ، وقال ابن عدي شهر ممن لا يعتد بحديثه ولا يتدين بدينه ، وقال ابو حاتم ليس بدون ابي الزبير ولا يحتج به ، وقال النسائي وغيره ليس بالقوي ، وقال ابو زرعة لا بأس به ، وقال يعقوب بن شيبة شهر ثقة طعن فيه بعضهم ، ووثقه ابن معين واحمد بن حنبل والعجلي والفسوي وروى له مسلم مقرونا واحتج به غير واحد انتهى

وقال النووي في شرح صحيح مسلم ويدل عليه أيضاً ان شهراً ليس متروكا بل وثقه كثيرون من كبار أئمة السلف أو أكثرهم فممن وثقه احمد بن حنبل ويحيي بن معين وآخرون

وقال احمد بن حنبل ما أحسن حديثه ووثقه ، وقال احمد بن عبدالله العجلي هو تابعي ثقة ، وقال ابن أبي خيثمة عن يحيي بن معين هو ثقة ولم يذكر ابن أبي خيثمة غير هذا ، وقال أبوزرعة لا بأس به ، وقال الترمذي قال محمد - يعني البخاري - شهر حسن الحديث وقوى امره وقال انما تكلم فيه ابن عون ثم روى عن هلال بن أبي زينب عن شهر ، وقال يعقوب بن أبي شيبة شهر ثقة ، وقال صالح بن محمد شهر روى عنه الناس من أهل الكوفة وأهل البصرة وأهل الشام ولم

يوقف منه على كذب وكان رجل يتنسك أي يتعبد الا انه روى أحاديث لم يشركه فيها أحد اه

قال الحافظ في التقريب شهر بن حوشب الاشعري الشامي مولى أسماء بنت يزيد بن السكن صدوق كثير الارسال والاوهام اه، وقال في الخلاصة شهر بن حوشب مولى أسماء بنت يزيد بن السكن ابوسعيد الشامي أرسل عن تميم الداري وسلمان، وروى عن مولاته وابن عباس وعائشة وأم سلمة وجابر وطائفة، وعنه قتادة وثابت والحكم وعاصم بن بهدلة، وثقه ابن معين وأحمد، وقال يعقوب بن سفيان شهر وإن قال ابن عون تركوه فهو ثقة، وقال ابن معين ثبت وقال النسائي : ليس بالقوي، وقال أبوزرعة لا بأس به لم يلق عمرو بن عنبسة، قال البخاري وجماعة مات سنة مائة وقيل سنة إحدى عشرة اه

إذا دريت ما تلونا عليك من العبارات فقد علمت ان القوم قد تحزبوا في شهر ثلاثة أحزاب : فحزب يقتصر على الجرح وحزب يقتصر على التوثيق وحزب يجمع بين الجرح والتعديل، فمن الاول الدارقطني وموسى بن هارون وابن عون وشعبة ومسلم والنسائي وابن عدي وأبوبكير والدولابي ويحيي بن سعيد وعباد ابن منصور . ومن الثاني احمد بن حنبل والبخاري والترمذي وابن معين وأبوزرعة والعجلي ويعقوب بن أبي شيبة والفسوي، ومن الثالث أبو حاتم الرازي وصالح ابن محمد وابن حجر العسقلاني — ومن البين أن حديث شهر على رأي الحزب الاول ليس مما يحتج به قطعاً وكذلك على رأي الجامعين بين التوثيق والجرح لا يكون حديثه متفرداً قابلا للاحتجاج، فان أباحاتم قد نص على انه لايحتج به وأما صالح بن محمد فانه قال روى أحاديث لم يشركه فيها أحد فيكون عنده منكر الحديث : والحافظ ابن حجر قد صرح بأنه كثير الارسال والاوهام . وقد ثبت في الاصول ان حديث منكر الحديث وكثير الاوهام مما لايحتج به

قال ابن الصلاح ولا يقبل رواية من كثرت الشواذ والمنا كير في حديثه جاء عن شعبة انه قال لايجيئك الحديث الشاذ إلا من الرجل الشاذ ، ولاتقبل رواية من عرف بكثرة السهو في رواياته إذا لم يحدث من اصل صحيح اه وأيضا من شرائط من يحتج بروايته أن يكون عدلا ضابطا لما يرويه ، وكونه منكر الحديث كثير الاوهام مشعر بعدم ضبطه ، فيكون حديثه على رأي اربعة عشر إماما مما لا يحتج به ،وعلى رأي ثمانية أئمة مما يحتج به،وكثرة العدد من المرجحات كما تقرر في الاصول

قال الحافظ في الفتح :باب الخلع ويؤخذ من إخراج البخاري هذا الحديث في الصحيح فوائد منها ان الاكثر إذا وصلوا وأرسل الاقل قدم الواصل ولو كان الذي أرسل أحفظ ولا يلزم منه انه تقدم رواية الواصل على المرسل دائما اهـ فالراجح ان حديث شهر مما لايحتج به متفرداً ومن ثم لم يرو عنه مسلم إلا مقروناً بغيره ،على أن الجرح مقدم على التعديل

قال ابن الصلاح في مقدمته إذا اجتمع في شخص جرح وتعديل فالجرح مقدم .لان المعدل يخبر عما ظهر من حاله والجارح مخبر عن باطن خفي على المعدل فان كان عدد المعدلين أكثر فقد قيل التعديل أولى والصحيح الذي عليه الجمهور ان الجرح أولى لما ذكرنا اه (فان قلت) الجرح المبهم غير مقبول وجرح شهر كذلك فلا يقبل (قلت) بعض جروحه مفسر كجرح أبي بكير حيث قال كان شهر على بيت المال فأخذ منه دراهم ، وكجرح عباد بن منصور فانه قال حججت مع شهر بن حوشب فسرق عيبتي — والبعض الآخر وإن كان مبهما ، والجرح المبهم لايقبل ولكن يقبل لان يتوقف في قبول حديثه

قال ابن الصلاح في مقدمته : ولقائل أن يقول انما يعتمد الناس في جرح الرواة ورد حديثهم على الكتب التي صنفها أئمة الحديث في الجرح أوفي الجرح والتعديل ، وقلما يتعرضون لبيان السبب، بل يقتصرون على مجرد قولهم فلان ضعيف

وفلان ليس بشيء ونحو ذلك أو هذا حديث ضعيف وهذا حديث غير ثابت ونحو ذلك ، فاشتراط بيان السبب يفضي إلى تعطيل ذلك وسد باب الجرح في الاغلب والاكثر — وجوابه ان ذلك وان لم نعتمده في إثبات الجرح والحكم به فقد اعتمدناه في أن توقفنا عن قبول حديث من قالوا فيه مثل ذلك، بناء على أن ذلك أوقع عندنا فيهم ريبة قوية يوجب مثلها التوقف ثم من انزاحت عنه الريبة منهم ببحث عن حاله اوجب الثقة بعدالته قبلنا حديثه ولم نتوقف كالذين احتج بهم صاحب الصحيحين وغيرهما ممن فيهم مثل هذا الجرح من غيرهم فافهم ذلك فانه مخلص حسن اه

ولو سلم ان شهراً عدل ضابط ، فعلى هذا أيضا لا يقبل حديثه لانه شاذ رواه مخالفا لمن هو أوثق وأحفظ وأضبط منه، فان قزعة مولى زياد روى عن أبي سعيد الخدري هذا الحديث وليس فيه ذكر المستثنى منه

قال البخاري [١] في صحيحه حدثنا ابو الوليد قال حدثنا شعبة عن عبد الملك قال سمعت قزعة مولى زياد قال سمعت أبا سعيد الخدري يحدث بأربع عن النبي ﷺ فأعجبنني وآنقنني (٢) قال « لا تسافر المرأة يومين الا ومعها زوجها أو ذو محرم ، ولا صوم في يومين الفطر والاضحى ، ولا صلاة بعد صلاتين بعد الصبح حتى تطلع الشمس ، وبعد العصر حتى تغرب الشمس ، ولا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد ، مسجد الحرام ، ومسجد الاقصى ، ومسجدي »

وقال مسلم في صحيحه حدثنا قتيبة بن سعيد وعثمان بن ابي شيبة جميعا عن جرير قال قتيبة حدثنا جرير عن عبد الملك وهو ابن عمير عن قزعة عن ابي سعيد قال سمعت منه حديثا فأعجبني فقلت له أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ

---

١) رواه في باب مسجد بيت المقدس (فتح الباري) قبل ابواب العمل في الصلاة (٢) أعجبني الشيء استحسنته وآنقني راعني حسنه أو إتقانه فهو أخص مما قبله وقل من يدقق في التفرقة بينهما

قال فأقول على رسول الله ﷺ مالم أسمع ؟ قال سمعته يقول قال: قال رسول الله ﷺ « لاتشدوا الرحال الا الى ثلاثة مساجد مسجدي هذا، والمسجد الحرام والمسجد الاقصى » وسمعته يقول « لاتسافر المرأة يومين من الدهر إلا ومعها ذو محرم منها أو زوجها »

وقال الترمذي في جامعه حدثنا ابن ابي عمر نا سفيان بن عيينة عن عبد الملك ابن عمير عن قزعة عن ابي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ « لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، مسجد الحرام، ومسجدي هذا، ومسجد الاقصى » قال هذا حديث حسن صحيح اه

ومن أجل ذلك حكم صاحب مجمع الزوائد على حديث شهر بالغرابة وقزعة أثبت من شهر وحسبك في توثيقه انه من رجال الصحيحين ولا أعلم أحدا ذكره بجرح، ولذا والله أعلم لم يذكره الذهبي في الميزان لانه موضوع لذكر الضعفاء، ولو كان فيه جرح خفيف وجرحه من لا يعتمد على جرحه

وروى قزعة وغيره عن غير ابي سعيد هذا الحديث وليس فيه أيضاً ذكر المستثنى منه فقد روى سعيد عن ابي هريرة عن النبي ﷺ قال « لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام، ومسجد الرسول، ومسجد الاقصى » هذا لفظ البخاري. ولفظ مسلم في رواية هكذا « لاتشد الرحال إلا الى ثلاثة مساجد مسجدي هذا، ومسجد الحرام، ومسجد الاقصى » وفي رواية « تشد الرحال إلى ثلاثة مساجد»

وروى سلمان الاغر عن ابي هريرة ان رسول الله ﷺ قال « انما يسافر إلى ثلاثة مساجد، مسجد الكعبة، ومسجدي، ومسجد إيليا » رواه مسلم

وروى أبو سلمة عن ابي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ « لاتشد الرحال

«إلا إلى ثلاثة مساجد، الكعبة، ومسجدي هذا، ومسجد الاقصى» رواه الدارمي. وروى حجية بن عدي عن علي قال: قال رسول الله ﷺ «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، مسجدي هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الاقصى» رواه الطبراني في المعجم الصغير

وروى قزعة عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال «لا تشد الرحال إلا الى ثلاثة مساجد الى المسجد الحرام، والى المسجد الاقصى والى مسجدي هذا» رواه ابن ماجه

وروى ابو سلمة بن عبد الرحمن من حديث ابي هريرة عن بصرة بن ابي بصرة الغفاري قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «لا تعمل المطي إلا على ثلاثة مساجد الى المسجد الحرام، والى مسجدي هذا، والى مسجد إيلياء أو بيت المقدس» رواه مالك في الموطأ. قال ابن عبد البر الصواب أبا بصرة (١) واسمه جميل بن أبي بصرة والغلط من يزيد لا من مالك، وفي التقريب ابو بصرة الغفاري جميل بن بصرة اه فيكون حديث شهر شاذا مردودا

قال السيوطي في التدريب في بيان الشاذ فالصحيح التفصيل فان كان الثقة بتفرده مخالفا لمن هو أحفظ منه وأضبط — عبارة ابن الصلاح لما هو رواه من هو أولى منه بحفظ لذلك، وعبارة شيخ الاسلام لمن هو أرجح منه لمزيد ضبط أو كثرة عدد أو غير ذلك من وجوه الترجيحات كان ما انفرد به شاذا مردوداً

قال شيخ الاسلام ومقابله يقال له المحفوظ قال مثاله ما رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من طريق ابن عيينة عن ابن عباس أن رجلا توفي على عهد رسول الله ﷺ لم يدع وارثا إلا مولى هو أعتقه — الحديث. وتابع ابن عيينة على

(١) كذا في الاصل ومقتضى الاعراب: ابو بصره

وصله ابن جريج وغيره وخالفهم حماد بن زيد رواه عن عمرو بن دينار عن عوسجة ولم يذكر ابن عباس ، قال ابو حاتم المحفوظ حديث ابن عيينة

قال شيخ الاسلام فحماد بن زيد من أهل العدالة والضبط ومع ذلك رجح ابو حاتم رواية من هم أكثر عددا منه ، قال وهذا هو المعتمد في حد الشاذ بحسب الاصطلاح

ومن أمثاته في المتن مارواه ابو داود والترمذي من حديث عبد الواحد بن زياد عن الاعمش عن ابي صالح عن ابي هريرة مرفوعا « اذا صلى أحدكم ركعتي الفجر فليضطجع على يمينه » قال البيهقي خالف عبد الواحد العدد الكثير في هذا فان الناس انما رووه من فعل النبي ﷺ لامن قوله ، وانفرد عبدالواحدمن بين ثقات أصحاب الاعمش بهذا اللفظ انتهى

قال الذهبي في الميزان عبد الواحد بن زياد بن شيبة العبدي البصري أحد المشاهير احتجابه في الصحيحين وتجنبا تلك المناكيرالتي نقمت عليه فيحدث عن الاعمش بصيغة السماع عن ابي صالح عن ابى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا صلى أحدكم الركعتين قبل الصبح فليضطجع على يمينه » أخرجه ابو داود انتهى

وقال السيوطي في بحث المنكر مثل الاول وهو المنفرد المخالف لما رواه الثقات رواية مالك عن الزهري عن علي بن حسين عن عمر بن عثمان عن أسامة بن زيد عن رسول الله ﷺ قال « لايرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم » فخالف مالك غيره من الثقات في قوله عمر بن عثمان بضم العين

وذكر مسلم في التمييز أن كل من رواه من أصحاب الزهري قاله بفتحها وأن مالكا وهم في ذلك ، قال العراقي وفي هذا التمثيل نظر لان الحديث ليس بمنكر ولم يطلق عليه أحد اسم النكارة فيما رأيت ، وغايته أن يكون السند منكراً أوشاذاً

لمخالفة الثقات لمالك، ولا يلزم من شذوذ في السند ونكارته وجود ذلك الوصف في المتن

وقد ذكر ابن الصلاح في نوع العلل ان العلة الواقعة في السند قد تقدح في المتن وقد لا تقدح كما سيأتي، قال فالمثال الصحيح لهذا القسم ما رواه أصحاب السنن الاربعة من رواية همام بن يحيي عن ابن جريج عن الزهري عن أنس (رض) قال كان النبي ﷺ إذا دخل الخلاء وضع خاتمه قال أبو داود بعد تخريجه هذا حديث منكر، وإنما يعرف عن ابن جريج عن زياد بن سعد عن الزهري عن أنس أن النبي ﷺ اتخذ خاتما من ورق ثم ألقاه - قال والوهم فيه من همام ولم يروه إلا همام، وقال النسائي بعد تخريجه: هذا حديث غير محفوظ فهمام بن يحيي ثقة احتج به أهل الصحيح ولكن خالف الناس فروى عن ابن جريج هذا المتن بهذا السند وانما روى الناس عن ابن جريج الحديث الذي أشار اليه ابوداود، فلهذا حكم عليه بالنكارة اه

قال المؤلف قد علم من العبارة المنقولة ان العلة الواقعة في السند قد تقدح في المتن ومثل لها ابن الصلاح بالارسال والوقف، وكم من أحاديث رواتها ثقات عدت من الشواذ لمخالفة روايات الثقات وتلك المخالفة الموجبة لشذوذها قد تكون في السند بحيث توجب شذوذ المتن أيضاً، وقد تكون في نفس المتن

فمن أمثلة القسم الاول حديث محمد بن فضيل عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ «ان للصلاة أولا وآخراً» قال الترمذي في جامعه قال أبو عيسى سمعت محمداً يقول: حديث الاعمش عن مجاهد في المواقيت أصح من حديث محمد ابن فضيل عن الاعمش وحديث محمد بن فضيل خطأ أخطأ فيه محمد بن فضيل: حدثنا هناد حدثنا أبو أسامة عن أبي اسحاق الفزاري عن الاعمش عن مجاهد قال: كان يقال ان للصلاة أولا وآخراً فذكر نحو حديث محمد بن فضيل عن

الاعمش نحو بمعناه اه . وقال الدارقطني هذا لا يصح مسنداً ، وهم في إسناده ابن فضيل وغيره يرويه عن الاعمش عن مجاهد مرسلا ، نا أبو سهل بن زياد نا محمد ابن احمد بن النضر ثنا معاوية بن عمرو نا زائدة عن الاعمش عن مجاهد قال كان يقال ان للصلاة أولا وآخرا ، ثم ذكر هذا الحديث وهو أصح من قول ابن فضيل وقد تابع زائدة عبثر بن القاسم. وحدثنا أبو بكر الشافعي حدثنا محمد بن شاذان نا معلى بن منصور اخبرني ابو زبيد وهو عبثر نا الاعمش عن مجاهد عن النبي ﷺ نحوه اه مع ان محمد بن فضيل ثقة من رجال الصحيحين

قال الذهبي في الميزان ان محمد بن فضيل بن غزوان كوفي صدوق مشهور كان صاحب حديث ومعرفة ، وثقه ابن معين ، وقال احمد حسن الحديث شيعي ، وقال النسائي لا بأس به اه ملخصاً . وقال الحافظ في التقريب صدوق عارف رمي بالتشيع اه وقال أبو زرعة صدوق كذا في التهذيب ، وقال الذهبي في الكاشف ثقة شيعي اه

ومنها حديث أبي هريرة (رض) قال قال رسول الله ﷺ « لا يغلق الرهن من صاحبه الذي رهنه له غنمه وعليه غرمه » عند جماعة قال الحافظ في البلوغ رواه الدارقطني والحاكم ورجاله ثقات إلا أن المحفوظ عند أبي داود وغيره إرساله

ومنها حديث ابن عمر (رض) عن النبي ﷺ قال « من وهب هبة فهو أحق بها ما لم يثب عليها » قال الحافظ في البلوغ رواه الحاكم وصححه والمحفوظ من رواية ابن عمر عن عمر من قوله اه وقال في تخريج الهداية وعن ابن عمر أخرجه الحاكم والدارقطني وإسناده صحيح إلا أن البيهقي قال غلط فيه عبد الله بن موسى عن حنظلة عن سالم عنه والصواب رواية ابن وهب عن حنظلة عن سالم عن ابن عمر عن عمر قوله ، وهكذا قال ابن عيينة عن عمرو عن سالم انتهى

وقال الدارقطني ثنا ابو علي الصفار من أصل كتابه ثنا علي بن سهل بن المغيرة

حدثنا عبيد الله بن موسى نا حنظلة عن ابي سفيان قال سمعت سالم بن عبد الله عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال « من وهب هبة فهو أحق بها مالم يثب منها » لا يثبت هذا مرفوعا ، والصواب عن ابن عمر عن عمر مرفوعا انتهى مافي سنن الدارقطني هكذا في النسخة القديمة المكتوبة في سنة تسع وعشرين وسبع مائة المقروءة على ابن الجزري بلفظ : والصواب عن ابن عمر عن عمر مرفوعا ولعله من سهو الناسخ والصواب عن ابن عمر عن عمر موقوفا كما قال الحافظ والله أعلم

ومنها حديث عكرمة ان أخت عبد الله بن أبي أتت النبي ﷺ فقالت يارسول الله ثابت بن قيس ماأعتب عليه في خلق ولا دين الحديث الذي روي مرسلا فان البخاري قدم هناك الموصول على المرسل لكثرة الواصلين

قال الحافظ في الفتح ويؤخذ من إخراج البخاري هذا الحديث في الصحيح فوائد (منها) ان الاكثر اذا وصلوا وأرسل الاقل قدم الواصل ، ولو كان الذي أرسل أحفظ ، ولا يلزم منه أنه تقدم رواية الواصل على المرسل دائما (ومنها) أن الراوي اذا لم يكن في الدرجة العليا من الضبط ووافقه من هو مثله اعتضد وقاومت الروايتان رواية الضابط المتقن انتهى، مع ان رجاله كلهم ثقات ابات

ومن أمثلة القسم الثاني حديث عبد الرحمن بن سابط عن ابي امامة (رض) قال : قيل يارسول الله أي الدعاء اسمع ؟ قال « جوف الليل الآخر ، ودبر الصلوات المكتوبات » رواه الترمذي

قال الحافظ في شرح الاذكار قال الترمذي هذا حديث حسن غريب وفيما قاله نظر لان فيه عللا (منها) الشذوذ فانه جاء عن خمسة من أصحاب ابي امامة أصل الحديث من رواية صاحب النبي ﷺ عن عمرو بن عبسة واقتصروا كلهم على الشق الاول انتهى ملخصا مع ان عبد الرحمن بن سابط ثقة من رجال صحيح مسلم (ومنها) حديث ابي اسحاق عن الاسود عن عائشة قالت كان النبي ﷺ

ينام وهو جنب ولا يمس ماء رواه الترمذي ، قال وقد روى غير واحد عن الاسود عن عائشة عن النبي ﷺ انه كان يتوضأ قبل أن ينام وهذا أصح من حديث ابي اسحاق عن الاسود ، وقد روى عن أبي إسحاق هذا الحديث شعبة والثوري وغير واحد ويرون ان هذا غلط من أبي اسحاق انتهى مع أن أبا اسحاق ثقة من رجال الصحيحين

(ومنها) حديث أبي قيس عن هزيل بن شرحبيل عن المغيرة بن شعبة قال توضأ النبي ﷺ ومسح على الجوربين والنعلين رواه الترمذي فان رواية عبد الرحمن بن ثروان أبا قيس الاودي مع أنه ثقة وثقه ابن معين وغيره وهو من رجال صحيح البخاري لما خالف الثقات في روابة هذا الحديث عد حديثه هذا من الشواذ فان نافع بن جبير روى هذا الحديث عن عروة بن المغيرة عن أبيه المغيرة بن شعبة أخرجها البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه ، وان عامراً الشعبي رواه عن عروة بن المغيرة عن أبيه أخرجها البخاري ومسلم وأبو داود والدارمى والدارقطني ، وأن أشعث رواه عن الاسود بن هلال عن المغيرة أخرجها مسلم ، وان مسلما روى عن مسروق عن المغيرة بن شعبة أخرجها مسلم والنسائي ، وان بكر عبد الله المزني رواه عن عروة بن المغيرة بن شعبة عن أبيه أخرجها مسلم ،وان ابن سيرين رواه عن عمرو بن موهب الثقفي عن المغيرة بن شعبة أخرجها النسائي والدارقطني ، وان عبد الرحمن بن أبي الزناد رواه عن أبيه عن عروة بن الزبير عن المغيرة بن شعبة أخرجها أبو داود والترمذي والدارقطني وان عباد بن زيد رواه عن عروة بن المغيرة بن شعبة عن أبيه رواه ابو داود ومالك بغير ذكر عروة ، وان قتادة رواه عن الحسن وعن زرارة بن أوفى عن المغيرة بن شعبة أخرجها ابو داود، وان بكر بن عامر البجلي رواه عن عبد الرحمن ابن ابي أنعم عن المغيرة بن شعبة أخرجها ابو داود ، وان اسماعيل بن محمد بن

سعد رواه عن حمزة بن المغيرة بن شعبة عن أبيه وان بكر بن عبد الله المزني رواه عن حمزة بن المغيرة بن شعبة عن أبيه أخرجها النسائي ، وان بكر بن عبد الله المزني رواه عن ابن المغيرة عن أبيه أخرجها أبو داود والنسائي والدارقطني وليس في رواية هؤلاء الثقات الاثبات المسح على الجوربين ومن أجل ذلك ضعفه الائمة

قال النسائي لا أعلم أحدا تابع أبا قيس والصحيح عن المغيرة المسح على الخفين ، وقال ابو داود كان ابن مهدي لايحدث به ، وقال البيهقي ضعف هذا الحديث الثوري وابن مهدي وابن معين واحمد وابن المديني ومسلم كذا في تخريج الهداية للحافظ ابن حجر

***

قوله (وأما التوسل فقد صح صدوره من النبي ﷺ فقد صح في أحاديث كثيرة منها أنه ﷺ كان من دعائه « اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك» وهذا توسل لاشك فيه ، وصح في أحاديث كثيرة أنه كان يأمر أصحابه أن يدعوا بها فمنها مارواه ابن ماجه بسند صحيح عن ابي سعيد الخدري (رض) قال : قال رسول الله ﷺ « من خرج من بيته إلى الصلاة فقال اللهم اني أسألك بحق السائلين عليك وأسألك بحق ممشاي هذا اليك فاني لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة » اه

أقول في حديث أبي سعيد كلام من وجوه

(الاول) أن في سنده عطية بن سعد العوفي وهو وإن كان ممن اختلف في الاحتجاج به لكن الراجح والمحقق انه ضعيف وها أنا أذكر عبارات القوم ثم أرجح ماهو الراجح فنقول : قال الذهبي في الميزان عطية بن سعيد العوفي الكوفي تابعي

شهير ضعيف عن ابن عباس وأبي سعيد وابن عمر ، وعنه مسعر وحجاج بن ارطاة وطائفة وابنه الحسن قال أبوحاتم يكتب حديثه ضعيف ، وقال سالم المرادي كان عطية يتشيع ، وقال ابن معين صالح ، وقال احمد ضعيف الحديث وكان هشيم يتكلم في عطية

وروى ابن المديني عن يحيى قال: عطية وأبو هارون وبشر بن حرب عندي سواء . وقال احمد بلغني ان عطية كان يأتي الكلبي فيأخذ عنه التفسير كان يكنيه بأبي سعيد فيقول قال ابو سعيد (قات) يعني يوهم انه الخدري . وقال النسائي وجماعة ضعيف اه وقال المنذري في الترغيب والترهيب عطية بن سعد العوفي قال احمد وغيره ضعيف الحديث وقال ابوحاتم ضعيف يكتب حديثه ووثقه ابن معين وغيره وحسن له الترمذي غير ما حديث ، وأخرج حديثه ابن خزيمة في صحيحه وقال في القلب من عطية شيء اه

وقال الحافظ ابن القيم في الهدي في بيان سنة الجمعة :عطية العوفي قال البخاري كان هشيم تكلم فيه وضعفه احمد وغيره . وقال البيهقي عطية العوفي لا يحتج به ومبشر بن عبيد الحمصي منسوب إلى وضع الحديث ،والحجاج بن أرطأة لا يحتج به قال بعضهم ولعل الحديث انقلب على بعض هؤلاء الثلاثة الضعفاء لعدم ضبطهم وإتقانهم اه ملخصاً ، وقال الحافظ ابن حجر في التقريب عطية بن سعد بن جنادة بضم الجيم بعدها نون خفيفة العوفي الجدلي بفتح الجيم والمهملة الكوفي أبو الحسن صدوق يخطىء كثيرا كان شيعيا مدلسا من الثالثة مات سنة إحدى عشرة اه[١]

وقال الذهبي في الكاشف عطية بن سعد العوفي ابو الحسن عن ابي سعيد وطائفة وعنه ابناه عمرو والحسن ومسعر ومرة وخلق ضعفوه مات سنة ١١١ اه وقال الحافظ صفي الدين بن احمد بن عبدالله الخزرجي في الخلاصة عطية بن

(١) اى بعد المائه

سعد بن جنادة العوفي بفتح المهملة وإسكان الواو بعدها فاء الجدلي بفتح الجيم أبو الحسن الكوفي عن ابي هريرة وأبي سعيد وابن عباس وعنه ابناه عمر والحسن واسماعيل بن أبي خالد ومسعر وخلق ضعفه الثوري وهشيم وابن عدي وحسن له الترمذي أحاديث قال مطين مات سنة إحدى عشرة ومائة اه

وقال في التهذيب قال ابوحاتم وابن سعد مع ضعفه يكتب حديثه اه وقال المنذري في تلخيصه لسنن أبي داود: عطية ضعيف الحديث، وقال في غير ما موضع لايحتج بحديثه، وقال في موضع في إسناده محمد بن الحسين بن عطية العوفي عن أبيه عن جده وثلاثتهم ضعفاء، وقال في موضع في إسناده عطية العوفي وهو ضعيف، وقال الحافظ ابن حجر في تلخيص الحبير تحت حديث أبي سعيد «من أسلف في شيء فلا يصرفه إلى غيره» أبو داود وابن ماجه وفيه عطية بن سعد العوفي وهو ضعيف، وأعله أبو حاتم والبيهقي وعبد الحق وابن القطان بالضعف والاضطراب اه

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد عطية مختلف في الاحتجاج به وفي موضع وفيه الحجاج ابن أرطاة وعطية وكلاهما فيه كلام. وفي موضع: وفيه عطية وثقه ابن معين وضعفه جماعة تضعيفاً ليناً اه وقال الدارقطني في سننه تحت حديث عبد الله بن عمر قال قال رسول الله ﷺ «طلاق الامة اثنتان وعدتها حيضتان» وحديث عبد الله ابن عيسى عن عطية عن ابن عمر عن النبي ﷺ منكر غير ثابت من وجهين (أحدهما) ان عطية ضعيف وسالم ونافع أثبت منه وأصح رواية (والوجه الآخر) ان عمر بن شبيب ضعيف الحديث لايحتج بروايته والله أعلم اه

فهذه عبارات القوم في عطية، وقد اتضح من هذه العبارات أمور (الاول) ان الذهبي مختاره التضعيف حيث قال في حقه في الميزان: تابعي شهير ضعيف. يؤيد ما قاله في الكاشف من قوله ضعفوه. ولم ينقل هناك القول بالتوثيق، فعلم انه رجح التضعيف، وقال في الميزان في ترجمة الحكم بن فضيل عن عطية العوفي (قلت) وقد

وثقه أبو داود وعطية واه . وقال في الميزان في ترجمة فضيل بن مرزوق : وقال ابن حبان منكر الحديث جداً كان ممن يخطيء على الثقات ويروي عن عطية الموضوعات (قلت) عطية أضعف منه اه ، وكذا اختار الحافظ ابن القيم تضعيفه في الهدي وكذا المنذري في تلخيصه لسنن أبي داود في غير ماموضع والحافظ ابن حجر في تلخيص الحبير والدارقطني في سننه

(والثاني) ان عطية وأباهارون وبشر بن حرب سواء كما نقل عن يحيى، أما أبوهارون فاسمه عمارة بن جوين. قال الذهبي في الميزان: عمارة بن جوين أبوهارون العبدي تابعي لين بمرة كذّبه حماد بن زيد . وقال شعبة لان أقدم فتضرب عنقي أحب إلي من أن احدث عن أبي هارون . وقال أحمد ليس بشيء ، وقال ابن معين ضعيف لايصدق في حديثه . وقال س متروك الحديث . وقال الدارقطني يتلون خارجي وشيعي فيعتبر بما روى عنه الثوري . وقال ابن حبان كان يروي عن أبي سعيد ماليس من حديثه ، وروى معاوية بن صالح عن يحيي ضعيف يحيي القطان قال قال شعبة كنت أتلقى الركبان أسأل عن أبي هارون العبدي فقدم ، فرأيت عنده كتابا فيه أشياء منكرة في علي (رض) فقلت ما هذا الكتاب ؟ قال هذا الكتاب حق ، قال القطان لم يزل ابن عون يروي عن أبي هارون حتى مات ، قال الجوزجاني أبوهارون كذاب مفتر. ابن عدي ثنا الحسن بن سفيان ثني عبدالعزيز بن سلام حدثني علي بن مهران سمعت بهز بن أسد سمعت شعبة يقول أتيت أباهارون فقلت اخرج إلي ماسمعته من أبي سعيد، فأخرج إلي كتابا فاذا فيه ثنا أبو سعيد ان عثمان أدخل حفرته وانه الكافر بالله ، فدفعت الكتاب في يده وقمت. الأثرم ثنا احمد ثنا يحيي بن آدم ثنا معلى بن خالد قال لي شعبة لو شئت أن يحدثني أبو هارون العبدي عن أبي سعيد بكل شيء أرى أهل واسط يصنعونه بالليل لفعلت وقال ابن معين كانت عند أبي هارون صحيفة يقول هذه صحيفة الوحي ،

قال السليماني سمعت أبا بكر بن حامد يقول سمعت صالح بن محمد انا علي وسئل ن أبي هارون العبدي فقال أكذب من فرعون

ابو احمد الزبيري ثنا سفيان عن ابي هارون سمعت أبا سعيد قال : كانت لي جارية كنت أعزل عنها فولدت أحب الناس إلي رواه محمد بن كثير عن الثوري وبالاسناد الثاني عن ابي سعيد مرفوعا « واذا ضرب أحدكم خادمه فذكر الله فارفعوا أيديكم » اه

وأما بشر بن حرب فقال الذهبي في الميزان بشر بن حرب ابو عمرو الندبي البصري والندب حي من الازد له عن ابي سعيد وجماعة ، وعنه شعبة وحماد بن زيد ضعفه علي ويحيى ، وقال احمد ليس بالقوي ، وقال ابن خراش متروك ، وكان حماد بن زيد يمدحه ، وقال محمد بن عثمان بن ابي شيبة سألت ابن المديني عنه فقال كان ثقة عندنا ، وقال ابن عدي لا بأس به عندي لا أعرف له حديثا منكراً اه

وحيث كان عطية سواء (١) لما صدق عليه انه ابن بمرة كذاب ليس بشيء لا يصدق في حديثه متروك الحديث كذاب مفتر أكذب من فرعون فعلم أن في عطية كلاما شديداً لا كما قال الهيثمي ، وضعفه جماعة تضعيفا لينا والغرض من نقل هذا ليس ان إطلاق تلك الكلمات عليه مختار عندي فان المختار عندي قول ابي حاتم ضعيف يكتب حديثه فانه أعدل الاقوال وأصوبها ، ولكن المقصود التنبيه على خطأ الهيثمي في قصر التضعيف على تضعيف لين

(والثالث) انه مدلس كما صرح به الحافظ ابن حجر ويدلس شر تدليس كما قال الامام احمد بلغني ان عطية كان يأتي الكلبي فيأخذ عنه التفسير كان يكنيه بابي سعيد فيقول قال ابو سعيد يعني انه يوهم انه الخدري فهذا تدليس

(١) أي مساو لبشر بن حرب وأبي هارون عمارة ابن جوين المار ذكرهما

أي تدليس ، قال في توضيح الافكار فان صادف شهرة راو ثقة يمكن أخذ ذلك الراوي عنه فمفسدته أشد كما وقع لعطية العوفي في تكنية محمد بن السائب الكلبي أبا سعيد فكان اذا حدث عنه يقول حدثني ابو سعيد فيوهم انه ابو سعيد الخدري لان عطية كان قد لقيه وروى عنه ، وهذا أشد ما بلغنا من مفسدة تدليس الشيوخ اه يعني ماقال الحافظ ابن حجر اه

(والرابع) ان جماعة من النقاد أعلوا حديث ابي سعيد «من أسلف في شيء فلا يصرفه إلى غيره » بالضعف كما نقله الحافظ في تلخيص الحبير مع ان رواته كلهم إلى عطية موثقون فما جاء فيه الضعف إلا من قبله فان سنده في سنن ابي داود هكذا: حدثنا محمد بن عيسى نا ابو بدر عن زياد بن خيثمة عن سعد يعني الطائي عن عطية بن سعد عن ابي سعيد الخدري

وفي سنن ابن ماجه هكذا: حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير ثنا شجاع بن الوليد ثنا زياد بن خيثمة عن سعد عن عطية عن ابي سعيد ، وفي رواية أخرى هكذ حدثنا عبد الله بن سعيد ثنا شجاع بن الوليد عن زياد بن خيثمة عن عطية عن أبي سعيد قال ابن ماجه فذكر مثله ،لم يذكر سعداً أبا محمد بن عيسى فقال الحافظ في التقريب: محمد بن عيسى بن نجيح ابو جعفر الطباع البغدادي نزيل اذنه[١] ثقة فقيه كان من أعلم الناس بحديث هيثم من العاشرة مات سنة أربع وعشرين وله أربع وسبعون اه

وقال في الخلاصة محمد بن عيسى بن نجيح البغدادي ابو جعفر الطباع سكن اذنه عن محمد بن مطرف وابن ابراهيم بن سعد وهشيم وخلق ،وعنه خت د. و الذهلي والدارمي قال ابو حاتم ثقة مأمون ، وقال ابو داود وكان يحفظ نحوا من أربعين ألف حديث اه

(١) اذنه هي التي يسميها الترك اطنه وهي في الاصل من سورية

وقال في الكاشف محمد بن عيسى بن الطباع ابو جعفر أخو اسحاق ويوسف نزل اذنه روى عن مالك وابي غسان ومحمد بن مطرف وعبدة، وعنه الدارمي واحمد ابن جليد الحلبي وعلق له خ وكان حافظا مكثراً فقيها ، قال وكان يحفظ نحوا من أربعين الف حديث ، وقال أبو حاتم ثقة مأمون ، ما رأيت أحفظ للابواب منه اه

وأما أبو بدر فاسمه شجاع بن الوليد قال في التقريب شجاع بن الوليد بن قيس السكوني أبو بدر الكوفي صدوق ورع له أوهام من التاسعة مات سنة اربع ومائتين اه ورمز له الحافظ ع الدال على أنه روى له أصحاب الاصول الستة ، وقال في الكاشف شجاع بن الوليد أبو بدر السكوني الحافظ الصالح عن الاعمش وهشام بن عروة وعنه ابنه الوليد اه

وقال في الخلاصة شجاع بن الوليد بن قيس السكوني أبو بدر الكوفي نزيل بغداد محدث صالح عن الاعمش وهشام وعطاء بن السائب وعنه محمد بن عبد الرحيم البزار وأحمد بن محمد بن حنبل واسحاق بن راهويه وابنه الوليد بن شجاع قال احمد كان شيخا صالحا صدوقا، وقال احمد بن أبي خيثمة وعبد الخالق ابن منصور ثقة قال ابن سعد مات سنة اربع ومائتين ، له في خ فرد حديث اه وقال في الميزان شجاع بن الوليد ابو بدر الكوفي السكوني الحافظ صدوق مشهور روى عن مغيرة بن مقسم وليث وعنه ابنه الوليد وأبو خيثمة وخلق وثقه ابن معين وغيره قال أبو زرعة لا بأس به، وقال أبو حاتم لين الحديث شيخ ليس بالمتين لا يحتج به إلا أن عنده عن محمد بن عمرو أحاديث صحاح وقال المروزي قلت لابي عبد الله ابو بدر ثقة؟ قال أرجو أن يكون صدوقا قد جالس الصالحين وروى وكيع عن الثوري قال ليس في الكوفة أعبد من أبي بدر اه ملخصاً

وأما زياد بن خيثمة فقال في التقريب زياد بن خيثمة الجعفي الكوفي ثقة من السابعة اه وقال في الخلاصة زياد بن خيثمة الجعفي عن الشعبي ومجاهد وعنه

زهير بن معاوية وهشيم ووكيع وثقه ابن معين اه ورمز له في الخلاصة م ٤ الدال على انه روى له مسلم وأصحاب السنن الاربعة وقال في الكاشف زياد بن خيثمة الكوفي عن الشعبي ومجاهد وعنه هشيم ووكيع ثقة اه

وأما سعد الطائي فقال الحافظ في التقريب سعد ابو مجاهد الطائي الكوفي لا بأس به من السادسة ورمز له خ دت ق وهذا يدل على انه من رجال البخاري وقال في الخلاصة سعد الطائي أبو مجاهد الكوفي عن محل بن خليفة وعنه اسرائيل والاعمش وثقه ابن حبان اه وقال في التهذيب ووكيع اه

وأما محمد بن عبد الله بن نمير الواقع في سند ابن ماجه فقال الحافظ في التقريب محمد بن عبدالله بن نمير الهمداني بسكون الميم الكوفي أبو عبد الرحمن ثقة حافظ فاضل من العاشرة مات سنة اربع وثلاثين اه وقال في الخلاصة محمد ابن عبد الله بن نمير بضم النون الهمداني خارفي بمعجمة ابو عبد الرحمن الكوفي الحافظ أحد الاعلام عن أبي خالد الاحمر وابن عيينة وأبي معاوية وخلق وعنه خ م د ق عظمه أحمد وأجله وقال النسائي ثقة مأمون قال ابن حبان مات سنة اربع وثلاثين ومائتين اه وقال في الكاشف محمد بن عبد الله بن نمير أبو عبد الرحمن الخارفي الحافظ الزاهد عن المطلب بن زياد وابن عيينة وخلق وعنه خ م د ق ومطين وأبو يعلى قال أبو اسماعيل الترمذي كان احمد بن حنبل يعظم ابن نمير تعظيما عجيباً وقال أحمد بن صالح ما رأيت بالعراق مثله اه

وأما عبد الله بن سعيد الواقع في سند ابن ماجه الآخر فقال الحافظ في التقريب : عبد الله بن سعيد بن حصين الكندي أبو سعيد الاشج الكوفي ثقة من صغار العاشرة مات سنة سبع وخمسين اه

وقال في الخلاصة عبد الله بن سعيد بن حصين الكندي الكوفي ابو سعيد الاشج الحافظ أحد الائمة عن عبد السلام بن حرب وابي خالد الاحمر والمحاربي

وابن ادريس وهشيم وطبقتهم وعنه ع قال ابو حاتم ثقة إمام أهل زمانه قبل مات سنة سبع وخمسين ومائتين اه

وقال في الكاشف عبد الله بن سعيد ابو سعيد الاشج الكندي الحافظ عن هشيم والمطلب بن زياد وعنه ع وابن ابي حاتم قال ابو حاتم ثقة امام أهل زمانه وقال الشطوي (١) مارأيت أحفظ منه اه فقد ثبت أن ضعف الحديث المذكور ليس إلا من قبل عطية ولذا صرح به الحافظ فعلم انه عند هؤلاء النقاد ضعيف

(والخامس) أن وجه ضعف عطية ليس منحصرا في التشيع والتدليس بل له وجه آخر أيضاً غيرهما وهو عدم الضبط وكثرة الخطأ صرح به الحافظ ابن القيم في الهدي والحافظ ابن حجر في التقريب فليفهم

(السادس) ان جارحيه أكثر من موثقيه فلنعد الجارحين فنقول من الجارحين ابو حاتم وسالم المرادي وأحمد وهشيم ويحيى والنسائي والبيهقي والثوري وابن عدي وعبد الحق والذهبي والمنذري والحافظ ابن القيم والحافظ ابن حجر والدارقطني، ومن الموثقين ابن معين والترمذي فما وزانهما في جنب ذلك السواد الاعظم

اذا تمهد هذا فنقول : الراجح في عطية الضعف فان جارحيه أكثر من معدليه ولان كلام الموثقين أيضاً لايقتضي أن حديثه فيما تفرد به مما يحتج به فان ابن معين قال في حقه صالح، كما في الميزان وهذه اللفظة في المرتبة السادسة من مراتب التوثيق فهذا توثيق لين وحكمه انه يكتب حديثه للاعتبار فهذا التوثيق لاينافي القول بالضعف ، وأما الترمذي فلم يصرح بتوثيقه نعم حسن له غير ما حديث وتحسينه لايدل على ان عطية ممن يحتج بحديثه في كل موضع فانه ربما يحسن الحديث لمجيئه من طريق أخرى ولاحتمال أن يكون التحسين في موضع

---

(١) هو محمد بن احمد بن بلال كذا في تهذيب التهذيب في ترجمة أبي سعيد الاشج هذا

قد ثبت عند الترمذي التصريح بالتحديث فيه فان عطية مدلس وحديث المدلس انما يقبل اذا صرح بالتحديث على ان الترمذي متساهل في التصحيح والتحسين ولذا لم يعتمد العلماء عليه في هذا الباب ، وردوا على تصحيحه وتحسينه في غير ما موضع

قال الذهبي في الميزان في ترجمة كثير بن عبدالله بن عمرو بن عوف بن زيد المزني وأما الترمذي فروى من حديثه «الصلح جائز بين المسلمين» وصححه فلذا لايعتمد العلماء على تصحيح الترمذي اه

وقال في (البرهان شرح مواهب الرحمن) وقال ابن دحية في العلم المشهور وكم حسن الترمذي في كتابه من أحاديث موضوعة وأسانيد واهية منها هذا الحديث اه وابن حزم قد زعم انه أي الترمذي مجهول والمجهول لايعتبر تحسينه وتصحيحه، كذا في توضيح الافكار، وهذا القول وإن كان قولا متعقبا ولكن المقصود هناك تعداد من لم يعتمد على تصحيح الترمذي وتحسينه، وقال المنذري في الترغيب والترهيب وأنبه على كثير مما حضر في حال الاملاء مما تساهل أبو داود في السكوت عن تضعيفه أو الترمذي في تحسينه أو ابن حبان والحاكم في تصحيحه لا انتقادا عليهم (رض) بل مقياساً لمتبصر في نظائرها من هذا الكتاب وكل حديث عزوته إلى ابي داود وسكت عنه فهو كما ذكر ابو داود ولا ينزل عن درجة الحسن وقد يكون على شرط الصحيحين اه

وقال الحافظ ابن حجر في تلخيص الحبير تحت حديث جابر ان النبي ﷺ سئل عن العمرة أواجبة ؟ قال « لا وإن تعتمر فهو أولى » اه في تصحيحه أي الترمذي نظر كثير من أجل الحجاج فان الاكثر على تضعيفه والاتفاق على انه مدلس ، وقال النووي ينبغي أن لايغتر بكلام الترمذي في تصحيحه فقد اتفق الحفاظ على تضعيفه اه

وقال في التلخيص تحت حديث جد كثير (١) في تكبير العيد وقد قال البخاري والترمذي انه أصح شيء في هذا الباب ، وأنكر جماعة تحسينه على الترمذي. وقال تحت حديث عبدالله بن مسعود في عدم رفع اليدين هذا الحديث حسنه الترمذي وصححه ابن حزم وقال ابن المبارك لم يثبت عنه وقال ابن أبي حاتم عن أبيه قال هذا خطأ ، وقال احمد بن حنبل وشيخه يحيي بن آدم هو ضعيف نقله البخاري عنهما وتابعهما على ذلك ، وقال أبو داود ليس بصحيح وقال الدارقطني لم يثبت وقال ابن حبان في الصلاة هذا أحسن خبر روى أهل الكوفة في نفي رفع اليدين في الصلاة عند الركوع وعند الرفع منه وهو في الحقيقة أضعف شيء يعول عليه ، وان له عللا تبطله ، وهؤلاء الائمة إنما طعنوا كلهم في طريق عاصم بن كليب الاولى اه

ومن ثم صرح العلماء بأن ما حسنه الترمذي أو صححه ليس من جنس ماصححه إمام من الائمة أو حسنه حتى يكون مما يجب العمل به بل هو اصطلاح جديد ، قال في توضيح الافكار (فان قلت) قد صرحوا بأن عنده أي الترمذي نوع تساهل في التصحيح فقد حكم بالحسن مع وجود الانقطاع في أحاديث في سننه وحسن فيها بعض ما انفرد به راويه كما صرح هو بذلك ، فانه يورد الحديث ثم يقول عقبه أنه حسن غريب وحسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه (قلت) هذا كله لا يضره لان ذلك اصطلاح جديد له ، ومن بلغ النهاية في الامامة والحفظ لا ينكر عليه ابتداء اصطلاح يختص به ، وحينئذ فلا مشاحة في الاصطلاح وبهذا يجاب عما استشكلوه من جمعه بين الصحة والحسن على متن واحد مع ما هو معلوم من تغايرهما اه أي كلام ابن حجر الهيتمي

(قلت) إذا كان اصطلاح الترمذي ان الحسن والصحيح شيء واحد ، فانه لا يصح حمل قوله صحيح على المعنى الذي نحن بصدده ، بل يحمل على أنه قسم من الحسن

(١) كذا في الاصل وهو مغلق لا يفهم والمراد كما في التلخيص: حديث كثير ابن عبدالله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده قال الحافظ بعد ذكره هكذا : وكثير ضعيف وقد قال البخاري الخ وكتبه محمد رشيد رضا

ثم قال : وقد وقع للبغوي في المصابيح اصطلاح آخر في الصحيح والحسن ، فجعل الصحيح ما رواه الشيخان أو أحدهما في كتابيهما ، والحسن ما روى غيرهما . وقد اخترع غيره اصطلاحا آخر كالحاكم والخطيب ، فانهما اصطلحا على إطلاق الصحة على جميع ما في سنن أبي داود والنسائي ووافقهما في النسائي جماعة منهم أبو علي النيسابوري وأبو احمد بن عدي والدارقطني اه ملتقطا من فهرست ابن حجر الهيتمي ، وإنما نقلته لئلا يقع الناظر على تصحيح الترمذي ، أو تحسين البغوي فيظن انه من قسم ما صححه إمام من الائمة ، أو تحسين بالمعنى الذي ذكره المصنف وغيره للصحيح ، بل لابد من معرفة اصطلاح الامام الذي قال صحيح أو حسن قبل ذلك اه

وقال في توضيح الافكار بعد ذكر صحيح ابن خزيمة وابن حبان وعلى كل حال فلابد للمتأهل من الاجتهاد والنظر ، ولا يقلد هؤلاء ومن نحا نحوهم ، فكم حكم ابن خزيمة بالصحة لما لا يرتقي عن رتبة الحسن ، بل فيما صححه الترمذي من ذلك جملة مع انه يفرق بين الحسن والصحيح اه ما قاله ابن حجر في فهرسته (قلت) فلا تأخذ مما قاله المصنف والزين وغيرهما حكما كليا اه

وأيضا قال في توضيح الافكار اعلم انه يظهر من كلام المصنف انه يعمل بما حسنه الترمذي وقد عرفت مما سقناه عن الحافظ ابن حجر انه حسن الترمذي أحاديث فيها ضعيف وفيها من رواية المدلسين ومن كثر غلطه وغير ذلك ، فكيف يعمل بتحسينه وهو بهذه الصفة ؟ وقد نقل الحافظ عن الخطيب انه قال أجمع أهل العلم على ان الخبر لا يجب قبوله إلا من العاقل الصدوق المأمون على ما يخبر به ، قال الحافظ أيضا وقد صرح أبو الحسن بن القطان أحد الحفاظ النقاد من أهل المغرب في كتابه (بيان الوهم والايهام) بأن هذا القسم لا يحتج به كله بل يعمل به في فضائل الاعمال ويتوقف عن العمل به في الاحكام إلا إذا كثرت

طرقه أو عضده اتصال عمل أو موافقة شاهد صحيح أو ظاهر القرآن ، وهذا حسن قوي واثق ما أظن منصفاً يأباه دال على أن الحديث إذا وصفه الترمذي بالحسن لا يلزم أن يحتج به ، لانه أخرج حديث خيثمة البصري عن الحسن عن عمران بن حصين وقال بعده هذا حديث حسن وليس اسناده بذاك . وقال في كتاب العلم بعد أن أخرج حديثا في فضل العلم هذا حديث حسن وإنما لم نقل هذا الحديث صحيح لانه يقال ان الاعمش دلس فيه فقال حدثت عن أبي صالح عن أبي هريرة فحكم له بالحسن للتردد الواقع فيه وامتنع عن الحكم عليه بالصحة لذلك لكن في كل من المثالين نظر لاحتمال أن يكون سبب تحسينه لهما انما جاء من وجه آخر كما تقدم تقريره ،ولكن محل بحثنا هنا هل يلزم من الوصف بالحسن الحكم له بالحجة أم لا بل يتوقف ، والقلب إلى ما حرره ابن القطان أميل ، وأيضا قال فيه ثم قال أي الحافظ في نكته على ابن الصلاح انه يدل على أن الحديث إذا وصفه الترمذي بالحسن لا يلزم أن يحتج به ، فانه أخرج حديثا من طريق خيثمة البصري عن الحسن عن عمران بن الحصين وقال بعده هذا حديث حسن، وليس اسناده بذاك، وقد قدمنا ذلك اه وأيضا قال فيه على انه لا يعزب عنك ما أسلفناه فيما صححه أو حسنه من البحث فتذكر اه

ومن أجل ذلك قد رد المنذري في تلخيص سنن أبي داود على الترمذي في غير ما موضع ولم يقبل تصحيحه وتحسينه

فمنه ماقال تحت حديث المغيرة بن شعبة ان رسول الله ﷺ توضأ ومسح على الجوربين والنعلين أخرجه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح وذكر أبو بكر البيهقي حديث المغيرة هذا وقال ذلك حديث منكر ضعفه سفيان الثوري وعبد الرحمن بن مهدي واحمد بن حنبل ويحيي بن معين وعلي بن المديني ومسلم بن الحجاج. وأبو قيس الاودي اسمه عبد الرحمن بن مروان الاودي الكوفي هو وان

كان البخاري قد احتج به فقد قال الامام احمد بن حنبل لايحتج بحديثه ، وسئل عنه ابوحاتم الرازي فقال ليس بقوي هو قليل الحديث وليس بحافظ قيل له كيف حديثه ؟قال هو صالح هو لين الحديث اه

ومنه ماقال تحت حديث علي إن رسول الله ﷺ كان يخرج من الخلاء فيقرئنا القرآن ـ الحديث قال الترمذي حسن صحيح . وذكر أبو بكر البزار انه لا يروى عن علي إلا من حديث عمرو بن مرة عن عبد الله بن سلمة ، وحكى البخاري عن عمرو بن مرة كان عبد الله يعني ابن سلمة يحدثنا فنعرف وننكر وكان لد كبر لايتابع في حديثه. وذكر الامام الشافعي هذا الحديث وقال وإن لم يكن أهل الحديث يثبتونه وذكر الخطابي ان الامام احمد بن حنبل (رض) كان يوهن حديث علي هذا

ومنه ماقال تحت حديث أبي عطية قال كان مالك بن حويرث يأتينا إلى مصلانا هذا فأقيمت الصلاة الحديث قال الترمذي حسن ، وسئل أبو حاتم الرازي عن أبي عطية قال لايعرف ولا يسمى اه

(قلت) قال الترمذي تحت حديث ابي عطية في تعجيل الافطار وأبوعطية اسمه مالك بن أبي عامر الهمداني ويقال مالك بن عامر وهو أصح . هذا آخر كلام الترمذي فقول ابي حاتم لا يسمى يعارضه (١)

ومنه ماقال تحت حديث وائل بن حجر في باب وضع الركبتين قبل يديه قال الترمذي حسن ، قال الدارقطني تفرد به يزيد عن شريك ولم يحدث به عن عاصم بن كليب غير شريك، وشريك ليس بالقوي فيما يتفرد به، وقال أبو بكر البيهقي هذا حديث يعد في افراد شريك القاضي وانما تابعه همام مرسلا هكذا ذكره البخاري وغيره من الحفاظ المتقدمين (قلت) قال الترمذي نفسه تحت

(١) أي يعارض قول الترمذي في تسمية أبي عطية

حديث جابر إن النبي ﷺ توضأ مرة مرة ومرتين مرتين وثلاثا ثلاثا ، قال نعم وشريك كثير الغلط ، وقد استغرب الترمذي حديث علي « أنا دار الحكمة وعلي بابها » وأنكره من جهة تفرد شريك ولم يحسنه

ومنه ماقال تحت حديث « لاجلب ولا جنب » وأخرج الترمذي من حديث الحسن البصري عن عمران بن حصين وقال حديث حسن صحيح

وقد ذكر علي بن المديني وأبو حاتم الرازى وغيرهما من الائمة ان الحسن لم يسمع من عمران بن حصين اه قلت قد حسن الترمذي حديث الحسن عن عمران وصححه في غير ماموضع منه حديث في ميراث الجد ، ومنه حديث في الكي ، ومنه حديث « لا أركب الارجوان ولا ألبس المعصفر » ومنه حديث في الجلب على الخيل في السباق ، ومنه ما قال تحت حديث سعيد بن المسيب عن عتاب بن أسيد قال أمر رسول الله ﷺ أن تخرص العنب كما تخرص النخل . أخرجه الترمذى وقال هذا حديث حسن غريب ، وذكر غير الترمذى انهذا الحديث منقطع وما ذكره ظاهر جداً فان عتاب بن أسيد توفي في اليوم الذى توفي فيه أبو بكر الصديق (رض) ومولد سعيد بن المسيب في خلافة عمر سنة خمس عشرة على المشهور ، وقيل كان مولده بعد ذلك والله عز وجل اعلم

ومنه ماقال تحت حديث أبي سلمة عبد الرحمن بن عوف (رض) قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « قال الله تعالى أنا الرحمن وهي الرحم » وأخرجه الترمذي وقال حديث صحيح وفي تصحيحه نظر ، قال يحي بن معين أبو سلمة ابن عبد الرحمن لم يسمع من أبيه شيئا ، وذكر غيره ان أبا سلمة وأخاه حميداً لم يصح لهما سماع [illegible]

ومنه ماقال تحت حديث ابن عباس (رض) قال : وقت رسول الله ﷺ لاهل المشرق العقيق . وأخرجه الترمذى وقال هذا حديث حسن . هذا اخر

كلامه وفي اسناده يزيد بن أبي زياد وهو ضعيف ، وذكر البيهقي أنه تفرد به

(قلت) وقد صحح الترمذي حديث ابن ابي زياد في مواضع

(منها) حديث علي في المذي وحديث ان النبي ﷺ احتجم وهو صائم وحديث أن العباس دخل على النبي ﷺ مغضبا ، وقد حسن أيضاً حديثه في حديث إنها دخلت العمرة في الحج وفي حديث عبد الله بن عمر في التولي يوم الزحف مع آن يزيد ليس من رجال الحسن فكيف الصحيح ، قال الذهبي يزيد بن أبي زياد الكوفي أحد علماء الكوفة المشاهير المجمع على سوء حفظه ،قال يحي ليس بالقوي وقال أيضاً لايحتج به ، وقال ابن المبارك ارم به ، وقال شعبة كان يزيد بن أبي زياد رفاعا (١) وقال علي بن عاصم قال لي شعبة ماأبالي اذا كتبت عن يزيد بن أبي زياد ان لا أكتبه عن أحد ، وقال وكيع يزيد بن ابي زياد عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله يعني حديث الرايات ليس بشيء ، وقال احمد حديثه ليس بذاك وحديثه عن ابراهيم يعني في الرايات ليس بشيء ، ثم بعد ذكر حديث الرايات ، قال قلت هذا ليس بصحيح .

أما أحسن مارو ى أبو قدامة سمعت أبا أسامة يقول في حديث يزيد عن ابراهيم في الرايات لو حلف عندي خمسين يمينا قسامة ماصدقته أبداً ، أهذا حديث ابراهيم ؟ أهذا مذهب علقمة ؟ أهذا مذهب عبدالله ؟ قال ابن عدي يزيد بن ابي زياد مولى بني هاشم يكنى أبا عبد الله علي بن المنذر ثنا ابن فضيل قال كان يزيد بن ابي زيد من آئمة الشيعة الكبار خرج له مسلم مقرونا بآخر اه

قال المنذري في الترغيب والترهيب يزيد بن ابي زياد الكوفي أحد الاعلام قال يحيى لايحتج به ، وقال مرة ليس بالقوي ووهاه ابن المبارك ، وقال علي بن عاصم قال لي شعبة ماأبالي اذا كتبت عن يزيد بن ابي زياد أن لا أكتبه عن أحد ، وقال أحمد حديثه ليس بذاك وأخرج له مسلم مقرونا وحسن له الترمذي اه

---

(١) أي يرفع الاحاديث الموقوفة كثيراً

قال الحافظ ابن حجر في التقريب يزيد بن أبي زياد الهاشمي مولاهم الكوفي ضعيف كبر فتغير صار يتلقن وكان شيعيا من الخامسة مات سنة ست وثلاثين اه

قال الذهبي في الكاشف يزيد بن أبي زياد الكوفي مولى بني هاشم عن مولاه عبد الله بن الحارث بن نوفل وابن جحيفة وابن ابي ليلى ، وعنه زائدة وابن إدريس شيعي عالم فهيم صدوق رديء الحفظ لين ولم يترك اه

وقال في الخلاصة يزيد بن ابي زياد الهاشمي عن مولاه عبد الله بن الحارث ابن نوفل وأبي جحيفة ، وعنه زائدة بن قدامة وابو عوانة وابن فضيل ، وقال كان من أئمة الشيعة الكبار ، وقال ابن عدي يكتب حديثه ، وقال الحافظ شمس الدين الذهبي هو صدوق رديء الحفظ ، قال مطين مات سنة سبع وثلاثين ومائة روى له مسلم مقرونا اه

ومنه ماقال في حديث ابن عباس (رض) عن النبي ﷺ قال « يلبي المعتمر حتى يستلم الحجر » وأخرجه الترمذي وقال صحيح هذا آخر كلامه وفي اسناده محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى وقد تكلم فيه جماعة من الائمة اه (قلت) قال المنذري في الترغيب والترهيب محمد بن عبد الرحمن بن ابي ليلى الانصاري الكوفي صدوق امام ثقة رديء الحفظ كثيراً كذا قال الجمهور فيه . وقال ابن حبان كان رديء الحفظ فاحش الخطأ فكثر المناكير في حديثه فاستحق الترك تركه أحمد ويحيى كذا قال اه . قال الحافظ في التقريب محمد بن عبد الرحمن ابن أبي ليلى الانصارى الكوفي القاضي أبو عبد الرحمن صدوق سيء الحفظ جداً اه ، وقال في الخلاصة قل أبو حاتم محله الصدق شغل بالقضاء فساء حفظه وقال النسائي ليس بالقوى ، وقل العجلي كان فقيها صاحب سنة جائز الحديث اه وقال الذهبي في الكاشف قال أحمد سيء الحفظ ، وقال أبو حاتم محله الصدق اه

ومنه ماقال تحت حديث واثلة بن الاسقع (رض) في ميراث ابن الملاعنة

قال الترمذي حسن وفي اسناده عمرو بن رؤبة التغلبي قال البخاري فيه نظر ، وسئل عنه أبو حاتم الرازي فقال صالح الحديث قيل تقوم به الحجة ؟ فقال لا ولكن صالح ، وقال الخطابي وهذا الحديث غير ثابت عند أهل النقل ، وقال البيهقي لم يثبت البخاري ولا مسلم هذا الحديث لجهالة بعض رواته اه

ومنه ماقال تحت حديث عائشة رضي الله عنها في تقبيل الميت قال الترمذي حسن صحيح وفي اسناده عاصم بن عبيد الله بن عاصم بن عمر بن الخطاب وقد تكلم فيه غير واحد من الائمة اه

ومنه ماقال تحت حديث أبي صالح عن ابن عباس في زيارة النساء القبور قال الترمذي حديث حسن وفيما قاله نظر فان أبا صالح هذا هو باذام ويقال باذان مولى أم هانيء بنت أبي طالب وهو صاحب الكلبي ، وقد قيل إنه لم يسمع من ابن عباس وقد تكلم فيه جماعة من الائمة ، وقال ابن عدي ولا أعلم أحداً من المتقدمين رضيه ، وقد قيل عن يحيى بن سعيد القطان وغيره بخير أمره ولعله براضيه(١) حجة أو قال هو ثقة اه

وقال الذهبي في الميزان باذام أبو صالح تابعي ضعفه البخاري ، وقال النسائي باذام ليس بثقة ، وقال ابن معين ليس به بأس ، وقال ابن عدي عامة مايرويه تفسير (قلت) روى عن مولاته أم هانيء وأخيها علي وأبي هريرة ، وعنه مالك ابن مغول وسفيان الثوري وابن أخته عمار بن محمد ، وقال يحيى القطان لم أر أحداً من أصحابنا ترك أبا صالح مولى أم هانيء

وقال محمد بن قيس عن حبيب بن أبي ثابت كنا نسمي أبا صالح باذام مولى أم هانيء دروغ زن ، وقال زكريا بن أبي زائدة كان الشعبي يمر بأبي صالح فيأخذ باذنه فيهزها ويقول له ويلك تفسر القرآن وأنت لاتحفظ القرآن ، وقال اسماعيل بن أبي خالد كان أبو صالح يكذب فما سألته عن شيء إلا فسره لي

(١) كذا في الاصل

وروى ابن إدريس عن الاعمش قال كنا نأتي مجاهداً فنمر على أبي صالح وعنده بضعة عشر غلاما ما نرى أن عنده شيئاً ، ابن المديني سمعت يحيي ابن سعيد يذكر عن سفيان قال : قال الكلبي قال لي أبو صالح كلما حدثتك كذب وروى مفضل بن مهلهل عن مغيرة قال انما كان أبو صالح صاحب الكلبي يعلم الصبيين وضعف تفسيره ، وقال ابن معين اذا روى عنه الكلبي فليس بشيء ، وقال عبدالحق في أحكامه ضعيف جداً فأنكر هذه العبارة عليه أبو الحسن بن القطان

ومنه ما قال تحت حديث عبدالله بن مالك عن عقبة بن عامر في باب النذر في المعصية قال الترمذي حديث حسن وفي إسناده عبيد الله بن زحر وقد تكلم فيه غير واحد من الائمة (قلت) قال المنذري في الترغيب والترهيب : عبيد الله ابن زحر قال ابن معين ليس بشيء . وقال ابن حبان : يروي الموضوعات عن الاثبات ، وإذا روى عن علي بن زيد أتى بالطامات ، وإذا اجتمع في إسناد عبيد الله وعلي بن زيد والقاسم بن عبد الرحمن لم يكن ذلك الحديث إلا مما عملت أيديهم . وقال الدارقطني ليس بالقوي اه وقال ابن عدي يقع في أحاديثه ما لا يتابع عليه . كذا في الخلاصة

ومنه ما قال تحت حديث الحسن عن سمرة (رض) في الشفعة قال الترمذي حسن صحيح هذا آخر كلامه وقد تقدم اختلاف الائمة في سماع الحسن عن سمرة والاكثر على انه لم يسمع منه إلا حديث العقيقة اه (قلت) قد حسن الترمذي وصحح حديث الحسن عن سمرة في غير موضع ، منها حديث في الصلاة الوسطى وحديث في السكتتين وحديث في غسل يوم الجمعة وحديث : نهى عن بيع الحيوان بالحيوان نسيئة وحديث «جار الدار أحق بدار الجار» وحديث «لا تلاعنوا بلعنة الله ولا بغضب الله ولا بالنار» فأكثر المحدثين لم يقبلوا تصحيحه في تلك الاحاديث

ومنه ما قال تحت حديث عمر بن حرملة عن ابن عباس في (باب ما يقول إذا

شرب اللبن) قال الترمذي حسن ، وعمر بن حرملة ويقال ابن أبي حرملة سئل عنه أبوزرعة الرازي فقال بصري لا أعرفه إلا في هذا الباب ، وفي إسناده أيضا علي بن زيد بن جدعان أبو الحسن البصري وقد ضعفه جماعة من الأئمة اه

ومنه ما قال تحت حديث ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية (وما كان لنبي أن يغل) الحديث قال الترمذي حسن ، وفي إسناده خصيف وهو ابن عبد الرحمن الجزري وقد تكلم فيه غير واحد

ومنه ما قال في (كتاب الحمام) وأما حديث ابن عباس فأخرجه الترمذي وقال حسن ، وفي إسناده أبو يحيى القتات واسمه عبد الرحمن بن دينار ، وقيل اسمه زاذان وقيل عمران وقيل غير ذلك وقد تكلم فيه غير واحد اه

ومنه ما قال تحت حديث سهل بن معاذ بن أنس في كتاب اللباس ، قال الترمذي حسن ، وسهل بن معاذ بصري ضعيف ، والراوي عنه أبو مرحوم عبد الرحيم بن ميمون بصري أيضا لا يحتج به اه قال الذهبي في الميزان سهل ابن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه ضعفه ابن معين ، وقال ابن حبان في الثقات لست أدري أوقع التخليط منه أو من صاحبه زبان بن فائد

ومنه ما قال تحت حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال مر على النبي ﷺ رجل عليه ثوبان أحمران فسلم الحديث قال الترمذي حسن وفي اسناده أبو يحيى القتات وهو كوفي لا يحتج بحديثه وقال أبو بكر البزار وهذا الحديث لا نعلم يروى بهذا اللفظ إلا عن عبد الله بن عمرو ولا نعلم له طريقا إلا هذه الطريق ولا نعلم رواه عن اسرائيل إلا اسحاق بن منصور اه

ومنه ما قال تحت حديث أبي عبيدة وهو ابن عبد الله بن مسعود عن عبد الله ابن مسعود في باب الامر والنهي قال الترمذي حسن ، وقد تقدم أن أبا عبيدة ابن عبد الله بن مسعود لم يسمع من أبيه فهو منقطع اه قال الحافظ في التقريب والراجح انه لا يصح سماعه من أبيه اه

ومنه ماقال تحت حديث عبدالله بن محيريز عن فضالة بن عبيد في تعليق يد السارق في عنقه . قال الترمذي حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث عمر بن علي المقدمي عن الحجاج بن ارطاة ، قال النسائي الحجاج بن أرطاة ضعيف لا يحتج بحديثه قاله غير واحد من الائمة

ومنه ماقال تحت حديث عبدالله بن سراقة عن أبي عبيدة الجراح فى الدجال قال الترمذي حسن ، وذكر البخاري أن عبدالله بن سراقة لا يعرف له سماع من أبي عبيدة ، ومنه ما قال تحت حديث عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه فى باب الصبي يولد فيؤذن فى أذنه قال الترمذي حسن صحيح وفى إسناده عاصم بن عبيدالله ابن عاصم بن عمر بن الخطاب وقد غمزه الامام مالك ، وقال ابن معين ضعيف لا يحتج بحديثه وتكلم فيه غيرهما ، وانتقد عليه أبوحاتم محمد بن حبان البستي رواية هذا الحديث وغيره اه

قال الحافظ فى التقريب عاصم بن عبد الله بن عاصم بن عمر بن الخطاب العدوي المدني ضعيف من الرابعه اه، قال الذهبي فى الميزان عفان(١) قال كان شعبة يقول عاصم بن عبيدالله لو قلت له من بنى مسجد البصرة ؟ فيقول نا فلان عن فلان أن رسول الله ﷺ بناه ، وقال أبو زرعة وأبوحاتم منكر الحديث ، قال الدارقطنى يترك وهو مغفل ، وقال ابن عدي هو مع ضعفه يكتب حديثه ، وقال العجلي لا بأس به ، وقال ابن خزيمة لا أحتج به اسوء حفظه

ومنه ما قل تحت حديث ابن عباس في اتباع الصيد ، قال الترمذي حسن وفي إسناده أبوموسى عن وهب بن منبه ولا نعرفه ، قال الحافظ أبو احمد الكرابيسي حديثه ليس بالقائم اه ، قال الحافظ في التقريب : أبو موسى عن وهب بن منبه مجهول من السادسة اه

---

(١) قوله عفان الخ كذا فى الاصل وليس هذا فى ترجمة عاصم فى الميزان ولا فى ترجمة من اسمه عفان فلينظر اين هو وما أصله ؟ وكتبه محمد رشيد

ومنه ما قال تحت حديث عامر وهو الشعبي قال أخبرني عروة بن مضرس الطائي قال أتيت رسول الله ﷺ بالموقف يعني بجمع(١) قلت جئت يارسول الله من جبلي طيء الحديث قال الترمذي حسن صحيح هذا آخر كلامه ، وقال علي ابن المديني عروة بن مضرس لم يرو عنه الشعبي والله أعلم اه

(قلت) قد راجعت سنن أبي داود فوجدت فيه من رواية اسماعيل نا عامر أخبرني عروة بن مضرس وراجعت سنن الترمذي فوجدت فيه هكذا عن داود ابن أبي هند واسماعيل بن أبي خالد وزكريا بن أبي زائدة عن الشعبي عن عروة ابن مضرس بن اوس بن حارثة بن لام الطائي اه

ومنه ما قال تحت حديث أبي سعيد في ذكاة الجنين قال الترمذي حديث حسن ، هذا آخر كلامه وفي إسناده مجالد بن سعيد الهمداني وقد تكلم فيه غير واحد اه ومنه ما قال تحت حديث أبي واقد في صيد قطع منه قطعة قال الترمذي حسن وفي إسناده عبد الرحمن بن عبدالله بن دينار المدينى قال يحيى بن معين في حديثه ضعف ، وقال أبو حاتم الرازى لا يحتج به اه قال ابن عدى هو في جملة من يكتب حديثه من الضعفاء كذا في الخلاصة

ومنه ما قال تحت حديث سليمان بن يسار عن سلمة بن صخر البياضي في الظهار قال الترمذى حسن وقال محمد يعنى البخاري سليمان بن يسار لم يسمع عندي من سلمة بن صخر ، وقال البخاري أيضا هو مرسل، سليمان بن يسار لم يدرك سلمة بن صخر

ومنه ما قال تحت حديث قيس بن طلق عن أبيه في السحور أخرجه الترمذي وقال حسن غريب ، وقيس هذا قد تكلم فيه غير واحد من الائمة اه

ومنه ما قال تحت حديث عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه في السواك للصائم

(١) جمع هي مزدلفة

أخرجه الترمذي وقال حسن وفي إسناده عاصم بن عبيد الله وقد تكلم فيه غير واحد اه

ومنه ما قال تحت حديث يونس بن عبيد مولى محمد بن القاسم قال بعثني محمد بن القاسم الى البراء بن عازب اه في باب الرايات والالوية قال الترمذي حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث ابن أبي زائدة هذا آخر كلامه ، وأبو يعقوب الثقفي هذا كوفي ، وقال ابن عدي الجرجاني روى عنه الثقات ما لا يتابع عليه ، وقال أيضاً أحاديثه غير محفوظة اه

قال الذهبي في الميزان: اسحاق بن ابراهيم الثقفي الكوفي عن ابن المنكدر وأبي اسحاق وعنه أبو نعيم وطائفة ، قال ابن عدي روى عن الثقات ما لا يتابع عليه اه

وللترمذي أحاديث أخر صححها أو حسنها وليست بحرية للتصحيح والتحسين (منها) حديث اسماعيل بن عبيد بن رفاعة بن رافع الزرقي عن أبيه عن جده « إن التجار يبعثون فجاراً إلا من اتقى الله وبر » ما علمت روى عنه سوى عبد الله بن عثمان بن خثيم ، ولكن صحح هذا الترمذي قاله الذهبي في الميزان

(ومنها) أن الترمذي حسن حديث جميع بن عمير التيمي وفيه كلام شديد قال الذهبي في الميزان قال ابن حبان رافضي يضع الحديث ، وقال ابن نمير كان من أكذب الناس كان يقول الكراكي تفرخ في السماء ولا يقع فراخها وقال ابن عدي عامة ما يرويه لا يتابع عليه اه ملخصاً

(ومنها) أن الترمذي صحح حديث حفص بن عبد الله عن عمران بن حصين في النهي عن التختم بالذهب وهو حفص الليثي ما علمت روى عنه سوى أبي التياح ففيه جهالة قاله الذهبي في الميزان

(ومنها) احديث حنظلة السدوسي البصري أينحني بعضنا لبعض؟ قال يحيى القطان تركته عمداً كان قد اختلط وضعفه أحمد وقال منكر الحديث يحدث

بأعاجيب ، وقال ابن معين ليس بشيء تغير في آخر عمره ، وقال النسائي ليس بقوي، وقال مرة ضعيف قاله الذهبي في الميزان

(ومنها) حديث « صلاة في مسجد قباء كعمرة » في سنده زياد أبو الابرد عن أسيد بن ظهير وهذا حديث منكر روى عنه عبد الحميد بن جعفر فقط

(ومنها) حديث « الفريعة في العدة » قال الذهبي زينب بنت كعب بن عجرة ماروى عنها سوى سعد بن اسحاق حديث الفريعة في العدة قال ابن حزم مجهولة ، وقال ت(١) حديثها صحيح

(ومنها) حديث ابن مسعود « لاتتخذوا الضيعة فترغبوا في الدنيا » حسنه الترمذي مع أن في سنده سعد بن الاخرم الطائي الكوفي وهو مجهول ذكره الذهبي في الميزان فقال تفرد عنه ولده مغيرة اه

(ومنها) حديث ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ للعباس « اذا كان غداة الاثنين فاتني أنت وولدك » الحديث أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب لانعرفه إلا من هذا الوجه أنكر هذا الحديث على رواية عبد الوهاب ابن عطاء حتى قال ابن معين موضوع كذا في الخلاصة

(ومنها) حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ﷺ « من سبح مائة بالغداة ومائة بالعشي كان كمن حج حجة » الحديث قال الذهبي في الميزان رواه الترمذي عن محمد بن وزير وحسنه فلم يصنع شيئا اه

(ومنها) حديث عثمان في تخليل اللحية فان الترمذي حسنه وصححه مع أن في سنده عامر بن شقيق ضعفه ابن معين ، وقال أبو حاتم ليس بالقوي ، وقال النسائي ليس به بأس كذا في الميزان والراجح فيه الضعف ، قال الحافظ في

(١) أي الترمذي وقوله هو الصواب وقد ذكرها بعضهم في الصحابة كما في تهذيب التهذيب. وكتبه محمد رشيد رضا

التقريب لين الحديث ، وقال أحمد ليس في تخليل اللحية شيء صحيح ، وقال أبو حاتم لا يثبت عن النبي ﷺ في تخليل اللحية شيء

(ومنها) حديث أنس أن النبي ﷺ كان يتوضأ لكل صلاة اه في سنده سلمة بن الفضل الابرش قاضي الري وراوي المغازي عن ابن اسحاق يكنى أبا عبد الله ضعفه ابن راهويه ، وقال خ في حديثه بعض المناكير ، وقال النسائي ضعيف ، وقال ابن المديني ماخرجنا من الري حتى رمينا بحديث سلمة ، وقال أبو حاتم لا يحتج به ، وقال أبو زرعة كان أهل الري لا يرغبون فيه لسوء رأيه وظلم فيه كذا في الميزان، وقال الحافظ في التقريب سلمة بن الفضل الابرش بالمعجمة مولى الانصار قاضي الري صدوق كثير الخطأ اه وفي سنده حميد أيضاً وهو مدلس وقد عنعنه وفيه محمد بن اسحاق وهو أيضاً مدلس وقد عنعنه

هذا كله كلام على تحسين الترمذي وتصحيحه، ولو سلم أن تحسين الترمذي وتصحيحه حقيق بالقبول فلا يقبل تحسينه لحديث عطية بالخصوص لظهور علة قادحة

قال في تنقيح الانظار : اعلم ان التصحيح على ضربين أحدهما أن ينص على صحة الحديث أحد الحفاظ المرضيين المأمونين فقبل ذلك منه للاجماع وغيره من الادلة الدالة على وجوب قبول خبر الآحاد كما ذلك مبين في موضعه إلا أن تظهر علة قادحة في صحة الحديث من فسق في الراوي خفي على من صحح حديثه أو تغفل كثيراً وغير ذلك من المانع من قبول الثقات اه

وقال في توضيح الافكار : حاصله ان قبول خبر العدل بأن الحديث صحيح مقتض للعمل به مالم يعارضه المانع انتهى

ومن موجبات ضعف حديث عطية العوفي أنه قد روي عنه حديثان منكران ضعيفان جداً حتى قيل أنهما موضوعان ورجال سندهما كلهم ثقات غير عطية فهما من بلاياه (أحدهما) ماذكره الذهبي في الميزان في ترجمة الحكم بن فضيل ونصه

ثنا القاسم بن زكريا بن سويد أنبأ الحكم بن فضيل ثنا عطية عن أبي سعيد مرفوعا « اليدان جناح ، والرجلان بريد، والاذنان قمع ، والعينان دليل، واللسان ترجمان ، والطحال ضحك، والرئة نفس، والكليتان مكر ، والكبد رحمة ، والقلب ملك ، فاذا فسد الملك فسد جنوده » قلت وقد وثقه أبو داود وعطية واه . قال الخطيب الحكم بن فضيل واسطي سكن المدائن يكني أبا محمد عن سيار أبي الحكم ويعلى بن عطاء روى عنه عاصم بن علي ومحمد بن أبان الواسطي وقال كان من العباد هذا آخر كلام الذهبي ، فعلم ان ضعف هذا الحديث ليس من قبل الحكم ابن فضيل بل من جهة عطية

(وثانيهما) ماذكره الذهبي أيضاً في الميزان في ترجمة سلام بن سليمان (١) ونصه هكذا أخبرنا عبد الرحمن بن مخلد بن كنانة أخبرنا عبد الصمد بن محمد سنة تسع وستمائة أنا عبد الكريم بن حمزة انا عبد العزيز بن احمد نا تمام نا عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر بن راشد ثنا يزيد بن محمد بن عبد الصمد ثنا سلام بن سليمان ثنا فضيل بن مرزوق عن عطية العوفي عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ « يوم السبت يوم مكر وخديعة ، ويوم الاحد يوم عرس وبناء، ويوم الاثنين يوم سفر ، ويوم الثلاثاء يوم حديد وبأس ، ويوم الاربعاء يوم الاخذ والاعطاء ، ويوم الخميس يوم طلب الحوائج ودخول على السلطان ، ويوم الجمعة يوم خطبة ونكاح » وقال النسائي في الكنى انا العباس بن الوليد ثنا سلام بن سليمان ثقة مدائني وقال ابن عدي سلام بن سليمان عامة ما يرويه حسان إلا انه لايتابع عليه . كذافي الميزان ، فعلم ان هذا البلاء ماجاء من قبل سلام بن سليمان انما جاء من قبل عطية

(١) اي ابن سوار

(والثاني) أن في سنده فضيل بن مرزوق وهو ممن اختلف فيه، قال الذهبي في الميزان قال النسائي ضعيف ، وكذا ضعفه عثمان بن سعيد قلت وكان معروفاً بالتشيع من غير سب، وقال أبو عبد الله الحاكم: فضيل بن مرزوق ليس من شرط الصحيح عيب على مسلم إخراجه في الصحيح ، وقال ابن حبان منكر الحديث جداً كان ممن يخطىء على الثقات ، ويروي عن عطية الموضوعات (قلت) عطية أضعف منه ، قال ابن عدي إنه اذا وافق الثقات يحتج به ، وروى أحمد بن أبي خيثمة عن ابن معين: ضعيف انتهى ملخصاً

وأيضاً قال في الميزان فضيل بن مرزوق الرقاشي هو الاول روى عن عطية وضعف ، وهم من فرّقهما اه ، وقال أبو حاتم صدوق يهم كثيراً يكتب حديثه ولا يحتج به كذا في التهذيب ، وقال الحافظ في التقريب صدوق يهم ورمي بالتشيع اه والقول الراجح فيه ماقاله ابن عدي من أنه اذا وافق الثقات يحتج به ، وفي رواية هذا الحديث لا يعلم أحد تابعه ومن يدعي فعليه البيان

(والثالث) ان في سنده الفضل بن موفق عن مسعر ضعفه أبو حاتم ، كذا في الميزان والترغيب والترهيب للمنذري والكاشف والتلخيص (فان قلت) قد وثقه ابن حبان كما ذكر المنذري في الترغيب والترهيب (قلت) لا اعتداد بتوثيق ابن حبان إذا تفرد به . قال الذهبي في الميزان في ترجمة عمارة بن حديد :ولا تفرح بذكر ابن حبان له بين الثقات فان قاعدته معروفة من الاحتجاج بمن لا يعرفه اه

(والرابع) ان الاشبه أن هذا الحديث موقوف ، قال الذهبي في الميزان في ترجمة عبدالله بن صالح بن مسلم العجلي الكوفي: وله عن فضيل بن مرزوق عن عطية عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال « إذا خرج الرجل من بيته قال اللهم بحق السائلين عليك وبحق ممشاي » خالفه أبو نعيم رواه عن فضيل فما رفعه ، قال أبو حاتم وقفه أشبه اه والموقوف ليس بحجة عند المحققين

(والخامس) ان عطية مدلس وقد عنعنه فلا يقبل (فان قلت) قال الحافظ ابن حجر في تخريج الاذكار في كتاب الصلاة لابي نعيم عن فضيل عن عطية قال حدثني أبو سعيد فذكره لكن لم يرفعه فقد أمن بذلك تدليس عطية العوفي (قلت) لا يحصل الامن من تدليس عطية، فان عطية يكنى محمد بن السائب الكلبي أبا سعيد فكان إذا حدث عنه يقول حدثني أبو سعيد فيوهم انه أبو سعيد الخدري كما تقدم على أن الحديث على ذلك التقدير موقوف لا مرفوع، فاذاً لا أظنك شاكا في الحكم بضعف هذا الحديث، ومن ثم صدر المنذري هذا الحديث في باب الترغيب في المشي إلى المساجد بلفظ «روي» وأهمل الكلام عليه في آخره، وهما عنده دلالتان للاسناد الضعيف كما قال في ديباجة الكتاب، وصرح النووي في الاذكار بضعفه، فبطل قول صاحب الرسالة[1] «بسند صحيح»

* * *

قوله ﴿ وروى الحديث المذكور أيضا ابن السني باسناد صحيح عن بلال (رض) مؤذن رسول الله ﷺ ولفظه كان رسول الله ﷺ إذا خرج الحديث

(أقول) القول بصحة إسناده خطأ بين، وغلط فاحش، فان هذا الحديث أشد ضعفا من حديث أبي سعيد الخدري، قال النووي في الاذكار حديث ضعيف أحد رواته الوازع بن نافع العقيلي وهو متفق على ضعفه، وانه منكر الحديث اهـ قال الحافظ في شرح الاذكار بعد تخريجه من طريق ابن السني بهذا اللفظ هذا حديث واه أخرجه الدارقطني في الافراد من هذا الوجه وقال تفرد به الوازع وهو متفق على ضعفه وانه منكر الحديث، قال الحافظ والقول فيه أشد من ذلك فقال ابن معين والنسائي ليس بثقة، وقال أبو حاتم وجماعة متروك، وقال الحاكم

[1] أي المردود عليه وهو احمد دحلان

روى أحاديث موضوعة ، قال ابن عدي أحاديثه كلها غير محفوظة

قال الحافظ وقد اضطرب في هذا الحديث فأخرجه أبو نعيم في اليوم والليلة من وجه آخر عنه فقال عن سالم بن عمر عن بلال — محل قوله في الطريق الاول — عن نافع عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن جابر بن عبد الله عن بلال ، قال الحافظ ولم يتابع عليه. كذا في الفتوحات الربانية، وفي (كتاب الجرح والتعديل) لابي حاتم الوازع بن نافع العقيلي أصله من المدينة سكن الجزيرة يروي عن سالم بن عبد الله وأبي سلمة بن عبد الرحمن ، روى عنه أهل الجزيرة . وكان ممن يروي الموضوعات عن الثقات على قلة روايته ، ويشبه انه لم يكن المتعمد لذلك ، بل وقع في روايته لكثرة وهمه ، فبطل الاحتجاج به لما انفرد به عن الثقات بما ليس من أحاديثهم

حدثنا الحنبلي قال ثنا احمد بن زهير عن يحي بن معين قال وازع بن نافع ليس بثقة ، ثم نقل عنه أحاديث تكلم في إسناد بعضها بأنه موضوع أو مقلوب اه كذا في الفتوحات الربانية ، وقال الذهبي في الميزان الوازع بن نافع العقيلي الجزيري روى عن أبي سلمة وسالم بن عبد الله وعنه علي بن ثابت وبقية وجماعة قال ابن معين ليس بثقة وقال البخاري منكر الحديث ، وقال النسائي متروك ، وقال ليس بثقة ، قال ابن عدي عامة ما يرويه الوازع غير محفوظ اه ملخصا، وقال الدارقطني في سننه الوازع بن نافع ضعيف الحديث وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: وهو ضعيف ، وقال أيضا وهو متروك ، وقال أيضا وهو مجمع على ضعفه

*
* *

قوله ﷺ ومما جاء عنه ﷺ من التوسل انه كان يقول في بعض أدعيته

بحق نبيك والانبياء الذين من قبلي ـ الى قوله ـ وهذا اللفظ قطعة من حديث

طويل رواه الطبراني في الكبير والاوسط وابن حبان والحاكم وصححوه

أقول قال الهيثمي في مجمع الزوائد: وعن أنس بن مالك قال لما توفيت فاطمة بنت أسد بن هاشم أم علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه دخل عليها رسول الله ﷺ فجلس عند رأسها فقال «رحمك الله يا أمي، كنت أمي بعد أمي تجوعين وتشبعينني، وتعرين وتكسونني، وتمنعين نفسك طيبا وتطعمينني، تريدين بذلك وجه الله والدار الآخرة» ثم أمر ان تغسل ثلاثا ثلاثا فلما بلغ الماء الذي فيه الكافور سكبه رسول الله ﷺ بيده ثم خلع رسول الله ﷺ قميصه فألبسها إياه، وكفنها ببرد فوقه ثم دعا رسول الله ﷺ أسامة بن زيد وأبا ايوب الانصاري وعمر بن الخطاب، وغلاما اسود يحفرون فحفروا قبرها، فلما بلغوا اللحد حفره رسول الله ﷺ بيده وأخرج ترابه بيده، فلما فرغ دخل رسول الله ﷺ فاضطجع فيه ثم قال «الله الذي يحيي ويميت وهو حي لا يموت، اللهم اغفر لي ولامي فاطمة بنت اسد، ولقنها حجتها ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والانبياء الذين من قبلي فانك ارحم الراحمين» وكبر عليها وادخلوا بها اللحد هو والعباس وأبو بكر الصديق (رض) رواه الطبراني في الكبير والاوسط وفيه روح بن صلاح وثقه ابن حبان والحاكم وفيه ضعف، وبقية رجاله رجال الصحيح اهـ

وقال الذهبي في الميزان روح بن صلاح المصري يقال له ابن سبابة، ضعفه ابن عدي يكنى ابا الحارث، وقد ذكره ابن حبان في الثقات، وقال الحاكم ثقة مأمون اهـ فقد علم بذلك ان في سنده روح بن صلاح المصري وهو ضعيف ضعفه ابن عدي وهو داخل في القسم المعتدل من اقسام من تكلم في الرجال كما في فتح المغيث للسخاوي، ولا اعتداد بذكر ابن حبان له في الثقات، فان قاعدته معروفة من الاحتجاج بمن لا يعرف كما في الميزان، وقد تقدم، وكذلك لا اعتداد بتوثيق الحاكم وتصحيحه فانه داخل في القسم المتسمح، قال السخاوي وقسم منهم متسمح كالترمذي والحاكم اهـ قال السيوطي في تدريب الراوي وهو متساهل

فما صححه ولم نجد فيه لغيره من المعتمدين تصحيحاً ولا تضعيفا حكمنا بأنه حسن الا ان تظهر فيه علة توجب ضعفه

قال البدر بن جماعة : والصواب انه يتتبع ويحكم عليه بما يليق بحاله من الحسن او الضعف او الصحة ، ووافقه العراقي وقال ان حكمه عليه بالحسن فقط تحكم قال إلا ان ابن الصلاح قال ذلك بناء على رأيه انه انقطع التصحيح فى هذه الاعصار فليس لاحد ان يصححه فلهذا قطع النظر عن الكشف عليه والعجب من المصنف كيف وافقه هنا مع مخالفته له في المسألة المبني عليها كما سيأتي اه

واعلم ان فى هذا الباب ايضا حديث أبي امامة فيه « أسألك بنور وجهك الذي اشرقت له السموات والارض وبكل حق هو لك وبحق السائلين عليك » رواه الطبراني فى الكبير قال الهيثمي في مجمع الزوائد وفيه فضال بن جبير وهو ضعيف مجمع على ضعفه اه قال الذهبي في الميزان فضالة بن جبير أبو المهند الغداني صاحب أبي أمامة . قال ابن عدي عامة أحاديثه غير محفوظة ، وقال ابن حبان لا يحل الاحتجاج به بحال يروي احاديث لا أصل لها ، وروى الكناني عن أبي حاتم الرازي قال ضعيف الحديث انتهى ملخصاً

وفي الباب حديث أن ابن عباس قال : سألت النبي ﷺ عن الكلمات التي تلقاها آدم من ربه (١) قال « سأل بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين إلا تبت علي فتيب عليه » قال الدارقطني تفرد به عمرو بن ثابت ، وقد قال يحيى إنه لا ثقة ولا مأمون ، وقال ابن حبان يروي الموضوعات كذا في الفوائد المجموعة للشوكاني قال الذهبي في الميزان عمرو بن ثابت أبي المقدام بن هرمز الكوفي يكنى أبا

(١) ان الله تعالى قد بين الكلمات التى تلقاها آدم من ربه فدعا بها هو وحواء بقوله (قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) وهذا أقوى رد للمتن الذى رواه هذا الوضاع المجوسي الاصل من غلاة الرافضة . وكتبه محمد رشيد رضا

ثابت ، قال ابن معين ليس بشيء ، وقال مرة ليس بثقة ولا مأمون ، وقال النسائي متروك الحديث ، وقال ابن حبان يروي الموضوعات ، وقال أبو داود رافضي ، وقال البخاري ليس بالقوي عندهم

وقال هناد كتبت عنه كثيرا فبلغني انه كان عند حبان بن علي فأخبرني من سمعه يقول كفر الناس بعد رسول الله ﷺ إلا أربعة فقيل لحبان ألا تنكر عليه؟ فقال حبان هو جايسنا ولما تكلم عمرو بهذا أخذ يتنادم(١) يعني حبان، وقال ابن المبارك لا تحدثوا عن عمرو بن ثابت فانه كان يسب السلف ، وقال الفلاس سألت عبد الرحمن عن حديث لعمرو بن ثابت فأبى أن يحدث عنه ، وروى معاوية بن صالح عن يحيى قال عمرو بن ثابت لا يكذب في حديثه وفي سؤالات الآجري أبا داود عنه فقال رافضي خبيث ، وقد روى اسماعيل بن أبي خالد وسفيان عنه كذا انتهى ماخصا

قوله (ومن الاحاديث الصحيحة التي جاء التصريح فيها بالتوسل ما رواه الترمذي والنسائي والبيهقي والطبراني باسناد صحيح عن عثمان بن حنيف وهو صحابي مشهور رضي الله تعالى عنه ان رجلا ضريرا أتى النبي ﷺ فقال «ادع الله ان يعافيني» فقال «إن شئت دعوت وإن شئت صبرت وهو خير» قال فادعه فأمره ان يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء « اللهم اني أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي لتقضى اللهم شفعه في » فعاد وقد أبصر الى قوله ففي هذا الحديث التوسل والنداء أيضاً)

(أقول) في سنده ابو جعفر فان كان هو عيسى بن ابي عيسى ماهان ابو جعفر الرازي التميمي كما ظنه الحافظ ابن حجر في التقريب فالأكثرون على ضعفه

(١) كذا في الاصل المطبوع والتنادم تفاعل من المنادمة على الشراب فالظاهر ان اصله يتندم من الندم . وكتبه محمد رشيد رضا

قال الذهبي في الميزان عيسى بن ابي عيسى ماهان الرازي صالح الحديث روى عن الشعبي وعطاء بن ابي رباح وقتادة وجماعة ولد بالبصرة واستوطن الري . روى عنه ابنه عبد الله وابو نعيم وابو احمد الزبيري وعلي بن الجعد وآخرون قال ابن معين ثقة ، وقال احمد والنسائي ليس بالقوي ، وقال ابو حاتم صدوق وقال ابن المديني ثقة كان يخلط ، وقال مرة يكتب حديثه إلا انه يخطيء وقال الفلاس سيء الحفظ وقال ابن حبان ينفرد بالمناكير عن المشاهير وقال ابو زرعة يهم كثيراً . وروى حاتم بن اسماعيل وهاشم ابو النضر وحجاج بن محمد وغيره عن ابي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن ابي العالية عن ابي هريرة أوغيره عن النبي ﷺ حديثاً طويلا في المعراج فيه ألفاظ منكرة اه

وقال الحافظ في التقريب في ترجمة الرازي التميمي ابو جعفر الرازي التميمي مولاهم مشهور بكنيته واسمه عيسى بن ابي عيسى عبد الله بن ماهان وأصله من مرو وكان يتجر إلى الري صدوق سيء الحفظ خصوصاً عن مغيرة من كبار السابعة مات في حدود الستين اه

وقال في الكاشف ابو جعفر الرازي مولى تيم عيسى بن ابي عيسى مروزي يتجر إلى الري عن عطاء وابن المنكدر وعنه ابنه عبد الله وابو احمد الزبيري وعبد الرحمن الفنكي ، قال ابو زرعة يهم كثيراً ، وقال س ليس بالقوي ، ووثقه ابو حاتم اه

وقال في الخلاصة ابو جعفر التميمي مولاهم الرازي اسمه عيسى عن عطاء وعمرو بن دينار وقتادة،وعنه ابو عوانة وشعبة،وقال ابن معين ثقة ، قال الفلاس سيء الحفظ ، قال ابن المديني يخلط عن المغيرة اه

وإن كان أبا جعفر المدني كما في سنن ابن ماجه ولكن النسخة التي رأيت فيها سقيمة جداً فهومجهول لان الذهبي قال في الميزان في ترجمته روى عنه يحيى بن

ابي كثير وحده على ان قول الذهبي هنا يرد هذا الاحتمال فان الراوي عنه في الحديث المتنازع فيه هو شعبة لا يحيى ابن ابي كثير

وأما ما في التقريب من ان أبا جعفر المؤذن الانصاري المدني مقبول من الثالثة ومن زعم انه محمد بن علي بن الحسين فقد وهم انتهى وما في الخلاصة من ان أبا جعفر الانصاري المؤذن المدني عن ابي هريرة ، وعنه يحيى بن ابي كثير حسن الترمذي حديثه اه فلا تقتضي انه ممن يحتج به فان لفظ مقبول من ألفاظ المرتبة السادسة التي يكتب حديثها للاعتبار لا الاحتجاج بها وتحسين الترمذي لا يغني عنك شيئاً لما قد عرفت فيما تقدم من الكلام فيه. على انه لا يعرف رواية شعبة عن ابي جعفر المدني هذا ولا رواية ابي جعفر هذا عن عمارة بن خزيمة

وإن كان رجلا آخر فلا بد من تعيينه حتى ينظر فيه . فان قلت قال الترمذي حديث حسن صحيح ورواه ابن خزيمة في صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرط البخاري ومسلم كذا في الترغيب والترهيب للمنذري (قلت) قد عرفت ما في تصحيح الترمذي والحاكم من التساهل ، وأما رواية ابن خزيمة في صحيحه فلا تقتضي الصحة مطلقاً .

قال في توضيح الافكار ونقل العماد بن كثير أيضاً ان ابن حبان وابن خزيمة التزما الصحة وهما خير من المستدرك بكثير وأنظف اسنادا ومتونا وعلى كل حال فلا بد للمتأهل من الاجتهاد والنظر ولا تقلد هؤلاء ومن نحا نحوهم وكم حكم ابن خزيمة بالصحة لما لا يرتقي عن رتبة الحسن ، بل فيما صححه الترمذي من ذلك جملة مع انه يفرق بين الحسن والصحيح اه ، قلت فلا تأخذ ما قاله المصنف والزين وغيرهما مما ذكروه حكما كليا اه

قوله (وليس بمنكر التوسل أن يقول إن هذا انما كان في حياة النبي ﷺ

لان قوله ذلك غير مقبول لان هذا الدعاء استعمله الصحابة (رض) وانه يعوت

أيضاً بعد وفاته ﷺ لقضاء حوائجهم فقد روى الطبراني والبيهقي ان رجلا كان يختلف الى عثمان بن عفان في زمن خلافته في حاجة فكان لا يلتفت اليه ولا ينظر اليه في حاجته فشكا ذلك لعثمان بن حنيف الراوي للحديث المذكور فقال ائت الميضأة فتوضأ ثم ائت المسجد فصل ثم قل اللهم اني أسألك بنبينا محمد نبي الرحمة يا محمد إني أتوجه بك الى ربك لتقضي حاجتي، وتذكر حاجتك» الى قوله فهذا توسل ونداء بعد وفاته ﷺ)

أقول : هذا الحديث قال الطبراني عقبه والحديث صحيح بعد ذكر طرقه التي روي بها كذا في مجمع الزوائد والترغيب والترهيب للمنذري ولكن في سنده روح بن صلاح وقد ضعفه ابن عدي كما تقدم

قوله (وروى البيهقي وابن أبي شيبة باسناد صحيح ان الناس أصابهم قحط في خلافة عمر (رض) فجاء بلال بن الحارث (رض) وكان من أصحاب النبي ﷺ الى قبر النبي ﷺ وقال يارسول الله استسق لامتك فانهم هلكوا فأتاه رسول الله ﷺ في المنام وأخبره أنهم يسقون)

أقول : قال الحافظ في الفتح وروى ابن ابي شيبة باسناد صحيح من رواية أبي صالح السمان عن مالك الداري وكان خزن عمر (رض) قال أصاب الناس قحط في زمن عمر (رض) فجاء رجل الى قبر النبي ﷺ فقال يارسول الله استسق لأمتك فانهم قد هلكوا فأتي الرجل في المنام فقيل له ائت عمر الحديث . وقد روى سيف في الفتوح ان الذي رأى المنام المذكور هو بلال بن الحارث المزني أحد الصحابة انتهى . فعلم ان ماروي باسناد صحيح ليس فيه ان الجائي أحد الصحابة وما فيه ان الجائي أحد الصحابة ضعيف غاية الضعف

قال الذهبي في الميزان سيف بن عمر الضبي الاسدي ويقال التميمي البرجمي

ويقال السعدي الكوفي مصنف الفتوح والردة وغير ذلك هو كالواقدي يروي عن هشام بن عروة وعبيد الله بن عمر وجابر الجعفي وخلق كثير من المجهولين كان اخباريا عارفا روى عنه عبادة بن المغلس وابو معمر القطيعي والنضر بن حماد العتكي وجماعة ، قال عباس عن يحيي ضعيف، وروى مطين عن يحيي فُليس خير منه ، قال ابو داود ليس بشيء ، وقال ابو حاتم متروك ، وقال ابن حبان اتهم بالزندقة ، وقال ابن عدي عامة حديثه منكر مكحول البيروتي سمعت جعفر ابن أبان سمعت ابن نمير يقول سيف الضبي تميمي كان جميع يقول حدثني رجل من بني تميم كان سيف يضع الحديث وقد اتهم بالزندقة انتهى ملخصاً

قال الحافظ في التقريب سيف بن عمر التميمي صاحب الردة ويقال له الضبي ويقال غير ذلك الكوفي ضعيف في الحديث عمدة في الاخبار أفحش ابن حبان القول فيه اهـ ، وقال الذهبي في الكاشف قال ابن معين وغيره ضعيف

وقال في الخلاصة سيف بن عمر الاسدي الكوفي صاحب الردة عن جابر الجعفي وابي الزبير وعنه محمد بن عيسى الطباع وابو معمر الهذلي ضعفوه اهـ

قوله ﷺ وحديث توسل آدم عليه السلام بالنبي ﷺ رواه البيهقي باسناد صحيح في كتابه المسمى «دلائل النبوة» الذي قال فيه الحافظ الذهبي : عليك به فانه كله هدى ونور، فرواه عن عمر بن الخطاب (رض) قال قال رسول الله ﷺ « لما اقترف آدم الخطيئة قال يارب أسألك بحق محمد إلا ماغفرت لي - إلى قوله - رواه الحاكم وصححه والطبراني

أقول : العجب من المؤلف انه ينقل من الذهبي ما قال في وصف (كتاب دلائل النبوة) ولم يذكر ما قال في حق هذا الحديث بالخصوص . قال الذهبي في الميزان :عبد الله بن مسلم أبو الحارث الفهري عن اسماعيل بن مسلمة بن قعنب



عن عبد الرحمن بن زيد بن اسلم خبراً باطلا فيه «يا آدم لولا محمد ماخلقتك» رواه البيهقي في دلائل النبوة . قال في مجمع الزوائد : رواه الطبراني في الاوسط والصغير وفيه من لم اعرفهم اه

قال في الصارم المنكي : واني لأتعجب منه كيف قلد الحاكم فيما صححه من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم الذي رواه في التوسل وفيه قول الله لآدم « ولولا محمد ماخلقتك» مع انه حديث غير صحيح ولا ثابت بل هو حديث ضعيف الاسناد جداً وقد حكم عليه بعض الائمة بالوضع ، وليس اسناده من الحاكم إلى عبد الرحمن بن زيد بصحيح بل هو مفتعل على عبد الرحمن كما سنبينه ، ولو كان صحيحاً الى عبد الرحمن لكان ضعيفا غير محتج به ،لان عبد الرحمن في طريقه ، وقد أخطأ الحاكم في تصحيحه وتناقض تناقضاً فاحشاً كما عرف له ذلك في موضع فانه قال في كتاب الضعفاء بعد أن ذكر عبد الرحمن منهم ، وقال ماحكينه عنه فيما تقدم انه روى عن أبيه أحاديث موضوعة لايخفى على من تأملها من أهل الصنعة ان الحمل فيها عليه . قال في آخر هذا الكتاب فهؤلاء الذين قدمت ذكرهم قد ظهر عندي جرحهم لان الجرح لايثبت إلا ببينة، فهم الذين أبين جرحهم لمن طالبني به فان الجرح لا أستحله تقليداً ، والذي أختاره لصاحب هذا الشأن أن لا يكتب حديث واحد من هؤلاء الذين سميتهم ، فالراوي لحديثهم داخل في قوله ﷺ «من حدث بحديث وهو يرى انه كذب فهو أحد الكاذبين » هذا كله كلام الحاكم أبي عبدالله صاحب المستدرك ، وهو متضمن ان عبد الرحمن بن زيد قد ظهر له جرحه بالدليل ، وان الراوي لحديثه داخل في قوله ﷺ «من حدث بحديث وهو يرى انه كذب فهو أحد الكاذبين »

ثم انه رحمه الله لما جمع المستدرك على الشيخين ذكر فيه من الاحاديث الضعيفة والمنكرة ، بل والموضوعة جملة كثيرة ، وروى فيه لجماعة من المجروحين الذين

ذكرهم في كتابه في الضعفاء ، وذكر انه تبين له جرحهم ، وقد أنكر عليه غير واحد من الائمة هذا الفعل ، وذكر بعضهم انه حصل له تغير وغفلة في آخر عمره فلذلك وقع منه ماوقع ، وليس ذلك ببعيد

ومن جملة ما اخرجه في المستدرك حديث لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم في هذا الكتاب في التوسل قال بعد روايته هذا حديث صحيح الاسناد، وهو أول حديث ذكرته لعبد الرحمن بن زيد بن اسلم في هذا الكتاب . فانظر إلى ما وقع للحاكم في هذا الموضع من الخطأ العظيم ، والتناقض الفاحش

ثم ان هذا المعترض المخذول[1] عمد الى هذا الذي أخطأ فيه الحاكم وتناقض فقلده فيه، واعتمد عليه ، وأخذ في التشنيع على من خالفه ، فقال والحديث المذكور لم يقف ابن تيمية عليه بهذا الاسناد ولا بلغه ان الحاكم صححه (٢) ولو بلغه ان الحاكم صححه لما قال ذلك ـ يعني انه كذب ـ ولتعرض للجواب عنه . قال وكأني به إن بلغه بعد ذلك يطعن في عبد الرحمن بن زيد بن أسلم راوي الحديث ، ونحن نقول قد اعتمدنا في تصحيحه على الحاكم ، وذكر قبل ذلك بقليل انه مما تبين له صحته ، فانظر رحمك الله الى هذا الخذلان البين، والخطأ الفاحش كيف جاء هذا المعترض الى حديث غير صحيح ولا ثابت بل هو حديث موضوع فصححه ، واعتمد عليه ، وقلد في ذلك الحاكم مع ظهور خطأه وتناقضه ، ومع معرفة هذا المعترض لضعف راويه وجرحه ، واطلاعه على الكلام المشهور فيه ، وأخذ مع هذا في التشنيع على من رد هذا الحديث المنكر ولم يقبله، ويبالغ في تخطئته وتضليله ، وليس المقصود هنا الكلام على ضعف هذا الحديث ، ومناقشة المعترض

---

(١) اي السبكي (٢) زاد في شفاء السقام هنا ما نصه : فانه قال أعني ابن تيمية : أما ماذكره في قصة آدم من توسله فليس له أصل ولا نقله أحد عن النبي (ص) باسناد يصلح للاعتماد عليه ولا الاعتبار ولا الاستشهاد ثم ادعى ابن تيمية أنه كذب وأطال الكلام في ذلك جدا بما لا حاصل تحته بالوهم والتخرص اهـ

على ماوقع منه من الكلام عليه بغير علم ، وإنما أشرنا إلى ذلك إشارة لما أخذ المعترض يقوي أمر عبدالرحمن بن زيد عند ذكر الحديث المروي عنه في الزيارة اه

قال الترمذي في جامعه تحت حديث ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ « ثلاث لا يفطرن الصائم الحجامة والقيء والاحتلام » وعبدالرحمن بن زيد بن اسلم يضعف في الحديث . سمعت أبا داود السجزي يقول سألت احمد ابن حنبل عن عبدالرحمن بن زيد بن اسلم فقال أخوه عبدالله بن زيد لا بأس به، وسمعت محمداً يذكر عن علي بن عبدالله قال عبد الله بن زيد بن أسلم ثقة ، وعبدالرحمن بن زيد بن أسلم ضعيف قال محمد(١) ولا اروي عنه شيئا اه قال السيوطي في مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا حديث ان آدم قال عند معصيته الحديث البيهقي والطبراني من حديث عمر (رض) بسند ضعيف اه

قوله «وإلى هذا التوسل أشار الامام مالك (رض) الخليفة المنصور ، وذلك انه لما حج المنصور وزار قبر النبي ﷺ سأل الامام مالكا (رض) وهو بالمسجد النبوي فقال لمالك يا أبا عبدالله أستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله ﷺ؟ فقال له الامام مالك : ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام الى الله تعالى يوم القيامة؟ بل استقبله واستشفع به يشفعه الله فيك. قال الله تعالى (ولو انهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما) ذكره القاضي عياض في الشفاء وساقه باسناد صحيح

أقول : قال في الصارم المنكي وهذه الحكاية التي ذكرها القاضي عياض ورواها باسناده عن مالك ليست بصحيحة عنه ، وقد ذكر المعترض في موضع من كتابه ان إسنادها إسناد جيد ، وهو مخطيء في هذا القول خطأ فاحشا ، بل

(١) اي البخاري

إسناد ليس بجيد بل إسناد مظلم منقطع ، وهو مستمل على من يتهم بالكذب وعلى من يجهل حاله — وابن حميد هو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف كثير المناكير غير محتج بروايته ولم يسمع من مالك شيئاً ولم يلقه ، بل روايته عنه منقطعة غير متصلة وقد ظن المعترض انه أبو سفيان محمد بن حميد المعمري أحد الثقات المخرج لهم في صحيح مسلم . قال فان الخطيب ذكره في الرواة عن مالك ، وقد أخطأ فيما ظنه خطأ فاحشاً ، ووهم وهماً قبيحاً ، فان محمد بن حميد المعمري رجل متقدم لم يدركه يعقوب بن اسحاق بن أبي اسرائيل راوي الحكاية عن ابن حميد بل بينهما مفازة بعيدة . وقد روى المعمري عن هشام بن حسان ومعمر والثوري وتوفي سنة اثنتين وثمانين ومائة قبل أن يولد يعقوب بن اسحاق بن أبي اسرائيل . وأما محمد بن حميد الرازي فانه في طبقة الرواة عن المعمري كأبي خيثمة وابن نمير وعمرو الناقد وغيرهم وكانت وفاته سنة ثمان وأربعين ومائتين ، فرواية يعقوب بن اسحاق عنه ممكنة ، بخلاف روايته عن المعمري فانها غير ممكنة ، وقد تكلم في محمد ابن حميد الرازي — وهو الذي رويت عنه هذه الحكاية — غير واحد من الائمة ونسبه بعضهم إلى الكذب . قال يعقوب بن شيبة السدوسي محمد بن حميد الرازي كثير المناكير . وقال البخاري حديثه فيه نظر ، وقال النسائي ليس بثقة ، وقال ابراهيم بن يعقوب الجوزجاني رديء المذهب غير ثقة

وقال فضلك الرازي عندي عن ابن حميد خمسون ألف حديث لا أحدث عنه بحرف وقال ابو العباس احمد بن محمد الازهري سمعت اسحاق بن منصور يقول أشهد على محمد بن حميد وعبد بن اسحاق العطار بين يدي الله أنهما كذابان

وقال صالح بن محمد الحافظ كان كل ما بلغه من حديث سفيان يحيله على مهران وما بلغه من حديث منصور يحيله على عمرو بن قيس وما بلغه من حديث الاعمش يحيله على مثل هؤلاء وعلى عنبسة ثم قال كل شيء كان يحدثنا ابن حميد كنا نتهمه فيه

وقال في موضع آخر : كان أحاديثه تزيد وما رأيت أحدا أجرأ على الله منه وكان يأخذ أحاديث الناس فيقلب بعضها على بعض .

وقال في موضع آخر ما رأيت أحدا أحذق بالكذب من رجلين سليمان الشاذكوني ومحمد بن حميد الرازي كان يحفظ حديثه كله وكان حديثه كل يوم يزيد ، وقال ابو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد الكريم الرازي ابن أخي أبي زرعة سألت أبا زرعة عن محمد بن حميد فأومأ بأصبعه إلى فمه فقلت له كان يكذب ؟ فقال برأسه نعم ، فقلت له قد شاخ لعله كان يعمل عليه ويدلس عليه ؟ فقال لا يابني كان يتعمد

وقال ابو حاتم الرازي حضرت محمد بن حميد وحضره عون بن جرير فجعل ابن حميد يحدث بحديث عن جرير فيه شعر فقال عون ليس هذا الشعر في الحديث انما هو من كلام أبي فتغافل ابن حميد فمر فيه

وقال ابو نعيم عبد الملك بن محمد بن عدي سمعت ابا حاتم محمد بن ادريس الرازي في منزله وعنده عبد الرحمن بن يوسف بن خراش وجماعة من مشايخ أهل الري وحفاظهم للحديث فذكروا ابن حميد فأجمعوا على انه ضعيف في الحديث جدا وانه يحدث بما لم يسمعه وانه يأخذ أحاديث لاهل البصرة والكوفة فيحدث بها عن الرازيين .

وقال ابو العباس بن سعيد سمعت داود بن يحيي يقول حدثنا عنه — يعني محمد بن حميد — ابو حاتم قديما ثم تركه بآخرة قال سمعت عبد الرحمن بن يوسف ابن خراش يقول حدثنا ابن حميد وكان والله يكذب . وقال أبو حاتم بن حبان البستي في كتاب الضعفاء : محمد بن حميد الرازي ، كنيته أبو عبدالله يروي عن ابن المبارك وجرير ثنا عنه شيوخنا ، مات سنة ثمان وأربعين ومائتين ، كان ممن ينفرد عن الثقات بالاشياء المقلوبات ، ولاسيما إذا حدث عن شيوخ بلده ، سمعت ابراهيم بن

عبدالواحد البغدادي يقول قال صالح بن احمد بن حنبل : كنت يوما عند أبي إذ دق عليه الباب فخرجت فاذا أبوزرعة ومحمد بن مسلم بن وارة يستأذنان على الشيخ فدخلت وأخبرته فأذن لهم فدخلوا وسلموا عليه ، فأما ابن وارة فباس يده فلم ينكر عليه ذلك، وأما ابوزرعة فصافحه،فتحدثوا ساعة فقال ابن وارة ياأباعبدالله ان رأيت تذكر حديث أبي القاسم بن أبي الزناد ، فقال نعم حدثنا أبو القاسم ابن ابي الزناد عن إسحاق بن حازم عن ابن مقسم «يعني عبيدالله» عن جابر بن عبدالله ان النبي ﷺ سئل عن ماء البحر فقال «هو الطهور ماؤه،الحلال ميتته» وقام فقالوا ماله ؟ قلنا شك في شيء ، ثم خرج والكتاب بيده ، فقال في كتابه «ميته» بتاء واحدة والناس يقولون «ميتته» ثم تحدثوا ساعة فقال له ابن وارة : يا أبا عبدالله رأيت محمد بن حميد ؟ قال نعم ،قال كيف رأيت حديثه ؟ قال إذا حدث عن العراقيين يأتي بأشياء مستقيمة ، وإذا حدث عن أهل بلده مثل ابراهيم ابن المختار وغيره أتى بأشياء لا تعرف لايدري ماهي . قال فقال أبو زرعة وابن وارة صح عندنا انه يكذب . قال فرأيت أبي بعد ذلك إذا ذكر ابن حميد نفض يده

وقال العقيلي في كتاب الضعفاء : حدثني ابراهيم بن يوسف قال كتب أبوزرعة ومحمد بن مسلم عن محمد بن حميد حديثا كثيراً ثم تركا الرواية عنه . وقال الحاكم أبواحمد في كتاب الكنى :أبوعبدالله محمد بن حميد الرازي ليس بالقوي عندهم تركه أبوعبد الله محمد بن يحيي الذهلي وأبو بكر محمد بن اسحاق بن خزيمة

فاذا كانت هذه حال محمد بن حميد الرازي عند أئمة هذا الشأن ، فكيف يقال في حكاية رواها منقطعة ان اسنادها إسناد جيد ؟ مع أن في طريقها اليه من ليس بمعروف . وقد قال المعترض بعد أن ذكر هذه الحكاية وتكلم على رواتها: فانظر هذه الحكاية وثقة رواتها ، وموافقتها لما رواه ابن وهب عن مالك .هكذا

قال، والذي حمله على ارتكاب هذه السقطة قلة علمه وارتكاب هواه، نسأل الله التوفيق والذي ينبغي أن يقال فانظر هذه الحكاية وضعفها وانقطاعها ونكارتها، وجهالة بعض رواتها ونسبة بعضهم إلى الكذب، ومخالفتها الثابت عن مالك وغيره من العلماء اه

وقال الذهبي في الميزان : محمد بن حميد الرازي الحافظ عن يعقوب القمي وابن المبارك من بحور العلم وهو ضعيف . قال يعقوب بن شيبة كثير المناكير وقال البخاري فيه نظر وكذبه أبو زرعة . وقال فضلك الرازي عند ابن حميد خمسون الف حديث ولا احدث عنه بحرف . وروى محمد بن شاذان عن اسحاق الكوسج قال قرأ علينا ابن حميد كتاب المغازي عن سلمة فقلت له قرأه عليه ابن حميد يعني عن سلمة فتعجب علي وقال سمعه محمد بن حميد مني ، وعن الكوسج قال أشهد انه كذاب ، وقال صالح جزرة كنا نتهم ابن حميد في كل شيء يحدثنا ما رأيت أجرأ على الله منه ، كان يأخذ أحاديث الناس فيقلب بعضها على بعض وقال ابن خراش حدثنا ابن حميد وكان والله يكذب ، وجاء عن غير واحد كان يسرق الحديث ، وقال النسائي ليس بثقة ، وقال صالح جزرة ما رأيت أحذق بالكذب من ابن حميد ومن ابن الشاذكوني

وقال أبو علي النيسابوري قلت لابن خزيمة لو حدث الاستاذ عن ابن حميد فان احمد بن حنبل قد احسن الثناء عليه قال انه لم يعرفه ولو عرفه كما عرفناه لما أثنى عليه اصلا وقال ابو احمد العسال سمعت فضلك الرازي يقول دخلت على محمد بن حميد وهو يركب الاسانيد على المتون

(قلت) ولم يكن يحفظ القرآن فقد قال محمد بن جرير الطبري فيما صح عنه قال قرأ علينا محمد بن حميد الرازى (ليثبتوك أو يقتلوك او يخرجوك) وقال أبو بكر الصنعاني ثنا محمد بن حميد فقيل له أتحدث عنه ؟ فقال وما لي لا أحدث عنه وقد حدث عنه احمد بن حنبل وابن معين وقال ابو زرعة من فاته محمد بن حميد

يحتاج أن يترك في عشرة آلاف حديث ومن آخر أصحاب ابن حميد ابو القاسم البغوي وابن جرير الطبري مات سنة ثمان وأربعين ومائتين اه

* * *

قوله ﴿وقال بعض المفسرين في قوله تعالى (فتلقى آدم من ربه كلمات) ان من جملة تلك الكلمات توسل آدم بالنبي ﷺ حين قال يارب أسألك بحرمة محمد إلا ما غفرت لي﴾

أقول قد عرفت فيما تقدم ان هذه الرواية ليست صالحة لان يحتج بها على حكم من أحكام الشريعة

قوله ﴿ واستسقى عمر بن الخطاب (رض) في زمن خلافته بالعباس بن عبد المطلب (رض) عم النبي ﷺ ﴾

أقول هذا الحديث مما لا شك في صحته ولكنه بمعزل عما نتكلم فيه فان الكلام في التوسل بالاموات وهذا التوسل بدعاء الاحياء وهو مما لا نزاع فيه قال في الصارم وقد أجدب الناس على عهد عمر بن الخطاب (رض) فاستسقى بالعباس (رض) ففي صحيح البخاري عن انس (رض) ان عمر استسقى بالعباس (رض) وقال «اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون» فاستسقوا به كما كانوا يستسقون بالنبي ﷺ في حياته وهم انما كانوا يتوسلون بدعائه وشفاعته لهم فيدعو لهم ويدعون معه كالامام والمأمومين من غير أن يكونوا يقسمون على الله بمخلوق كما ليس لهم أن يقسم بعضهم على بعض بمخلوق ولما مات ﷺ توسلوا بدعاء العباس واستسقوا به اه

قال الحافظ في الفتح وقد بين الزبير بن بكار في الانساب صفة مادعا به العباس في هذه الواقعة والوقت الذي وقع فيه ذلك فأخرج باسناد له ان العباس لما استسقى به عمر قال اللهم انه لم ينزل بلاء الا بذنب ولم يكشف الا بتوبة وقد توجه

القوم بي اليك لمكاني من نبيك وهذه أيدينا اليك بالذنوب ونواصينا اليك بالتوبة فاسقنا الغيث، فأرخت السماء مثل الجبال حتى أخصبت الارض وعاش الناس اه

قوله ﴿ وفعل عمر رضي الله تعالى عنه حجة لقوله ﷺ «ان الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه» رواه الامام احمد والترمذي عن ابن عمر (رض) ﴾

أقول فيه كلام من وجوه (الاول) ان في سنده خارجة بن عبد الله الانصاري، وهو ضعيف ضعفه احمد، قال الذهبي في الكاشف خارجة بن عبد الله بن سليمان بن زيد بن ثابت عن ابيه ونافع وعنه معن والقعنبي ضعفه أحمد توفي سنة ١٦٥ اه وقال الحافظ في التقريب صدوق له اوهام من السابعة مات سنة خمس وستين (١) اه

(والثاني) ان جعل الحق على لسان عمر وقلبه لا يستلزم كون فعله (رض) حجة ومن يدعيه فعليه البيان

(والثالث) ان المقصود ان الله تعالى أجرى الحق على لسان عمر (رض) في وقائع كما قال ابن عمر راوي الحديث مانزل بالناس أمر قط فقالوا فيه وقال فيه عمر إلا نزل فيه القرآن على نحو ماقال عمر، ويقويه الحديث المتفق عليه عن أنس وابن عمر ان عمر قال وافقت ربي في ثلاث، قلت يارسول الله لو اتخذنا من مقام ابراهيم مصلى فنزلت (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) وقلت يارسول الله يدخل على نسائك البر والفاجر فلو أمرتهن يحتجبن فنزلت آية الحجاب، واجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة، فقلت عسى ربه ان طلقكن ان يبدله أزواجا خيراً منكن، فنزلت كذلك. وفي رواية لابن عمر قال: قال عمر وافقت ربي في ثلاث: في مقام ابراهيم وفي الحجاب وفي أسارى بدر

قال الحافظ في الفتح قوله وافقت ربي في ثلاث اه أي وقائع والمعنى وافقني

(١) أي بعد المائة

ربي فأنزل القرآن على وفق ما رأيت لكن لرعاية الادب أسند الموافقة الى نفسه أو أشار إلى حدث رأيه وقدم الحكم وليس في تخصيصه العدد بالثلاث ماينفي الزيادة عليها لانه حصلت له الموافقة في أشياء غير هذه من مشهورها قصة أسارى بدر وقصة الصلاة على المنافقين وهما في الصحيح

وصحح الترمذي من حديث ابن عمر أنه قال: مانزل بالناس أمر قط فقالوا فيه وقال فيه عمر أوقال ابن الخطاب فيه ﴿شك خارجة﴾ إلا نزل القرآن فيه على نحو ماقال عمر ، وهذا دال على كثرة موافقته ، وأكثر ماوقفنا منها بالتعيين على خمسة عشر لكن ذلك بحسب المنقول اه

وجملة القول ان هذا الحديث على تقدير ثبوته ليس معناه إلا ماروي في الصحيح عن أبي هريرة (رض) قال : قال رسول الله ﷺ « لقد كان فيما قبلكم من الامم محدثون فان يكن في أمتي أحد فانه عمر » وفي رواية « لقد كان فيمن كان قبلكم من بني اسرائيل رجال يكلمون من غير أن يكونوا أنبياء فان يكن في أمتي منهم أحد فعمر »

قال الحافظ في الفتح قوله محدثون اه بفتح الدال جمع محدث واختلف في تأويله فقيل ملهم قاله الاكثر قالوا المحدث بالفتح هو الرجل الصادق الظن وهو من ألقي في روعه شيء من قبل الملأ الاعلى فيكون كالذي حدثه غيره به وبهذا جزم ابو احمد العسكري ، وقيل من يجري الصواب على لسانه من غير قصد ، وقيل مكلم أي تكلمه الملائكة بغير نبوة وهذا ورد من حديث ابي سعيد الخدري مرفوعا ولفظه قيل يارسول الله وكيف يحدث ؟ قال « تتكلم الملائكة على لسانه » رويناه في فوائد الجوهري ، وحكاه القابسي وآخرون ، ويؤيده ماثبت في الرواية المعلقة ويحتمل رده إلى المعنى الاول اي تكلمه في نفسه وان لم ير مكلما في الحقيقة فيرجع الى الالهام وفسره ابن التين بالتفرس ووقع في

مسند الحميدي عقب حديث عائشة المحدث الملهم بالصواب الذي يلقى على فيه

وعند مسلم من رواية ابن وهب ملهمون وهي الاصابة بغير نبوة ، وفي رواية الترمذي عن بعض أصحاب ابن عيينة محدثون يعني مفهمون

وفي رواية الاسماعيلي قال ابراهيم يعني ابن سعد رواية قوله محدث اي يلقى في روعه اهو يؤيده حديث « إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه» أخرجه الترمذي من حديث ابن عمر واحمد من حديث ابي هريرة والطبراني من حديث بلال وأخرجه في الاوسط من حديث معاوية وفي حديث ابي ذر عند احمد وابي داود يقول به بدل قوله وقلبه ، وصححه الحاكم وكذا أخرجه الطبراني في الاوسط من حديث عمر نفسه اه

وأيضاً قال في الفتح : وقوله « وإن يك في أمتي » قيل لم يورد هذا القول مورد التردد فان أمته أفضل الامم ، واذا ثبت ان ذلك وجد في غيرهم كان وجوده فيهم أولى ، وانما أورد مورد التأكيد كما تقول الرجل إن يكن لي صديق فانه فلان يريد اختصاصه بكمال الصداقة لا نفي الاصدقاء ونحوه قول الاجير إن كنت عملت لك توفني حقي وكلاهما عالم لكن مراد القائل إن تأخير حقي عمل من عنده شك في كوني عملت ، وقيل الحكمة فيه ان وجودهم في بني اسرائيل قد تحقق وقوعه وسبب ذلك احتياجهم حيث لا يكون حينئذ فيهم نبي واحتمل عنده ﷺ ان لا تحتاج هذه الامة إلى ذلك لاستغنائها بالقرآن عن حدوث نبي وقد وقع الامر كذلك حتى ان المحدث منهم اذا تحقق وجوده لا يحكم بما وقع له بل لابد له من عرضه على القرآن فان وافقه أو وافق السنة عمل به وإلا تركه وهذا وإن جاز أن يقع لكنه نادر ممن يكون أمره منهم مبنياً على اتباع الكتاب والسنة وتمحضت الحكمة في وجودهم وكثرتهم بعد العصر الاول في زيادة شرف هذه الامة لوجود أمثالهم فيها ، وقد تكون الحكمة في تكثيرهم

مضاهاة بنى اسرائيل في كثرة الانبياء فيهم ، فلما فات هذه الامة كثرة الانبياء فيها لكون نبيها خاتم الانبياء عوضوا بكثرة الملهمين اه

وأيضاً قال فيه والسبب في تخصيص عمر بالذكر لكثرة ماوقع له في زمن النبي ﷺ من الموافقات التي نزل القرآن مطابقا لها ووقع له بعد النبي ﷺ عدة اصابات انتهى

اذا عرفت هذا فقد علمت ان معنى ماورد في الصحيح عند الاكثر انه ملهم ، وعند البعض انه ممن يجري الصواب على لسانه من غير قصد ، وعند البعض انه مكلم تكلمه الملائكة بغير نبوة وقد رده الحافظ الى المعنى الاول ، وعند البعض انه منفرس ، وعلى كل تقدير لايحكم بما وقع للمحدث بل لابد له من عرضه على الكتاب والسنة

ومن ثم أجمع أهل السنة على أن إلهام غير النبي ﷺ ليس بحجة وعلى هذا المعنى ينبغي أن يحمل حديث ابن عمر المذكور وليس الغرض ان الله جعل الحق في كل حادثة وواقعة على لسان عمر وقلبه وأن فعله وقوله حجة شرعية وانه لايقع منه خطأ قط وإلا لما خالفه ونازعه أحد من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أهل الحديث والفقه (والثاني) باطل فان مخالفات الصحابة والتابعين وغيرهم لعمر رضي الله عنه أكثر من ان تكتب في هذا المختصر، وأشهر من أن تخفى على من له إلمام بصحف الحديث والأثر ، فالمقدم مثله

ويالله العجب كيف يصح القول بحجية فعل عمر رضي الله عنه عموما كما زعم هذا المؤلف فقد أخطأ عمر رضي الله عنه في مسائل

(منها) عدم جواز التيمم عنده لمن أجنب فلم يجد الماء (ومنها) عدم جواز التمتع في الحج عنده (ومنها) قوله رضي الله عنه ان المعتدة الثلاث السكنى والنفقة وإذ قد ثبت من عبارة الفتح ان الحديث المتنازع فيه قد روي بطرق كثيرة

فلا بأس ان نذكر منها ماوقفنا عليه ونتكلم عليه بالعدل والانصاف فنقول :

أما حديث ابن عمر فقد رواه الترمذي وفي سنده خارجة بن عبد الله الانصاري ضعفه احمد له أوهام كذا في الكاشف والتقريب ولكن حسنه الترمذي وصححه وقد عرفت فيما سلف مافي تحسين الترمذي وتصحيحه من التساهل

وأما حديث أبي هريرة فقد رواه احمد والبزار والطبراني في الاوسط ورجال البزار رجال الصحيح غير الجهم بن ابي الجهم وهو ثقة كذا في مجمع الزوائد

قال الذهبي في الميزان جهم بن ابي الجهم عن ابن جعفر بن ابي طالب وعنه محمد بن اسحاق لايعرف له قصة حليمة السعدية اه فعلم ان جهم هذا مجهول

وأما حديث بلال فقد رواه الطبراني وفيه أبو بكر بن أبي مريم وقد اختلط كذا في مجمع الزوائد قال الذهبي في الميزان أبو بكر بن عبد الله بن ابي مريم الغساني الحمصي يقال اسمه بكر وقيل بكير وقيل عمرو وقيل عامر وقيل عبد السلام ضعيف عندهم قلت وكان من العباد عن راشد بن أسعد وخالد بن معدان ، وعنه بقية وأبو اليمان وطائفة ضعفه احمد وغيره لكثرة ما يغلط وكان أحد أوعية العلم وقال ابن حبان ردي الحفظ لايحتج به اذا انفرد

قال بقية قال لنا رجل في قرية ابي بكر وهي كثيرة الزيتون مافي هذه القرية شجرة إلا وقد قام أبو بكر اليها ليلة جمعاء ، وقال آخر كان كثير البكاء ، وقال الجوزجاني هو متماسك ، وقال ابن عدي أحاديثه صالحة ولا يحتج به ، وقال يزيد بن عبد ربه مات سنة ست وخمسين ومائة وله حديث آخر منكر جداً

قال أبو داود سرق لابي بكر بن ابي مريم حلي فأنكر عقله ، وسمعت احمد يقول ليس بشيء اه ملخصاً

قال الحافظ في التقريب أبو بكر بن عبد الله بن أبي مريم الغساني الشامي وقد ينسب إلى جده قيل اسمه بكير وقيل عبد السلام ضعيف وكان قد سرق

بيته فاختلط من السابعة مات سنة ست وخمسين اه

وقال الذهبي في الكاشف أبو بكر بن عبد الله بن أبي مريم الغساني اسمه بكير وقيل عبد السلام عن خالد بن معدان ومكحول وعنه ابن المبارك وأبو اليمان ضعفوه ، وله علم وديانة اه

وأما حديث معاوية فقد رواه الطبراني وفيه ضعفاء ، سليمان الشاذكوني وغيره كذا في مجمع الزوائد . قال الذهبي في الميزان سليمان بن داود المنقري الشاذكوني البصري الحافظ أبو أيوب لقي حماد بن زيد وجعفر بن سليمان فمن بعدهما قال البخاري فيه نظر وكذبه ابن معين في حديث ذكر له عنه ، وقال عبدان الاهوازي معاذ الله أن يتهم ، انما كانت كتبه قد ذهبت فكان يحدث من حفظه. وقال ابن عدي كان أبو يعلى والحسن بن سفيان إذا حدثا عنه يقولان . حدثنا سليمان أبو أيوب لم يزيدا فيدلسانه ويسترانه

وقال أبو حاتم متروك الحديث وقال النسائي ليس بثقة . وقال يحيى بن معين قال لنا سليمان الشاذكوني هاتوا حرفا من رأي الحسن البصري لا أحفظه ، وقال حنبل سمعت أبا عبدالله يقول كان أعلمنا بالرجال يحيى بن معين وأحفظنا للابواب الشاذكوني ، وكان ابن المديني أحفظنا للطوال ، وقال صالح بن محمد الحافظ مارأيت أحفظ من الشاذكوني وكان يكذب في الحديث ، وقال احمد جالس الشاذكوني حماد بن زيد وبشر بن المفضل ويزيد بن زريع فما نفعه الله بواحد منهم ، وقيل كان يتعاطى المسكر ويتماجن مات سنة اربع وثلاثين ومائتين وقال ابن عدي قال محمد بن موسى السواق قال ابن الشاذكوني لما حضرته الوفاة اللهم من اعتذر اليك فاني لا أعتذر اليك ما قذفت محصنة ولا دلست حديثا . وساق له ابن عدي أحاديث خولف فيها ثم قال وللشاذكوني حديث كثير مستقيم وهو من الحفاظ المعدودين ما أشبه أمره بما قال عبدان يحدث حفظا فيغلط اه

وأما حديث عمر بن الخطاب فقد رواه الطبراني في الاوسط وفيه علي بن سعيد للقيري العكاوي ولم أعرفه وبقية رجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن صالح كاتب الليث وقد وثق وفيه ضعف كذا في مجمع الزوائد ، قال الحافظ في التقريب عبد الله بن صالح بن محمد بن مسلم الجهني أبو صالح المصري كاتب الليث صدوق كثير الغلط ثبت في كتابه وكانت فيه غفلة من العاشرة مات سنة اثنتين وعشرين وله خمس وثمانون سنة اه

وقال الذهبي في الكاشف : عبد الله بن صالح الجهني مولاهم كاتب الليث عن معاوية بن صالح وموسى بن علي وعنه خت والاصح انه أيضاً روى عنه في الصحيح ـ وابن معين وبكر بن سهل ، وكان مكثراً جداً ، قال ابو زرعة كان حسن الحديث لم يكن ممن يكذب ، وقال الفضل الشعراني ما رأيته إلا يحدث أو يسبح ، وقال ابن عدي هو عندي مستقيم الحديث وله أغاليط وكذبه جزرة اه وقال الذهبي في الميزان عبدالله بن صالح بن محمد بن مسلم الجهني المصري أبو صالح كاتب الليث بن سعد على أمواله صاحب حديث وعلم مكثر له مناكير حدث عن معاوية بن صالح وحاق وعن شيخه الليث وابن وهب وابن معين واحمد بن الفرات والناس

قال عبدالملك شعيب بن الليث ثقة مأمون سمع من جدي حديثه ، وقال أبو حاتم سمعت محمد بن عبدالله بن عبد الحكم وسئل عن أبي صالح فقال تسألني عن أقرب رجل إلى الليث نزمه سفراً وحضراً وكان يخلو معه كثيراً لا ينكر لمثله أن يكون قد سمع منه لكثرة ما أخرج عن الليث وقال أبو حاتم سمعت ابن معين يقول اقل أحواله ان يكون قرأ هذه الكتب على الليث وأجزها له ، ويمكن أن يكون ابن أبي ذئب كتب اليه بهذا الدرج قال وسمعت احمد بن صالح يقول لا أعلم احداً روى عن الليث عن ابن أبي ذئب إلا أبو صالح وقال احمد بن

حنبل كان اول أمره متماسكا ثم فسد بآخرة يروي عن ابن أبي ذئب ولم يسمع الليث من ابن أبي ذئب شيئا

وقال أبو حاتم هو صدوق أين ماعلمته ، وقال أبو زرعة لم يكن عندي ممن يتعمد الكذب وكان حسن الحديث

وقال أبو حاتم أخرج أحاديث في آخر عمره أنكروها عليه يرى أنها مما افتعل خالد بن نجيح ، و كان أبو صالح يصحبه ، وكان سليم الناجية لم يكن وزن أبي صالح الكذب كان رجلا صالحا

وقال احمد بن محمد الحجاج بن رشدين سمعت احمد بن صالح يقول متهم ليس بشيء يعني الحراوي عبد الله بن صالح ، وسمعت احمد بن صالح يقول في عبد الله بن صالح فأجروا عليه كلمة أخرى

وقال ابن عبد الحكم سمعت أبا عبد الله يقول ما لا أحصي ، وقد قيل له ان يحي بن بكير يقول في أبي صالح شيئا ، فقال قل له هل حدثك الليث ؟ قال لا ، وأبو صالح عنده وقد كان يخرج معه إلى الاسفار وهو كاتبه فينكر ان يكون عند غيره

وقال سعيد بن منصور كلمني يحي بن معين وقال أحب ان تمسك عن عبدالله ابن صالح فقلت لا أمسك عنه وأنا أعلم الناس به انما كان كاتباً للضياع ، وقال احمد كتب إلي وانا بحمص يسألني الزيارة ، قال الفضل بن محمد الشعراني مارأيت أبا صالح إلا وهو يحدث أو يسبح ، وقال صالح جزرة كان ابن معين يوثقه وهو عندي يكذب في الحديث ، وقال النسائي ليس بثقة ويحيي بن بكير أحب الينا منه ، وقال ابن المديني لا أروي عنه شيئا ، وقال ابن حبان كان في نفسه صدوقا انما وقعت المناكير في حديثه من قبل جار له فسمعت ابن خزيمة يقول كان له جار كان بينه وبينه عداوة كان يضع الحديث على شيخ ابي صالح ويكتبه بخط

يشبه خط عبد الله ويرميه في داره بين كتبه فيتوهم عبد الله انه خطه فيحدث به وقال ابن عدي هو عندي مستقيم الحديث إلا انه يقع في أسانيده ومتونه غلط ولا يتعمد . قلت وقد روى عنه البخاري في الصحيح على الصحيح ولكنه يدلسه فيقول حدثنا عبد الله ولا ينسبه وهو هو نعم قد علق البخاري حديثا فقال فيه قال الليث بن سعد حدثني جعفر بن ربيعة

ثم قال في آخر الحديث حدثني عبد الله بن صالح نا الليث فذكره ،ولكن هذا عند ابن حمويه السرخسي دون صاحبيه ، وفي الجملة ماهو بدون نعيم بن حماد ولا اسماعيل بن أبي أويس ولا سويد بن سعيد وحديثهم في الصحيحين ولكل منهما مناكير تغتفر في كثرة ما روى ؛ وبعضها منكر واه ، وبعضها غريب محتمل انتهى

وعن عائشة رضي الله عنها ان النبي ﷺ قال « ما كان نبي إلا في أمته معلم أو معلمان فان يكن في أمتي منهم أحد فهو عمر بن الخطاب ان الحق على لسان عمر وقلبه » قلت في الصحيح بعضه بغير سياق رواه الطبراني في الاوسط وفيه عبد الرحمن بن ابي الزناد وهو لين الحديث كذا في مجمع الزوائد ، قال ابن معين هو أثبت الناس في هشام بن عروة ، وقال أبو حاتم وغيره لايحتج به كذا في الكاشف ، وقال الحافظ في التقريب صدوق تغير حفظه لما قدم بغداد و كان فقيها من السابعة ولي خراج المدينة فحمد اه

وعن علي قال اذا ذكر الصالحون فحيهلا بعمر ما كنا نبعد أصحاب محمد ﷺ ان السكينة تنطق على لسان عمر . رواه الطبراني في الاوسط واسناده حسن

وعن ابن مسعود قال ما كنا نبعد ان السكينة تنزل على لسان عمر (رض) رواه الطبراني واسناده حسن

وعن طارق بن شهاب قال كنا نتحدث ان السكينة تنزل على لسان عمر

رواه الطبراني ورجاله ثقات كذا في مجمع الزوائد فالصواب ان حديث «ان الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه» وإن كان لا يخلو طريق من طرقه من مقال ولكنه لكثرة الشواهد صالح لان يحتج به إلا أن دلالته على أن فعل عمر (رض) حجة ممنوعة

قوله ﴿وروى الطبراني في الكبير وابن عدي في الكامل عن الفضل بن العباس (رض) ان رسول الله ﷺ قال «عمر معي وأنا مع عمر والحق بعدي مع عمر حيث كان»

أقول مجرد رواية الطبراني وابن عدي هذا الحديث لا يقتضي أن يصح الاحتجاج به مالم يثبت كونه صحيحاً أو حسناً ، فيجب على من يحتج به أن يبين صحته أو حسنه ودونه خرط القتاد على أن دلالته على المطلوب غير مسلمة على نحو ما مر في الحديث المتقدم

قوله ﴿ وهذا مثل ما صح في حق علي (رض) حيث قال ﷺ في حقه « وأدر الحق معه حيث دار» وهو صحيح

أقول مدعي صحة هذا الحديث يطالب أولا باقامة الدليل عليه وأنى له ذلك؟ كيف وهذا الحديث رواه الترمذي وفي سنده سعيد بن حبان قال الذهبي في الميزان لا يكاد يعرف اه وأيضا فيه مختار بن نافع التيمي عن أبي حيان التيمي قال النسائي وغيره ليس بثقة وقال ابن حبان منكر الحديث جداً

احمد بن عبدالرحمن الكزبراني ثنا مختار بن نافع عن ابي حيان عن ابيه عن علي مرفوعاً «رحم الله ابا بكر زوجني ابنته وصحبني إلى دار الهجرة » وذكر الحديث قال البخاري منكر الحديث كتبه ابو اسحق كذا في الميزان وقال الحافظ في التقريب مختار بن نافع التيمي ويقال العكلي ابو اسحاق التمار الكوفي ضعيف من السادسة اه وفيه أيضاً سهل بن حماد ، قال الذهبي في الميزان كان بعد المائتين لا يدرى من هو وليس بالدلال أبي عتاب والظاهر انه هو فقد قال عثمان الدارمي سألت يحيي بن معين عن سهل بن حماد الدلال فقال لا أعرفه ، عنى انه ما يخبر حاله

وقال فيه أبوزعة وأبوحاتم صالح الحديث شيخ، وأما أحمد فقال لا بأس به (قلت) مات سنة ثمان ومائتين ، روى عن قرة بن خالد وشعبة وطبقتهما ، ما خرج له البخاري شيئا اه

ويالله العجب ما أجرأ هذا المؤلف على تصحيح هذا الحديث مع أن في سنده مختار بن نافع التيمي وهو ضعيف جداً ، على أن دلالة مثل هذا الحديث على المطلوب غير مسلمة وإلا لزم أن يكون فعل معاوية (رض) أيضاً حجة فانه روي. عن عبدالرحمن بن أبي عميرة وكان من أصحاب رسول الله ﷺ عن النبي ﷺ انه قال لمعاوية « اللهم اجعله هاديا مهديا واهد به » اخرجه الترمذي وقال هذا حديث حسن غريب وعن عمير (رض) قال لاتذكروا معاوية إلا بخير ، فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول «اللهم اهد به » رواه الترمذي، وعن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ « اللهم اهده بالهدى وجنبه الردى واغفر له في الآخرة والاولى » رواه الطبراني في الاوسط وفيه السدي بن عاصم وهو ضعيف كذا في مجمع الزوائد مع أن القول بحجية فعله (رض) بعيد جداً

قوله ﴿ ومن الادلة على أن توسل عمر بالعباس (رض) حجة على جواز التوسل قوله ﷺ « لو كان بعدي نبي لكان عمر ﴾ اه

(أقول) أخرجه الترمذي وفي سنده مشرح بن هاعان ، قال الذهبي في الميزان مشرح بن هاعان المصري عن عقبة بن عامر صدوق لينه ابن حبان ، وقال عثمان. ابن سعيد عن ابن معين ثقة قال ابن حبان يكنى أبامصعب يروي عن عقبة مناكير لايتابع عليها ، روى عن الليث وابن لهيعة فالصواب ترك ما انفرد به ، وذكره العقيلي فما زاد في ترجمته أكثر من أن قيل انه ممن جاء مع الحجاج إلى مكة ، ونصب المنجنيق على الكعبة اه

وأما حديث عصمة قال قال رسول الله ﷺ « لو كان بعدي نبي لكان

عمر » فقد رواه الطبراني وفيه الفضل بن المختار وهو ضعيف كذا في مجمع الزوائد.. قال الذهبي في الميزان الفضل بن المختار ابو سهل البصري عن ابن أبي ذئب وغيره قال أبو حاتم أحاديثه منكرة يحدث بالاباطيل ، وقال الازدي منكر الحديث جداً ، وقال ابن عدي أحاديثه منكرة عامتها لا يتابع عليها ، ثم ذكر له اربعة أحاديث وقال بعده فهذه أباطيل وعجائب ثم ذكر حديث عصمة بن مالك في السرقة الذي رواه الدارقطني وقال هذا يشبه أن يكون موضوعا والله أعلم اه

وفي الباب عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ « لو كان الله باعثا رسولا بعدي لبعث عمر بن الخطاب » رواه الطبراني في الاوسط وفيه عبد المنعم ابن بشير وهو ضعيف كذا في مجمع الزوائد ، قال الذهبي في الميزان عبد المنعم بن بشير أبو الخير الانصاري المصري عن عبد الله بن عمر العمري وعنه يعقوب الفسوي جرحه ابن معين ، وقال ابن حبان منكر الحديث جداً لا يجوز الاحتجاج به ، قال الحنبلي سمعت ابن معين يقول أتيت عبد المنعم فأخرج إلي أحاديث أبي مودود نحواً من مائتي حديث كذب ، فقلت له ياشيخ أنت سمعت هذا من أبي مودود؟ قال نعم قلت اتق الله فان هذه كذب وقمت ولم أكتب عنه شيئا اه ملخصاً على أن دلالة تلك الاحاديث على المطلوب ممنوعة

قوله ﴿ وروى الطبراني في الكبير عن أبي الدرداء (رض) ان رسول الله ﷺ قال « اقتدوا باللذين من بعدي : أبي بكر وعمر فانهما حبل الله الممدود من تمسك بهما فقد تمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها ﴾

أقول قال في مجمع الزوائد رواه الطبراني وفيه من لم أعرفهم اه وفي الباب عن حذيفة (رض) قال قال رسول الله ﷺ « اقتدوا باللذين من بعدي : أبي بكر وعمر » أخرجه الترمذي بثلاث طرق في اثنتين منها عبد الملك بن عمير اللخمي الكوفي الثقة كان من أوعية العلم ولكنه طال عمره وساء حفظه . قال أبو حاتم

ليس بحافظ تغير حفظه ، وقال أحمد ضعيف يغلط ، وقال ابن‌معين مخلط ،وقال ابن خراش كان شعبة لايرضاه ، وذكر الكوسج عن احمد انه ضعفه جداً ووثقه العجلي . وقال‌النسائي وغيره‌ليس به بأس

قال عبدالله بن احمد سئل أبي‌عن عبد الملك بن‌عمير وعاصم بن أبي النجود فقال عاصم أقل اختلافا عندي وقدم عاصما (قلت) لم‌يورده ابن‌عدي ولا العقيلي ولا ابن‌حبان وقد ذكروا من هو أقوى حفظاً منه ، وأما ابن عمير فذكر فحكى الجرح وما ذكر التوثيق والرجل‌فمن نظراء السبيعي أبي اسحاق وسعيد المقبري لما وقعوا في هرم الشيخوخة فنقص حفظهم ، وساءت أذهانهم ، ولم يختلطوا ، وحديثهم‌في كتب الاسلام كلها ،وكان‌عبدالملك ممن‌جاوز المائة ، كذا في الميزان وقال الحافظ في‌التقريب : ثقة فقيه تغير حفظه وربما دلس اه

وإذ قد عرفت انه‌مع تغير حفظه مدلس وقد عنعن في‌هذا الحديث فلا يقبل حديثه — وفي الاولى منها الحسن بن الصباح البزار ، وهو وإن كان صدوقاً لكنه يهم كما قال الحافظ في‌التقريب ، وقال النسائي ليس بالقوي كذافي‌الميزان

وفي الثانية منها هلال مولى ربعي وهو مجهول ،ما حدث عنه‌سوى عبدالملك ابن عمير كذا في الميزان . وأيضا فيها سفيان الثوري وهو مدلس وقد عنعنه . وفي الثالثة منها عمرو بن هرم ضعفه يحيى‌القطان ووثقه احمد وابن‌معين وأبوحاتم كذا في الميزان ،وفيها سالم بن العلاء ابوالعلاء المرادي‌وقيل سالم بن عبدالواحد عن ربعي بن حراش وعطية العوفي وعنه يعلى بن عبيد وجماعة ضعفه ابن معين والنسائي وقال ابوحاتم يكتب‌حديثه كذا في‌الميزان ـ على‌أن دلالة‌هذا الحديث على المقصود أيضا غير مسلمة ، لاحتمال أن يكون المراد بالاقتداء ـ الاقتداء في الامور التي يجب فيها طاعة الخلفاء وأولي الامر كما‌هو المراد بلفظ السمع والطاعة الواردين في الاحاديث التي أمر فيها باطاعة الامراء والائمة كقوله ﷺ «من

أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن يطع الامير فقد أطاعني ومن يعص الامير فقد عصاني» رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ، وعن أم الحصين قالت قال رسول الله ﷺ « ان أمر عليكم عبد مجدع يقودكم بكتاب الله فاسمعوا وأطيعوا » رواه مسلم

وعن أنس (رض) ان رسول الله ﷺ قال «اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة » رواه البخاري . وعن ابن عمر (رض) قال قال رسول الله ﷺ « السمع والطاعة على المرء المسلم فيما احب وكره ما لم يؤمر بمعصية فاذا امر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » متفق عليه . وعن عبادة بن الصامت (رض) قال بايعنا رسول الله ﷺ «على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وعلى اثرة علينا وعلى أن لا ننازع الامر أهله وعلى أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم » وفي رواية « على أن لا ننازع الامر أهله الا أن تروا كفراً بواحا عندكم من الله فيه برهان »متفق عليه

وعن ابن عباس (رض) قال قال رسول الله ﷺ « من رأى من أميره شيئا يكرهه فليصبر فانه ليس أحد يفارق الجماعة شبراً فيموت إلا مات ميتة جاهلية» متفق عليه ، وعن أبي هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية » رواه مسلم وغير ذلك من الاحاديث الواردة في ذلك الباب

ومن البين ان المراد بالسمع والطاعة في تلك الاحاديث ليس إلا الاتباع في الامور المتعلقة بالخلافة والامامة والامارة ، لا ان افعالهم وأقوالهم وتقريراتهم حجة كفعل النبي ﷺ وقوله وتقريره ، ولعل هذا هو المراد في حديث أمر فيه بالتمسك بسنة الخلفاء الراشدين المهديين . وفي حديث « اتبعوا السواد الاعظم وعليكم بالجماعة والعامة »

ومما يؤيد إرادة هذا المعنى في الحديث المتنازع فيه قوله ﷺ « الذين من بعدي » فانه لو كان المقصود ان أفعالهما حجة لكفى أن يقال اقتدوا بأبي بكر وعمر ، فلما زيد فيه « اللذين من بعدي » علم ان الاقتداء بهما ليس إلا في أمر يحصل لهما بعد موت النبي ﷺ لا في حياته وهو أمر الخلافة والامارة ، ونظير ذلك إطاعة المرأة لبعلها وإطاعة الولد للوالدين ، ولن ترى أحداً من المسلمين يقول ان فعل البعل والوالدين وقولهم وتقريرهم حجة فكذلك الحال فيما نحن فيه

وهذا كله كان تكلما على الاحاديث التي ذكرها صاحب الرسالة لاثبات التوسل وما والاه ، وها أنا أشرع في تحقيق مسألة التوسل فننقل اولا كلام بعض اهل العلم والتحقيق ، ثم نذكر ماهو الحق عندي فأقول:

***

قال العلامة محمد بن اسماعيل بن صلاح الامير اليماني الصنعاني في (تطهير الاعتقاد عن أدران الالحاد) في ديباجة الكتاب [١]

« الحمد لله الذي لا يقبل توحيد ربوبيته من العباد حتى يفردوه بتوحيد العبادة كل الافراد ، من اتخاذ الانداد ، فلا يتخذون له نداً ، ولا يدعون معه أحداً ، ولا يتوكلون إلا عليه ، ولا يفزعون في كل حال إلا اليه ، ولا يدعونه بغير أسمائه الحسنى ، ولا يتوسلون اليه بالشفعاء (من ذا الذي يشفع عنده إلا باذنه) اه

ثم ذكر اصولا خمسة هي من قواعد الدين فقال في الاصل الثاني « ان رسل الله وأنبياءه من أولهم إلى آخرهم بعثوا لدعاء العباد الى توحيد الله تعالى بتوحيد العبادة ، وكل رسول أول مايقرع به أسماع قومه قوله (ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره) و (أن لا تعبدوا الا الله) و (أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون) وهذا

(١) قد قابلنا ما نقله المؤلف من تطهير الاعتقاد عند التصحيح بالاصل المطبوع فوجدنا فيه زيادة سقطت من مؤلفنا فلم نثبتها لان الظاهر انه قد تركها اختصاراً

هو الذي تضمنه قول لا إله إلا الله فانما دعت الرسل أممها الى قول هذه الكلمة واعتقاد معناها لا مجرد قولها باللسان ، ومعناها هو إفراد الله بالالهية والعبادة ، والنفي لما يعبد من دونه والبراءة منه

وقال في الاصل الثالث : ان التوحيد قسمان (القسم الاول) توحيد الربوبية والخالقية والرازقية ونحوها ، ومعناها ان الله وحده هو الخالق للعالم وهو الرب لهم والرازق لهم ، وهذا لا ينكره المشركون ولا يجعلون لله فيه شريكا ، بل هم مقرون به (والقسم الثاني) توحيد العبادة ، ومعناه إفراد الله وحده بجميع أنواع العبادات الآتي بيانها ، فهذا هو الذي جعلوا لله فيه الشركاء بهذا تعرف ، أن المشركين لم يتخذوا الاوثان والاصنام ولم يتخذوا المسيح وأمه ولم يتخذوا الملائكة شركاء لله تعالى لاجل انهم أشركوهم في خلق السموات والارض وفي خلق أنفسهم ، بل اتخذوهم لانهم يقربونهم إلى الله زلفى كما قالوه ، فهم مقرون بالله تعالى في نفس كلمات كفرهم وانهم شفعاء عند الله . قال الله تعالى (قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض سبحانه وتعالى عما يشركون) فجعل الله اتخاذهم الشفعاء شركا فيه نزه نفسه عنه لانه لا يشفع عنده أحد إلا باذنه اه

-وقال في الاصل الرابع : ان المشركين الذين بعث الله الرسل اليهم مقرون بأن الله تعالى خالقهم (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله) وانه خالق السموات والارض (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم) وبأنه الرزاق الذي يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي وانه هو الذي يدبر الامر من السماء الى الارض ، وانه الذي يملك السمع والابصار والافئدة (قل من يرزقكم من السماءِ والأرضِ أم مَن يملكُ السمعَ والأبصارَ (١) ومَن يخرِجُ الحيَّ مِنَ الميت ويخرِجُ الميتَ مِنَ الحيِّ ومَنْ يدبِّرُ الأمرَ ؟

(١) كان في الاصل هنا زيادة (والافئدة) وحذف ما بعد الابصار الى ما قبل الجواب وكتبه محمد رشيد رضا

فسيقولونَ الله ؛ فقل أفلا تتقون ؟ ـ قل لمن الأرضُ ومَن فيها إن كنتم تعلمون ؟ سيقولون لله ؛ قل أفلا تذكّرون ؟ * قل مَن ربُّ السموات السبع وربُّ العرش العظيم؟ سيقولون لله ؛ قل أفلا تتقون * قل مَن بيدِهِ ملكوتُ كلِّ شيءٍ وهو يُجيرُ ولا يجارُ عليه إن كنتم تعلمون ؟ سيقولون لله :قل فأنّى تُسحَرون) وكل مشرك مقر بأن الله خالقه وخالق السموات والارض ورب ما فيهما ورازقهم اه

ثم قال: إذا عرفت هذه الاصول فاعلم انه سبحانه جعل العبادة له انواعا (منها) اعتقادية وهي أساسها ، وذلك أن تعتقد انه الرب الواحد الاحد الذي له الخلق والامر وبيده النفع والضر ، وانه الذي لا شريك له ، ولا يشفع عنده أحد إلا باذنه، وانه لا معبود بحق غيره ، وغير ذلك مما يجب من لوازم الالهية (ومنها) لفظية وهي النطق بكلمة التوحيد (ومنها) بدنية كالقيام والركوع والسجود (ومنها)الصوم وأفعال الحج والطواف (ومنها)مالية كاخراج جزء من المال امتثالا لما أمر الله تعالى به ، وأنواع الواجبات والمندوبات في الابدان والاموال والافعال والاقوال كثيرة لكن هذه امهاتها اه

ثم أدرج التوسل في الشرك في العبادة حيث قال

« قد عرفت من هذا كله أن من اعتقد في شجر أو حجر أو قبر او ملك او جني او حي او ميت انه ينفع او يضر ، أو انه يقرب إلى الله تعالى او يشفع عنده في حاجة من حوائج الدنيا بمجرد التشفع والتوسل إلى الرب تعالى إلا ما ورد من حديث فيه مقال في حق نبينا ﷺ او نحو ذلك فانه قد أشرك مع الله غيره اه

وقال في موضع آخر: والنذر بالمال على الميت ونحوه والنحر على قبره والتوسل به وطلب الحاجات منه ، هو بعينه الذي كان يفعله الجاهلية اه وقال في موضع آخر (فان قلت) القبوريون وغيرهم الذين يعتقدون في فسقة الناس وجهالهم من الاحياء

يقولون نحن لا نعبد هؤلاء ولا نعبد إلا الله وحده ولا نصلي لهم ولا نصوم ولا نحج (قلت) هذا جهل بمعنى العبادة ، فانها ليست منحصرة فيما ذكرت، بل رأسها وأساسها الاعتقاد ، وقد حصل في قلوبهم ذلك بل يسمونه معتقداً ويصنعون له ما سمعته مما تفرع عن الاعتقاد من دعائهم وندائهم والتوسل بهم ، والاستغاثة والاستعانة والحلف والنذور وغير ذلك اه وقد ظهر من ملاحظة تلك العبارات أن التوسل عند هذا الامام داخل في الشرك في العبادة

*
* *

وقال الامام محمد بن علي الشوكاني في (الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد)

اعلم ان الكلام على هذه الاطراف يتوقف على إيضاح ألفاظ هي منشأ الاختلاف والالتباس (فمنها) الاستغاثة بالغين المعجمة والمثلثة (ومنها) الاستعانة بالعين المهملة والنون (ومنها) التشفع ومنها التوسل ـ فأما الاستغاثة بالمعجمة والمثلثة فهي طلب الغوث وهو إزالة الشدة كالاستنصار وهو طلب النصر ؛ ولا خلاف انه يجوز أن يستغاث بالمخلوق فيما يقدر على الغوث فيه من الامور ، ولا يحتاج مثل ذلك إلى استدلال فهو في غاية الوضوح ، وما أظنه يوجد فيه خلاف ، ومنه (فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه) وكما قال (وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر) وكما قال الله تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى)

وأما ما لا يقدر عليه إلا الله فلا يستغاث فيه إلا به كغفران الذنوب والهداية وإنزال المطر والرزق ونحو ذلك كما قال تعالى (وَمَن يَغفِرُ الذُّنوبَ إلا اللهُ) وقال (إنكَ لا تهدِي مَن أحبَبتَ ولَكنَّ اللهَ يهدِي مَن يشاء) وقال (يا أيها الناسُ اذكروا نعمةَ اللهِ عليكم هل مِن خالِقٍ غيرُ اللهِ يرزقكم مِنَ السماءِ والأرضِ؟) وعلى هذا يحمل ما أخرجه الطبراني في معجمه الكبير انه كان في زمن النبي ﷺ منافق يؤذي المؤمنين فقال أبو بكر «رض»

قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق، فقال ﷺ «انه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله» فمراده ﷺ انه لا يستغاث به فيما لا يقدر عليه إلا الله

وأما ما يقدر عليه المخلوق فلا مانع من ذلك مثل أن يستغيث المخلوق بالمخلوق ليعينه على حمل حجر أو يحول بينه وبين عدوه الكافر أو يدفع عنه سبعاً صائلا أو لصاً أو نحو ذلك

وقد ذكر أهل العلم انه يجب على كل مكلف أن يعلم أن لا غياث ولا مغيث على الاطلاق إلا الله سبحانه، وان كل غوث من عنده، وإذا حصل شيء من ذلك على يد غيره فالحقيقة له سبحانه ولغيره مجاز، ومن أسمائه المغيث والغياث.

قال ابو عبدالله الحليمي الغياث هو المغيث وأكثر ما يقال: ياغياث المستغيثين ومعناه المدرك عباده في الشدائد إذا دعوه ومجيبهم ومخلصهم، وفي خبر الاستسقاء في الصحيحين «اللهم اغثنا اللهم أغثنا» إغاثة وغياثة وغوثاً، وهو في معنى المجيب والمستجيب، قال تعالى (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم) الا أن الاغاثة أحق بالافعال، والاستجابة بالاقوال، وقد يقع كل منهما موقع الآخر

قال شيخ الاسلام ابن تيمية في بعض فتاواه مالفظه: والاستغاثة بمعنى أن يطلب من الرسول ﷺ ماهو اللائق بمنصبه لا ينازع فيه مسلم، ومن نازع في هذا المعنى فهو إما كافر وإما مخطيء ضال، وأما بالمعنى الذي نفاها رسول الله ﷺ فهو أيضاً مما يجب نفيها، ومن أثبت لغير الله ما لا يكون إلا لله فهو أيضاً كافر إذا قامت عليه الحجة التي يكفر تاركها

ومن هذا الباب قول أبي يزيد البسطامي: استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة الغريق بالغريق. وقول الشيخ ابي عبد الله القرشي: استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة المسجون بالمسجون

وأما الاستعانة بالنون فهو طلب العون، ولا خلاف انه يجوز أن يستعان

بالمخلوق فيما يقدر عليه من امور الدنيا كأن يستعين به على أن يحمل معه متاعه أو يعلف دابته او يبلغ رسالته، وأما مالا يقدر عليه إلا الله جل جلاله فلا يستعان فيه إلا به ومنه (إياك نعبد وإياك نستعين)

وأما التشفع بالمخلوق فلا خلاف بين المسلمين انه يجوز طلب الشفاعة من المخلوقين فيما يقدرون عليه من امور الدنيا وثبت بالسنة المتواترة واتفاق جميع الامة ان نبينا ﷺ هو الشافع والمشفع وانه يشفع للخلائق يوم القيامة وان الناس يستشفعون به ويطلبون منه أن يشفع لهم الى ربه ولم يقع الخلاف إلا في كونها لمحو ذنوب المذنبين أو لزيادة ثواب المطيعين، ولم يقل احد بنفيها قط. وفي سنن أبي داود ان رجلا قال للنبي ﷺ إنا نستشفع بالله عليك ونستشفع بك على الله فقال «شأن الله اعظم من ذلك انه لا يستشفع به على أحد من خلقه» فأقره على قوله نستشفع بك على الله وأنكر عليه قوله نستشفع بالله عليك وسيأتي تمام الكلام في الشفاعة

***

وأما التوسل الى الله سبحانه بأحد من خلقه في مطلب يطلبه العبد من ربه فقد قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام انه لا يجوز التوسل الى الله تعالى إلا بالنبي ﷺ إن صح الحديث فيه ـ ولعله يشير الى الحديث الذي اخرجه النسائي في سننه والترمذي وصححه ابن ماجه وغيرهم ان أعمى اتى الى النبي ﷺ فقال يارسول الله اني أصبت في بصري فادع الله تعالى لي فقال له النبي ﷺ « توضأ وصل ركعتين ثم قل اللهم اني أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد يامحمد اني أستشفع بك في رد بصري اللهم شفع النبي فيّ ـ وقال ـ فان كان لك حاجة فمثل ذلك» فرد الله بصره

والناس في معنى هذا قولان احدهما ان التوسل هو الذي ذكره عمر بن الخطاب لما قال كنا اذا أجدبنا نتوسل بنبينا اليك فتسقينا وإنا نتوسل اليك بعم نبينا وهو في صحيح البخاري وغيره فقد ذكر عمر «رض» انهم كانوا يتوسلون

بالنبي ﷺ في حياته في الاستسقاء ثم توسل بعمه العباس بعد موته، وتوسلهم هو استسقاؤهم بحيث يدعو ويدعون معه فيكون هو وسيلتهم الى الله تعالى والنبي ﷺ كان في مثل هذا شافعاً وداعياً لهم

واقول التوسل به ﷺ يكون في حياته وبعد موته وفي حضرته ومغيبه، ولا يخفاك انه قد ثبت التوسل به ﷺ في حياته وثبت التوسل بغيره بعد موته باجماع الصحابة إجماعاً سكوتياً لعدم إنكار أحد منهم على عمر (رض) في التوسل بالعباس (رض)

وعندي انه لا وجه لتخصيص جواز التوسل بالنبي ﷺ كما زعمه الشيخ عز الدين بن عبد السلام لامرين (الاول) ماعرفناك به من إجماع الصحابة (رض)

والثاني ان التوسل الى الله بأهل الفضل والعلم هو في التحقيق توسل بأعمالهم الصالحة(١) ومزاياهم الفاضلة، إذ لا يكون الفاضل فاضلا إلا بأعماله فاذا قال القائل: اللهم اني أتوسل اليك بالعالم الفلاني، فهو باعتبار ما قام به من العلم. وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما ان النبي ﷺ حكى عن الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة ان كل واحد منهم توسل الى الله بأعظم عمل عمله فارتفعت الصخرة فلو كان التوسل بالاعمال الفاضلة غير جائز أو كان شركاً كما يزعمه المتشددون في هذا الباب كابن عبد السلام ومن قال بقوله من أتباعه لم تحصل الاجابة من الله لهم ولا سكت النبي ﷺ عن إنكار ما فعلوه بعد حكايته عنهم، ولهذا تعلم أن ما يورده المانعون من التوسل الى الله بالانبياء والصلحاء من نحو قوله تعالى (ما نعبدهم إلا ليقربونا الى الله زلفى) ونحو قوله تعالى (فلا تدعوا مع الله أحداً)

---

(١) هذا خطأ من وجهين احدهما ان توسل الانسان بعمل غيره ومزاياه غير مشروع ولا معقول وانما توسل اصحاب الغار بعملهم والثاني سيأتي الرد عليه

وكتبه محمد رشيد

ونحو قوله تعالى (له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء) ليس بوارد بل هو من الاستدلال على محل النزاع بما هو أجنبي عنه ، فان قولهم (مانعبدهم إلا ليقربونا الى الله زلفى) مصرح بأنهم عبدوهم لذلك والمتوسل بالعالم مثلا لم يعبده بل علم ان له مزية عند الله بحمله العلم فتوسل به لذلك ، وكذلك قوله تعالى (فلا تدعو مع الله أحدا) فانه نهى أن يدعى مع الله غيره كأن يقول يا الله ويافلان ، والمتوسل بالعالم مثلا لم يدع الا الله ، وانما وقع منه التوسل اليه بعمل صالح عمله بعض عباده كما توسل الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة بصالح اعمالهم وكذلك قوله (والذين يدعون من دونه) الآية فان هؤلاء دعوا من لا يستجيب لهم ولم يدعوا ربهم الذي يستجيب لهم ، والمتوسل بالعالم مثلا لم يدع الا الله ولم يدع غيره دونه ولا دعا غيره معه

فاذا عرفت هذا لم يخف عليك دفع ما يورده المانعون للتوسل من الادلة الخارجة عن محل النزاع خروجا زائداً على ما ذكرنا كاستدلالهم بقوله تعالى (وما أدراك ما يوم الدين ثم ما أدراك ما يوم الدين * يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والامر يومئذ لله) فان هذه الآية الشريفة ليس فيها الا انه تعالى المنفرد بالامر في يوم الدين ، وانه ليس لغيره من الامر شيء ، والمتوسل بنبي من الانبياء أو عالم من العلماء هو لا يعتقد أن لمن توسل به مشاركته جل جلاله في أمر يوم الدين ومن اعتقد هذا لعبد من العباد سواء كان نبيا أو غير نبي فهو في ضلال مبين ، وهكذا الاستدلال على منع التوسل بقوله تعالى ليس لك من الامر شيء * قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً فان هاتين الآيتين مصرحتان بأنه ليس لرسول الله ﷺ من امر الله شيء وانه لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً فكيف يملك لغيره وليس فيها منع التوسل به او بغيره من الانبياء والاولياء والعلماء وقد جعل الله لرسوله ﷺ المقام المحمود مقام الشفاعة العظمى وأرشد الخلق الى ان يسألوه

ذلك[١] ويطلبوه منه وقال له سل تعطه واشفع تشفع، وقيد ذلك في كتابه العزيز بأن الشفاعة لاتكون الا باذنه ، ولا تكون إلا لمن ارتضى . ولعله يأتي تحقيق هذا المقام انشاء الله تعالى

وهكذا الاستدلال على منع التوسل بقوله ﷺ لما نزل قوله تعالى (وأنذر عشيرتك الاقربين) «يافلان بن فلان لا أملك لك من الله شيئا يا فلانة بنت فلان لا أملك لك من الله شيئا» فان هذا ليس فيه الا التصريح بأنه ﷺ لا يستطيع نفع من اراد الله تعالى ضره ، ولا ضر من أراد الله نفعه وانه لا يملك لاحد من قرابته فضلا عن غيرهم شيئا من الله ، وهذا معلوم لكل مسلم وليس فيه انه لا يتوسل به إلى الله ، فان ذلك هو طلب الامر ممن له الامر والنهي ، وانما أراد الطالب أن يقدم بين يدي طلبته مايكون سببا للاجابة ممن هو المتفرد بالعطاء والمنع وهو مالك يوم الدين .

وإذا عرفت هذا فاعلم أن الرزية كل الرزية ، والبلية كل البلية ، أمر غير ما ذكرنا من التوسل المجرد والتشفع بمن له الشفاعة ، وذلك ما صار يعتقده كثير من العوام وبعض الخواص في أهل القبور ، وفي المعروفين بالصلاح من الاحياء من أنهم يقدرون على مالا يقدر عليه إلا الله جل جلاله، ويفعلون ما لا يفعله إلا الله

---

(١) نعم ان الله تعالى يلهم الخلائق يوم القيامة ان يطلبوا الشفاعة من انبياء الله تعالى في فصل القضاء ولكن الله تعالى لم يأمرهم فى كتابه بان يقصدوا قبور الانبياء والاولياء والعلماء ليسألوهم عندها قضاء حوائج الدنيا ولا الآخرة ولم يشرع لهم ان هذا عبادة ولا أنه سبب لقضاء الحوائج ولا لمغفرة الذنوب وسعادة الآخرة وانما شرع لهم ان يطلبوا الرزق وشفاء الامراض ونحو ذلك من اسبابها المعروفة بالاختبار والتجارب وسعادة الآخرة بالايمان والعمل الصالح والتوبة من الذنوب . وان لايدعوا غير الله تعالى فيما وراء الاسباب التي اقدر الله عليها الناس وامرهم بالتعاون عليها في دائرة الشرع وهو ينكر هذا اشد الانكار كما يأتي قريبا . وكتبه محمد رشيد

عز وجل، حتى نطقت ألسنتهم بما انطوت عليه قلوبهم فصاروا يدعونهم تارة مع الله وتارة استقلالا، ويصرخون بأسمائهم ويعظمونهم تعظيم من يملك الضر والنفع، ويخضعون لهم خضوعاً زائداً على خضوعهم عند وقوفهم بين يدي ربهم في الصلاة والدعاء، وهذا إذا لم يكن شركا فلا ندري ماهو الشرك، وإذا لم يكن كفراً فليس في الدنيا كفر، وها نحن نقص عليك أدلة في كتاب الله سبحانه، وفي سنة رسوله ﷺ فيها المنع مما هو دون هذا بمراحل، وفي بعضها التصريح بأنه شرك وهو بالنسبة الى هذا الذي ذكرناه يسير حقير، ثم بعد ذلك نعود إلى الكلام على مسألة السؤال اهـ

ثم قال بعد عدة أوراق بالجملة فالوارد عن الشرع من الادلة الدالة على قطع ذرائع الشرك وهدم كل شيء يوصل اليه في غاية الكثرة، ولو رمت حصر ذلك على التمام لجاء في مؤلف بسيط، فلنقتصر على هذا المقدار ونتكلم على حكم ما يفعله القبوريون من الاستغاثة بالاموات، ومناداتهم لقضاء الحاجات، وتشريكهم مع الله في بعض الحالات، وإفرادهم بذلك في بعضها فنقول:

اعلم ان الله لم يبعث رسله ولم ينزل كتبه لتعريف خلقه بأنه الخالق لهم، والرازق لهم ونحو ذلك. فان هذا يقر به كل مشرك قبل بعثة الرسل (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله — ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم * قل من يرزقكم من السماء والارض أم من يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر؟ فسيقولون الله فقل أفلا تتقون * قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون؟ سيقولون لله، قل أفلا تذكرون * قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم؟ سيقولون لله، قل أفلا تتقون * قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون؟ سيقولون لله قل فأنى تسحرون) ولهذا نجد كل ما ورد في الكتاب العزيز في شأن

خالق الخلق ونحوه في مخاطبة الكفار معنونًا باستفهام التقرير (هل من خالقٍ غيرُ الله ؟ أفي الله شكٌ فاطرِ السموات والأرض ؟ أغيرَ الله أتخذُ وليًا فاطر السموات والأرض ؟ أروني ماذا خلق الذين من دونه ؟)، بل بعث الله رسله وأنزل كتبه لإخلاص توحيده وإفراده بالعبادة (ياقوم اعبُدوا اللهَ ما لكم من إلـهٍ غيرُه ـ ألاَّ تعبدوا إلا الله ـ أنِ اعبُدوا اللهَ واتقوهُ وأطيعون ـ قالوا أجئتنا لِنعبدَ اللهَ وحدَهُ ونذرَ ما كان يعبدُ آباؤنا ـ أنِ اعبدوا اللهَ مالكم من إلـهٍ غيرُه ـ وإيايَ فاعبدون) واخلاص التوحيد لايتم الا بأن يكون الدعاء كله لله والنداء والاستغاثة والرجا واستجلاب الخير واستدفاع الشر له ومنه لا لغيره ولا من غيره (فلا تدعوا مع اللهِ أحداً ـ له دعوةُ الحقِّ ؛ والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء ـ وعلى الله فليتوكل المؤمنون ـ وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين) وقد تقرر أن شرك المشركين الذين بعث الله اليهم خاتم رسله ﷺ لم يكن الا باعتقادهم ان الانداد التي اتخذوها تنفعهم وتضرهم وتقربهم الى الله وتشفع لهم عنده مع اعترافهم بأن الله سبحانه هو خالقها وخالقهم ورازقها ورازقهم ومحييها ومحييهم ؛ ومميتها ومميتهم (ما نعبدُهم الا ليقرِّبونا الى اللهِ زُلفى ـ فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون * إنْ كنا لفي ضلالٍ مبينٍ * إذ نسويكم بربِّ العالمين ـ وما يؤمنُ أكثرُهم باللهِ إلا وهم مشركون * هؤلاء شفعاؤنا عند الله) وكانوا يقولون في تلبيتهم(١) « لبيك لاشريك لك ، إلا شريكا هو لك ، تملكه وما ملك »

وإذا تقرر هذا فلا شك أن من اعتقد في ميت من الاموات ، أو حي من الاحياء انه يضره أو ينفعه إما استقلالا أو مع الله تعالى وناداه أو توجه اليه ، أو استغاث به في أمر من الامور التي لا يقدر عليها المخلوق فلم يخلص التوحيد لله ،

(١) كما في صحيح البخاري

ولا أفرده بالعبادة ، إذ الدعاء بطلب وصول الخير اليه ودفع الضر عنه ، هو نوع من أنواع العبادة ، ولا فرق بين أن يكون هذا المدعو من دون الله أو معه حجراً او شجراً أو ملكا اوشيطانا كما كان يفعل ذلك الجاهلية وبين أن يكون انسانا من الاحياء او الاموات كما يفعله الآن كثير من المسلمين ، وكل عالم يعلم هذا ويقر به ، فان العلة واحدة ، وعبادة غير الله تعالى وتشريك غيره معه يكون للحيوان كما يكون للجماد ، وللحي كما يكون للميت

فمن زعم أن ثم فرقا بين من اعتقد في وثن من الاوثان انه يضر او ينفع ، أو يقدر على أمر لا يقدر عليه إلا الله تعالى فقد غلط غلطا بينا ، وأقر على نفسه بجهل كثير ، فان الشرك هو دعاء غير الله في الاشياء التي تختص به أو اعتقاد القدرة لغيره فيما لا يقدر عليه سواه ، او التقرب إلى غيره بشيء مما لا يتقرب به إلا اليه ،

ومجرد تسمية المشركين لما جعلوه شريكا بالصنم والوثن والاله لغير الله زيادة على التسمية بالولي والقبر والمشهد كما يفعله كثير من المسلمين (١) بل الحكم واحد إذا حصل لمن يعتقد في الولي والقبر ما كان يحصل لمن كان يعتقد في الصنم والوثن إذ ليس الشرك هو مجرد إطلاق بعض الاسماء على بعض المسميات ، بل الشرك هو أن يفعل لغير الله شيئاً يختص به سبحانه سواء أطلق على ذلك الغير ما كان تطلقه عليه الجاهلية أو أطلق عليه اسما آخر فلا اعتبار بالاسم قط ، ومن لم يعرف هذا فهو جاهل لا يستحق أن يخاطب بما يخاطب به أهل العلم

وقد علم كل عالم أن عبادة الكفار للاصنام لم تكن إلا بتعظيمها ، واعتقاد انها تضر وتنفع ، والاستغاثة بها عند الحاجة والتقريب لها في بعض الحاجات بجزء من أموالهم ، وهذا كله قد وقع من المعتقدين في القبور ، فانهم قد عظموها إلى

(١) لعله سقط من هنا خبر المبتدا الذي عطف عليه الاضراب بعده ، والمعنى ان مجرد التسمية لا تقتضي التفرقه في الحكم بين المتفقين في الاعتقاد

حد لا يكون إلا لله سبحانه ، بل ربما يترك العاصي منهم فعل المعصية إذا كان في مشهد من يعتقده او قريباً منه مخافة تعجيل العقوبة من ذلك الميت ، وربما لا يتركها إذا كان في حرم الله أو في مسجد من المساجد او قريباً من ذلك . وربما حلف بعض غلاتهم بالله كاذباً ولم يحلف بالميت الذي يعتقده

وأما اعتقادهم انها تضر وتنفع فلولا اشتمال ضمائرهم على هذا الاعتقاد لم يدع أحد منهم ميتا او حيا عند استجلابه انفع ، أو استدفاعه اضر ، قائلا : يا فلان افعل لي كذا وكذا ، وعلى الله وعليك ، وأنا بالله وبك

وأما التقرب للاموات فانظر مايجعلونه من النذور لهم وعلى قبورهم في كثير من المحلات ، ولو طلب الواحد منهم ليسمح بجزء من ذلك لله تعالى لم يفعل ، وهذا معلوم يعرفه من عرف أحوال هؤلاء

(فان قلت) ان هؤلاء القبوريين يعتقدون ان الله تعالى هو الضار النافع ، والخير والشر بيده وإن استغاثوا بالاموات قصداً لانجاز مايطلبونه من الله سبحانه (قلت) وهكذا كانت الجاهلية فانهم يعلمون ان الله هو الضار النافع وان الخير والشر بيده ، وانما عبدوا أصنامهم لتقربهم إلى الله زلفى كما حكاه الله عنهم في كتابه العزيز - نعم إذا لم يحصل من المسلم إلا مجرد التوسل الذي قدمنا تحقيقه فهو كما ذكرناه سابقا ، ولكن من زعم انه لم يقع منه إلا مجرد التوسل وهو يعتقد من تعظيم ذلك الميت ما لا يجوز اعتقاده في أحد من المخلوقين ، وزاد على مجرد الاعتقاد فتقرب إلى الاموات بالذبائح والنذور ، وناداهم مستغيثا بهم عند الحاجة فهذا كاذب في دعواه انه متوسل فقط ، فلو كان الامر كما زعمه لم يقع منه شيء من ذلك المتوسل به : لايحتاج إلى رشوة بنذر أو ذبح ولا تعظيم ولا اعتقاد ، لان المدعو هو الله سبحانه وهو أيضا المجيب ، ولا تأثير لمن وقع به التوسل قط بل هو بمنزلة التوسل بالعمل الصالح ، فأي جدوى في رشوة من قد صار تحت أطباق الثرى

بشيء من ذلك ؟ وهل هذا إلا فعل من يعتقد التأثير اشتراكا أو استقلالا ، ولا أعدل من شهادة أفعال جوارح الانسان على بطلان ما ينطق به لسانه من الدعاوي الباطلة العاطلة ، بل من زعم انه لم يحصل منه إلا مجرد التوسل وهو يقول بلسانه يافلان مناديا لمن يعتقده من الاموات فهو كاذب على نفسه ، ومن أنكر حصول النداء للاموات والاستغاثة بهم استقلالا فليخبرنا ما معنى ما سمعه في الاقطار اليمنية من قولهم يا ابن العجيلي يازيلعي يا ابن علوان يافلان يافلان ، وهل ينكر هذا منكر ، ويشك فيه شاك ؟ وما عدا ديار اليمن فالامر فيها أطم وأعم ، ففي كل قرية ميت يعتقده أهلها وينادونه في كل مدينة جماعة منهم حتى انهم في حرم الله ينادون يا ابن عباس يا محجوب!! فما ظنك بغير ذلك فلقد تلطف ابليس وجنوده أخزاهم الله تعالى لغالب أهل الملة الاسلامية بلطفة تزلزل الاقدام عن الاسلام فانا لله وإنا اليه راجعون

«أين من يعقل معنى (ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم ـ فلا تدعوا مع الله أحداً ـ له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء)وقد أخبرنا الله سبحانه ان الدعاء عبادة في محكم كتابه بقوله تعالى(ادعوني أستجب لكم ـ ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين)

وأخرج ابوداود والترمذي وقال حسن صحيح من حديث النعمان بن بشير قال قال رسول الله ﷺ « ان الدعاء هو العبادة » وفي رواية «مخ العبادة » ثم قرأ رسول الله ﷺ الآية المذكورة وأخرجه أيضا النسائي وابن ماجه والحاكم واحمد وابن أبي شيبة باللفظ المذكور ، وكذلك النحر للاموات عبادة لهم ، والنذر لهم بجزء من المال عبادة لهم، وتعظيم عبادة لهم، كما ان النحر للنسك وإخراج صدقة المال والخضوع والاستكانة عبادة لله عز وجل بلا خلاف ومن زعم أن ثم فرقا بين الامرين فليهده الينا .

ومن قال انه لم يقصد بدعاء الاموات والنحر لهم والنذر عليهم عبادتهم، فقل له فلأي مقتضٍ صنعت هذا الصنيع ؟ فان دعاءك للميت عند نزول أمر بك لا يكون إلا لشيء في قلبك عبر عنه لسانك ، فان كنت تهذي بذكر الاموات عند عروض الحاجات من دون اعتقاد منك لهم فأنت مصاب بعقلك ، وهكذا إن كنت تنحر لله وتنذر لله فلأي معنى جعلت ذلك للميت وحملته الى قبره ؟ فان الفقراء على ظهر البسيطة في كل بقعة من بقاع الارض ؟ وفعلك وأنت عاقل لا يكون إلا لمقصد قد قصدته أو أمر قد أردته ، وإلا فأنت مجنون قد رفع عنك القلم ، ولا نوافقك على دعوى الجنون إلا بعد صدور أفعالك وأقوالك في غير هذا على نمط أفعال المجانين، فان كنت تصدرها مصدر أفعال العقلاء فأنت تكذب على نفسك في دعواك الجنون في هذا الفعل بخصوصه فراراً عن أن يلزمك ما لزم عباد الاوثان الذين حكى الله عنهم في كتابه العزيز ما حكاه بقوله (وَجعلوا لله مما ذَرَأَ مِن الحَرْثِ وَالأنعامِ نصيباً فقالوا هٰذا لله بِزَعمِهم وَهٰذا لِشَرَكائِنا) وبقوله (ويجعلون لِما لا يعلمون نصيباً مما رزقناهم ؛ تَاللهِ لَتُسألُنَّ عما كنتم تفترون)

(فان قلت) ان المشركين كانوا لا يقرون بكلمة التوحيد، وهؤلاء المعتقدون في الاموات يقرون بها (قلت) هؤلاء انما قالوها بألسنتهم وخالفوها بأفعالهم، فان من استغاث بالاموات أوطلب منهم ما لا يقدر عليه إلا الله سبحانه ، أوعظمهم أو نذر عليهم بجزء من ماله او نحر لهم فقد نزلهم منزلة الآلهة التي كان المشركون يفعلون لها هذه الافعال فهو لم يعتقد معنى لا إله الا الله ولا عمل بها ، بل خالفها اعتقاداً وعملاً ، فهو في قوله لا إله الا الله كاذب على نفسه ، فانه قد جعل إلهاً غير الله يعتقد انه يضر وينفع ، وعبده بدعائه عند الشدائد والاستغاثة به عند الحاجة، وبخضوعه له وتعظيمه إياه ونحر له النحائر ، وقرب اليه نفائس الاموال

وليس مجرد قول لا اله الا الله من دون عمل بمعناه مثبتاً للاسلام، فانه لو قالها أحد من اهل الجاهلية وعكف على صنمه يعبده لم يكن ذلك إسلاما اه

وأيضاً قال فيه[1] (فان قالت) فقد ورد الحديث الصحيح بأن الخلائق يوم القيامة يأتون آدم فيدعونه ويستغيثون ثم نوحا ثم ابراهيم ثم موسى ثم عيسى ثم محمداً ﷺ وسائر اخوانه من الانبياء (قلت) أهل المحشر انما يأتون هؤلاء الانبياء يطلبون منهم أن يشفعوا لهم الى الله سبحانه ويدعوا لهم بفصل الحساب، والاراحة من ذلك الموقف، هذا جائز فانه من طلب الشفاعة والدعاء المأذون فيهما

وقد كان الصحابة يطلبون من رسول الله ﷺ في حياته أن يدعو لهم كما في حديث يارسول الله ادع الله أن يجعلني منهم لما أخبرهم بأنه يدخل الجنة سبعون الفا وحديث «سبقك بها عكاشة» وقول أم سليم يارسول الله خادمك أنس ادع الله له. وقول المرأة التي كانت تصرع: يا رسول الله ادع الله لي. وآخر الامر سألته الدعاء بأن لا تتكشف عند الصرع فدعا لها

ومنه ارشاده ﷺ لجماعة من الصحابة بأن يطلبوا الدعاء من أويس القرني اذا أدركوه. ومنه ماورد في دعاء المؤمن لاخيه بظهر الغيب وغير ذلك مما لا يحصر حتى ان رسول الله ﷺ قال لعمر لما خرج معتمراً «لا تنسني يا أخي من دعائك» فمن جاء الى رجل صالح واستمد منه ان يدعو له، فهذا ليس من ذلك الذي يفعله المعتقدون في الاموات، بل هو سنة حسنة، وشريعة ثابتة. وهكذا طلب الشفاعة ممن جاءت الشريعة المطهرة بأنه من أهلها كالانبياء، ولهذا يقول الله لرسوله يوم القيامة «سل تعطه واشفع تشفع» وذلك هو المقام المحمود وعده الله به كما في كتابه العزيز

---

(١) اي الشوكاني في كتابه الدر النضيد

والحاصل أن طلب الحوائج من الاحياء جائز اذا كانوا يقدرون عليها ، ومن ذلك الدعاء فانه يجوز استمداده من كل مسلم بل يحسن ذلك ، وكذلك الشفاعة من أهلها الذين ورد الشرع بأنهم يشفعون ولكن ينبغي أن يعلم أن دعاء من يدعو له لا ينفع الا باذنه وارادته ومشيئته ، وكذلك شفاعة من شفع لا يكون الا باذن الله كما ورد بذلك القرآن العظيم . فهذا تقييد للمطلق لا ينبغي العدول عنه بحال اه

وأيضا قال فيه : ومن جملة الشبه التي عرضت لبعض أهل العلم ما صرح به السيد العلامة محمد بن اسماعيل الامير (رح) في شرحه لابياته التي يقول في أولها :

* رجعت عن النظم الذي قلت في النجدي *

فانه قال ان كفر هؤلاء المعتقدين للاموات هو من الكفر العملي ، لا الكفر الجحودي . ونقل ما ورد في كفر تارك الصلاة كما ورد في الاحاديث الصحيحة ، وكفر تارك الحج وكما في قوله تعالى (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) ونحو ذلك من الادلة الواردة فيمن زنى ومن سرق ومن أتى امرأة حائضاً أو امرأة في دبرها او أتى كاهناً او عرافا او قال لاخيه يا كافر . قال فهذه الانواع وان أطلقها الشارع على فعل هذه الكبائر فانه لا يخرج به العبد عن الايمان ويفارق به الملة ويباح به دمه وماله وأهله كما ظنه من لم يفرق بين الكفرين ومن لم يميز بين الامرين ، وذكر معتقده البخاري في صحيحه من كتاب الايمان في كفر دون كفر ، وما قاله العلامة ابن القيم ان الحكم بغير ما أنزل الله وترك الصلاة من الكفر العملي وتحقيقه ان الكفر كفر عمل وكفر جحود وعناد ، فكفر الجحود أن يكفر بما علم أن الرسول جاء به من عند الله جحوداً وعنادا فهذا الكفر يضاد الايمان من كل وجه

وأما كفر العمل فهو نوعان : نوع يضاد الايمان ونوع لا يضاده . ثم نقل عن ابن القيم كلاماً في هذا المعنى ثم قال السيد المذكور (قلت) ومن هذا ـ يعني الكفر

العملي - من يدعو الاولياء ويهتف بهم عند الشدائد ويطوف بقبورهم ، ويقبل جدرانها وينذر لها بشيء من ماله فانه كفر عملي لا اعتقادي ، فانه مؤمن بالله وبرسوله ﷺ وباليوم الآخر لكن زين له الشيطان ان هؤلاء عباد الله الصالحين ينفعون ويشفعون ويضرون فاعتقدوا ذلك كما اعتقد ذلك اهل الجاهلية في الاصنام ، لكن هؤلاء مثبتون التوحيد لله لا يجعلون الاولياء آلهة كما قاله الكفار انكاراً على رسول الله ﷺ لما دعاهم الى كلمة التوحيد (أَجَعَلَ الآلهة إلهاً واحداً)؟ فهؤلاء جعلوا لله شركاء حقيقة فقالوا في التلبية « لبيك لا شريك لك إلا شريك، هو لك تملكه وما ملك » فأثبتوا للاصنام شركة مع رب الانام ، وان كانت عباراتهم الضالة قد أفادت انه لا شريك له ، لانه إذا كان يملكه وما ملك فليس بشريك له تعالى بل مملوك

فعباد الاصنام الذين جعلوا لله أندادا واتخذوا من دونه شركاء وتارة يقولون شفعاء يقربونهم الى الله زلفى بخلاف جهلة المسلمين الذين اعتقدوا في أوليائهم النفع والضر ، فانهم مقرون لله بالوحدانية وإفراده بالالهية وصدقوا رسله ، فالذي أتوه من تعظيم الاولياء كفر عمل لا اعتقاد ، فالواجب وعظهم وتعريفهم جهلهم وزجرهم ولو بالتعزير كما أمرنا بحد الزاني والشارب والسارق من أهل الكفر العملي الى أن قال — فهذه كلها قبائح محرمة من أعمال الجاهلية فهو من الكفر العملي وقد ثبت ان هذه الامة تفعل أمورا من امور الجاهلية هي من الكفر العملي كحديث « أربع في أمتي من امر الجاهلية لا يتركونهن : الفخر في الاحساب والطعن في الانساب والاستسقاء بالنجوم والنياحة » أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي مالك الاشعري — فهذه من الكفر العملي لا تخرج به الامة عن الملة بل هم مع اتيانهم بهذه الخصلة الجاهلية أضافهم إلى نفسه فقال « من أمتي »

(فان قلت) اهل الجاهلية تقول في أصنامهم انهم يقربونهم الى الله زلفى كما تقوله

القبوريون . ويقولون (هؤلاء شفعاؤنا عند الله) كما تقوله القبوريون (قلت) لا سواء فان القبوريين مثبتون التوحيد لله قائلون انه لا اله الا هو ولو ضربت عنقه على أن يقول ان الولي إله مع الله لما قالها بل عنده اعتقاد جهل ان الولي لما أطاع الله كان له لطاعته عنده تعالى جاه به تقبل شفاعته ويرجى نفعه ، لا انه إله مع الله بخلاف الوثني فانه امتنع عن قول لا إله الا الله حتى ضربت عنقه زاعماً ان وثنه إله مع الله ويسميه رباً وإلهاً .قال يوسف عليه السلام (أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار)سماهم ارباباً لأنهم كانوا يسمونهم بذلك كما قال الخليل (هذا ربي) في الثلاث الآيات مستفهما لهم مبكتاً متكلما على خطئهم حيث يسمون الكواكب أرباباً وقالوا (أجَعَلَ الآلهَةَ إلهاً واحداً ؟) وقال قوم ابراهيم (مَن فَعَلَ هذا بِآلهتنا ؟ ـ أأنت فعلتَ هذا بآلهتِنا يا ابراهيم ؟) وقال ابراهيم (أإفكاً آلهةً دونَ اللهِ تُريدون ؟) ومن هنا يعلم أن الكفار غير مقرين بتوحيد الالهية والربوبية كما توهمه من توهم من قوله (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ـ ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم * قل من يرزقكم من السماء والارض ـ إلى قوله ـ ليقولن الله) فهذا إقرار بتوحيد الخالقية والرازقية ونحوها لا انه اقرار بتوحيد الالهية، لانهم يجعلون أوثانهم أرباباً كما عرفت

فهذا الكفر الجاهلي كفر اعتقاد ومن لازمه كفر العمل ، بخلاف من اعتقد في الاولياء النفع والضر مع توحيد الله وايمان به وبرسوله وباليوم الآخر فانه كفر عمل . فهذا تحقيق بالغ وايضاح لما هو الحق من غير افراط ولا تفريط اهـ كلام السيد المذكور رحمه الله تعالى

(وأقول) هذا الكلام في التحقيق ليس بتحقيق بالغ ، بل كلام متناقض متدافع، وبيانه انه لا شك ان الكفر ينقسم الى كفر اعتقاد وكفر عمل ، لكن دعوى أن

ما يفعله المعتقدون في الاموات من كفر العمل في غاية الفساد ، فانه قد ذكر في هذا البحث ان كفر من اعتقد في الاولياء كفر عملي ، هذا عجيب كيف يقول كفر من يعتقد في الاولياء كفر عمل ويسمي ذلك اعتقادا ثم يقول انه من الكفر العملي وهل هذا الا التناقض البحت ، والتدافع الخالص ؟

انظر كيف ذكر في اول البحث ان كفر من يدعو الاولياء ويهتف بهم عند الشدائد ويطوف بقبورهم ويقبل جدرانها وينذر لها بشيء من ماله هو كفر عملي ، فليت شعري ما هو الحامل له على الدعاء والاستغاثة ، وتقبيل الجدارات ، ونذر النذورات هل هو مجرد اللعب والعبث من دون اعتقاد ؟ فهذا لا يفعله الا مجنون أم الباعث عليه الاعتقاد في الميت فكيف لا يكون هذا من كفر الاعتقاد الذي لولاه لم يصدر فعل من تلك الافعال ؟

ثم انظر كيف اعترف بعد ان حكم على هذا الكفر بأنه كفر عمل لا كفر اعتقاد بقوله : لكن زين له الشيطان ان هؤلاء عباد الله الصالحين ينفعون ويشفعون فاعتقد ذلك جهلا كما اعتقده أهل الجاهلية في الاصنام . فتأمل كيف حكم بأن هذا كفر اعتقاد ككفر أهل الجاهلية وأثبت الاعتقاد واعتذر عنهم بأنه اعتقاد جهل وليت شعري أي فائدة لكونه اعتقاد جهل فان طوائف الكفر بأسرها وأهل الشرك قاطبة انما حملهم على الكفر ودفع الحق والبقاء على الباطل الاعتقاد جهلا . وهل يقول قائل ان اعتقادهم اعتقاد علم حتى يكون اعتقاد الجهل عذرا لاخوانهم المعتقدين في الاموات ، ثم تمم الاعتذار بقوله : لكن هؤلاء مثبتون للتوحيد الى آخر ما ذكره ولا يخفاك أن هذا عذر باطل ، فان اثباتهم التوحيد ان كان بألسنتهم فقط فهم مشتركون في ذلك هم واليهود والنصارى والمشركون والمنافقون . وان كان بأفعالهم فقد اعتقدوا في الاموات ما اعتقده أهل الاصنام في أصنامهم ، ثم كرر هذا المعنى في كلامه وجعله السبب في رفع السيف عنهم وهو

باطل ، فما ترتب عليه مثله باطل ، فلا نطول برده ، بل هؤلاء القبوريون قد وصلوا الى حد في اعتقادهم في الاموات لم يبلغه المشركون في اعتقادهم في أصنامهم ، وهو ان الجاهلية كانوا اذا مسهم الضر دعوا الله وحده ، وانما يدعون أصنامهم مع عدم نزول الشدائد من الامور كما حكاه الله عنهم بقوله (وَاذا مسَّكُمُ الضُّرُّ في البحرِ ضلَّ مَن تدعونَ الا ايَّاهُ فلما نجَّاكم الى البرِّ أعرضتُم وكان الانسانُ كفوراً) وبقوله تعالى (قُل أرأيتَكُم انْ أتاكم عذابُ اللهِ أو أتتكمُ الساعةُ أغَيرَ اللهِ تدْعون إنْ كنتم صادقين؟ وبقوله تعالى وإذا مسَّ الانسانَ ضُرٌّ دعا ربَّه منيباً اليه ثم اذا خوَّله نعمةً منه نَسِيَ ما كان يدعو اليه مِن قبل - وبقوله تعالى - وَاذا غَشِيَهُمْ مَوجٌ كالظُّلَلِ دعوُا اللهَ مُخلِصين له الدين) بخلاف المعتقدين في الاموات فانها اذا دهتهم الشدائد استغاثوا بالاموات ونذروا لهم النذور ، وقل من يستغيث بالله سبحانه في تلك الحال ، وهذا يعلمه كل من له بحث عن أحوالهم

ولقد أخبرني بعض من ركب البحر انه اضطرب اضطراباً شديداً ، فسمع من أهل السفينة من الملاحين وغالب الراكبين معهم ينادون الاموات ويستغيثون بهم ، ولم يسمعهم يذكرون الله قط ، قال : ولقد خشيت في تلك الحال الغرق لما شاهدته من الشرك بالله

وقد سمعنا عن جماعة من أهل البادية المتصلة بصنعاء ان كثيرا منهم اذا حدث له ولد جعل قسطا من ماله لبعض الاموات المعتقدين ويقول انه قد اشترى ولده من ذلك الميت الفلاني بكذا ، فاذا عاش حتى بلغ سن الاستقلال دفع ذلك الجعل لمن يعتكف على قبر ذلك الميت من المحتالين لكسب الاموال

وبالجملة فالسيد المذكور رحمه الله تعالى قد جرد النظر في بحثه السابق الى

الاقرار بالتوحيد الظاهري واعتبر مجرد التكلم بكلمة التوحيد ويخالفه من اعتقاده الذي صدرت عنه تلك الافعال المتعلقة بالاموات ، وهذا الاعتبار لا ينبغي التعويل عليه ولا الاشتغال به ، فالله سبحانه انما ينظر الى القلوب وما صدر من الافعال عن اعتقاد لا الى مجرد الالفاظ ، وإلا لما كان فرق بين المؤمن والمنافق اه

وأيضاً قال فيه[1] وأقول قد قدمنا في أوائل هذا الجواب انه لا بأس بالتوسل بنبي من الانبياء أو ولي من الاولياء أو عالم من العلماء ، وأوضحنا ذلك بما لا مزيد عليه ، فهذا الذي جاء الى القبر زائرا ودعا الله وحده وتوسل بذلك الميت كأن يقول : اللهم اني أسألك أن تشفيني من كذا وأتوسل اليك بما لهذا العبد الصالح من العبادة لك والمجاهدة فيك أو التعلم والتعليم خالصاً لك ، فهذا لا تردد في جوازه (٢) لكن لاي معنى قام يمشي الى القبر ؟ فان كان لمحض الزيارة ولم يعزم على الدعاء والتوسل إلا بعد تجريد القصد الى الزيارة فهذا ليس بممنوع ، فانه انما جاء ليزور ، وقد أذن لنا رسول الله ﷺ بزيارة القبور لحديث « كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها » وهو في الصحيح ، وخرج لزيارة الموتى ودعا لهم وعلمنا كيف نقول إذا نحن زرناهم ، وكان يقول « السلام عليكم اهل دار قوم مؤمنين وإنا بكم ان شاء الله لاحقون وأتاكم ماتوعدون ، نسأل الله لنا ولكم العافية » وهو أيضاً في الصحيح بألفاظ وطرق — فلم يفعل هذا الزائر إلا ما هو مأذون له به ومشروع ، لكن بشرط أن « لا يشد راحلته ، ولا يعزم على سفر ولا يرحل كما ورد تقييد الاذن بالزيارة القبور بحديث لا تشدوا الرحال الا لثلاثة مساجد » وهو مقيد لمطلق الزيارة ، وقد خصص بمخصصات (منها) زيارة القبر

---

١) أي الشوكاني (٢) فيه نظر وهو ان توسل الانسان بعبادة غيره غير مشروع ولا مأثور ولا معقول فالتوسل تقرب شرعي وانما يتقرب العباد الى ربهم بما شرعه لهم من الايمان والعمل الصالح كما فعل اصحاب الغار الثلاثة وتقدمت الاشارة اليه وكتبه محمد رشيد رضا



الشريف النبوي المحمدي على صاحبه أفضل الصلاة والتسليم ، وفي ذلك خلاف بين العلماء وهي مسألة من المسائل التي طالت ذيولها ، واشتهرت أصولها ، وامتحن بسببها من امتحن ، وليس ذكر ذلك من مقصودنا

وأما اذا لم يقصد مجرد الزيارة بل قصد المشي الى القبر ليفعل الدعاء عنده فقط وجعل الزيارة تابعة لذلك أومشى لمجموع الزيارة والدعاء فقد كان يغنيه أن يتوسل الى الله بما لذلك الميت من الاعمال الصالحة من دون أن يمشي الى قبره ، فان قال انما مشيت الى قبره لاشير اليه عند التوسل به ، فيقال له ان الذي يعلم السر وأخفى ، ويحول بين المرء وقلبه ، ويطلع على خفيات الضمائر ، وتنكشف لديه مكنونات السرائر ، لا يحتاج منك الى هذه الاشارة التي زعمت انها الحاملة لك على قصد القبر والمشي اليه ، وقد كان يغنيك أن تذكر ذلك الميت باسمه العلم أو بما يتميز به عن غيره ، فما اراك مشيت لهذه الاشارة فان الذي تدعوه في كل مكان مع كل انسان ، بل مشيت لتسمع الميت توسلك به وتعطف قلبه عليك ، وتتخذ عنده يدا بقصده وزيارته والدعاء عنده والتوسل به ، وأنت إن رجعت الى نفسك ، وسألتها عن هذا المعنى فربما نقرالك به وصدقتك الخبر ، فان وجدت عندها هذا المعنى الدقيق ، الذي هو بالقبول منك حقيق ، فاعلم انه قد علق بقلبك ماعلق بقلوب عباد القبور ، ولكنك قهرت هذه النفس الخبيثة عن أن تترجم بلسانك عنها وتنشد ما انطوت عليه من محبة ذلك القبر والاعتقاد فيه والتعظيم له والاستغاثة به ، فأنت مالك لها من هذه الحيثية مملوك لها من الحيثية التي أقامتك من مقامك ، ومشت بك الى فوق القبر . فان تداركت نفسك بعد هذه وإلا كانت المستولية عليك المتصرفة فيك ، المتلاعبة بك في جميع ماتهواه مما قد وسوس به لها الخناس ، الذي يوسوس في صدور الناس اه

وأيضاً قال فيه قد ظهر بمجموع هذا التقسيم ان من يقصد القبر ليدعو عنده

هو أحد ثلاثة : إن مشي لقصد الزيارة فقط وعرض له الدعاء ولم يحصل بدعائه تغرير على الغير فذلك جائز ، وان مشي لقصد الدعاء فقط أو له مع الزيارة وكان له من الاعتقاد ما قدمنا فهو على خطر الوقوع في الشرك فضلا عن كونه عاصياً ، واذا لم يكن له اعتقاد في الميت على الصفة التي ذكرنا فهو عاص آثم ، وهذا اقل أحواله ، وأحقر ما يربحه في رأس ماله اه

وأيضا قال فيه : واذا عرف هذا فالذي نعتقده وندين به الله أن من دعا نبيا أو وليا أو غيرهما وسأل منهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات أن هذا من أعظم الشرك الذي كفر الله به المشركين حيث اتخذوا أولياء وشفعاء يستجلبون بهم المنافع ، ويستدفعون بهم المضار بزعمهم قال الله تعالى (وَيَعْبُدُونَ مِنْ دونِ اللهِ مالاَ يَضرُّهم وَلاَ ينفعُهم ويقولونَ هؤلاءِ شفعَاؤنا عندَ الله) فمن جعل الانبياء أو غيرهم كابن عباس أو المحجوب أو أبي طالب وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم جلب المنافع بمعنى أن الخلق يسألونهم وهم يسألون الله كما أن الوسائط عند الملوك يسألون الملوك حوائج الناس لقربهم منهم والناس يسألونهم أدبا منهم أن يباشروا سؤال الملوك أو لكونهم أقرب إلى الملك فمن جعلهم وسائط على هذا الوجه فهو كافر مشرك حلال الدم والمال وقد نص العلماء رحمهم الله تعالى على ذلك وحكوا عليه الاجماع

قال في الاقناع وشرحه : من جعل بينه وبين الله وسائط يتوكل عليهم ويدعوهم كفر اجماعا لان ذلك كفعل عابدي الاصنام قائلين (مانَعْبُدُهم إلاَّ ليُقَرِّبونا إلى الله زُلْفَى) انتهى

وقال الامام أبو الوفاء علي بن عقيل الحنبلي (رح) لما صعبت التكاليف على الجهال والطغام عدلوا عن أوضاع الشرع إلى تعظيم أوضاع وضعوها لانفسهم فسهلت عليهم إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم قال وهم عندي كفار بهذه الاوضاع

مثل تعظيم القبور وإكرامها وإلزامها بما نهى عنه الشرع من إيقاد النيران وتقبيلها وتخليقها[1] وخطاب الموتى بالحوائج وكتب الرقاع فيها: يامولاي افعل لي كذا. وكذا وأخذ تربتها تبركا، وافاضة الطيب على القبور وشد الرحال اليها وإلقاء الخرق على الشجر اقتداء (٢) بمن عبد اللات والعزى انتهى

وقال الامام البكري الشافعي في تفسيره عند قوله تعالى (والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) وكانت الكفار إذا سئلوا من خلق السموات والارض ؟ قالوا الله . فاذا سئلوا عن عبادة الاصنام قالوا ما نعبدهم إلا ليقربونا الى الله زلفى، لاجل طلب شفاعتهم عند الله . وهذا كفر انتهى كلامه . فتأمل ماذكره صاحب الاقناع وكذلك ماذكره ابن عقيل من تعظيم القبور وخطاب الموتى بالحوائج وهو كفر

قال الحافظ العماد بن كثير (رح) في تفسيره عند قوله (والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) أي انما يحملهم على عبادتهم أنهم عمدوا الى أصنام اتخذوها على صور الملائكة المقربين في زعمهم فعبدوا تلك الصور تنزيلا لذلك منزلة عبادتهم الملائكة ليشفعوا لهم عند الله في نصرهم ورزقهم وماينوبهم من أمر الدنيا، فأما المعاد فكانوا جاحدين له كافرين به

قال قتادة والسدي ومالك عن زيد بن أسلم وابن زيد (الا ليقربونا الى الله زلفى) أي ليشفعوا لنا ويقربونا عنده ولهذا كانوا يقولون في تلبيتهم اذا حجوا في جاهليتهم لبيك لاشريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك. وهذه الشبهة هي التي اعتمدها المشركون في قديم الدهر وحديثه، وجاءتهم الرسل

---

(١) تخليقها تضميخها بالخلوق وهو بالفتح نوع من الطيب ومثله كل تعطير وتطييب (٢) هو اقتداء بهم وان لم يقصد فاعله الاقتداء ولا علم بحالهم والحكم منوط بهذا العمل الوثني لا بقصد الاقتداء بالمشركين وكتبه وما قبله محمد رشيد

صلوات الله وسلامه عليهم بردها والنهي عنها ، والدعوة الى إفراد العبادة لله وحده لاشريك له، وأن هذا شيء اخترعه المشركون من عند أنفسهم لم يأذن الله فيه ولا رضي به ، بل أبغضه ونهى عنه قال تعالى (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) وقال (وما أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِن رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاإِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدُونِ) فأخبر أن الملائكة التي في السموات من المقربين وغيرهم كلهم عبيد خاضعون لله لايشفعون عنده الا باذنه لمن ارتضى، وليسوا عنده كالامراء عند ملوكهم يشفعون عندهم بغير اذنهم فيما أحبه الملوك أو أبغضوه (فلا تضربوا لله الامثال) تعالى الله عن ذلك انتهى كلامه

وقال الامام البكري (رح) عند قوله (قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَيُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ) الآية (فان قلت) إذا أقروا فكيف عبدوا الاصنام ؟ «قلت » كلهم يعتقدون بعبادتهم الاصنام عبادة الله تعالى ، والتقرب اليه ، ولكن بطرق مختلفة ، ففرقة قالت ليس لنا أهلية عبادة الله تعالى بلا واسطة بعظمته فعبدناها لتقربنا اليه زلفى، وفرقة قالت: الملائكة ذو وجاهة ومنزلة عند الله تعالى . فاتخذنا لنا أصناما على هيئة الملائكة لتقربنا الى الله زلفى ، وفرقة قالت جعلنا الاصنام لنا قبلة في العبادة كما ان الكعبة قبلة في عبادته ، وفرقة اعتقدت أن لكل صنم شيطانا موكلا بأمر الله ، فمن عبد الصنم حق عبادته قضى الشيطان حوائجه بأمر الله وإلا أصابه شيطانه بنكبة باذن الله اه كلامه

فانظر إلى كلام هؤلاء الائمة وتصريحهم بأن المشركين ما أرادوا مما عبدوا إلا التقرب الى الله وطلب شفاعتهم عند الله ، وتأمل ماذكره ابن كثير، وماحكاه

عن زيد بن أسلم وابن زيد ثم قال : وهذه الشبهة هي التي اعتقدها المشركون في قديم الدهر وحديثه ، وجاءتهم الرسل صلوات الله وسلامه عليهم بردها والنهي عنها ، وتأمل ما ذكره البكري «رح» عند آية الزمر ان الكفار ما أرادوا الا الشفاعة، ثم صرح بأن هذا كفر ، فمن تأمل ماذكره الله في كتابه تبين له أن الكفار ما أرادوا ممن عبدوا الا التقرب الى الله وطلب شفاعتهم عند الله ، فانهم لم يعتقدوا فيها انها تخلق الخلائق وتنزل المطر وتنبت النبات بل كانوا مقرين ان الفاعل لذلك هو الله وحده قال الله تعالى (قل من يرزقكم من السماء والارض أم من يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر ؟ فسيقولون الله فقل أفلا تتقون) وقال تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون) وقال تعالى (قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون؟ سيقولون لله، قل أفلا تذكرون * قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم؟ سيقولون لله) الآيتين الى غير ذلك من الآيات التي أخبر الله فيها ان المشركين معترفون ان الله هو الخالق الرازق وانما كانوا يعبدونهم ليقربوهم ويشفعوا لهم كما ذكره الله سبحانه في قوله (ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) فبعث الله الرسل وأنزل الكتب ليعبد وحده لا يجعل معه إله آخر ، وأخبر أن الشفاعة كلها له وانه لا يشفع أحد عنده إلا باذنه وانه لا يأذن إلا لمن رضي قوله وعمله ، وانه لا يرضى الا التوحيد والشفاعة مقيدة بهذه القيود قال الله تعالى (أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون * قل لله الشفاعة جميعاً) وقال تعالى (مالكم من دونه من ولي ولا شفيع — وقال تعالى — من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه؟ وقال تعالى — وكم من ملك في السموات والارض لا تغني شفاعتهم شيئاً الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى — وقال تعالى — ولا يشفعون الا لمن ارتضى — وقال تعالى ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له) اه

وأيضاً قال فيه : والمقصود ان الكتاب والسنة دلا على أن من جعل الملائكة والانبياء أو ابن عباس او أبا طالب أو المحجوب وسائط بينه وبين الله يشفعون له عند الله لاجل قربهم من الله كما يفعل عند الملوك انه كافر مشرك حلال المال والدم وان قال أشهد أن لااله الا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ﷺ وصلى وصام وزعم انه مسلم ، بل هو من الاخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعاً اه

وأيضا قال فيه : فاذا تبين لكم أن القرآن قد صرح بهذه المسائل الثلاث أعني اعتراف المشركين بتوحيد الربوبية وأنهم يدعون الصالحين وأنهم ماأرادوا منهم الا الشفاعة تبين لكم أن هذا الذي يفعل عند القبور اليوم من سؤال جلب الفوائد وكشف الشدائد أنه الشرك الاكبر الذي كفر الله به المشركين فان هؤلاء المشركين شبهوا الخالق بالمخلوق

وفي القرآن العزيز وكلام أهل العلم من الرد على هؤلاء مالا يتسع له هذا الموضع فان الوسائط التي تكون بين الملوك وبين الناس تكون على أحد وجوه ثلاثة

أما لاخبارهم من أحوال الناس بما لايعرفونه ، ومن قال ان الله لايعرف أحوال العباد حتى يخبره بذلك بعض الانبياء أو غيرهم من الاولياء والصالحين فهو كافر ، بل هو سبحانه يعلم السر وأخفى لا تخفى عليه خافية في الارض ولا في السماء .

(الثاني) أن يكون الملك عاجزاً عن تدبير رعيته ودفع أعدائه الا بأعوان يعاونونه فلا بد له من أعوان و أنصار لذله وعجزه والله سبحانه ليس له ولي ولا ظهير من الذل وكل مافي الوجود من الاسباب فهو سبحانه ربه وخالقه فهو الغني عن كل ماسواه وكل ماسواه فقير اليه بخلاف الملوك المحتاجين الى ظهرائهم وهم في الحقيقة شركاؤهم والله سبحانه ليس له شريك في الملك، بل لااله الا الله وحده

لاشريك له له الملك وله الحمد ولهذا لايشفع عنده الا باذنه لاملك مقرب ولا نبي مرسل فضلا عن غيرهما فان من شفع عنده بغير اذنه فهو شريك له في حصول المطلوب أثر فيه بشفاعته حتى يفعل مايطلب منه والله لاشريك له بوجه من الوجوه

(الثالث) أن يكون الملك ليس مريداً لنفع رعيته والاحسان اليهم الا بمحرك يحركه من خارج فاذا خاطب الملك من ينصحه ويعظه أو من يُدِلُّ عليه بحيث يكون يرجوه أو يخافه تحركت ارادة الملك وهمته في قضاء حوائج رعيته. والله سبحانه رب كل شيء ومليكه وهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها وكل الاسباب انما تكون بمشيئته فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وهو سبحانه اذا أجرى نفع العباد بعضهم على يد بعض فجعل هذا يحسن الى هذا ويدعو له ويشفع له فهو الذي خلق ذلك كله وهو الذي خلق في قلب هذا المحسن والداعي ارادة الاحسان والدعاء، ولا يجوز أن يكون في الوجود من يكرهه على خلاف مراده أو يعلمه ما لم يكن يعلمه، والشفعاء الذين يشفعون عنده لا يشفعون عنده الا باذنه كما تقدم بيانه، بخلاف الملوك فان الشافع عندهم يكون شريكا لهم في الملك. وقد يكون مظاهراً لهم ومعاونا لهم على ملكهم وهم يشفعون عند الملوك بغير إذن الملوك والملك يقبل شفاعتهم تارة لحاجته اليهم، وتارة لجزاء احسانهم ومكافأتهم حتى انه يقبل شفاعة ولده وزوجه لذلك فانه محتاج الى الزوجة والولد حتى لو أعرض عنه ولده وزوجه تضرر بذلك، ويقبل شفاعة مملوكه فانه اذا لم يقبل شفاعته يخاف أن لا يطيعه، ويقبل شفاعة أخيه مخافة ان يسعى في ضرره، وشفاعة العباد بعضهم عند بعض كلها من هذا الجنس. فلا أحد يقبل شفاعة أحد الا لرغبة أو لرهبة والله سبحانه لا يرجو أحداً ولا يخافه، ولا يحتاج الى احد، بل هو الغني سبحانه عما سواه. وكل ما سواه فقير اليه اه

وقال فيه: وقال شيخ الاسلام تقي الدين في الاقناع ان من دعا ميتاً وان

كان من الخلفاء الراشدين فهو كافر وان من شك في كفره فهو كافر ، وقال في النهر الفائق اعلم ان الشيخ قاسما قال في شرح درر البحار : ان النذر الذي يقع من اكثر العوام بأن يأتي الى قبر بعض الصلحاء قائلا يا سيدي فلان ان رد غائبي أو عوفي مريضي فلك من الذهب أو الفضة أو الشمع أو الزيت كذا باطل اجماعاً لوجوه ـ الى أن قال ـ ومنها ظن أن الميت يتصرف في الامر واعتقاد هذا كفر وقال ابن حجر في شرح اربعين له من دعا غير الله فهو كافر اه

وقال شيخ الاسلام تقي الدين (رح) في الرسالة السنية ان كل من غلا في نبي أو رجل صالح وجعل فيه نوعاً من الالهية مثل أن يقول ياسيدي فلان أغثني أو انصرني أو ارزقني أو اجبرني ، وأنا في حسبك ونحو هذه الاقوال ، فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فان تاب نجا والا قتل ، فان الله انما أرسل الرسل وأنزل الكتب ليعبد وحده ، لا يجعل معه اله آخر ، والذين يدعون مع الله آلهة أخرى مثل المسيح والملائكة والاصنام لم يكونوا يعتقدون انها تخلق الخلائق أو تنزل المطر أو تنبت النبات ، وانما كانوا يعبدونهم ويعبدون قبورهم أو صورهم ويقولون انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله فبعث الله رسله تنهى أن يدعى أحد من دونه لا دعاء عبادة ولا دعاء استغاثة : وقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا * أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب) الآية اه

قال العلامة ابن القيم ومن العجب انهم ينسبون أهل التوحيد الى التنقص بالمشايخ والانبياء والصالحين وما ذنبهم الا ما قالوا انهم عبيد لا يملكون لانفسهم ولا لغيرهم ضرا ولا نفعاً ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ، وانهم لا يشفعون لعابديهم أبدا ، بل حرم الله تعالى شفاعتهم لهم ، ولا يشفعون لاهل التوحيد الا بعد اذن الله لهم في الشفاعة فليس لهم من الامر شيء بل الامر كله لله ، والشفاعة

كلها لله سبحانه ، والولاية له ، فليس لخلقه من دونه ولي ولا شفيع

فالمشرك إما أن يظن أن الله سبحانه يحتاج الى من يدبر أمر العالم معه من وزير أو ظهير أو عوين ، وهذا أعظم التنقص لمن هو غني عن كل ما سواه بذاته ، وكل ماسواه فقير اليه بذاته . وإما انه يظن انه لا يعلم حتى يعلمه الواسطة ولا يرحم حتى يجعله الواسطة يرحم ، ولا يكفي وحده أو لا يفعل ما يريد العبد حتى يشفع عنده الواسطة كما يشفع المخلوق عند المخلوق فيحتاج أن يقبل شفاعته لحاجته الى الشافع وانتفاعه به ، وتكثره به من القلة ، وتعززه به من الذلة ، أو لا يجيب دعاء عباده حتى يسألوا الواسطة أن يرفع تلك الحاجة اليه ، كما هو حال ملوك الدنيا ، وهذا أصل شرك الخلق ، أو يظن انه لا يسمع دعاءه لبعده عنهم حتى يرفع الوسائط اليه ذلك ، أو يظن أن للمخلوق عليه حقا فهو يقسم عليه بحق ذلك المخلوق عليه ، ويتوسل اليه بذلك المخلوق كما يتوسل الناس الى الاكابر والملوك بمن يعز عليهم ولا يمكنهم مخالفته ، وكل ذلك تنقص للربوبية وهضم لحقها ، ولو لم يكن فيه الا نقص محبة الله وخوفه ورجائه والتوكل عليه والانابة اليه من قلب المشرك بسبب قسمه ذلك بينه سبحانه وبين من أشرك به ، فيضعف أو يضمحل ذلك التعظيم والمحبة والخوف والرجاء بسبب صرف أكثره أو بعضه الى من عبده من دون الله ، فالشرك ملزوم لتنقص الرب سبحانه والتنقص لازم له ضرورة شاء المشرك أم أبى ، ولهذا اقتضى حمده سبحانه وكمال ربوبيته أن لا يغفره وأن يخلد صاحبه في العذاب الاليم ويجعله أشقى البرية ، فلا تجد مشركا قط الا وهو متنقص لله سبحانه وان زعم انه معظم له بذلك اه هكذا نقله بعض المحققين في كتاب رد فيه على داود بن جرجيس العراقي لم أقف على اسمه (١)

---

(١) هو الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن في كتاب منهاج التأسيس في الرد على داود بن جرجيس البغدادي

وأيضاً قال فيه : وأما قول هذا الجاهل العراقي، وكذلك المسلمون يذكرون أن طلبتهم من غير الله انما هي من باب التسبب فالجواب أن نسبة الطلب من غير الله الى المسلمين من أمحل المحال ، وأبطل الباطل، فان المسلم لا يطلب من غير الله ، فان من طلب وسأل حاجته من ميت أو غائب فقد فارق الاسلام ، لان الشرك ينافي الاسلام لما تقدم من أن الاسلام هو اسلام الوجه والقلب واللسان والاركان لله وحده دون ماسواه ، فالمسلم المخلص يخلص دعاءه لله ، والمشرك يصرف جل الدعاء والعبادة أو بعضه لغير الله . وقد عرفت مما تقدم أن الدعاء هو العبادة ، وقد نهى سبحانه نبيه ﷺ أن يدعو غيره فقال (ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذاً من الظالمين) وهذا خرج مخرج الخصوص وهو عام لجميع الامة ، وكذلك (ولا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين) وقال تعالى (ولا تدع مع الله الها آخر لا اله الا هو) فظهر من هذه الآية ان الدعاء تأله الداعي، فان المألوه هو المعبود والعابد آله له اه

وأيضا قال فيه وأما ماادعاه المنحرفون عن الايمان من أن الوسيلة هو التوسل الى الله تعالى بالانبياء والصالحين، فهذا باطل يناقض ما ذكره الله تعالى في أول الآية من تهديد من دعاهم وانكاره عليهم دعوتهم ، وقد تقدم مايدل على أن هذا المدعى هو بعينه دين المشركين المتخذين الشفعاء يسألونهم أن يشفعوهم عند الله يقربوهم اليه زلفى ، والقرآن كله من أوله الى آخره يبطل هذه الوسيلة ويبين انها شرك وكفر كما قال تعالى (ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون) وقوله (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة) الآية وقوله (والذين تدعون من دونه مايملكون من قطمير - الى قوله - ويوم القيامة يكفرون بشرككم)

فتظاهرت الآيات والاحاديث على أن هذه الوسيلة التي يدعيها أولئك الضلال من التعلق بالاموات والغائبين برغبة أو رهبة ان هذا هو الشرك الاكبر الذي لا يغفره الله كما تقدم ذلك صريحا في كلام العلماء والاستدلال على ذلك بهذه الآيات ونظائرها اه

وأيضا قال فيه فالاجماع الصحيح هو ماذكره شيخ الاسلام (رح) وتلقاه عنه الفقهاء في كتبهم فانه قال : من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم ويتوكل عليهم كفر إجماعا اه

وأيضا قال فيه : قال شيخ الاسلام ابن تيمية (رح) في مسألة الوسائط وقد سئل عن رجل قال لابد لنا من واسطة بيننا وبين الله (فأجاب) الحمد لله رب العالمين. انه ان أراد انه لابد لنا من واسطة تبلغنا أمر الله فهذا حق ، فان الخلق لا يعلمون مايحبه الله ويرضاه وما أمر به ونهى عنه ولا يعرفون ما يستحقه من اسماء الحسنى، وصفاته العلى، وأمثال ذلك الا بالرسل الذين أرسلهم الله الى عباده — الى أن قال وان أراد بالواسطة انه لابد من واسطة تتخذه العباد بينهم وبين الله في جلب المنافع ودفع المضار. يسألونه ويرجونه ، فهذا من أعظم الشرك الذي كفر الله به المشركين حيث اتخذوا من دون الله أولياء وشفعاء يجتلبون بهم المنافع ويستدفعون بهم المضار، لكن الشفاعة لمن أذن الله له فيها. قال الله تعالى (الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش مالكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون) وقال تعالى (وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع) وذكر قوله تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا * أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب) وقد تقدم

فبين الله لهم أن الملائكة والانبياء لا يملكون كشف الضر عنهم ولا تحويله

وانهم يتقربون اليه بما يحبه ويرضاه ويرجون رحمته ويخافون عذابه ، وقال تعالى
(ما كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ * وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) فبين سبحانه أن اتخاذ الملائكة والنبيين أربابا كفر ، فمن جعل الملائكة والانبياء وسائط يدعوهم ويسألهم جلب المنافع وسد الفاقات وتفريج الكربات ، فهو كافر باجماع المسلمين اه

وأيضا فيه: وذكر شيخ الاسلام أيضا بعد كلامه الذي سبق في مشايخ العلم الذين جعلهم وسائط بين الرسول وأمته يبلغون عنه ويقتدون به، فمن جعلهم وسائط بين الرسول وبين أمته في البلاغ عنه فقد أصاب . وأما جعل الوسائط بين الله وبين خلقه كالحجاب الذين بين الملك ورعيته بحيث يكونون هم يرفعون الى الله حوائج خلقه بمعنى أن الخلق يسألونهم وهم يسألون الله كما أن الوسائط عند الملوك يسألون حوائج الناس لقربهم منهم والناس يسألونهم أدبا منهم ليباشروا سؤال الملك أو ان طلبهم من الوسائط أنفع لهم من طلبهم من الملك لكونهم أقرب الى الملك من الطالب ، فمن أثبتهم وسائط على هذا الوجه فهو كافر مشرك يجب أن يستتاب ، فان تاب والا قتل ، وهؤلاء شبهوا الخالق بالمخلوق ، وجعلوا لله أندادا ، وفي القرآن من الرد على هؤلاء مالا تتسع له هذه الفتوى

وأيضاً فيه : والمقصود هنا ان من أثبت وسائط بين الله وبين خلقه كالوسائط التي تكون بين الملوك والرعية فهو مشرك ، بل هذا دين المشركين عباد الاوثان اه

وأيضاً فيه: قال شيخ الاسلام تقي الدين أحمد بن تيمية (الوجه الخامس) أن يقال نحن لا ننازع في اثبات ما أثبته الله من الاسباب والحكم ، لكن من هو الذي جعل الاستغاثة بالمخلوق ودعاءه سبباً في الامور التي لا يقدر عليها الا الله ؟ ومن

الذي قال إنك اذا استغثت بميت أوغائب من البشر كان أوغيره كان ذلك سببا في حصول الرزق والنصر والهدى وغير ذلك مما لا يقدر عليه الا الله ؟ ومن الذي شرع ذلك وأمر به ؟ ومن الذي فعل ذلك من الانبياء والصحابة والتابعين لهم باحسان؟ فان هذا المقام يحتاج الى مقدمتين (احداهما) ان هذه أسباب لحصول المطالب التي لا يقدر عليها الا الله (والثانية) ان هذه الاسباب مشروعة لا يحرم فعلها، فانه ليس كل ما كان سببا كونيا يجوز تعاطيه، فان المسافر قد يكون سفره سببا لأخذ ماله وكلاهما محرم، والدخول في دين النصارى قد يكون سببا لمال يعطونه وهو محرم، وشهادة الزور قد تكون سببا لنيل المال يؤخذ من المشهود له وهو حرام، وكثير من الفواحش والظلم قد يكون سببا لنيل مطالب وهو محرم، والسحر والكهانة سبب في بعض المطالب وهو محرم، وكذلك الشرك كدعوة الكواكب والشياطين، بل وعبادة البشر قد تكون سببا لبعض المطالب وهو محرم فان الله تعالى حرم من الاسباب ما كان مفسدته راجحة على مصلحته كالخمر وان كان يحصل به بعض الاغراض أحيانا . وهذا المقام مما يظهر به ضلال هؤلاء المشركين خلقا وأمرا فانهم مطالبون بالادلة الشرعية اه

وقال بعض أهل العلم [1] في كتاب رد فيه على كتاب بعض معاصريه المسمى (جلاء الغمة عن تكفير هذه الامة) لم أقف على اسمه : والتوسل صار مشتركا في عرف كثير فبعض الناس يطلقه على قصد الصالحين ودعائهم وعبادتهم مع الله، وهذا هو المراد بالتوسل في عرف عباد القبور وأنصارهم، وهو عند الله ورسوله وعند أولي العلم من خلقه الشرك الاكبر والكفر البواح، والاسماء لا تغير الحقائق

(١) هو الشيخ عبد اللطيف بن الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد ابن عبد الوهاب وكتابه اسمه مصباح الظلام رد فيه على (كتاب كشف الغمة عن تكفير هذه الامة) لعثمان بن منصور من اهل سدير اه

ويطلق أيضا في عرف السنة والقرآن وأهل العلم بالله ودينه على التوسل والتقرب الى الله تعالى بما شرعه من الايمان به وتوحيده وتصديق رسله وفعل ماشرعه من الاعمال الصالحة التي يحبها الرب ويرضاها كما توسل أهل الغار الثلاثة بالبر والعفة والامانة ، فاذا أطلق التوسل في كتاب الله تعالى وسنة رسوله و كلام أهل العلم من خلقه ، فهذا هو المراد ،لاما اصطلح عليه المشركون الجاهلون بحدود ماأنزل الله على رسوله ، فلبّس هذا المعترض بكلمة مشتركة ترويجا لباطله

وأما ماورد في السنن من السؤال بحق السائلين عليك وبحق ممشاي ونحو ذلك فالله سبحانه وتعالى جعل على نفسه حقا تفضلا منه وإحسانا الى عباده ،فهو توسل اليه بوعده وإحسانه وما جعله لعباده المؤمنين على نفسه ، فليس من هذا الباب ،أعني باب مسألة الله بخلقه ، وقد منع ذلك فقهاء الحنفية كما حدثني به محمد ابن محمود الجزائري الحنفي (رح) بداره باسكندرية وذكر انهم قالوا لاحق لمخلوق على الخالق ويشهد بهذا مايروى أن داود قال «اللهم اني أسألك بحق آبائي عليك » فأوحى اليه «أي حق لآبائك علي» أو نحو هذا

وأما الحق المشار اليه بالنفي هنا غير ما تقدم اثباته فان المثبت بمعنى الوعد الصادق ، وما جعله الله تعالى للماشي الى الصلاة والسائلين من الاجابة والاثابة فضلا منه وإحسانا ،والمنفي هنا هو الحق الثابت بالمعاوضة والمقابلة على الاعمال الصالحات ، فالاول يعود ويرجع الى التوسل بصفاته الفعلية الذاتية ، والثاني يرجع الى التوسل بذوات المخلوقين فتأمله فانه نفيس جداً اهـ

وقال أيضا فيه قبله : فعلم أن قول هذا الملحد « فجعل بكلامه هذا كما ترى التوسل بذوات الصالحين والرسل عليهم الصلاة والسلام وطلبه جل وعلا بأوليائه من دين المشركين الشرك الاكبر المخرج عن الملة وكفر به » كما ترى صريحا من قوله تمويه وتلبيس أدخل فيه قوله « وطلبه جل وعلا بأوليائه» ليوهم

الجهال ومن لا علم عندهم بحقيقة الحال وموضوع الكلام أن مراد الشيخ مسألة التوسل في دعاء الله بجاه الصالحين ؛ وهذه مسألة ودعاء الصالح وقصده فيما لا يقدر عليه الا الله مسألة أخرى ، فخلطهما ليروج باطله ؛ فقبحا قبحا ، وسحقا سحقا لمن ورث اليهود ، وحرف الكلم عن مواضعه ـ وكلام الشيخ صريح فيمن دعا مع الله إلها آخر في حاجاته وملماته وقصده بعباداته فيما لا يقدر عليه الا الله تعالى كحال من عبد عبد القادر أو احمد البدوي أو العيدروس أو عليا والحسين ، ومع هذا الصنيع الفظيع ، والشرك الجلي ، يقول أنا لا أشرك بالله شيئا ، وأشهد انه لا يخلق ولا يرزق ولا ينفع ولا يضر الا الله ، ظنا منهم أن ذلك هو الاسلام فقط ، وانه ينجو به من الشرك وما رتب عليه ، فكشف الشيخ شبهته ، وأدحض حجته بما تقدم من الآيات (وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا ، لا مبدل لكلماته ، وهو السميع العليم)

وأما مسألة الله تعالى بحق أنبيائه وأوليائه أو بجاههم ، بأن يقول السائل «اللهم اني أسألك بحق أنبيائك» أو بجاه أوليائك أو نحوها فليس الكلام فيه ولم يقل الشيخ انه شرك ولا له ذكر في كلامه ، وحكمه عند أهل العلم معروف ، وقد نص على المنع منه جمهور أهل العلم ، بل ذكر الشيخ في رده على ابن البكري انه لا يعلم قائلا بجوازه الا ابن عبد السلام في حق النبي ﷺ ولم يجزم بذلك ، بل علق القول على ثبوت حديث الاعمى وصحته ، وفيه من لا يحتج به عند أهل الحديث ؛ وعلى تسليم صحته فليس الكلام فيه اه

وأيضا قال فيه : وحديث الاعمى قد تكلم فيه أهل الحديث ولم يصححوه كما تقدم ، لان فيه من لا يحتج به . ولذلك توقف ابن عبد السلام في صحته وقال : إن صح الحديث فيجوز ذلك بالنبي خاصة . وغيره يقول إن صح الحديث فليس فيه مذهب اليه من أجز سؤال الله بجاه خلقه وبحقهم ، لان نص الحديث يفيد

أن النبي ﷺ دعا له وسأل الله أن يرد بصره ، فهو توسل بدعائه كما في حديث عمر (رض) « اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل اليك بعم نبيك » فدعاء الانبياء وأقاربهم المؤمنين ، وأهل الفضل والصلاح من أعظم الوسائل الى الله تعالى ، وما المانع أن يكون هذا هو المراد ؟

وعلى كل تقدير فالنزاع ليس في هذا ، و كلام شيخنا ليس فيه ، وانما أورده المعترض لبساً ومغالطة ، والمعترض ظن أن قول شيخنا فيما حكاه من شبه المشرك ، وانه يقول: واطلب من الله بهم بجاههم وحقهم . وليس كذلك ، لان سياق الكلام وموضوعه فيمن يدعوهم مع الله ، ويجعلهم وسائط بينه وبين ربه ، في شأنه وأمره ، وحاجاته وملماته ، فالمعنى حينئذ أطلب من الله بواسطتهم بمعنى أنه يدعوهم لتحصيل مراده ومطلوبه من الله تعالى ، فالغبي لم يفهم ولبس وموه كما تقدم

وقال الشيخ حسين بن غنام الاحسائي في (روضة الافكار والافهام ، لمرتاد حال الامام) ﴿العاشرة﴾ قولهم في الاستسقاء لا بأس بالتوسل بالصالحين ، وقول احمد يتوسل بالنبي ﷺ خاصة مع قولهم إنه لا يستغاث بمخلوق - فالفرق ظاهر جداً وليس الكلام مما نحن فيه ، فكون بعض يرخص بالتوسل بالصالحين ، و بعضهم يخصه بالنبي ﷺ ، وأكثر العلماء ينهى عن ذلك ويكرهه هذه المسألة من مسائل الفقه ، ولو كان الصواب عندنا قول الجمهور انه مكروه فلا ننكر على من فعله ، ولا انكار في مسائل الاجتهاد ، لكن انكارنا على من دعا المخلوق أعظم مما يدعو الله تعالى ويقصد القبر يتضرع عند الشيخ عبد القادر أو غيره يطلب منه تفريج الكربات ، وإغاثة اللهفات ، وإعطاء الرغبات ، فأين هذا ممن يدعو الله مخلصاً له الدين ، لا يدعو مع الله أحداً ، ولكن يقول في دعائه أسألك بنبيك أو بالمرسلين أو بعبادك الصالحين ، أو يقصد قبر معروف أو غيره يدعو عنده ، لكن لا يدعو إلا الله مخلص له الدين ، فأين هذا مما نحن فيه اه

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الرسالة التي كتبها لأهل مكة بعد مناظرتهم: إذا عرف هذا فالذي نعتقده وندين الله به ان من دعا نبياً أو ولياً أو غيرهما، وسأل منهم قضاء الحاجات، وتفريج الكربات، ان هذا من أعظم الشرك الذي كفر الله به المشركين حيث اتخذوا أولياء وشفعاء يستجلبون بهم المنافع، ويستدفعون بهم المضار بزعمهم، قال الله تعالى (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) فمن جعل الانبياء أو غيرهم كابن عباس أو المحجوب أو أبي طالب وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم جلب المنافع، بمعنى أن الخلق يسألونهم وهم يسألون الله، كما أن الوسائط عند الملوك يسألون الملوك حوائج الناس لقربهم منهم والناس يسألونهم أدباً منهم أن يباشروا سؤال الملك، أو لكونهم أقرب الى الملك، فمن جعلهم وسائط على هذا الوجه فهو كافر مشرك حلال الدم والمال اه

وقال الشيخ في الرسالة التي كتبها الى عبد الله بن سحيم: اذا تبين هذا فالمسائل التي شنع بها منها ماهو البهتان الظاهر وهي قوله اني مبطل كتب المذاهب وقوله اني أقول ان الناس من ستمائة ليسوا على شيء وقوله اني أدعي الاجتهاد، وقوله اني خارج عن التقليد وقوله اني أقول ان اختلاف العلماء نقمة، وقوله اني أكفر من توسل بالصالحين — الى أن قال فهذه اثنا عشر مسألة جوابي فيها ان أقول (سبحانك هذا بهتان عظيم) ولكن قبله من بهت محمداً ﷺ انه يسب عيسى ابن مريم ويسب الصالحين (تشابهت قلوبهم) وبهتوه بأنه يزعم أن الملائكة وعيسى وعزيراً في النار فأنزل الله في ذلك (ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون) الآية اه

قال الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب في الرسالة التي اختصرها من رسائل محمد بن عبد الوهاب المؤلفة في التوحيد:

فأخبر تبارك وتعالى أن دعاء غير الله شرك ، فمن قال يا رسول الله ، أو يا ابن عباس أو يا عبد القادر أو يا محجوب أو غيرهم ، زاعماً انه باب حاجته الى الله تعالى وشفيعه عنده ، ووسيلته اليه ، فهو المشرك الذي يهدر دمه ويباح ماله إلا أن يتوب من ذلك اهـ

وقال في موضع آخر ونثبت لنبينا محمد ﷺ الشفاعة يوم القيامة كما ورد أيضاً ونسألها من الله المالك لها والآذن فيها لمن شاء من الموحدين الذين هم أسعد الناس بها كما ورد ، بان يقول أحدنا متضرعا الى الله تعالى اللهم شفع نبينا محمداً ﷺ فينا يوم القيامة ، أو اللهم شفع فينا عبادك الصالحين أو ملائكتك ، ونحو ذلك مما يطلب من الله لا منهم ، فلا يقال يارسول الله أو ياولي الله أسألك الشفاعة وغيرها وأدركني وأغثني أو انصرني على عدوي أو نحو ذلك مما لا يقدر عليه إلا الله ، فاذا طلب ذلك مما ذكر في أيام البرزخ كان من أقسام الشرك ، إذ لم يرد بذلك نص من الكتاب ولا من السنة ، ولا حث من السلف الصالح على ذلك ، بل ورد الكتاب والسنة وإجماع السلف أن ذلك شرك أكبر ، قاتل عليه رسول الله ﷺ اهـ

وأيضا قال فيها وأما التوسل وهو أن يقول اللهم اني أتوسل اليك بجاه نبيك محمد ﷺ أو بجاه عبادك الصالحين أو نحو ذلك فهو من البدعة المذمومة اذ لم يرد بذلك نص اهـ

قال العلامة السيد نعمان خير الدين الشهير بابن الآلوسي البغدادي في (جلاء العينين في محاكمة الاحمدين) الخاتمة في التوسط بين الفوابن ، وهو عند المصنف قرة عين الفريقين ، فقد قال الوالد عليه الرحمة في تفسير قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة) ما نصه

« واستدل بعض الناس بهذه الآية على مشروعية الاستغاثة بالصالحين وجعلهم

وسيلة بين الله تعالى وبين العباد والقسم على الله تعالى بهم بأن يقال : اللهم إنا نقسم عليك بفلان أن تعطينا كذا ، ومنهم من يقول للغائب أو الميت من عباد الله تعالى الصالحين يا فلان ادع الله تعالى ليرزقني كذا ويزعمون أن ذلك من باب ابتغاء الوسيلة ، ويروون عن النبي ﷺ أنه قال: إذا أعيتكم الامور فعليكم بأهل القبور فاستغيثوا بأهل القبور ، وكل ذلك بعيد عن الحق بمراحل

«وتحقيق الكلام في هذا المقام أن الاستغاثة بمخلوق وجعله وسيلة بمعنى طلب الدعاء منه لا شك في جوازه ان كان المطلوب منه حيا ، ولا يتوقف على أفضليته من الطالب بل قد يطلب الفاضل من المفضول فقد صح أنه ﷺ قال لعمر (رض) لما استأذنه في العمرة «لا تنسنا يا أخي من دعائك» وأمره أيضاً أن يطلب من أويس القرني (رح) أن يستغفر له وامر أمته ﷺ بطلب الوسيلة له وبأن يصلوا عليه ، وأما إذا كان المطلوب منه ميتاً أو غائباً فلا يستريب عالم أنه غير جائز وأنه من البدع التي لم يفعلها أحد من السلف ، نعم السلام على أهل القبور مشروع ومخاطبتهم جائزة . اه

وأيضاً قال فيه : وأما القسم على الله تعالى بأحد من خلقه مثل أن يقال اللهم اني أقسم عليك أو أسألك بفلان إلا ما قضيت لي حاجتي ، فعن العز بن عبد السلام جواز ذلك في النبي ﷺ لانه سيد ولد آدم ، ولا يجوز أن يقسم على الله تعالى بغيره من الانبياء والملائكة والاولياء لانهم ليسوا في درجته، وقد نقل ذلك عن المناوي في شرحه الكبير للجامع الصغير ودليله في ذلك ما رواه الترمذي ، وقال حديث حسن صحيح عن عثمان بن حنيف (رض) أن رجلا ضرير البصر أتى النبي ﷺ فقال ادع الله تعالى أن يعافيني فقال « ان شئت دعوت وان شئت صبرت فهو خير لك » قال فادعه فأمره عليه الصلاة والسلام أن يتوضأ فيحسن الوضوء ويدعو بهذا الدعاء « اللهم اني أسألك وأتوجه بنبيك

نبي الرحمة يا رسول الله اني توجهت بك إلى ربي في حاجتي لتقضى لي اللهم فشفعه في » ، ونقل عن أحمد مثل ذلك

«ومن الناس من منع التوسل بالذات والقسم على الله تعالى بأحد من خلقه مطلقا وهو الذي يرشح به كلام التقي بن تيمية ، ونقله عن الامام أبي حنيفة وأبي يوسف وغيرهما من العلماء الاعلام ، وأجاب عن الحديث بأنه على حذف مضاف أي بدعاء أو شفاعة نبيك ﷺ ففيه جعل الدعاء وسيلة وهو جائز بل مندوب ، والدليل على هذا التقدير قوله في آخر الحديث « اللهم فاشفعه في » بل في أوله أيضاً ما يدل على ذلك ، وقد شنع السبكي كما هو عادته على التقي فقال ويحسن التوسل والاستغاثة بالنبي ﷺ إلى ربه ولم ينكر ذلك أحد من السلف والخلف حتى جاء ابن تيمية فأنكر ذلك وعدل عن الصراط المستقيم وابتدع مالم يقله عالم وصار بين الاسلام مثلة . اه

«وأنت تعلم أن الادعية المأثورة عن أهل البيت الطاهرين وغيرهم من الأئمة ليس فيها التوسل بالذات المكرمة ﷺ ، ولو فرضنا وجود ما ظاهره ذلك فمؤول بتقدير مضاف كما سمعت أو نحو ذلك كما ستسمع ان شاء الله تعالى ومن ادعى النص فعليه البيان وما رواه أبو داود في سننه وغيره من أن رجلا قال لرسول الله ﷺ انا نستشفع بك إلى الله تعالى ونستشفع بالله تعالى عليك فسبح رسول الله ﷺ حتى رؤي ذلك في وجوه أصحابه فقال ﷺ «ويحك أتدري ما الله تعالى؟ ان الله تعالى لا يستشفع به على أحد من خلقه شأن الله تعالى أعظم من ذلك» لا يصلح دليلا على ما نحن فيه حيث أنكر عليه قوله نستشفع بالله عليك ولم ينكر عليه الصلاة والسلام قوله نستشفع بك على الله لان معنى الاستشفاع به ﷺ طلب الدعاء منه وليس معناه الاقسام به على الله تعالى ولو كان معنى الاقسام الاستشفاع فلم أنكر النبي ﷺ مضمون الجملة الثانية دون

الاولى؟ وعلى هذا لا يصلح الخبر ولا ما قبله لمن ادعى جواز الاقسام بذاته ﷺ حيا وميتا وكذا بذات غيره من الارواح المقدسة مطلقا قياسا عليه -عليه الصلاة والسلام- بجامع الكرامة وان تفاوتت قوة وضعفا وذلك لان ما في الخبر الثاني استشفاع لا اقسام وما في الخبر الاول ليس نصا في محل النزاع ، وعلى تقدير التسليم ليس فيه إلا الاقسام بالحي والتوسل به وتساوي حالتي حياته ووفاته ﷺ في هذا الشأن يحتاج إلى نص ولعل النص على خلافه، ففي صحيح البخاري عن أنس أن عمر بن الخطاب (رض) كان إذ أقحطوا استسقى بالعباس (رض) قال : اللهم انا كنا نتوسل اليك بنبيك ﷺ فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا -فيسقون، فانه لو كان التوسل به عليه الصلاة والسلام بعد انتقاله من هذه الدار جائزا لما عدلوا إلى غيره بل كانوا يقولون: اللهم إننا نتوسل اليك بنبينا فاسقنا، وحاشاهم أن يعدلوا عن التوسل بسيد الناس، إلى التوسل بعمه العباس، وهم يجدون أدنى مساغ، لذلك فعدولهم هذا مع أنهم السابقون الاولون وهم أعلم منا بالله تعالى ورسوله ﷺ وبحقوق الله تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام وما يشرع من الدعاء وما لا يشرع وهم في وقت ضرورة ومخمصة يطلبون تفريج الكربات وتيسير العسير، وانزال الغيث بكل طريق، دليل واضح على أن المشروع ما سلكوه دون غيره وما ذكر من قياس غيره من الارواح المقدسة عليه ﷺ مع التفاوت في الكرامة الذي لا ينكره إلا منافق مما لا يكاد يسلم

«على أنك قد علمت ان الاقسام به ﷺ على ربه عز شأنه حيا وميتا مما لم يقم النص عليه . لا يقال ان في خبر البخاري دلالة على صحة الاقسام به عليه الصلاة والسلام وكذا بغيره كذلك، اما الاول فلقول عمر (رض) كنا نتوسل بنبيك ﷺ ، واما الثاني فلقوله انا نتوسل بعم نبيك ، لما قيل ان هذا التوسل

١) في الاصل المطبوع في الهند : اللهم انا نتوسل اليك فاسقنا

ليس من باب الاقسام ، بل هو من جنس الاستشفاع، وهو أن يطلب من الشخص الدعاء والشفاعة ويطلب من الله تعالى أن يقبل دعاءه وشفاعته، ويؤيد ذلك أن العباس كان يدعو وهم يؤمنون لدعائه حتى سقوا

«وقد ذكر التقي أن لفظ التوسل بالشخص والتوجه اليه وبه فيه اجمال واشتراك بحسب الاصطلاح فمعناه في لغة الصحابة (رض) أن يطلب منه الدعاء والشفاعة فيكون التوسل والتوجه في الحقيقة بدعائه وشفاعته وذلك لا محذور فيه، وأما في لغة كثير من الناس فمعناه أن يسأل الله تعالى بذلك ويقسم به عليه وهذا هو محل النزاع وقد علمت الكلام فيه، وجعل من الاقسام الغير المشروع قول القائل اللهم أسألك بجاه فلان فانه لم يرو عن أحد من السلف أنه دعا كذلك وقال انما يقسم به تعالى وبأسمائه وصفاته، فيقال أسألك بأن لك الحمد لا اله إلا أنت يا ألله المنان بديع السموات والارض يا ذا الجلال والاكرام يا حي يا قيوم، وأسألك بأنك أنت الله الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد وأسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك — الحديث — ونحو ذلك من الادعية المأثورة

وما يذكره بعض العامة من قوله ﷺ « اذا كانت لكم إلى الله تعالى حاجة فاسألوا الله تعالى بجاهي فان جاهي عند الله عظيم » لم يروه أحد من أهل العلم ولا هو في شيء من كتب الحديث، وما رواه القشيري عن معروف الكرخي قدس سره أنه قال لتلامذته : ان كانت لكم إلى الله حاجة فأقسموا عليه بي فاني الواسطة بينكم وبينه جل جلاله الآن . لا يوجد له سند يعول عليه عند المحدثين ، وأما ما رواه ابن ماجه عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ في دعاء الخارج إلى الصلاة « اللهم اني أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا فاني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا رياء ولا سمعة ولكن خرجت اتقاء

سخطك وابتغاء مرضاتك أن تنقذني من النار وأن تدخلني الجنة » ففي سنده العوفي وفيه ضعف، وعلى تقدير أن يكون من كلام النبي ﷺ يقال فيه ان حق السائلين عليه تعالى أن يجيبهم وحق الماشين في طاعته أن يثيبهم ، والحق بمعنى الوعد الثابت المحقق الوقوع فضلا لا وجوبا كما في قوله قوله تعالى (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) وفي الصحيح من حديث معاذ «حق الله تعالى على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً وحقهم عليه ان فعلوا ذلك أن لا يعذبهم » فالسؤال حينئذ بالاثابة والاجابة وهما من صفات الله تعالى الفعلية والسؤال بها مما لا نزاع فيه فيكون هذا السؤال كالاستعاذة في قوله ﷺ « أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك » فمتى صحت الاستعاذة بمعافاته صح السؤال باثابته واجابته ، وعلى نحو ذلك يخرج سؤال الثلاثة لله عزوجل بأعمالهم على أن التوسل بالاعمال معناه التسبب بها لحصول المقصود ، ولاشك أن الاعمال الصالحة سبب لثواب الله تعالى لنا ولا كذلك ذوات الاشخاص نفسها والناس قد أفرطوا اليوم في الاقسام على الله تعالى فأقسموا عليه عز شأنه بمن ليس في العير ولا في النفير وليس عنده من الجاه قدر قطمير ، وأعظم من ذلك أنهم يطلبون من أصحاب القبور نحو شفاء المريض واغناء الفقير ورد الضالة وتيسير كل عسير ، وتوحي اليهم شياطينهم خبر : إذا أعيتكم الامور الخ (١) وهو حديث مفترى على رسول الله ﷺ باجماع العارفين بحديثه لم يروه أحد من العلماء ولا يوجد في شيء من كتب الحديث المعتمدة ، وقد نهى النبي ﷺ عن اتخاذ القبور مساجد ولعن على ذلك فكيف يتصور منه عليه الصلاة والسلام الامر بالاستغاثة والطلب من أصحابها سبحانك هذا بهتان عظيم

«وعن أبي يزيد البسطامي قدس الله سره انه قال استغاثة المخلوق بالمخلوق

---

(١) اي فعليكم باصحاب القبور

كاستغاثة المسجون بالمسجون ومن كلام السجاد (رض) ان طلب المحتاج من المحتاج سفه في رأيه وضلة في عقله . ومن دعاء موسى عليه السلام « وبك المستغاث » وقال ﷺ لابن عباس (رض) « اذا استعنت فاستعن بالله » الخبر وقال تعالى (اياك نعبد وإياك نستعين)

« وبعد هذا كله أنا لا أرى بأسا في التوسل الى الله تعالى بجاه النبي ﷺ عند الله تعالى حيا وميتا (١) ويراد من الجاه معنى يرجع إلى صفة من صفاته تعالى مثل أن يراد به المحبة التامة المستدعية عدم رده وقبول شفاعته فيكون معنى قول القائل إلهي أتوسل بجاه نبيك ﷺ أن تقضي لي حاجتي إلهي اجعل محبتك له وسيلة في قضاء حاجتي ولا فرق بين هذا وقولك إلهي أتوسل برحمتك أن تفعل كذا إذ معناه أيضا إلهي اجعل رحمتك وسيلة في فعل كذا ، بل لا أرى بأسا أيضا بالاقسام على الله تعالى بجاهه ﷺ بهذا المعنى والكلام في الحرمة كالكلام في الجاه ولا يجري ذلك في التوسل والاقسام بالذات البحت .

« نعم لم يعهد التوسل بالجاه والحرمة عن أحد من الصحابة (رض) ولعل ذلك كان تحاشيا منهم عما يخشى أن يعلق به في أذهان الناس إذ ذاك وهم قريبو عهد بالتوسل بالاصنام شيء (٢) ثم اقتدى بهم من خلفهم من الائمة الطاهرين وقد ترك رسول الله ﷺ هدم الكعبة وتأسيسها على قواعد ابراهيم لكون القوم حديثي عهد بكفر كما ثبت ذلك في الصحيح

« وهذا الذي ذكرته انما هو لدفع الحرج عن الناس والفرار من دعوى تضليلهم كما يزعمه البعض في التوسل بجاه عريض الجاه ﷺ لا لميل إلى أن الدعاء كذلك أفضل من استعمال الادعية المأثورة التي جاء بها الكتاب وصرحت بها ألسنة السنة فانه لا يستريب منصف في أن ما علمه الله تعالى ورسوله ﷺ

---

١) سيأتي رده (٢) شيء فاعل يعلق

"لو درج عليه الصحابة الكرام (رض) وتلقاه من بعدهم بالقبول أفضل وأجمع وأنفع وأسلم، فقد قيل ماقيل إن حقا وإن كذبا

« بقي ههنا أمران (الاول) ان التوسل بجاه غير النبي ﷺ لا بأس أيضا إن كان المتوسل بجاهه مما علم أن له جاها عندالله تعالى كالمقطوع بصلاحه وولايته، وأما من لا قطع في حقه بذلك فلا يتوسل بجاهه لما فيه من الحكم الضمني على الله تعالى بما لم يعلم تحققه منه عز شأنه، وفي ذلك جرأة عظيمة على الله تعالى (الثاني) ان الناس قد أكثروا من دعاء غير الله تعالى من الاولياء الاحياء منهم والاموات وغيرهم مثل يا سيدي فلان أغثني، وذلك ليس من التوسل المباح في شيء، واللائق بحال المؤمن عدم التفوه بذلك، وأن لا يحوم حول حماه، وقد عده أناس من العلماء شركا، وإن لا يكنه فهو قريب منه، ولا أرى أحدا ممن يقول بذلك إلا وهو يعتقد أن الحي الغائب أو الميت المغيب يعلم الغيب، أو يسمع النداء، ويقدر بالذات أو بالغير على جلب الخير ودفع الاذى، وإلا لما دعاه، ولا فتح فاه، (وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم) فالحزم التجنب عن ذلك وعدم الطلب إلا من الله تعالى القوي الغني الفعال لما يريد

«ومن وقف على سر ما رواه الطبراني في معجمه من انه كان في زمن النبي ﷺ منافق يؤذي المؤمنين فقال الصديق (رض) قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق، فجاءوا اليه فقال «انه لا يستغاث بي انما يستغاث بالله تعالى» لم يشك في أن الاستغاثة بأصحاب القبور الذين هم بين سعيد شغله نعيمه وتقلبه في الجنان عن الالتفات الى ما في هذا العالم، وبين شقي ألهاه عذابه وحبسه في النيران عن إجابة مناديه، والاصاخة إلى أهل ناديه، أمر يجب اجتنابه، ولا يليق بأرباب العقول ارتكابه

ولا يغرنك أن المستغيث بمخلوق قد يقضي حاجته، وتنجح طلبته، فان

ذلك ابتلاء وفتنة منه عز وجل ، وقد يتمثل الشيطان للمستغيث في صورة الذي استغاث به فيظن أن ذلك كرامة لمن استغاث به ، هيهات هيهات انما هو شيطان أضله وأغواه، وزين له هواه، وذلك كما يتكلم الشيطان في الاصنام ليضل عبدتها الطغام . وبعض الجهلة يقول ان ذلك من تطور روح المستغاث به اومن ظهور ملك بصورته كرامة له . ولقد ساء مايحكون ، لان التطور والظهور وإن كانا ممكنين لكن لا في مثل هذه الصورة، وعند ارتكاب هذه الجريرة ، نسأل الله تعالى بأسمائه أن يعصمنا من ذلك، ونتوسل بلطفه أن يسلك بنا وبكم أحسن المسالك اه (١)

وهو توسط عند ذوي العقول مقبول ، موافق للمنقول والمعقول ، ولا أظنك تجده في كتاب ، فهو اللباب لذوي الالباب

وقال الوالد عليه الرحمة أيضاً في باب الاشارة من تفسيره مانصه .قال تعالى ﴿ وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر) الآية . فيه اشارة الى ذم المتصوفة الذين إذا سمعوا الآيات الرادة عليهم ظهر عليهم التجهم والبسور وهم في زماننا كثيرون ، فانا لله وإنا اليه راجعون

وفي قوله تعالى (ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً) الآية، اشارة الى ذم الغالين في أولياء الله تعالى حيث يستغيثون بهم في الشدة غافلين عن الله تعالى وينذرون لهم النذور ، والعقلاء منهم يقولون انهم وسائلنا الى الله تعالى ، وانما ننذر لله تعالى عز وجل ونجعل ثوابه للولي ، ولا يخفى انهم في دعواهم الاولى أشبه الناس بعبدة الاصنام القائلين (انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى) ودعواهم الثانية لا بأس بها لو لم يطلبوا منهم بذلك شفاء مريضهم أو رد غائبهم أو نحو ذلك ، والظاهر من حالهم الطلب ويرشدك الى ذلك انه لوقيل انذروا لله تعالى واجعلوا ثوابه لوالديكم فانهم أحوج من أولئك الاولياء لم يفعلوا

(١) اي ماقاله صاحب جلاء العينين من تفسير والده المسمى بروح المعاني

«وقال أيضاً عند تفسير قوله تعالى (دعوا الله مخلصين له الدين) الآية ما نصه فالآية دالة على أن المشركين لا يدعون غيره تعالى في تلك وأنت خبير بأن الناس اليوم إذا اعتراهم أمر خطير وخطب جسيم في بر أو بحر دعوا من لا يضر ولا ينفع، ولا يرى ولا يسمع، فمنهم من يدعو الخضر والياس، ومنهم من ينادي أبا الخميس والعباس، ومنهم من يستغيث بأحد الائمة، ومنهم من يضرع الى شيخ من مشايخ الامة، ولا ترى فيهم أحداً يخص مولاه، بتضرعه ودعاه، ولا يكاد يمر له ببال، انه لو دعا الله تعالى وحده ينجو من هاتيك الاهوال

«فبالله تعالى عليك قل لي أي الفريقين من هذه الحيثية أهدى سبيلا، وأي الداعيين أقوم قيلا، والى الله سبحانه المشتكى من زمان عصفت فيه ريح الجهالة، وتلاطمت أمواج الضلالة، وغرقت سفينة الشريعة، واتخذت الاستغاثة بغير الله تعالى للنجاة ذريعة، وتعذر على العارفين الامر بالمعروف، وحالت دون النهي عن المنكر صنوف الحتوف اه

«ومما يعني به في هذا المقام ما أنشدنيه لنفسه مفتي مصر نا مدينة السلام وهو قوله

لا تدع في حاجة بزاً ولا أسداً (١) ... ألله ربك لا تشرك به أحداً

وهو كلام يرشح منه التوحيد، ويكفي من القلادة ما أحاط بالجيد اهما في جلاء العينين

***

---

(١) يشير بلقب البار الى الشيخ عبد القادر الجيلاني القطب الشهير الذي يعبده الملايين في العراق والهند وغيرهما وهو مدفون في بغداد. ومن صور استغاثته المشهورة أن من كان له حاجة وصلى ركعتين في الليل ثم استقبل بغداد وتوجه الى الشيخ عبد القادر واستغاثه بهذين البيتين :

أيدركني ضيم وأنت ذخيرتي ؟ ... واظلم في الدنيا وانت نصيري ؟
وعار على راعي الحمى وهو في الحمى ... اذا ضاع في الهيجا عقال بعير

وناداه باسمه وذكر حاجته فانها تقضى

هذا كله ما عن لي أن أذكره في هذا المقام من كلام الائمة الاعلام والآن أكتب ما ألقى الله تعالى في روعي في هذا الباب، وإن كان مأخوذاً من اقوال من سلف من أهل العلم والالباب، وفي مطاوي هذا التقرير أبين إن شاء الله تعالى بعض ما أظهره الله لي من النقض والابرام والرد والقبول في هاتيك الاقوال، وليس المقصود منه إلا اظهار الحق والصواب من دون تعصب لقول دون قول فانه من سيء الخلال، فأقول مستعينا بالرحمن الرحيم، ومتوسلا بفضله العظيم، انه لا بد هناك أولا من بيان معنى التوسل لغة وشرعاً ثم بيان حكمه قسما قسما

تحقيق المؤلف لمسألة التوسل (١)

قال العلامة أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي في المصباح المنير : وسلت إلى الله بالعمل أسل — من باب وعد — رغبت وتقربت ومنه اشتقاق الوسيلة وهي ما يتقرب به إلى الشيء والجمع الوسائل والوسيل قيل جمع وسيلة وقيل لغة فيها وتوسل إلى ربه بوسيلة تقرب اليه بعمل. اهـ

وقال في النهاية وفي حديث الآذان : آت محمداً الوسيلة . هي في الاصل ما يتوسل به إلى الشيء ويتقرب به وجمعها وسائل يقال وسل اليه وسيلة وتوسل والمراد به في الحديث القرب من الله تعالى وقيل هي الشفاعة يوم القيامة وقيل هي منزل من منازل الجنة ، كذا جاء في الحديث . اهـ ، وقال في مجمع البحار: لان الواصل اليها يكون قريباً من الله ، ومنه « سلوا الله لي الوسيلة » طلب من امته الدعاء له افتقاراً إلى الله هضما لنفسه أو لينتفع به امته ويثاب عليه أو للارشاد ليكال (٢) كل صاحبه الدعاء له . اهـ ، وقال الجوهري في الصحاح : الوسيلة ما يتقرب به إلى الغير والجمع الوسيل والوسائل والتوسيل والتوسل واحد [illegible]

١) العنوان للمصحح (٢) لعل الصواب ليسأل

فلان إلى ربه وسيلة وتوسل اليه بوسيلة أي تقرب اليه بعمل والواسل الراغب إلى الله ، قال لبيد* بلى كل ذي دين إلى الله واسل* انتهى ملخصا

وقال في القاموس الوسيلة والواسلة المنزلة عند الملك والدرجة والقربة، ووسل إلى الله تعالى توسيلا عمل عملا تقرب به اليه كتوسل والواسل الواجب والراغب الى الله تعالى . اهـ وهذا الذي ذكرنا يعلم منه معنى التوسل اللغوي

وأما معناه الشرعي فتحقيقه متوقف على استقراء مواقع هذا اللفظ في الكتاب والسنة فليعلم أن هذا اللفظ قد جاء في سورة المائدة قال الله تعالى (يَا أَيُّهَا الذينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَابْتَغُوا اليْهِ الوسِيلَةَ وَجَاهِدُوا في سَبِيلِهِ لعلَّكُم تُفْلِحُونَ)

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره يقول تعالى آمرا عباده المؤمنين بتقواه وهي إذا قرنت بطاعته كان المراد به الانكفاف عن المحارم وترك المنهيات ، وقد قال بعدها (وابتغوا اليه الوسيلة) قال سفيان الثوري عن طلحة عن عطاء عن ابن عباس أي القربة ، وكذا قال مجاهد وأبو وائل والحسن وابن زيد وغير واحد، وقال قتادة أي تقربوا اليه بطاعته والعمل بما يرضيه ، وقرأ ابن زيد (أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة) وهذا الذي قاله هؤلاء الأئمة لا خلاف بين المفسرين فيه وأنشد عليه ابن جرير قول الشاعر

إذا غفل الواشون عدنا لوصلها وعاد التصافي بيننا والوسائل

والوسيلة هي التي يتوصل بها الى تحصيل المقصود ،والوسيله أيضا علم لأعلى منزلة في الجنة وهي منزلة رسول الله ﷺ وداره في الجنة وهي أقرب أمكنة الجنة الى العرش اهـ ، وهكذا في سائر التفاسير، وقال تعالى في سورة بني اسرائيل (قُلْ ادْعُوا الذينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلا يملكُونَ كشْفَ الضُّرِّ عَنكُم وَلاَ تحْوِيلا* أُولئِكَ الذين يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إلى رَبِّهِمُ الوسِيلَة

أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا) قال الحافظ ابن كثير : الوسيلة هي القربة كما قال قتادة ولهذا قال أيهم أقرب

«وعن جابر بن عبد الله ان رسول الله ﷺ قال « من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة » رواه البخاري

قال الحافظ في الفتح قوله« رب هذه الدعوة » بفتح الدال زاد البيهقي من طريق محمد بن عون عن على بن عياش«اللهم اني أسألك بحق هذه الدعوة التامة» قوله « الوسيلة » هي ما يتقرب به الى الكبير يقال توسلت أي تقربت، وتطلق على المنزلة العلية ، وقع ذلك في حديث عبد الله بن عمر ، وعند مسلم بلفظ « فانها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله » الحديث ونحوه للبزار عن عن أبي هريرة ، ويمكن ردها إلى الاول بأن الواصل إلى تلك المنزلة قريب من الله فتكون كالقربة التي يتوسل بها اه

(قال المؤلف) محمد بن عون الخراساني عن عكرمة قال النسائي متروك وقال البخاري منكر الحديث ، وقال عباس عن ابن معين ليس بشيء كذا في الميزان فلا تصلح روايته لان يحتج بها على مسألة من مسائل الشرع فابعلم

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع النبي ﷺ يقول « إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على فانه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عبد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة » رواه مسلم ، قال النووي وأما الفاته فهي الوسيلة وقد فسرها قوله ﷺ « وانها منزلة في الجنة » قال أهل اللغة الوسيلة المنزلة عند الملك اه

وعن أنس أن عمر بن الخطاب (رض) كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال — اللهم انا كنا نتوسل اليك بنبينا ﷺ فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا — قال فيسقون ، رواه البخاري ، وقد نقلنا فيما تقدم رواية الزبير بن بكار التي فيها صفة ما دعا به العباس في هذه الواقعة والوقت الذي وقع فيه ذلك من الفتح فتذكر فانها تفيد أن التوسل بالعباس (رض) انما كان بدعائه لا بذاته

وأيضاً قال في الفتح وأخرج — يعني الزبير بن بكار — أيضا من طريق داود عن عطاء عن زيد بن أسلم عن ابن عمر قال استسقى عمر بن الخطاب عام الرمادة بالعباس بن عبد المطلب فذكر الحديث وفيه فخطب الناس عمر (رض) فقال ان رسول الله ﷺ كان يرى للعباس ما يرى الولد للوالد فاقتدوا أيها الناس برسول الله ﷺ في عمه العباس واتخذوه وسيلة إلى الله وفيه فما برحوا حتى سقاهم الله اه

فتحصل من هذا كله أن التوسل في اللغة التقرب والوسيلة هي ما يتقرب به إلى الشيء ، ولم يجعل الشرع للتوسل حقيقة غير الحقيقة اللغوية ، نعم جعل للوسيلة حقيقة حيث استعمل في الآيتين بمعنى القربة باتفاق المفسرين وفي الحديثين بمعنى أعلى منزلة في الجنة ولا مرية في كون المعنى الاخير حقيقة شرعية ، وأما كون المعنى الاول أي القربة حقيقة شرعية ففيه تأمل لا يخفى على من له أدنى تأمل وبعد الثنيا والتي فالتوسل إلى الله تعالى على أنواع

(أحدها) التوسل بأسمائه تعالى وصفاته وهو ثابت بالكتاب والسنة قال الله تعالى (وَلِلَّهِ الاسْمَاءُ الحُسْنَى فادْعُوه بِهَا) ، وعن عبد الله بن بريدة عن أبيه أن رسول الله ﷺ سمع رجلا يقول اللهم إني أسألك بأنك أنت الله لا إله إلا أنت الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد فقال « دعا

الله باسمه الاعظم الذي إذا سئل به أعطى وإذا دعي به أجاب » رواه الترمذي وأبو داود كذا في المشكاة

وعن أنس بن مالك (رض) قال مر النبي ﷺ بأبي عياش زيد بن الصامت الزرقي وهو يصلي وهو يقول اللهم إني أسألك بان لك الحمد لا اله إلا أنت يامنان يا بديع السموات والارض ياذا الجلال والاكرام فقال رسول الله ﷺ « لقد سألت الله باسمه الاعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى » رواه أحمد واللفظ له وابن ماجه ورواه أبو داود والنسائي وابن حبان في صحيحه والحاكم وزاد هؤلاء الاربعة يا حي ياقيوم وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم كذا في الترغيب والترهيب للمنذري

وعن عائشة (رض) قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول « اللهم اني أسألك باسمك الطاهر الطيب المبارك الاحب اليك الذي إذا دعيت به أجبت وإذا سئلت به أعطيت وإذا استرحمت به رحمت وإذا استفرجت به فرجت » قال فقال يوما ياعائشة « هل علمت أن الله قد دلني على الاسم الذي إذا دعي به أجب » قالت فقلت بابي أنت وأمي يا رسول الله فعلمنيه قال « انه لا ينبغي لك ياعائشة » قالت فتنحيت وجلست ساعة ثم قمت فقبلت رأسه ثم قلت يارسول الله علمنيه قال « انه لا ينبغي لك يا عائشة أن أعلمك انه لا ينبغي لك أن تسألي به شيئاً الدنيا » قالت فقمت فتوضأت ثم صليت ركعتين ثم قلت اللهم اني أدعوك الله وأدعوك الرحمن وأدعوك البر الرحيم وأدعوك باسمائك الحسنى كلها ما علمت منها وما لم أعلم أن تغفر لي وترحمني قالت فاستضحك رسول الله ﷺ ثم قال « انه لفي الاسماء التي دعوت بها » رواه ابن ماجه

(والثاني) التوسل بالاعمال الصالحة وهذا أيضا ثابت بالكتاب والسنة الصحيحة . أما الكتاب فما تقدم ذكره من الآيتين اللتين فيهما ذكر الوسيلة

فان المراد بها باجماع المفسرين هي القربة وفي قوله تعالى (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) اشارة إلى ذلك فان العبادة قدمت على الاستعانة ليكون الاولى وسيلة إلى الثانية وتقديم الوسائل سبب لتحصيل المطالب وأدعى إلى الاجابة كذا في البيضاوي وغيره يدل عليه قول الله تعالى (وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ) والمعنى استعينوا على حوائجكم وما تؤملون من خير الدنيا والآخرة إلى الله تعالى بالصبر والصلاة حتى تجابوا إلى تحصيل المآرب وجبر المصائب كذا في البيضاوي وغيره ، وأخرج أحمد وأبو داود وابن جرير عن حذيفة قال كان رسول الله ﷺ اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة

وأما السنة فما روي عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال « بينما ثلاثة نفر يتماشون أخذهم المطر فمالوا الى غار في الجبل فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل فأطبقت عليهم، فقال بعضهم لبعض انظروا اعمالا عملتموها لله صالحة فادعوا الله بها لعله يفرجها » الحديث متفق عليه . والحديث دال على انه يستحب للانسان أن يتوسل بصالح أعماله الى الله تعالى ، فان هؤلاء فعلوه واستجيب لهم : وذكره النبي ﷺ في معرض الثناء عليهم ، وجميل فضائلهم، لكن الثابت منه انما هو توسل الشخص بأعمال نفسه لا بأعمال غيره من الانبياء والصالحين كما زعم الامام الشوكاني (رح)

(والثالث) ان يتوسل بالنبي ﷺ بتصديقه على الرسالة ، والايمان بما جاء به ، وطاعته في أمره ونهيه ، ونصرته حيا وميتا ، ومعاداة من عاداه، وموالاة من والاه، وإعظام حقه وتوقيره وإحياء طريقه وسنته ، وبث دعوته، ونشر شريعته، ونفي التهمة عنها واستشارة علومها ، والتفقه في معانيها ، والدعاء اليها ، والتلطف في تعلمها وتعليمها وإعظامها وإجلالها ، والتأدب عند قراءتها ، والامساك عن الكلام فيها بغير علم ، وإجلال أهلها لانتسابهم اليها، والتخلق بأخلاقه والتأدب بآدابه ومحبته ومحبة اهل بيته وأصحابه ومجانبة من ابتدع في سنته . [illegible] تعرض لاحد من

عترته وصحبه ، ودعاء الوسيلة له والصبر على لأواء مهجره وشدته ونحو ذلك ، وكذلك التوسل بالصالحين بمحبتهم وتوقيرهم وإجلالهم، وما يحذو حذوه

وهذا التوسل هو عين دين الاسلام لا يجحده أحد من المسلمين ، لكن هذا التوسل في الحقيقة هو التوسل بالاعمال الصالحة ، وان سماه أحد توسلا بالانبياء والصالحين فلا يتغير حكمه بهذه التسمية فان العبرة للمسمى والمعنون لا للاسم والعنوان

(الرابع) التوسل بدعاء النبي ﷺ في حياته كفاحا ، وكذلك التوسل بدعاء الصالحين ومنه قول عمر (رض) اللهم إنا كنا نتوسل اليك بنبيك ﷺ فتسقينا وإنا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا — ومنه قول اعرابي حين أصابت الناس سنة على عهد النبي ﷺ يا رسول الله هلك المال ، وجاع العيال فادع الله لنا ، ومنها ما كانت الصحابة (رض) من أن أحدهم متى صدر منه ما يقتضي التوبة جاء اليه فقال يا رسول الله فعلت كذا وكذا فاستغفر لي ، واليه الاشارة في قوله تعالى (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابًا رحيما) وهذا أيضًا مما لا نزاع فيه لاحد ، وعليه يحمل حديث الضرير «اللهم اني أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة» على تقدير ثبوته أي بدعاء نبيك . ويدل عليه لفظ فقال «ادع الله» وقوله «اللهم شفعه في»

(الخامس) أن يدعو الرب سبحانه بإضافته الى عبده الصالحين كما في حديث عائشة (رض) «اللهم رب جبرئيل وميكائيل وإسرافيل» المروي في صحيح مسلم . فلو قال أحد في دعائه : اللهم رب ابراهيم وموسى وعيسى وداود ومحمد — أو قال اللهم رب أبي بكر وعمر وعثمان وعلي — أو قال اللهم رب فاطمة والحسن والحسين أو قال اللهم رب أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد — أو قال اللهم رب البخاري ومسلم والترمذي وأبي داود وابن ماجه — أو قال اللهم رب معروف الكرخي وأبي يزيد البسطامي والشيخ عبد القادر الجيلاني وأمثالهم — فلا أرى به بأسا

(السادس) التوسل بالصلاة على النبي ﷺ كما روي عن عبد الله بن أبي أوفى (رض) قال قال رسول الله ﷺ «من كانت له الى الله حاجة أو الى أحد من بني آدم فليتوضأ وليحسن الوضوء وليصل ركعتين ثم ليثن على الله وليصل على النبي ثم ليقل لا اله الا الله الحليم الكريم» الحديث رواه الترمذي وابن ماجه وفي سنده فائد بن عبد الرحمن بن أبي الورقاء وهو وان كان عند الجمهور ضعيفاً لكن قال الحاكم انه مستقيم الحديث(١) ولهذا شاهد من حديث أنس فكان صالحا لان يحتج به . وقد ورد في حديث أبي بن كعب في فضل الصلاة قال « إذاً يكفى همك ويكفر لك ذنبك » رواه الترمذي

وعن فضالة بن عبيد قال بينما رسول الله ﷺ قاعد إذ دخل رجل فصلى فقال اللهم اغفر لي وارحمني . فقال رسول الله ﷺ «عجلت أيها المصلي ، إذا صليت فقعدت فاحمد الله بما هو أهله وصل علي ثم ادعه» قال ثم صلى رجل آخر بعد ذلك فحمد الله وصلى على النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ « أيها المصلي ادع تجب» رواه الترمذي . وروى أبو داود والنسائي نحوه

وعن عبد الرحمن بن مسعود قال كنت أصلي والنبي ﷺ وأبو بكر وعمر معه . فلما جلست بدأت بالثناء على الله تعالى ثم الصلاة على النبي ﷺ ثم دعوت لنفسي فقال النبي ﷺ «سل تعطه» رواه الترمذي ، وعن عمر بن الخطاب (رض) قال ان الدعاء موقوف بين السماء والارض لا يصعد منها شيء حتى تصلي على نبيك رواه الترمذي ، وعن علي (رض) قال كل دعاء محجوب حتى يصلى على محمد ﷺ رواه الطبراني في الاوسط موقوفا ورواته ثقات

---

(١) فائد أبو الورقاء هذا قال الحافظ في التقريب : متروك اتهموه . فالعجب من المصنف كيف يعتد بشهادة الحاكم له مع علمه بتضعيف الجمهور له وطالما قرر وكرر القول بعدم الاعتداد على توثيق الحاكم لمثله ولمن هو أمثل منه . وكتبه محمد رشيد

(والسابع) أن يقول اللهم أسألك بحق فلان عبدك أو بجاهه أو حرمته أو نحو ذلك ، فعن العز بن عبد السلام ومن تابعه عدم الجواز الا بالنبي ﷺ ، وعن الحنابلة في أصح القولين أنه مكروه كراهة تحريم ، ونقل القدوري وغيره من الحنفية عن أبي يوسف انه قال قال أبو حنيفة (رض) لا ينبغي لاحد أن يدعو الله إلا به وذكر العلائي في شرح التنوير عن التتارخانية عن أبي حنيفة انه قال لا ينبغي لاحد أن يدعو الله سبحانه الا به ، وفي جميع متونهم أن قول الداعي المتوسل بحق الانبياء والاولياء وبحق البيت والمشعر الحرام مكروه كراهة تحريم وهي كالحرام في العقوبة بالنار عند محمد ، وعللوا ذلك كلهم بقولهم : لانه لا حق للمخلوق على الخالق

(قلت) قد ورد في حديث معاذ المتفق عليه قال : كنت ردف النبي ﷺ على حمار ليس بيني وبينه الا مؤخرة الرحل فقال «يامعاذ هل تدري ما حق الله على عباده وما حق العباد على الله؟ » قلت الله ورسوله أعلم قال « فان حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً » فقد ثبت بهذا الحديث أن المخلوق أيضاً حقا على الله ، فالتعليل المذكور فاسد ، فان أُوِّلَ الحديث فليؤول بمثله قول الداعي المتوسل بحق الانبياء والاولياء ولكن مجرد ثبوت الحق المخلوق على الخالق لا يقتضي جواز السؤال به ، فالقول الفصل في ذلك الفصل أن السؤال بحق فلان إن ثبت بحديث صحيح أو حسن فلا وجه للمنع وإن لم يثبت فهي بدعة وقد عرفت فيما سلف ان كل حديث ورد في هذا الباب لا يخلو عن مقال ووهن ، فالاحوط ترك هذه الالفاظ وقد جعل الله في الامر سعة ، وعلمنا النبي ﷺ التوسل المشروع على هيئات متعددة كما تقدم فلا ملجىء الى الوقوع في مضيق الشبهات فقد ورد في حديث نعمان بن بشير قال قال رسول الله ﷺ « الحلال بين والحرام بين وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه » الحديث متفق عليه

وأما ما قال الامام الشوكاني من أن التوسل الى الله بأهل الفضل والعلم هو في التحقيق توسل بأعمالهم الصالحة ومزاياهم الفاضلة اذ لا يكون الفاضل فاضلا إلا بأعماله ، فاذا قال القائل اللهم اني أتوسل اليك بالعالم الفلاني فهو باعتبار ما قام به من العلم ، وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما ان النبي ﷺ حكى عن الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة ان كل واحد منهم توسل الى الله بأعظم عمل عمله فارتفعت الصخرة اه ففيه نظر من وجوه

(الاول) ان قوله في دليل الدعوى : اذ لا يكون الفاضل فاضلا الا بأعماله ، دعوى مجرد لم يذكر عليه دليلا فلا تقبل(١) ألا ترى ان أمة محمد (ص) خير أمة بدليل قوله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس) مع أن من خلا من الامم أكثر عملا منهم فيجوز أن يكون الفاضل فاضلا بفضل الله تعالى لا بمجرد العمل

(الثاني) انا لا نسلم أن الفاضل اذا كان فضله بالاعمال كان التوسل به توسلا بالاعمال الصالحة ، لم لا يجوز ان يكون التوسل به توسلا بذاته ؟ بل هو الظاهر(٢) ، فان حقيقة التوسل بالشيء التوسل بذاته ، والتوسل بالاعمال أمر خارج زائد على الحقيقة ، ولا يصرف عن الحقيقة الى المجاز الا لمانع

---

(١) في هذا النظر من المؤلف نظر فليته تركه ، فكون الفاضل لا يكون فاضلا الا بعمله بديهي لا يحتاج الى دليل ، وهل الفضل الا الزيادة على غيره بالعمل الذي يشمل عمل النفس والجوارح . وما كانت شهادة الله لهذه الامة بالخيرية إلا مقرونة بذكر العمل الذي به الخيرية وهو قوله تعالى بعدها (تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) وكتبه محمد رشيد رضا

(٢) ان المعلوم من حال هؤلاء المتوسلين بالاشخاص انهم يتوسلون بذواتهم الممتازة بصفاتهم وأعمالهم المعروفة عنهم لاعتقاد أن لهم تأثيرا في حصول المطلوب بالتوسل إما بفعل الله تعالى لاجلهم واما بفعلهم أنفسهم مما يعدونه كرامة لهم وقد سمعنا الامرين منهم وممن يدافع عنهم وكل من الامرين باطل وكتبه محمد رشيد رضا

(الثالث) ان الثابت بحديث الصخرة انما هو توسل شخص بأعمال نفسه ، لا بأعمال غيره فلا يتم التقريب بل التوسل بأعمال الغير مما يستنكف عنه العقل السليم ، ولا يدل عليه دليل من الكتاب والسنة

(فان قلت) قد ورد في حديث جابر في باب دعاء الاذان من طريق محمد بن عون «اللهم اني أسألك بحق هذه الدعوة التامة» فهذا القول من غير المؤذن توسل بعمل الغير (قلت) جوابه من وجهين (الاول) ماتقدم من الكلام في محمد بن عون فلا يصلح لان يستدل به على شيء من مسائل الدين (والثاني) ان المراد بهذه الدعوة التامة نوع الاذان لا أذان مؤذن مخصوص كما أن المراد مطلق الصلاة لا صلاة مصل معين ، فغاية مايثبت منه التوسل بمطلق الاعمال الصالحة ، من غير اضافتها الى أشخاص معينين ، وهو بمعزل عن المطلوب

(الرابع) انه لو سلم ان مراد القائل : اللهم اني اتوسل اليك بابي بكر (رض) مثلا هو التوسل باعمال أبي بكر (رض) لا التوسل بذاته ، فاللفظ محتمل للتوسل بالذات أيضا ، وهذا مما لاشك فيه ، وقد نهانا الله تعالى عن استعمال لفظ موهم لامر غير جائز فقال في سورة البقرة (يا أيها الذين آمنوا لاتقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب أليم) قال الامام العلامة ابو الطيب صديق بن حسن القنوجي دام فيضه في تفسير (فتح البيان) وفي ذلك دليل على انه ينبغي تجنب الالفاظ المحتملة للسب والنقص وان لم يقصد المتكلم بها هذا المعنى المفيد للشتم سداً للذريعة وقطعا لمادة المفسدة والتطرق اليه اه

وكذلك ماقال والد صاحب جلاء العينين مجوزا قول القائل اللهم اني أسألك بحق النبي صلى الله عليه وسلم وجاهه من ان المراد من الحق والجاه معنى يرجع إلى صفة من صفات الله تعالى مثل أن يراد المحبة التامة المستدعية عدم رده وقبول شفاعته محل نظر ، فان ارجاع لفظ الحق والجاه إلى صفة من صفاته تعالى لايخلو عن تعسف

ولو سلم فاللفظ محتمل للتوسل بالذات أيضا ، واستعمال الالفاظ المحتملة للامر الغير جائز منهي عنه بدليل الآية المتقدمة ، وكذلك ما قيل انه إذا جاز التوسل بالاعمال الصالحة فالتوسل به ﷺ أحق وأولى لما فيه من النبوة والفضائل فاسد فان بينهما من الفرق ما لا يخفى إذ التوسل بالاعمال الصالحة ثابت بالكتاب والسنة الصحيحة بخلاف التوسل بالذوات الفاضلة فان أمثل ما يستدل به على هذا المطلب هو حديث عثمان بن حنيف وهو غير ثابت لان في سنده أبا جعفر الرازي وهو سيء الحفظ يهم كثيرا فلا يحتج بما ينفرد به ، وعلى تقدير ثبوته فالمراد بقوله بنبيك بدعاء نبيك وشفاعته بل هذا متعين بدليل قول الضرير ادع الله أن يعافيني وقوله ﷺ « ان شئت دعوت » وقوله في الدعاء « اللهم فشفعه في » وبدليل قول عمر (رض) كنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا فان المراد بالتوسل بالنبي ﷺ وبعم النبي ﷺ في هذا القول هو التوسل بدعاء النبي ﷺ وبدعاء عمه ﷺ لا غير كما يدل عليه صفة ما استسقى به النبي ﷺ وعمه العباس (رض) فقد علم بذلك أن المراد بالتوسل بالنبي ﷺ في عرف الصحابة هو التوسل بدعاء النبي ﷺ وهذا القسم من التوسل لم يقل أحد من العلماء انه شرك فان أشدهم في المنع شيخ الاسلام ابن تيمية وتلامذته وتبعهم في ذلك الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي رحمهم الله تعالى وهؤلاء العلماء يصرحون بأنه ليس بشرك

قال في (تبعيد الشيطان بتقريب اعانة اللهفان) قال شيخنا قدس الله روحه وهذه الامور المبتدعة عند القبور مراتب ، أبعدها عن الشرع أن يسأل الميت حاجته ويستغيث به فيها كما يفعله كثير من الناس قال وهؤلاء من جنس عباد الاصنام ولهذا قد يتمثل لهم الشيطان في صورة الميت والغائب كما يتمثل لعباد الاصنام وهذا يحصل للكفار من المشركين وأهل الكتاب يدعو أحدهم من

يعظمه فيتمثل لهم الشيطان أحيانا وقد يخاطبهم ببعض الامور الغائبة وكذلك السجود للقبر وتقبيله (المرتبة الثانية) أن يسأل الله به وهذا يفعله كثير من المتأخرين وهو بدعة باتفاق المسلمين (الثالثة) أن يسأله نفسه (الرابعة) أن يظن أن الدعاء عند قبره مستجاب وأنه أفضل من الدعاء في المسجد فيقصد زيارته والصلاة عنده لاجل طلب حوائجه وهذا أيضاً من المنكرات المبتدعة باتفاق المسلمين وهي محرمة، وما علمت في ذلك نزاعاً بين أئمة الدين وان كان كثير من المتأخرين يفعل ذلك ويقول بعضهم قبر فلان ترياق مجرب والحكاية المنقولة عن الشافعي انه كان يقصد الدعاء عند قبر أبي حنيفة من الكذب الظاهر . اه

وأيضاً قال فيه: والشيطان له تلطف في الدعوة فيدعوه أولا إلى الدعاء عنده فيدعو العبد عنده بحرقة وانكسار وذلة فيجيب الله دعوته لما قام بقلبه لا لاجل القبر فيظن الجاهل أن للقبر تأثيراً - إلى أن قال - فاذا وقع ما يريده الشيطان من الانسان من استحسان الدعاء عند القبر وأنه أرجح من دعائه في بيته ومسجده نقله درجة أخرى من الدعاء عنده إلى الدعاء به والاقسام على الله به وهذا أعظم من الذي قبله، فان شأن الله تعالى أعظم من أن يقسم عليه أو يسأل بأحد من خلقه وقد أنكر أئمة الاسلام ذلك

«قال أبو الحسين القدوري في شرح كتاب الكرخي قال بشر بن الوليد سمعت أبا يوسف يقول قال أبو حنيفة : لا ينبغي لاحد أن يدعو الله إلا به وأكره ان يقول أسألك بمعاقد العز من عرشك، وأن يقول بحق فلان وبحق أنبيائك ورسلك وبحق البيت الحرام

«قال أبو الحسين أما المسألة بغير الله فمنكرة لانه لا حق لغير الله عليه وانما الحق له على خلقه، وأما قوله بمعاقد العز من عرشك فكرهه أبو حنيفة ورخص

فيه أبو يوسف ، وروي انه (ص) دعا بذلك قال ولان معقد العز يراد به القدرة خلق الله بها العرش مع عظمته وكانه سأله بأوصافه ، وقال ابن بلدجي في شرح المختار ويكره ان يدعو الله إلا به ، ولا يقول أسألك بملائكتك او بأنبيائك او نحو ذلك لانه لا حق للمخلوق على خالقه او يقول في دعائه أسألك بمعقد العز من عرشك ، وعن أبي يوسف جوازه ، وما يقوله فيه ابو حنيفة وأصحابه كره كذا هو عند محمد حرام ، وعند أبي حنيفة وأبي يوسف إلى الحرام أقرب ، وجانب التحريم عليه أغلب ، وفي فتاوى ابن عبد السلام نحو ذلك ، وتوقف في نبينا (ص) لاعتقاده ان ذلك جاء في حديث وانه لم يعرف صحة الحديث ،

«فاذا قرر الشيطان عنده ان الاقسام على الله به والدعاء ابلغ في تعظيمه واحترامه وانجح في قضاء الحاجة نقله الى درجة أعلى من تلك وهي دعاؤه نفسه من دون الله ، ثم الى درجة فوق تلك هي اتخاذه وثناً يعكف عليه ويوقد عليه القناديل ويعلق عليه الستور ، ويبني عليه المسجد ويعبده بالسجود له والطواف عليه وتقبيله واستلامه والحج اليه والذبح عنده ثم نقله إلى دعاء الناس الى عبادته واتخاذه عيداً ومنسكا وان ذلك انفع لهم في دنياهم وآخرتهم اه

وقد نقلنا عبارة محمد بن عبدالوهاب في ذلك فيما تقدم فنذكر

(الثامن) ان يسأل الله ويدعوه عند قبور الصالحين معتقداان الدعاء عند القبر مستجاب

(والتاسع) أن يقول عند قبر نبي او صالح ياسيدي فلان ادع الله تعالى أو نحو ذلك ، فهذان القسمان مما لا يستريب عالم انهما غير جائزين وانهما من البدع التي لم يفعلها السلف وان كان السلام على اهل القبور جائز

(العاشر) ان يقول عند قبر نبي او صالح يا سيدي فلان اشف مريضي واكشف عن كربتي وغير ذلك ، وهذا شرك جلي اذ نداء غير الله طالباً بذلك

دفع شر او جلب منفعة فيما لايقدر عليه الغير دعاء، والدعاء عبادة ، وعبادة غير الله شرك ، وهذا اعم من ان يعتقد فيهم انهم مؤثرون بالذات،او اعطاهم الله تعالى التصرفات في تلك الامور ،او انهم ابواب الحاجة الى الله تعالى وشفعاؤه ووسائله. وفي هذا الحكم التوسل بسائر العبادات من الذبح لهم والنذر لهم والتوكل عليهم والالتجاء اليهم والخوف والرجاء منهم والسجود لهم والطواف لهم

(الحادي عشر) ان يدعو غائباً او ميتاً عند غير القبور يا سيدي فلان ادع الله تعالى في حاجتي فلانة، زاعماً انه يعلم الغيب ويسمع كلامه في كل زمان ومكان ويشفع له في كل حين واوان ، فهذا شرك صريح فان علم الغيب من الصفات المختصة بالله تعالى

(الثاني عشر) ان يدعو غائباً او ميتاً عند غير القبر يا سيدي فلان اشف مريضي واقض عني الدين وهب لي ولداً وارزقني واغفر لي وامثال ذلك ، وهذا أيضاً شرك من وجهين (الاول) أنه يعتقد علم الغيب لذلك المدعو وهو شرك (والثاني) أنه ينادي ويدعو غير الله تعالى طالباً بذلك دفع شر أو جلب منفعة فيما لا يقدر ذلك الغير عليه ، وهذا الدعاء عبادة وعبادة غير الله شرك ، ومن قال من العلماء بكون التوسل شركا فانما أراد به أحد الاقسام الثلاثة الاخيرة

***

قوله ﴿ وانما استسقى عمر (رض) بالعباس (رض) ولم يستسق بالنبي ﷺ

ليبين للناس جواز الاستسقاء بغير النبي ﷺ وأن ذلك لا حرج فيه ، وأما الاستسقاء بالنبي ﷺ فكان معلوما عندهم وربما ان بعض الناس يتوهم أنه لا يجوز الاستسقاء بغير النبي (ص) فبين لهم عمر باستسقائه بالعباس الجواز ولو استسقى

بالنبي (ص) لربما يفهم منه بعض الناس أنه لا يجوز الاستسقاء بغيره صلى الله عليه وسلم》

أقول فيه كلام من وجهين

(الاول) أن المراد بالاستسقاء بالعباس والتوسل به الوارد في حديث أنس (رض) هو الاستسقاء بدعاء العباس على طريقة معهودة في الشرع وهي أن يخرج من يستسقي به إلى المصلى فيستسقي ويستقبل القبلة داعياً ويحول رداءه ويصلي ركعتين أو نحوه من هيئات الاستسقاء التي وردت في الصحاح ، والدليل عليه قول عمر (رض) اللهم انا كنا نتوسل اليك بنبينا (ص) فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا ، ففي هذا القول دلالة واضحة على أن التوسل بالعباس كان مثل توسلهم بالنبي صلى الله عليه وسلم ، والتوسل بالنبي ﷺ لم يكن إلا بأن يخرج (ص) ويستقبل القبلة ويحول رداءه ويصلي ركعتين أو نحوه من الهيئات الثابتة للاستسقاء ولم يرد في حديث ضعيف فضلا عن الحسن والصحيح أن الناس طلبوا السقيا من الله في حياته متوسلين به ﷺ من غير أن يفعل ﷺ ما يفعل في الاستسقاء المشروع من طلب السقيا والدعاء والصلاة وغيرهما مما ثبت بالاحاديث الصحيحة ومن يدعي وروده فعليه الاثبات

إذا تمهد هذا فاعلم ان الاستسقاء والتوسل على الهيئة التي وردت في الصحاح للاستسقاء لا يمكن إلا بالحي لا بالميت ، فالقول بإمكان هذا الاستسقاء بالنبي ﷺ بعد وفاته من أبطل الاباطيل وكان القول بأنه لو استسقي بالنبي ﷺ لربما يفهم منه بعض الناس أنه لا يجوز الاستسقاء بغيره ﷺ بديهي البطلان فان ما ثبت بفعله ﷺ هو مشروع لنا لقوله تعالى (ما آتاكم الرسول فخذوه) وقوله تعالى (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) ـ ـ لم يدل دليل على كونه مخصوصاً بالنبي ﷺ فلا مجال لهذا التوهم حتى يحتاج الى دفعه

(والثاني) ان المقصود لو كان دفع التوهم المذكور لكان أولى ان يتوسل

بحي غير النبي (ص) في حياته (ص) أو بميت غير النبي (ص) بعد وفاته (ص) أو بميت غير النبي (ص) في حياته (ص) فان هاتيك الصور الثلاث أبعد من ان يبدأ فيها الاحتمال الآتي من انه انما استسقى بالعباس لانه حي والنبي (ص) قد مات ، وان الاستسقاء بغير الحي لايجوز ، فلما ترك عمر (رض) تلك الصور واختار الصورة التي يتأتى فيها الاحتمال المذكور دل هذا الصنيع على أن مقصوده رضي الله عنه ليس دفع التوهم المذكور

(والثالث) ان توهم عدم جواز الاستسقاء بغير النبي (ص) أخف من وهم عدم جواز الاستسقاء بالميت سيما اذا كان ذلك الميت غير النبي (ص) فكان هذا التوهم أولى بالدفع فكان الانسب حينئذ أن يستسقي بميت غير النبي (ص)

(والرابع) ان هذا التعليل فاسد لان المعلل لم يقم عليه برهانا ولا دليلا فلا يصغى اليه

قوله ﴿ وليس لقائل أن يقول انما استسقى بالعباس لانه حي والنبي (ص) قد مات وان الاستسقاء بغير الحي لايجوز . لا نقول ان هذا الوهم باطل ومردود بادلة كثيرة ﴾
أقول هذه الادلة كلها ليست صالحة لان يستدل بها على المطلوب كما تقدم فتذكر

قوله ﴿ مع أنه (ص) حي في قبره ﴾
اقول بعد التسليم هذه الحياة حياة برزخية ، وتساوي الحياة البرزخية والدنيوية في جميع الاحكام لا يقول به أحد من العقلاء ؛ إذ هو يستلزم مفاسد غير محصورة كما لا يخفى على من له أدنى فهم

قوله ﴿ قال بعض العارفين : وفي توسل عمر بالعباس (رض) دون النبي (ص) نكتة أخرى زيادة على ما تقدم وهي شفقة عمر (رض) على ضعفاء المؤمنين فانه لو استسقى بالنبي (ص) ربما تأخرت الاجابة ، لانها معلقة بارادة الله تعالى ومشيئته ، فلو تأخرت الاجابة ربما تقع وسوسة واضطراب لمن كان ضعيف الايمان بسبب تأخر الاجابة ﴾

اقول :هذه النكتة أحق أن يقال انها نكتة سوداء ، أو وسوسة دهماء، أو فتنة صماء ،أوشبهة عمياء ،فانها تقتضي ترك الاستسقاء بالنبي (ص) في حياته (ص) أيضاً ، فانه لو استسقى بالنبي ﷺ لربما استأخرت الاجابة لانها معلقة بارادة الله تعالى في حياته وبعد وفاته ، فلو تأخرت الاجابة ربما تقع وسوسة فاضطراب . ولا يقول به أحد من المسلمين

وبالجملة فالذي ألجأ هؤلاء الى إبداء أمثال هذه النكتة السخيفة الساقطة الردية ، والتعليلات الباردة الفاسدة المرمية ، هو أن عمر (رض) وسائر الصحابة مع انهم السابقون الاولون عدلوا بعد وفاة النبي ﷺ عن التوسل بسيد الناس الى التوسل بعمه العباس،وهذا العدول اوضح دليل ،وأبهر برهان على أن التوسل بالاموات غير جائز، فهؤلاء المجوزون للتوسل بالاموات احتاجوا الى توجيه هذا العدول وتأويله، فعموا وصموا وقالوا ماقالوا ،فخبطوا خبط عشواء ،وركبوا متن عمياء ،وإلى الله المشتكى من أمثال هذه التوجيهات ،فانها تحريفات واضحات

قوله ﴿والحاصل أن مذهب أهل السنة والجماعة صحة التوسل وجوازه بالنبي ﷺ في حياته وبعد وفاته، وكذا بغيره من الانبياء والمرسلين، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين، وكذا بالاولياء والصالحين لما دلت عليه الاحاديث السابقة﴾

أقول :إن اراد ان مذهب اهل السنة والجماعة صحة جميع أقسام التوسل التي ذكرناها آنفا ففاسد ،فان كثيراً من اهل السنة صرحوا بكون بعض الاقسام غير جائز أو مكروهاً بل بكون بعضها كفراً وشركا . وإن اراد ان مذهب اهل السنة والجماعة صحة بعض اقسام التوسل فنحن لا ننكره ولا واحد من العلماء الذين رُموا بانكار التوسل

قوله ﴿لا - معشر اهل السنة لا نعتقد تأثيراً ولا خلقا ولا ايجاداً ولا إعداما

ولا نفعاً ولا ضراً الا لله وحده لا شريك له، ولا نعتقد تأثيراً ولا نفعاً ولا ضراً للنبي ﷺ ولا لغيره من الاحياء والاموات، فلا فرق في التوسل بالنبي ﷺ وغيره من الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم اجمعين. وكذا بالاولياء والصالحين لا فرق بين كونهم أحياءً وأمواتاً لانهم لا يخلقون شيئاً، وليس لهم تأثير في شيء وانما يتبرك بهم لكونهم أحباء الله تعالى، وأما الخلق والايجاد والاعدام والنفع والضر فانه لله وحده لا شريك له﴾

اقول: فيه كلام من وجوه (الاول) انه يعتقد كثير من العوام وبعض الخواص في اهل القبور وفي المعروفين بالصلاح من الاحياء انهم يقدرون على ما لا يقدر عليه الا الله جل جلاله، ويفعلون ما لا يفعله الا الله عز وجل حتى نطقت ألسنتهم بما انطوت عليه قلوبهم. فصاروا يدعونهم تارة مع الله وتارة استقلالا. ويصرخون باسمائهم، ويعظمونهم تعظيم من يملك الضر والنفع، ويخضعون لهم خضوعاً زائداً على خضوعهم عند وقوفهم بين يدي ربهم في الصلاة والدعاء كما تقدم ذلك في كلام الشوكاني

(والثاني) ان مجرد عدم اعتقاد التأثير والخلق والايجاد والاعدام والنفع والضر الا لله لا يبرىء من الشرك، فان المشركين الذين بعث الله الرسل اليهم أيضاً كانوا مقرين بأن الله هو الخالق الرازق — بل لا بد فيه من اخلاص توحيده وإفراده، وإخلاص التوحيد لا يتم الا بأن يكون الدعاء كله لله، والنداء والاستعانة والرجاء واستجلاب الخير واستدفاع الشر له ومنه لا بغيره ولا من غيره وكذلك النذر والذبح والسجدة كلها يكون لله وهذا قد ظهر من العبادات التي سبقت ظهوراً بيناً لا خفاء فيه

(والثالث) ان مجرد كون الاحياء والاموات شركاء في انهم لا يخلقون شيئاً وليس لهم تأثير في شيء لا يقتضي ان يكون الاحياء والاموات متساويين في جميع الاحكام حتى يلزم من جواز التوسل بالاحياء جواز التوسل بالاموات وكيف

وليس معنى التوسل بالاحياء إلا التوسل بدعائهم وهو ثابت بالاحاديث الصحيحة، وأما التوسل بدعاء الاموات فلم يثبت بحديث صحيح ولا حسن

قوله ﴿ وأما الذين يفرقون بين الاحياء والاموات فانهم بذلك الفرق يتوهم منهم أنهم يعتقدون التأثير للاحياء دون الاموات ، ونحن نقول (الله خالق كل شيء والله خلقكم وما تعملون) فهؤلاء المجوزون توسل بالاحياء دون الاموات او المعتقدون تأثير غير الله وهم الذين دخل الشرك في توحيدهم لكونهم اعتقدوا تأثير الاحياء دون الاموات﴾

أقول هذا كلام تقشعر منه الجلود ، أما يعلم هذا القائل الضديد ،والمتفوه العنيد، أن الفارقين بين الاحياء والاموات هم الذين يمنعون مما هو دون اعتقاد تأثير الله بمراحل ويصرحون بكونه شركا فكيف يتوهم منهم أنهم يعتقدون تأثير غير الله؟سبحانك هذا بهتان عظيم ، على أن مناط الفرق بين الاحياء والاموات ليس اعتقاد التأثير للاحياء دون الاموات كما زعم هذا المتقول على الموحدين انما مناطه ثبوت التوسل بالاحياء بالاحاديث الصحيحة دون التوسل بالاموات

قوله ﴿فالتوسل والتشفع والاستغاثة كلها بمعنى واحد وليس لها في قلوب المؤمنين معنى إلا التبرك بذكر احباء الله تعالى لما ثبت ان الله يرحم العباد بسببهم سواء كانوا أحياء أو أمواتا﴾

أقول هذا الحصر غير مسلم فان صاحب الرسالة[1] قد عد من أفراد التوسل

---

[1]) اي صاحب هذه الرسالة المردود عليها . والرد هنا قاصر ومما كان ينبغي أن يقوله المصنف في رده ان الالفاظ الثلاثة ليست بمعنى واحد . وان الذين ليس لهم في قلوبهم معنى إلا التبرك لا يشدون الرحال الى القبور لاجل ذكر موتاها - وان ذكرها في الدعاء تبركا من التعبد الذي لا يعلم الا بالنص من الشارع وهو غير موجود - وان كونها سببا للرحمة مضاد لكونها لا تأثير لها وهو قد جمع بين الضدين في الجملة الآتية و يسمي ذكرهم سببا عاديا للتأثير الالهي والمعروف عن جماعة القبوريين انهم يعدونه من خوارق العادات لا من الاسباب العادية وكتبه محمد رشيد رضا

ما رواه الدارمي عن أبي الجوزاء قال قحط أهل المدينة قحطا شديداً فشكوا إلى عائشة) رض) فقالت انظروا إلى قبر رسول الله ﷺ فاجعلوا منه كوة إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف ففعلوا فمطروا حتى نبت العشب وسمنت الابل حتى تفتقت من الشحم فسمي عام الفتق وليس فيه التبرك بذكر أحباء الله؟ على أن التوسل اذا كان خالياً عن اعتقاد التأثير ودعاء غير الله والنذر له والذبح له وسائر العبادات وجميع ما نهى الله ورسوله عنه وكان محض التبرك بذكر احباء الله لا يكون شركا لكن ينظر اليه فان كان ذلك التبرك ثابتا بكتاب أو سنة صحيحة فلا مرية في مشروعيته ، وان لم يكن ثابتاً فهو بدعة ضلالة ، والكلام في حديث أبي الجوزاء سيأتي فارتقبه ، ودعوى أنه ثبت ان الله يرحم العباد بسببهم سواء كانوا أحياء أو أمواتا تحتاج إلى اقامة البرهان عليها ودونه لا تسمع ثم إلى تبيين أن المراد بلفظة « بسببهم » بسبب ذكرهم وبدونه لا يتم التقريب

قوله ﴿فالمؤثر والموجد حقيقة هو الله تعالى وذكر هؤلاء الاخيار سبب عادي في ذلك التأثير وذلك مثل الكسب العادي فانه لا تأثير له﴾

أقول كون ذكر هؤلاء الاخيار سبباً عاديا في ذلك التأثير من أين علم وأي دليل عليه؟ ولو سلم فالسببية لا يستلزم المشروعية ، ألا ترى أن كثيرا من العقود الفاسدة سبب لتحصيل النفع وليست بمشروعة

قوله ﴿ وحياة الانبياء عليهم الصلاة والسلام في قبورهم ثابتة عند أهل السنة بأدلة كثيرة﴾

أقول هب أن حياة الانبياء عليهم السلام ثابتة ولكنها حسب اعتراف صاحب الرسالة ليست مثل الحياة الدنيوية فلا يتفرع عليها جواز التوسل كما يتفرع على الحياة الدنيوية

قوله ﴿فان قال قائل ان شبهة هؤلاء المانعين للتوسل انهم رأوا بعض العامة يأتون بألفاظ توهم أنهم يعتقدون التأثير لغير الله تعالى ويطلبون من الصالحين أحياء وأمواتا أشياء جرت العادة بأنها لا تطلب إلا من الله تعالى ويقولون للولي افعل لي كذا وكذا وأنهم ربما يعتقدون الولاية في أشخاص لم يتصفوا بها بل اتصفوا بالتخليط وعدم الاستقامة وينسبون لهم كرامات وخوارق عادات وأحوالا ومقامات وليسوا بأهل لها ولم يوجد فيهم شيء منها فأراد هؤلاء المانعون للتوسل أن يمنعوا العامة من تلك التوسعات دفعا للايهام وسداً للذريعة وان كانوا يعلمون أن العامة لا يعتقدون تأثيرا ولا نفعاً ولا ضراً لغير الله تعالى ولا يقصدون بالتوسل إلا التبرك، ولو أسندوا للاولياء شيئا لا يعتقدون فيهم تأثيرا فنقول لهم إذا كان الامر كذلك وقصدتم سد الذريعة فما الحامل لكم على تكفير الامة عالمهم وجاهلهم وخاصهم وعامهم، وما الحامل لكم على منع التوسل مطلقا بل كان ينبغي لكم أن تمنعوا العامة من الالفاظ الموهمة لتأثير غير الله تعالى وتأمروهم بسلوك الادب في التوسل﴾

أقول أولا ان في تقرير دليل المانعين نوع تحريف مقصود وأصل تقريرهم هكذا: انا نرى كثيرا من العامة وبعض الخواص يأتون بألفاظ دالة دلالة مطابقة على أنهم يعتقدون التأثير لغير الله تعالى ويطلبون من الصالحين أحياء وأمواتا أشياء لا يقدر عليها إلا الله وينذرون لهم النذور وينحرون لهم النحائر ويقربون اليهم نفائس الاموال ويجعلونهم وسائط يدعونهم ويسألونهم جلب المنافع بمعنى أن الخلق يسألونهم وهم يسألون الله كما ان الوسائط عند الملوك يسألون الملوك حوائج الناس لقربهم منهم والناس يسألونهم أدبا منهم أن يباشروا سؤال الملوك

أو لكونهم أقرب إلى الملك (١) وبعد ملاحظة أصل تقريرهم وجه التكفير ظاهر فان اعتقاد تأثير غير الله كفر صريح ، والدعاء والندر والنحر عبادة ، وعبادة غير الله شرك وكفر

وثانيا انا معاشر أهل التوحيد لا نكفر الامة كلهم عالمهم وجاهلهم وعامهم وخاصهم ، هذا افتراء علينا بل نكفر من وجد فيه موجبات الكفر من اعتقاد التأثير لغير الله واعتقاد أنه يضر وينفع ودعاء غير الله والنذر له والنحر له وغيرها

وثالثا ان مجرد عدم اعتقاد التأثير لغير الله لا يكفي البراءة من الشرك كما تقدم بل لابد فيها من اخلاص العبادة لله تعالى بان يكون الدعاء والاستغاثة والنذر والنحر وسائر أقسام العبادة كلها لله تعالى

ورابعا انا معاشر الموحدين لا نمنع التوسل مطلقا كما تقدم انما نمنع منه ما كان متضمنا لعبادة غير الله أو لما نهى الله عنه ورسوله أو محدثا لم يدل عليه دليل من كتاب وسنة ثابتة

قوله ومع أن تلك الالفاظ الموهمة يمكن حملها على المجاز من غير احتياج إلى التكفير للمسلمين وذلك المجاز مجاز عقلي شائع معروف اهـ

أقول فيه نظر من وجوه

(الاول) ان لفظ الموهم في هذا المقام وفيما تقدم لا يخلو عن تدليس وتلبيس فان تلك الالفاظ دالة دلالة مطابقة على تأثير غير الله تعالى فما معنى الايهام

(والثاني) انه لو سلم هذا الحمل لانسد باب الارتداد وانتفى باب الردة الذي يعقده علماء الاسلام الموحدين حتى صدر منه قول أو فعل موجب للكفر يجب حمله على المجاز العقلي والاسلام والتوحيد قرينة على ذلك المجاز

(والثالث) انه يلزم على هذا أن لا يكون المشركون الذين نطق كتاب الله

---

(١) بل قال بعض المؤلفين في الفقه وغيره منهم ان الولي يخرج من قبره فيقضي بنفسه حاجة من دعاه او توسل به وكتبه محمد رشيد رضا

بشركهم مشركين فانهم كانوا يعتقدون أن الله هو الخالق الرازق الضار النافع وأن الخير والشر بيده لكن كانوا يعبدون الاصنام لتقربهم إلى الله زلفى فالاعتقاد المذكور قرينة على أن المراد بالعبادة ليس معناه الحقيقي بل المراد هو المعنى المجازي أي التكريم مثلا فما هو جوابكم هو جوابنا

(الرابع) انكم هؤلاء أولتم عنهم في تلك الالفاظ الدالة على تأثير غير الله تعالى فما تفعلون في أعمالهم الشركية من دعاء غير الله والاستغاثة والنذر والنحر ، فان الشرك لا يتوقف على اعتقاد تأثير غير الله بل إذا صدر من احد عبادة من العبادات لغير الله صار مشركا سواء اعتقد ذلك الغير مؤثراً أم لا

قوله « وأما منع التوسل مطلقا فلا وجه له مع ثبوته في الاحاديث الصحيحة وصدوره من النبي ﷺ وأصحابه وسلف الامة وخلفها »

اقول: لا نمنع التوسل مطلقا كما بيناه فيما تقدم ، انما نمنع منه ما هو متضمن لعبادة غير الله أو لما نهى الله ورسوله او كان محدثا لم يدل عليه دليل من الكتاب والسنة الثابتة . وأما الاحاديث التي ذكرها صاحب الرسالة وزعم انها صحيحة فقد تقدم الكلام عليها فتذكر

قوله « فهؤلاء المنكرون للتوسل المانعون منه منهم من يجعله محرما ومنهم من يجعله كفرا وشركا وكل ذلك باطل لانه يؤدي الى اجتماع معظم الامة على ضلالة »

أقول قد عرفت فيما تقدم أن التوسل له أقسام بعضها مشروع ، وبعضها شرك ومحرم ، وبعضها مكروه وبدعة ، والذي نجعله محرما أو كفرا وشركا او بدعة لا نسلم اجتماع معظم الامة عليه . والذي عليه اجماع معظم الامة لا نقول بكونه شركا او محرما او بدعة

قوله « لقوله ﷺ في الحديث الصحيح « لا يجمع امتي على ضلالة » قال بعضهم ان هذا حديث متواتر »

اقول الحديث رواه الترمذي في ابواب الفتن من حديث ابن عمر ولفظه هكذا: ان رسول الله ﷺ قال «ان الله لايجمع امتي اوقال امة محمد على ضلالة ويد الله على الجماعة ومن شذ شذ الى النار» هذا حديث غريب من هذا الوجه. وسليمان المديني هو عندي سليمان بن سفيان اه

(قلت) هذا حديث ضعيف ففي سنده سليمان بن سفيان قال الذهبي في الميزان سليمان بن سفيان ابو سفيان المدني عن عبدالله بن دينار وبلال بن يحيى، قال ابن معين ليس بشيء وقال مرة ليس بثقة وكذا قال النسائي وقال ابو حاتم والدارقطني ضعيف اه وقال الحافظ ابن حجر في التقريب سليمان بن سفيان التيمي مولاهم ابو سفيان المدني ضعيف من الثامنة. وقال الذهبي في الكاشف ضعفه ابو حاتم وغيره اه وقال في الخلاصة سليمان بن سفيان مولى آل طلحة التيمي ابو سفيان المدني عن عبد الله بن دينار وبلال بن يحيى، وعنه معتمر بن سليمان وأبو داود الطيالسي ضعفه ابو حاتم وغيره اه

قال الترمذي في جامعه وفي الباب عن ابن عباس حدثنا يحيى بن موسى حدثنا عبدالرزاق نا ابراهيم بن ميمون عن ابن طاوس عن ابيه عن ابن عباس (رض) قال قال رسول الله ﷺ «يد الله مع الجماعة» هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث ابن عباس إلا من هذا الوجه اه (قلت) في سنده عبدالرزاق وهو وان كان ثقة حافظا لكن عمي في آخر عمره فتغير

قال الحافظ في التقريب عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري مولاهم ابو بكر الصنعاني ثقة حافظ مصنف شهير عمي في آخر عمره فتغير وكان يتشيع اه وقال الذهبي في الميزان قال ابوزرعة الدمشقي قال لي احمد أتينا عبدالرزاق قبل المائتين وهو صحيح البصر ومن سمع منه بعد ما ذهب بصره فهو ضعيف السماع وقال الاثرم سمعت أبا عبدالله يسأل عن حديث النار جبار فقال هذا باطل من يحدث به

عن عبد الرزاق قال حدثني احمد بن شبويه قال: هؤلاء سمعوا منه بعد ما عمي كان يلقن فيلقنه وليس هو في كتبه وقد أسندوا عنه احاديث ليست في كتبه كان يلقنها بعد ما عمي وقال النسائي فيه نظر لمن كتب عنه بآخرة روى عنه أحاديث مناكير وقال البخاري ما حدث عنه عبد الرزاق من كتابه فهو أصح اه ملخصا

قال المؤلف يجب على من يستدل بهذا الحديث أن يثبت أن يحيى بن موسى سمع هذا الحديث من عبد الرزاق قبل ذهاب بصره على أن هذا الحديث ليس فيه لفظ يحتج به على حجية الاجماع. ورواه ابن ماجه في ابواب الفتن من حديث انس ابن مالك ولفظه هكذا حدثنا العباس بن عثمان الدمشقي حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا معان بن رفاعة السلامي حدثني ابو خلف الاعمى قال سمعت انس بن مالك يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول «ان امتي لا تجتمع على ضلالة فاذا رأيتم اختلافا فعليكم بالسواد الاعظم» في سنده معان بن رفاعة اسلامي قال الحافظ في التقريب لين الحديث كثير الارسال اه

وقال الذهبي في الميزان معن بن رفاعة الدمشقي وقيل الحمصي عن ابي الزبير وعبد الوهاب بن بخت وعنه ابو المغيرة وعصام بن خالد وجماعة وثقه ابن المديني وقال الجوزجاني ليس بحجة ولينه يحيى بن معين مات مع الاوزاعي تقريبا وهو صاحب حديث ليس بمتقن اه وقال في الكاشف قال ابو حاتم وغيره لا يحتج به اه وفي سنده ايضا ابو خلف الاعمى قال الحافظ في التقريب ابو خلف الاعمى نزيل الموصل خادم انس قيل اسمه حازم بن عطاء متروك ورماه ابن معين بالكذب من الخامسة، ومن زعم انه مروان الاصفر فقد وهم، ومروان أيضا يكنى ابا خلف فيما قال مسلم والله اعلم اه

قال الذهبي في الميزان ابو خلف الاعمى عن انس بن مالك قيل اسمه حازم كذبه يحيي بن معين وقال ابوحاتم منكر الحديث اه وقال الذهبي في الكاشف لين

وبالجملة هذا الحديث بهذا السند ضعيف جدا ، قال علي بن احمد العزيزي في (السراج المنير) قال الشيخ أي محمد حجازي الشعراني حديث صحيح اه (قلت) هذا خطأ من الشيخ بين لما عرفت من ان في سنده من رمي بالكذب ومن هو لين الحديث كثير الارسال فالحكم بصحته عجيب ورواه الدارمي في باب فضل النبي ﷺ من حديث عمرو بن قيس ولفظه هكذا : أخبرنا عبدالله بن صالح حدثني معاوية عن عروة بن رويم عن عمرو بن قيس ان رسول الله ﷺ قال « ان الله أدرك بي الاجل المرحوم، واختصر لي اختصاراً فنحن الآخرون ونحن السابقون يوم القيامة وانى قائل قولا غير فخر : ابراهيم خليل الله وموسى صفي الله، وأنا حبيب الله، ومعي لواء الحمد يوم القيامة ، وان الله عز وجل وعدني في امتي وأجارهم من ثلاث : لا يعمهم بسنة ، ولا يستأصلهم عدو ، ولا يجمعهم على ضلالة » اه في سنده عبدالله بن صالح وهو كثير الغلط ، وقد تقدم الكلام عليه فتذكر . وفيه معاوية بن صالح الحضرمي وهو صاحب أوهام، قال الحافظ في التقريب معاوية بن صالح بن حدير بالمهملة مصغراً الحضرمي أبو عمرو أو ابو عبد الرحمن الحمصي قاضي الاندلس صدوق له اوهام اه قال الذهبي في الميزان : وكان يحيى القطان يتعنت ولا يرضاه. وقال ابو حاتم لا يحتج به ، وكذا لم يخرج له البخاري ولينه ابن معين اه ملخصاً

وفيه عروة بن رويم وهو كثير الارسال ، قال الحافظ في التقريب عروة بن رويم بالراء مصغرا اللخمي أبو القاسم صدوق يرسل كثيرا من الخامسة اه

ورواه أبو داود من حديث أبي مالك الاشعري في كتاب الفتن ولفظه هكذا حدثنا محمد بن عوف الطائي نا محمد بن اسماعيل حدثني أبي قال ابن عوف وقرأت في اصل اسماعيل قال حدثني ضمضم عن شريح عن أبي مالك يعني الاشعري قال قال رسول الله ﷺ « ان الله أجاركم من ثلاث خلال أن لا يدعو عليكم نبيكم فتهلكوا جميعاً وأن لا يظهر أهل الباطل على أهل الحق وأن لا تجتمعوا على ضلالة » اه

قال المؤلف في سنده محمد بن اسماعيل بن عياش الحمصي قال الذهبي في الميزان محمد بن اسماعيل بن عياش الحمصي ، قال أبو داود لم يكن بذاك ، وقال ابو حاتم الرازي لم يسمع من أبيه شيئا اه وقال الحافظ في التقريب محمد بن اسماعيل بن عياش بالتحتانية والمعجمة الحمصي عابوا عليه انه حدث عن أبيه بغير سماع اه

وقال في الخلاصة محمد بن اسماعيل بن عياش بتحتانية العنسي بنون الحمصي قال ابو حاتم لم يسمع من ابيه انما حملوه على ذلك فحدث وعنه أبو زرعة قال أبو داود ليس بذاك اه وفي سنده ضمضم بن زرعة وهو صاحب أوهام ، قال الحافظ في التقريب ضمضم بن زرعة بن ثوب بضم المثلثة وفتح الواو ثم موحدة الحضرمي الحمصي صدوق يهم اه وقال الذهبي في الميزان ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد وثقه يحيى بن معين وضعفه أبو حاتم ، روى عنه جماعة اه

وقال في الخلاصة ضمضم بن زرعة الحضرمي عن شريح بن عبيد وعنه ابن عبيد وعنه اسماعيل بن عياش ويحيى بن حمزة وثقه ابن معين وابن حبان ، وضعفه أبو حاتم اه ، وفيه شريح بن عبيد وهو يرسل كثيرا ، قال الحافظ في التقريب شريح بن عبيد بن شريح الحضرمي الحمصي ثقة من الثالثة ، وكان يرسل كثيرا مات بعد المائة ، وقال الذهبي في الكاشف وثق وقد أرسل عن خلق اه

ورواه الدارقطني من حديث كعب بن عاصم الاشعري ولفظه هكذا نا محمد ابن اسماعيل الفارسي نا الوليد بن مروان نا جنادة بن مروان نا ابي نا شعوذ بن عبد الرحمن عن خالد بن معدان قال قال كعب بن عاصم الاشعري اني سمعت رسول الله ﷺ يقول «ان الله تعالى أجارني على أمتي من ثلاث لايجوعوا ولا يستجمعوا على ضلال ولا تستباح بيضة المسلمين» اه في سنده جنادة بن مروان وهو متهم بالكذب . قال الذهبي في الميزان جنادة بن مروان حمصي عن جرير بن عثمان وغيره اتهمه ابو حاتم اه

وفيه خالد بن معدان الكلاعي الحمصي أبو عبدالله ، قال الحافظ في التقريب خالد بن معدان الكلاعي الحمصي أبو عبدالله ثقة عابد يرسل كثيرا اه وقال في

الخلاصة عن جماعة من الصحابة مرسلا ، وعن معاوية والمقدام بن معد يكرب . وأبي امامة اه وبقية رجاله ماوجدتهم لافي الميزان ولافي الكاشف ولافي التقريب والخلاصة ، بيد أن الذهبي قال في الميزان الوليد بن مروان عن غيلان بن جرير مجهول اه فان كان الوليد الواقع في سنده هذا فهو مجهول ، وإن كان آخر فما عرفته

وبالجمله فهذا الحديث بهذا السند ضعيف جدا بل موضوع ، ورواه احمد من حديث أبي ذر عن النبي ﷺ انه قال « اثنان خير من واحد ، وثلاثة خير من اثنين ، وأربعة خير من ثلاثة فعليكم بالجماعة ، فان الله عز وجل لن يجمع أمتي إلا على هدى » وفيه البختري بن عبيد وهو ضعيف كذا في مجمع الزوائد ، قال الذهبي في الميزان البختري بن عبيد عن أبيه عبيد بن سلمان وعنه هشام بن عمار وسليمان ابن بنت شرحبيل ضعفه أبو حاتم وغيره تركه ، فأما أبو حاتم فأنصف فيه ، وأما أبو نعيم الحافظ فقال روى عن أبيه موضوعات ، وقال ابن عدي روى عن أبيه قدر عشرين حديثا عامتها مناكير اه ملخصاً ، وقال الحافظ في التقريب ضعيف متروك ، وقال الذهبي في الكاشف ضعفوه اه

قوله ﴿ ومن الشبه التي تمسك بها هؤلاء المنكرون للتوسل قوله تعالى (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) فان الله نهى المؤمنين في هذه الآية أن يخاطبوا النبي ﷺ بمثل مايخاطب بعضهم بعضاً كأن ينادوا باسمه ، وقياساً على ذلك قال لا ينبغي أن يطلب من غير الله تعالى كالانبياء والصالحين الاشياء التي جرت العادة بأنها لا تطلب إلا من الله تعالى . لئلا تحصل المساواة بين الله تعالى وخلقه بحسب الظاهر ﴾

أقول لم يتمسك احد من منكري التوسل بالآية المذكوره فيما أعلم فان كان أحد تمسك به فالحق انه خطأ ولا حاجة لنا اليه . فان هناك أدلة قوية صحيحة دالة على المطلوب مغنية عما سواها كما تقدم

قوله ﴿ فإنه يحمل على المجاز العقلي إذا صدر من موحد ﴾

أقول قد عرفت فيما سلف ما فيه من لزوم كون المشركين الاولين غير مشركين وعدم إمكان الارتداد ولغوية (١) أحكام الردة

قوله ﴿ فالمستغاث به في الحقيقة هو الله تعالى ، وأما النبي ﷺ فهو واسطة بينه وبين المستغيث ، فهو سبحانه وتعالى مستغاث به حقيقة والغوث منه بالخلق والايجاد، والنبي ﷺ مستغاث به مجازا والغوث منه بالكسب والتسبب العادي ﴾

أقول وهكذا كان المشركون السابقون الذين بعث الله الرسل اليهم ، فانهم كانوا يعلمون أن الله تعالى هو الخالق الموجد ، وأما الاصنام فيقولون انها أسباب ووسائل عادية ، فمن أجل ذلك كانوا يدعونهم ويستغيثون بهم ويعبدونهم وهذا هو دأب عبدة الصالحين والقبور في هذا الزمان يدعونهم ويستغيثون بهم وينحرون لهم وينذرون لهم ، والدعاء والاستغاثة والنحر والنذر كلها من أقسام العبادة ، وإذا حمالم لفظ الدعاء والاستغاثة والنحر والنذر التي هي من أقسام العبادة على معناها المجازي فكذلك فليحمل لفظ العبادة الواقع في كلام المشركين الاولين ٢)

(١) اي إلغاء (٢ الفرق بين عبدة القبور المتأخرين وأولئك المشركين الاولين أن الاولين هم اصحاب اللغة بالسليقة، ومنها أن كل مايتوجه به الى الخالق سبحانه و يطلب منه بالذات او بالوساطة عنده فهو عبادة، وكل مايتوجه به الى مخلوق بطلب ماليس من الاسباب العادية المشتركة بين الناس فهو يدخل في مسمى العبادة . وكذا كل خوف ورجاء في شيء من الاشياء لا يدخل في الاسباب المعروفة للناس فالذين عبدوا الثعبان ماكانت عبادتهم له الا اعتقادهم انه يقدر على قتل الانسان او الجمل بدون سبب من اسباب القتل المعروفة لهم. وجملة القول ان العبادة الفطرية عندهم وعند جميع الامم تشمل كل اعتقاد وشعور وعمل ودعاء يتعلق بمن له سلطة غيبية غير عادية وقد يكون لعدة اشياء بعضها فوق بعض منها ماله السلطة والتأثير بالذات ومنها ما تكون بالوساطة. وأما المتأخرون فلما لقنوا ان العبادة لا تكون إلا لله سموا عبادة التوسط عند الله توسلا وسموا من توجها اليه وسيلة وشفيعا ووليا كما كان يسميه المشركون الاولون وانما خالفوهم في تسميته الها وتسمية وساطته عبادة وهي تسمية لغوية صحيحة في اللغة فالخلاف بينهما لغوي محض وكتبه محمد رشيد رضا

الذي حكاه الله تعالى عنهم حيث قال سبحانه وتعالى (ما نعبدُهُمْ إلا لِيُقَرِّبُونا إلى اللهِ زُلْفَى) فما وجه الفرق ؟

قوله (وبالجملة فاطلاق لفظ الاستغاثة لمن يحصل منه غوث باعتبار الكسب أمر معلوم لا شك فيه لغة ولا شرعا ، فاذا قلت أغثني يا ألله ، تريد الاسناد الحقيقي باعتبار الخلق والايجاد، وإذا قلت أغثني يارسول الله ، تريد الاسناد المجازي باعتبار التسبب والكسب والتوسط بالشفاعة)

أقول هكذا كانت مشركو الجاهلية حذو النعل بالنعل كانوا يدعون الصالحين والانبياء والمرسلين طالبين منهم الشفاعة عند رب العالمين كما قال تعالى (ويَعْبُدُونَ من دُونِ الله ما لا يَضُرُّهم ولا ينفعهم ويَقُولونَ هؤلاء شُفَعَاؤنا عِنْدَ الله) وقال تعالى (ما نَعْبُدُهُمْ إلاَّ ليقرِّبُونا إلى الله زُلْفَى) على أن القول بان اسناد الغوث إلى الله تعالى اسناد حقيقي باعتبار الخلق والايجاد وإلى الانبياء والصالحين اسناد مجازي باعتبار التسبب والكسب بديهي البطلان بيانه من وجوه

(الاول) انه لو كان مناط الاسناد الحقيقي اعتبار الخلق والايجاد كما توهم صاحب الرسالة لزم أن يكون اسناد افعال العباد كلها إلى الله تعالى حقيقيا فان اعتقاد أهل السنة والجماعة ان الخالق لافعال العباد هو الله تعالى ، وهذا يقتضي أن يتصف الله تعالى حقيقة بالايمان والصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد وصلة الرحم وغير ذلك من الاعمال الحسنة ، وكذلك يتصف حقيقة بالاعمال السيئة من الكفر والشرك والفسق والفجور والزنا والكذب والسرقة والعقوق وقتل النفس وأكل الربا وغيرها، فانه تعالى هو الخالق لجميع الافعال حسنها وسيئها.

والتزام هذا فعل من لا عقل له ولا دين له، فانه يستلزم اتصاف الله تعالى بالنقائص وصفات الحدوث واجتماع الاوصاف المتضادة بل المتناقضة

(والثاني) انه لو كان مناط الاسناد المجازي اعتبار التسبب والكسب كما زعم هذا الزاعم لزم أن لا يكون انسان حقيقة مؤمناً ولا كافراً ولا براً ولا فاجراً ولا مصلياً ولا مزكياً ولا صائماً ولا حاجاً ولا مجاهداً ولا زانياً ولا سارقا ولا قاتلا ولا كاذباً، فيبطل الجزاء والحساب، وتلغى الشرائع والجنة والنار، وهذا لا يقول به أحد من المسلمين

(والثالث) ان دعوى كون الانبياء والصالحين سببا للغوث وكاسبا له محتاج إلى اقامة الدليل ودونه لا تسمع ، وبالجملة فهذه شبهة داحضة ووسوسة زاهقة، تنادي بأعلى نداء على صاحبها بالجهل والسفه

قوله ﷺ ومنه ما في صحيح البخاري في مبحث الحشر ووقوف الناس للحساب يوم القيامة « بينما هم كذلك استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد ﷺ » فتأمل تعبيره ﷺ بقوله « استغاثوا بآدم » فان الاستغاثة به مجازية والمستغاث به حقيقة هو الله تعالى ﷻ

أقول هذا ليس مما نحن فيه فان الاستغاثة بالمخلوق على نوعين

(أحدهما) أن يستغاث بالمخلوق الحي فيما يقدر على الغوث فيه مثل أن يستغيث المخلوق بالمخلوق ليعينه على حمل حجر أو يحول بينه وبين عدوه الكافر أو يدفع عنه سبعا صائلا أو لصا أو نحو ذلك ، ومن ذلك طلب الدعاء لله تعالى من بعض عبده لبعض وهذا لا خلاف في جوازه ، والاستغاثة الواردة في حديث المحشر من هذا القبيل فان الانبياء الذين يستغيث العباد بهم يوم القيامة يكونون احياء، وهذه الاستغاثة انما تكون بأن يأتي أهل المحشر هؤلاء الانبياء يطلبون منهم أن

يشفعوا لهم إلى الله سبحانه ويدعوا لهم بفصل الحساب والاراحة من ذلك الموقف، ولا ريب أن الانبياء قادرون على الدعاء ، فهذه الاستغاثة تكون بالمخلوق الحي فيما يقدر على الغوث فيه

(والثاني) أن يستغاث بمخلوق ميت أو حي فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى وهذا هو الذي يقول فيه أهل التحقيق انه غير جائز ، فان قلت هؤلاء المستغيثون بالاموات أو الغائبين أيضا يطلبون منهم أن يشفعوا لهم إلى الله تعالى ويدعوا لهم بقضاء حاجاتهم وهم قادرون على ذلك فتكون استغاثتهم هذه من قبيل النوع الاول ، قلت في هذا التقرير خلل من وجوه

(الاول) ان فيه ذهولا عن قيد الحي والمراد بالحياة الدنيوية لا البرزخية

(والثاني) ان ظاهر ألفاظهم مثل يا رسول الله اشف مريضي واكشف عني وهب لي ولدا ورزقا واسعا ونحو ذلك دال على أنهم لا يطلبون منهم الشفاعة بل يطلبون شفاء المريض وكشف الكربة واعطاء الولد والرزق وظاهر أنهم غير قادرين على تلك الامور

(والثالث) ان هؤلاء المستغيثين بالاموات والغائبين يدعونهم ويستغيثون من أماكن مختلفة ومواضع بعيدة معتقدين أن الاموات والغائبين يعلمون استغاثتهم ويسمعون دعاءهم من كل مكان وفي كل زمان ، ولا ريب أن هذا اثبات لعلم الغيب لهم الذي هو من الصفات المختصة بالله تعالى فيكون شركا

قوله «وصح عنه ﷺ ممن أراد عونا أن يقول « يا عباد الله أعينوني » وفي رواية « أغيثوني » »

أقول فيه كلام من وجهين (الاول) ان الحديث ضعيف كما ستأتي بيانه فلا يصح الاحتجاج به (والثاني) على تقدير ثبوته يقال ان هذه الاستغاثة من جنس

النوع الاول ، فان هؤلاء العباد ليسوا أمواتا بل احياء من جنس الملائكة قادرون على الاعانة

قوله ﴿ وجاء في قصة قارون لما خسف به انه استغاث بموسى عليه السلام فلم يغثه بل صار يقول يا أرض خذيه ، فعاتب الله موسى حيث لم يغثه وقال له استغاث بك فلم تغثه ولو استغاث بي لاغثته ، فاسناد الاغاثة الى الله تعالى حقيقي واسنادها إلى موسى مجازي ﴾

أقول القصة أخرجها ابن أبي شيبة في المصنف وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه عن ابن عباس (رض) قال كان قارون ابن عم موسى وكان يتتبع العلم حتى جمع علما فلم يزل في أمره ذلك حتى بغى على موسى وحسده فقال له موسى : ان الله أمرني أن آخذ الزكاة، فأبى، فقال ان موسى يريد أن يأكل أموالكم ، جاءكم بالصلاة وجاءكم بأشياء فاحتملتموها فتحتملون أن تعطوه أموالكم ، فقالوا لا نحتمل فما ترى ؟ فقال لهم أرى أن أرسل إلى بغي من بغايا بني اسرائيل فنرسلها اليه فترميه بأنه أرادها على نفسها ، فأرسلوا اليها فقالوا لها نعطيك جعلك على أن تشهدي على موسى انه فجر بك، قالت نعم، فجاء قارون الى موسى فقال اجمع بنى اسرائيل فاخبرهم بما أمرك ربك قال نعم ، فجمعهم فقالوا ما أمرك ربك ؟ قال أمرني أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وأن تصلوا الرحم وكذا وكذا وأمرني اذا زنى الرجل وقد أحصن أن يرجم ، قالوا وان كنت أنت؟ قال نعم ، قالوا فانك قد زنيت ، قال أنا؟ فأرسلوا للمرأة فجاءت فقالوا ما تشهدين على موسى؟ فقال لها موسى أنشدك بالله الا ما صدقت، قالت أما اذ أنشدتني بالله فانهم دعوني وجعلوا لي جعلا على أن أقذفك بنفسي، وأنا أشهد انك بريء وأنك رسول الله ، فخر موسى ساجدا يبكي ويقول يا رب

ان كنت رسولك فاغضب لي، فأوحى الله اليه ما يبكيك؟ قد سلطناك على الارض فمرها فتطيعك، فرفع رأسه فقال خذيهم، فأخذتهم إلى أعقابهم، فجعلوا يقولون ياموسى ياموسى، فقال خذيهم فأخذتهم الى ركبهم، فجعلوا يقولون ياموسى يا موسى، فقال خذيهم، فأخذتهم الى أعناقهم، فجعلوا يقولون ياموسى ياموسى، فقال خذيهم فأخذتهم فغشيتهم، فأوحى الله اليه ياموسى سألك عبادي وتضرعوا اليك فلم تجبهم، وعزتي لو أنهم دعوني لاجبتهم. كذا في تفسير فتح البيان

فقد علمت من ههنا ان الوارد في حديث قصة قارون ليس لفظ الاغاثة بل انما هو لفظ الاجابة، ولكن المآل واحد فلا ننازع فيه، انما نتازع في أن الحديث المذكور هل يدل على المطلوب أم لا ؟ فنقول ليس الحديث المذكور من المطلوب في شيء، فان الثابت منه بعد تسليم اتحاد معنى الاغاثة والاجابة انما هو أن الاغاثة مسندة الى الله تعالى والى موسى، واما ان اسنادها الى الله تعالى حقيقي والى موسى مجازي، فكلا، لم لا يجوز أن يكون اسناد الاغاثة الى موسى حقيقياً؟ بل هو المتعين فان اغاثة موسى بني اسرائيل التي عاتب الله تعالى موسى على تركها لو وقعت لكانت فيما يقدر موسى (ع م) عليه بدليل ما أوحى الله تعالى اليه من انه ما يبكيك؟ قد سلطناك على الارض فمرها فتطيعك ولان موسى لو لم يكن قادرا على الاغاثة لما عاتبه الله على تركها قال الله تعالى (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) واسناد الاغاثة إلى المخلوق فيما يقدر عليه حقيقي، وتلك القدرة انما تكون باعتبار العمل والكسب لا باعتبار الخلق والايجاد، ألا ترى ان اسناد الصلاة والصوم والزكاة والحج ونحوها من الاعمال الحسنة، واسناد الزنا والسرقة والكذب والخيانة ونحوها من الاعمال السيئة، واسناد الاكل والشرب واللبس وجميع الكوحة ونحوها من الاعمال المباحة إلى العباد اسناد حقيقي؟ وليست القدرة عليها إلا باعتبار العمل والكسب دون الخلق والايجاد، فان الخالق لافعال العباد كلها هو الله تعالى عند أهل السنة والجماعة

وأما قوله ان اسناد الاغاثة إلى الله تعالى حقيقي فلا وجه لصحته حسب اعتقاد صاحب الرسالة فان المراد بالاغاثة أي إغاثة، فان كان المراد بها الاغاثة التي هي كسب موسى (ع. م) فكون الله تعالى خالقا لها مسلم ولكن اسنادها الى الله تعالى حقيقة يقتضي أن تكون جميع افعال العباد، مسندة إلى الله تعالى. وبطلانه أجلى من الشمس في نصف النهار كما تقدم، وان كان المراد الاغاثة التي هي صفة من صفات الله تعالى فاسنادها الى الله تعالى حقيقة مسلم ولكن لا يتأتي على معتقد صاحب الرسالة اذ مناط الاسناد الحقيقي عنده اعتبار الخلق والايجاد والله تعالى ليس خالقا وموجداً لصفاته والا يلزم أن تكون صفاته تعالى مخلوقة محدثة تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، فانعكس الامر

قوله «وقد يكون معنى التوسل به ﷺ طلب الدعاء منه اذ هو ﷺ حي في قبره يعلم سؤال من يسأله»

أقول سلمنا أنه ﷺ حي في قبره، لكن تلك الحياة حياة برزخية، وتساوي الحياة البرزخية للحياة الدنيوية في جميع الاحكام غير مسلم حتى يتفرع عليها علم سؤال من يسأله وجواز طلب الدعاء منه ﷺ

قوله «وقد تقدم حديث بلال بن الحارث (رض)»

أقول قد تقدم الكلام عليه فتذكر

قوله «فعلم منه أنه ﷺ طلب منه الدعاء بحصول الحاجات كما كان يطلب منه في حياته»

أقول هذا بناء الفاسد على الفاسد فلا يعبأ به

قوله «وانه ﷺ يتوسل به في كل خير قبل بروزه لهذا العالم وبعده في حياته وبعد وفاته وكذا في عرصات القيامة فيستشفع إلى ربه»

أقول هذا التوسيع والتعميم مما لا يدل عليه دليل يعتمد عليه ، وكل ما ذكره صاحب الرسالة قد عرفت وهنه فيما تقدم

قوله ﴿ وكل هذا مما تواترت به الاخبار وقام به الاجماع قبل ظهور المانعين منه ﴾

أقول دعوى التواتر والاجماع محتاجة إلى اقامة البرهان عليها ودونها لا تسمع

قوله ﴿ وأما تخيل المانعين المحرومين من بركاته أن منع التوسل والزيارة من المحافظة على التوحيد وأن التوسل والزيارة مما يؤدي إلى الشرك فهو تخيل فاسد باطل ﴾

أقول قد عرفت فيما تقدم أن بعض أقسام التوسل شرك وكذا بعض أقسام الزيارة وهو الذي يتضمن دعاء غير الله والنحر له والنذر له والطواف بقبره ونحو ذلك من أقسام العبادة فلا شك أن منع ذلك التوسل والزيارة من المحافظة على التوحيد

قوله ﴿ وكأن هؤلاء المانعين للتوسل والزيارة يعتقدون أنه لا يجوز تعظيم النبي ﷺ فحيثما صدر من أحد تعظيم له ﷺ حكموا على فاعله بالكفر والاشراك ﴾

أقول هذا الايجاب الكلي والسلب الكلي اللذان يشتمل عليهما هذا الكلام الساقط الفاسد بهتانان صريحان ، فان المانعين للتوسل لا يمنعون مطلق التعظيم ، ولا يحكمون على فاعله بالكفر والاشراك ، انما يمنعون التعظيم الذي يتضمن عبادة غير الله أو ما نهى الله عنه ورسوله ، أو التعظيم المحدث الذي لا يدل عليه دليل من الكتاب والسنة ، وانما يحكمون بالكفر والشرك على من عظم تعظيما يتضمن شيئا من موجبات الكفر والشرك ، وأما التعظيم الذي هو ثابت بالكتاب والسنة فهو عين الايمان

قوله ﴿ نعم يجب علينا أن لا نصفه بشيء من صفات الربوبية ﴾

أقول وكذلك يجب علينا أن لا نعبد غير الله بقسم من أقسام العبادة كالدعاء والنذر والنحر والطواف وأن لا نفعل ما نهى الله عنه ورسوله وأن لا نحدث في أمر الدين شيئا

قوله ﴿ ورحم الله الابوصيري حيث قال ﴾

دع ما ادعته النصارى في نبيهم ... واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم

أقول هذا القول من سيء الاقوال وأقبحها فانه يقتضي جواز وصفه ﷺ بغير الالوهية وان كان ذلك الغير من موجبات الكفر والشرك أو محرما أو كذبا أو بدعة ، وهذا الحكم ما أظن أحدا من أهل العلم يستقر له قدم عليه لمخالفته نصوص الكتاب والسنة

قوله ﴿ فليس في تعظيمه بغير صفات الربوبية شيء من الكفر والاشراك بل ذلك من أعظم الطاعات والقربات ﴾

أقول هذا غلط فاحش وخطأ بين ، فان دعاء غير الله والنحر له والنذر له والطواف له والسجدة له والركوع له وغيرها من أنواع العبادة كفر وشرك مع أنها تعظيم بغير صفات الربوبية ودعوى كونه من أعظم الطاعات والقربات محتاجة إلى اقامة الدليل عليها

قوله ﴿ ومن تعظيمه ﷺ الفرح بليلة ولادته وقراءة المولد والقيام عند ذكر ولادته ﷺ واطعام الطعام وغير ذلك مما يعتاد الناس فعله من أنواع البر فان ذلك كله من تعظيمه ﷺ ﴾

أقول هذا ادعاء بحت لا دليل عليه بل الامور المذكورة ليست من التعظيم في شيء فان التعظيم في الاطاعة، والامور المذكورة معصية فانها محدثة وكل محدثة بدعة، والبدعة مما نهى الله ورسوله عنه، فالامور المذكورة ليست من تعظيمه ﷺ بل من تحقيره وتوهينه ﷺ أعاذنا الله منه، فلولا احتمال التأويل والخطأ الاجتهادي لحكم على مرتكبها بالكفر فان تحقير النبي ﷺ وتوهينه كفر بواح

قوله ﴿ وقد أفردت مسألة المولد وما يتعلق بها بالتأليف، واعتنى بذلك كثير من العلماء فألفوا في ذلك مصنفات مشحونة بالادلة والبراهين فلا حاجة لنا إلى الاطالة بذلك ﴾

أقول قد ألف غير واحد من المحققين في اثبات كون هذا العمل المحدث المبتدع بدعة مؤلفات نفيسة طيبة مشتملة على رد تلك الشبهات الواهية الداحضة التي يحسبها صاحب الرسالة أدلة وبراهين، من شاء التحقيق فليرجع اليها [1]

قوله ﴿ ومما أمر الله بتعظيمه الكعبة المعظمة والحجر الاسود ومقام ابراهيم عليه السلام فانها أحجار وأمرنا الله بتعظيمها بالطواف بالبيت ومس الركن اليماني وتقبيل الحجر الاسود وبالصلاة خلف المقام ﴾

أقول هذه التعظيمات ثابتة بعضها بالكتاب وبعضها بالسنة بخلاف التعظيم الذي يتضمن الشرك أو الامر المنهي عنه أو يكون محدثا وهو الذي نمنعه

(١) من الفقهاء المؤلفين الذين يعتمد على اقوالهم الشيخ دحلان في مسألة الزيارة وكثير من البدع الشيخ احمد بن حجر الهيثمي وقد افتى في فتواه الحديثية بأن القيام عند ذكر ولادته (ص) بدعة تكره شرعا وان لنا رسالة في (ذكرى المولد النبوي الشريف) كتبنا لها مقدمة تصدير بينا فيها ماقاله العلماء في بدعة الاحتفال بالمولد وتحقيق الحق فيها

المانعون ، فقياس أحد التعظيمين على الآخر قياس مع الفارق، ولو لم يثبت تعظيم هذه الاحجار لم نفعله ابدا ، دل عليه ما روي عن عابس بن ربيعة قال : رأيت عمر يقبل الحجر ويقول اني لأعلم أنك حجر ما تنفع ولا تضر ولولا اني رأيت رسول الله ﷺ يقبل ما قبلتك ، متفق عليه ومن ثم يكتفى باللمس في الركن اليماني ولا يقبل اذ الاول ثابت منه ﷺ والآخر لم يثبت فافترقا

وأما تعظيم النبي ﷺ الذي هو ثابت فهو عين الايمان لا يمنعه أحد من المسلمين وهو المراد في قوله تعالى (إنّا أرسلناك شاهداً ومبشّراً ونذيراً * لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزّروه وتوقّروه) على قول من قال برجوع الضمير إلى الرسول وقد جاء في الكتاب العزيز والسنة المطهرة من تفصيل ذلك التوقير الكثير الطيب

فمن ذلك قوله تعالى (لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً) ومنه قوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا لاتقدّموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله ان الله سميعٌ عليم * ياأيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النّبيّ ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لاتشعرون * إنّ الذين يغضّون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتّقوى لهم مغفرةٌ وأجرٌ عظيم * ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون) ومنه قوله تعالى (إن الله وملائكته يصلّون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً) ومنه قوله تعالى (وما كان لمؤمنٍ ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً) ومنه قوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوت النّبيّ إلا أن يؤذن لكم إلى طعامٍ غير ناظرين إناه ولكن اذا دعيتم فادخلوا ، فاذا طعمتم فانتشروا ولامستأنسين لحديث * ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لايستحيي من الحق وإذا سألتموهنّ متاعاً فاسئلوهنّ من وراء حجاب ذلكم أطهر

لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً ان ذلكم كان عند الله عظيما) ومنه قوله تعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما) ومنه قوله تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) ومنه قوله تعالى (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) ومنه قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا) ومنه قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم) ومنه قوله تعالى (عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) ومنه قوله تعالى (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) ومنه قوله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس) الآية ومنه قوله تعالى (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين) ومنه قوله تعالى (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا) ومنه قوله تعالى (وما أرسلناك إلا كافة للناس) ومنه قوله تعالى (ثم دنا فتدلى * فكان قاب قوسين أو أدنى * فأوحى إلى عبده ما أوحى * ما كذب الفؤاد ما رأى * أفتمارونه على ما يرى * ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى * عندها جنة المأوى * إذ يغشى السدرة ما يغشى * ما زاغ البصر وما طغى * لقد رأى من آيات ربه الكبرى) ومنه قوله تعالى (انا فتحنا لك فتحاً مبينا * ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) ومنه قوله تعالى (ولسوف يعطيك ربك فترضى) ومنه قوله تعالى (ورفعنا لك ذكرك) وغير ذلك من الآيات

فمن تعظيمه ﷺ عدم جعل دعاء الرسول كدعاء البعض بعضاً ، وعدم التقديم بين يدي الله ورسوله ،وعدم رفع الصوت فوق صوت النبي ﷺ وعدم الجهر له بالقول كجهر بعضكم لبعض ، وغض الاصوات عند رسول الله ﷺ وعدم المناداة من وراء الحجرات والتصلية والتسليم على النبي ﷺ وعدم بقاء الخيرة لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى رسول الله ﷺ أمراً ، وسؤال نساء النبي ﷺ من وراء حجاب ،وعدم نكاح أزواجه من بعده أبداً، وتحكيم النبي فيما شجر بينهم وعدم وجدان الحرج في أنفسهم مما قضى النبي ﷺ ، وأخذ ما آتاه الرسول والانتهاء عما نهى عنه، والاقتداء بسنته ﷺ ، وإطاعة الرسول. والرد اليه إذا وقع التنازع في شيء،وإجابة دعوة الرسول وإن كان المدعو في الصلاة كما دل عليه حديث أبي سعيد بن المعلى المروي في صحيح البخاري ، واعتقاد أن الله تعالى يبعث رسولنا ﷺ مقاماً محمودا الذي هو أعلا درجة في الجنة (١) لا ينالها إلا عبد من عباد الله وهو نبينا ﷺ ، واعتقاد أن أمة محمد ﷺ يكونون شهداء على الناس ويكون الرسول عليهم شهيدا ، واعتقاد أن أمة محمد ﷺ خير الامم، واعتقاد أن محمدا ﷺ خاتم النبيين ، واعتقاد أن الله تعالى أسرى بمحمد ﷺ ليلا ، واعتقاد أن النبي ﷺ أرسل الى الناس كافة، واعتقاد أن النبي ﷺ رأى الله تعالى في ليلة الاسراء على قول ،أو جبرئيل عليه السلام على صورته الاصلية على قول ، واعتقاد أن الله تعالى قد غفر له ﷺ ما تقدم من ذنبه وما تأخر

وأما الاحاديث فمنها ماروي عن أنس (رض) قال قال رسول الله ﷺ « لا يؤمن احدكم حتى اكون أحب اليه من والده وولده والناس أجمعين» متفق عليه . ومنها ماروي عن عبدالله بن هشام قال كنا مع النبي ﷺ وهو آخذ بيد

---

(١) الصحيح في المقام المحمود انه الشفاعة العظمى يحمده عليها عموم الخلائق يوم القيامة

عمر بن الخطاب فقال له عمر يارسول الله لأنت احب إلي من كل شيء الا نفسي فقال النبي ﷺ « لا والذي نفسي بيده حتى اكون احب اليك من نفسك » فقال له عمر : فانه الآن والله لأنت احب إلي من نفسي ، فقال له النبي ﷺ « الآن يا عمر » رواه البخاري في (باب كيف يمين النبي ﷺ)

ومنها ماروي عن أبي هريرة (رض) قال قال « كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى » قيل ومن أبى ؟ قال « من اطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد ابى » رواه البخاري . ومنها ماروي عن عبدالله بن عمرو قال قال رسول الله ﷺ « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » رواه في شرح السنة

ومنها ماروي عن جابر (رض) عن النبي ﷺ حين أتاه عمر فقال إنا نسمع أحاديث من يهود تعجبنا أفترى أن نكتب بعضها ؟ فقال « أمتهوكون انتم كما تهوكت اليهود والنصارى؟ لقد جئتكم بها بيضاء نقية ، ولو كان موسى حياً ما وسعه إلا اتباعي » رواه احمد والبيهقي

ومنها ماروي عن عائشة (رض) ان رسول الله ﷺ كان في نفر من المهاجرين والانصار فجاء بعير فسجد له فقال أصحابه يارسول الله تسجد لك البهائم والشجر فنحن أحق ان نسجد لك فقال « اعبدوا ربكم واكرموا أخاكم ، ولو كنت آمراً احدا أن يسجد لاحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها » الحديث رواه احمد. قال العلماء في تفسير قوله « اكرموا اخاكم » اي عظموه تعظيما يليق له بالمحبة والاكرام المشتمل على الاطاعة الظاهرية والباطنية

ومنها ماروي عن قيس بن سعد قال اتيت الحيرة فرأيتهم يسجدون لمرزبان لهم فقلت لرسول الله ﷺ أحق أن يسجد له ، فأتيت رسول الله ﷺ فقلت اني اتيت الحيرة فرأيتهم يسجدون لمرزبان لهم فأنت احق بأن يسجد لك ، فقال لي « لو مررت بقبري أكنت تسجد له ؟ » فقلت لا فقال « لا تفعلوا لو كنت آمر

احدا ان يسجد لاحد لامرت النساء أن يسجدن لازواجهن لما جعل الله لهم عليهن من حق» رواه ابو داود

ومنها ماروي عن عبدالرحمن بن ابي قراد ان النبي ﷺ توضأ يوما فجعل اصحابه يتمسحون بوضوئه فقال لهم النبي « مايحملكم على هذا »قالوا حب الله ورسوله ، فقال النبي (ص) « من سره أن يحب الله ورسوله اويحبه الله ورسوله فليصدق حديثه إذا حدث ، وليؤد أمانته إذا اءتمن ، وليحسن جوار من جاوره » رواه البيهقي

ومنها ما روي عن انس (رض) قال لم يكن شخص احب اليهم من رسول الله (ص) وكانوا اذا رأوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهيته لذلك رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح

ومنها ماروي عن معاوية قال قال رسول الله (ص) «من سره أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار » رواه الترمذي وأبو داود ، ومنها ماروي عن ابي امامة قال خرج رسول الله (ص) متكئاً على عصا فقمنا له فقال « لا تقوموا كما تقوم الاعاجم يعظم بعضهم بعضاً » رواه ابوداود

ومنها ماروي عن سعيد بن أبي الحسن قال جاءنا ابوبكرة في شهادة فقام له رجل من مجلسه فأبى أن يجلس فيه وقال ان النبي (ص) نهى عن ذا ، ومنها ما روي عن أبي الدرداء قال كان رسول الله (ص) إذا جلس وجلسنا حوله فقام فأراد الرجوع نزع نعله او بعض ما يكون عليه فيعرف ذلك اصحابه فيثبتون رواه ابوداود

ومنها ماروي عن ابي هريرة (رض) قال قال رسول الله (ص) « بعثت من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً » رواه البخاري ، ومنها ما روي عن ابي هريرة (رض) قال قال رسول الله (ص) « انا سيد ولد آدم يوم القيامه وأول من ينشق عنه القبر ، وأول شافع وأول مشفع » رواه مسلم

ومنها ما روي عن انس (رض) قال قال رسول الله (ص) «أنا اكثر الانبياء تبعاً يوم القيامة . وأنا اول من يقرع باب الجنة » رواه مسلم ، ومنها ماروي عن ابي هريرة (رض) أن رسول الله (ص) قال « فضلت على الانبياء بست أعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب وأحلت لي الغنائم ، وجعلت لي الارض مسجداً وطهوراً ، وأرسلت إلى الخلق كافة ، وختم بي النبيون » رواه مسلم

ومنها ماروي عن العباس ان رسول الله ﷺ قال «ان الله خلق الخلق فجعلني في خيرهم فرقة ثم جعلهم فرقتين فجعلني في خيرهم فرقة ، ثم جعلهم قبائل فجعلني في خيرهم قبيلة ، ثم جعلهم بيوتاً فجعلني في خيرهم بيتاً . فأنا خيرهم نفساً وخيرهم بيتاً » رواه الترمذي

ومنها ماروي عن ابن عباس (رض) في حديث طويل بعضه انه قال رسول الله ﷺ « ألا انا حبيب الله ولا فخر ، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة تحته آدم فمن دونه ولا فخر ، وأنا اول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر ، وأنا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر ، وأنا أكرم الاولين والآخرين على الله ولا فخر » رواه الترمذي

ومنها ما روي عن جابر (رض) ان النبي ﷺ قال « انا قائد المرسلين ولا فخر » رواه الدارمي ، ومنها ما روي عن انس (رض) قال رسول الله ﷺ « الكرامة والمفاتيح يومئذ بيدي » رواه الترمذي والدارمي ، ومنها ما روي عن ابي هريرة (رض) عن النبي ﷺ قال «فأكسى حلة من حلل الجنة ثم اقوم عن يمين العرش ليس احد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري » رواه الترمذي

ومنها ماروي عن ابي بن كعب عن النبي ﷺ قال «إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم غير فخر » رواه الترمذي

ومنها ماروي عن عمر (رض) قال قال رسول الله ﷺ « لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ، فانما انا عبده فقولوا عبدالله ورسوله » متفق عليه

ومنها ماروي عن مطرف بن عبدالله بن الشخير قال انطلقت في وفد بني عامر الى رسول الله (ص) فقلنا أنت سيدنا فقال « السيد الله » فقلنا وأفضلنا فضلا وأعظمنا طولا فقال « قولوا قولكم او بعض قولكم ولا يستجرينكم الشيطان » رواه احمد وأبوداود، ومنها ما روي عن انس (رض) قال جاء رجل الى النبي ﷺ فقال : ياخير البرية . فقال رسول الله ﷺ «ذاك ابراهيم» رواه مسلم

ومنها ماروي عن أبي هريرة (رض) قال : استب رجل من المسلمين ورجل من اليهود فقال المسلم : والذي اصطفى محمدا على العالمين . فقال اليهودي : والذي اصطفى موسى على العالمين . فرفع المسلم يده عند ذلك فلطم وجه اليهودي ، فذهب اليهودي الى النبي ﷺ فأخبره بما كان من أمره وأمر المسلم ، فدعا النبي ﷺ المسلم فسأله عن ذلك فأخبره فقال النبي ﷺ « لاتخيروني على موسى فان الناس يصعقون يوم القيامة فأصعق معهم فأكون أول من يفيق فاذا موسى باطش بجانب العرش فلا أدري كان فيمن صعق فأفاق قبلي أو كان فيمن استثنى الله تعالى» متفق عليه

فعلم من تلك الاحاديث بعض من طرق تعظيم النبي (ص) وان رأس الامر والعمدة في ذلك محبة النبي (ص) فوق محبة الوالد والولد والناس أجمعين ، وهي لاتتم الا بالاتباع والطاعة . قال الله تعالى (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) فمن كان اكثر اتباعا وطاعة كان اكثر محبة ، ومن كان أكثر محبة كان اشد تعظيما ، وأيضاً علم أن بعض أفراد التعظيم قد نهى رسول الله (ص) عنه ، فمنه السجدة ، وفي هذا الحكم جميع التعظيمات التي هي من جنس العبادة كالدعاء والنذر والنحر والطواف والركوع وغير ذلك ، ومنه التمثل قياما والقيام تعظيما كما تقوم الاعاجم ، وان المبالغة في الثناء والغلو والاطراء منهي عنه ، بل الواجب في ذلك القصر على ما ثبت بالكتاب العزيز والسنة المطهرة ، والدليل عليه ان في أول الامر قد نهى رسول الله (ص) عن لفظ السيد وخير البرية والتخيير على موسى

فلما أوحي اليه انه سيد ولد آدم ، وانه اكرم الاولين والآخرين ، وانه قائد المرسلين ، وإمام النبيين ، وهو صاحب المقام المحمود ، وانه حبيب الله ، وانه حامل لواء الحمد ، وانه اول شافع وأول مشفع ، وغير ذلك من الاوصاف أخبر بها أمته وقال «ولا فخر» ويؤيده قوله «لا تطروني» وقوله «ولا يستجرينكم الشيطان»

فالواجب على المؤمن أن لا يتجاسر على التكلم بكل كلمة في ثناء النبي ﷺ فالمقام مقام الاحتياط ، إذ اعتقاد اتصاف النبي ﷺ بصفاته الكمالية من جملة مسائل العقائد ، فما لم يثبت بالكتاب العزيز أو السنة الثابتة المطهرة لم يجز وصف النبي به ، فمن ههنا دريت خطأ الابوصيري في قوله :

* واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم * وخطأ صاحب الرسالة حيث استحسنه

وبالجملة فنحن معاشر أهل الحديث نعظم رسول الله ﷺ بكل تعظيم جاء في الكتاب أو السنة الثابتة سواء كان ذلك التعظيم فعلياً أو قولياً او اعتقاديا ، والوارد في الكتاب العزيز والسنة المطهرة من ذلك الباب في غاية الكثرة ، وما ذكر هو بعض منه ، ولو رمت إحصاء ذلك على التمام لجاء في مؤلف بسيط ، نعم نجتنب التعظيمات التي تشتمل على موجبات الكفر والشرك وما نهى الله عنه ورسوله ، والتعظيمات المحدثة المبتدعة

وأما اهل البدع فمعظم تعظيمهم تعظيم محدث كشد الرحال الى قبر رسول الله ﷺ والفرح بليلة ولادته وقراءة المولد والقيام عند ذكر ولادته ﷺ وتقبيل الابهام عند قول المؤذن : أشهد أن محمدا رسول الله ، والتمثل بين يدي قبره قياماً ، وطلب الحاجات منه ﷺ والنذر له وماضاهاها ، وأما التعظيمات الثابتة فهم عنها بمراحل[1] فيا أهل البدع أنشدكم الله والاسلام والانصاف أن تقولوا أي الفريقين

(١) من تتبع التاريخ يعلم ان اشد المؤمنين حبا واتباعا للنبي (ص) أقلهم غلوا فيه ولاسيما اصحابه (رض) ومن يليهم في خير القرون ، وان اضعفهم ايمانا واقلهم اتباعا له هم أشدهم غلوا في القول وابتداعا في العمل وترى ذلك في شعر الفريقين . وكتبه محمد رشيد رضا

أزيد تعظيما للنبي ﷺ وأكثر اتباعاً له وأشد حباً له ﷺ بأبي هو وأمي ، وقد نقلنا عبارة الصارم المنكي في ذلك الباب فتذكر

قوله (والحاصل كما تقدم ان هنا أمرين (احدهما) وجوب تعظيم النبي ﷺ ورفع رتبته عن سائر المخلوقات (والثاني) إفراد الربوبية واعتقاد أن الرب تبارك وتعالى منفرد بذاته وصفاته وأفعاله عن جميع خلقه)

أقول في هذا الحصر نظر ظاهر كما تقدم من انه لا بد هناك من أمر ثالث ، وهو عدم إحداث ما ليس من أمر الدين مما لم يأذن به الله ورسوله ، بل من أمر رابع وهو إفراد الله تعالى وحده بجميع أنواع العبادة سواء كانت اعتقادية أو لفظية او بدنية ، بل من امر خامس وهو الاجتناب[1] عما نهى الله ورسوله ، ويمكن إدخال الرابع في الخامس ، فمن احدث في التعظيم ماليس من أمر الدين فقد صار مبتدعاً ضالا ، ومن جعل فرداً من أفراد العبادة لغير الله كالدعاء والاستغاثة والنذر والنحر فقد أشرك كالمشركين السابقين فإنهم لم يعتقدوا في مخلوق مشاركة الباري ، سبحانه وتعالى في شيء من الذات والصفات والافعال ، بل عبدوهم لانهم يقربونهم الى الله زلفى وانهم شفعاء عند الله . ومن أتى ما نهى الله عنه ورسوله فقد صار فاسقا عاصيا

قوله (وأما من بالغ في تعظيمه بأنواع التعظيم ولم يصفه بشيء من صفات الربوبية فقد اصاب الحق ، وحفظ جانب الربوبية والرسالة جميعا)

أقول فيه خلل واضح . وفساد فاضح . فان من انواع التعظيم ما هو شرك كالسجود لقبره ﷺ والطواف به والنحر له والنذر له ، ومنها ما هو بدعة ،

[1] كان ينبغي ان يقول والانتهاء - أو - واجتناب مانهى الله عنه قال تعالى (فاجتنبوه)

ومنها ماهو منهي عنه ، وليس في شيء منها الوصف بشيء من صفات الربوبية ، فكيف يقال لمرتكبها انه أصاب الحق؟

قوله (وإذا وجد في كلام المؤمنين إسناد شيء لغير الله تعالى يجب حمله على المجاز العقلي ، ولا سبيل إلى تكفير أحد من المؤمنين ، إذ المجاز العقلي مستعمل في الكتاب والسنة)

اقول هذا الكلام بعمومه فاسد ، فان المؤمنين يقولون أكلنا وشربنا وباشرنا أزواجنا وصلينا وصمنا وحججنا ، ففي كل من هذه الاقوال إسناد شيء لغير الله تعالى ، ولا يصح حمله على المجاز العقلي فضلاعن الوجوب

وتحقيق القول في ذلك الباب انا لا ننكر المجاز العقلي ، ولكن لا بد هناك من التفصيل ، وهو انه إذا وجد في كلام المؤمنين إسناد شيء مما يقدر عليه العبد لغير الله تعالى يجب حمله على الحقيقة ولا يصح حمله على المجاز العقلي كما في الامثلة المذكورة وإذا وجد في كلام المؤمنين إسناد شيء مما لا يقدر عليه الا الله مثل فلان شفاني وفلان رزقني وفلان وهب لي ولدا يجب حمله على المجاز العقلي ، ولكن لا مطلقا ، بل متى لم يصدر من ذلك المتكلم شيء من الالفاظ والاعمال الكفرية مما هو كفر بواح ، وشرك صراح ، وأما إذا صدر منه شيء من تلك الالفاظ والاعمال فلا يحمل كلامه على المجاز العقلي ، إذ المؤمن بهذا اللفظ والعمل قد انسلخ من الايمان فلم يبق مؤمنا .فلا وجه لهذا الحمل. ولاريب في أن عبدة الانبياء والصالحين يصدر منهم من الالفاظ والاعمال ماهو كفر صريح كالسجدة والطواف والنذر والنحر ونحو ذلك

على انا نقول إذا قال أحد من عبدة الانبياء والصالحين يا فلان اشفه مريضي فما مراده؟ إن كان المراد الاسناد الحقيقي فلا ارتياب في كونه كفراً

وشركا ، وان كان المراد الاسناد المجازي يعني يا فلان كن سببا لشفاء مريضي (١) أي ادع الله تعالى أن يشفي مريضي ، فان كان ذلك المدعو حيا حاضرا فليس هذا من الشرك في شيء، لكنه لما كان موهما للاسناد الحقيقي الذي هو شرك صريح كان حقيقا بالترك ، فان الله تعالى قد نهانا عن استعمال اللفظ الموهم كما تقدم ، وإن كان ذلك المدعو حيا غير حاضر، أومينا وينادى من مكان بعيد من القبر، فهذا أيضا شرك ، فان فيه إثبات علم الغيب لغير الله تعالى وهو من الصفات المختصة به تعالى ، وإن كان ذلك المدعو ميتا وينادى عند قبره ، فهذا ليس بشرك ولكنه بدعة ،فعلى كل حال ينبغي للمؤمن أن يجتنب دعاء غير الله ،وذلك هو القول الذي لا إفراط فيه ولا تفريط

قوله (وأما الفرق بين الحي والميت كما يفهم من كلام هؤلاء المانعين للتوسل فان كلامهم يفيد أنهم يعتقدون ان الحي يقدر على بعض الاشياء دون الميت ، وكأنهم يعتقدون أن العبد يخلق أفعال نفسه فهو مذهب باطل والدليل على أن هذا من اعتقادهم انهم يقولون إذا نودي الحي وطلب منه مايقدر عليه فلا ضرر في ذلك وأما الميت فانه لا يقدر على شيء أصلا وأما أهل السنة فانهم يقولون الحي لا يقدر على شيء كما ان الميت كذلك لايقدر والقادر حقيقة هو الله تعالى ، والعبد ليس له إلا الكسب الظاهري باعتبار الحي ،والكسب الباطني باعتبار التبرك بذكر اسم النبي ﷺ وغيره من الاخيار وتشفعهم في ذلك)

(١) ان مثل هذا الطلب لايحتمل المجاز العقلي لا في اللغة ولا في عرف الناس، وطلاب الدعاء يصرح به ، وكتبه محمد رشيد رضا

أقول هذا كلام متضمن لمفاسد كثيرة

(الاول) ان قدرة الحي على بعض الاشياء دون الميت ثابت بالكتاب والسنة أما الكتاب ، فمنه ما قال الله تعالى في سورة البقرة (لا تُكلفُ نفسٌ إلا وُسعهَا) ومنه ما قال فيها أيضاً (لا يكلفُ الله نفساً إلاّ وسعهَا) ومنه ما قال فيها أيضا (وَلا تحمِّلنَا ما لا طاقةَ لنا به) ومنه ما قال في سورة المائدة (إلا الذينَ تابُوا من قبلُ أن تقدِرُوا عليهم) ومنه ما قال في سورة الانعام والاعراف والمؤمنون (لا نكلفُ نفساً إلاّ وسعهَا) ومنه ما قال في سورة الانفال (وأعدّوا لهمْ ما استَطعتم منْ قوّةٍ ومن رباطِ الخيلِ) ومنه ما قال في سورة هود (إن أُريدُ إلا الاصلاحَ ما استَطَعْتُ) ومنه ما قال في سورة النحل (ضَربَ الله مثَلاً عبْداً مملوكا لا يقْدِر على شيءٍ ومنْ رزقناه منّا رِزْقا حسَنًا فهوَ يُنفِق منه سِرا وجهْرا هل يَستوون * الحمْدُ لله بل أكثرهُمْ لا يعلمون * وضَربَ الله مثَلا رَجلينِ أحدهما بكمُ لا يقدِرُ على شيءٍ وَهوَ كلٌّ على مولاه أينما يُوجّهه لا يأتِ بخيرٍ * هَلْ يستَوِي هو ومَنْ يأمرُ بالعدلِ وَهُوَ على صراطٍ مُستقيم) ومنه ما قال في سورة حم السجدة (اعْملوا ما شئتم انه بما تعملونَ بَصير) ومنه ما قال في سورة المجادلة (فمنْ لم يجدْ فَصيامُ شهرين مُتَتابعين من قبل أن يتماسّا فمن لم يَستَطِعْ فاطعامُ ستين مسكينا) ومنه ما قال في سورة التغابن (فاتَّقُوا الله ما استَطعتم واسمعُوا وأطيعوا وأنفقوا خيرا لأنفسكم) ومنه ما قال في سورة القلم (يومَ يكْشَفُ عن ساقٍ ويُدْعون إلى السُّجودِ فلا يَستَطيعون * خاشِعةً أبْصارهم تَرهقهُم ذلة وقد كانُوا يُدعونَ إلى السجود وهم سالمون) ومنه ما قال في سورة المدثر (كلا انهُ

تذكرةً فمنْ شاء ذكرَه) ومنه ما قال في سورة الدهر (فمَنْ شاء اتخذَ إلى ربه سبيلا) ومنه ما قال في سورة النبأ (ذلك اليومُ الحقّ فمن شاء اتخذَ إلى ربّه مآبا) ومنه ما قال في سورة التكوير (إنْ هوَ إلا ذكرٌ للعالمينَ لمن شاء منكم أن يستقيم) ومنه ما قال في سورة فاطر (وما يستوي الأحياء ولا الاموات إنّ الله يُسمِعُ من يشاء وما أنتَ بمُسمِعٍ مَن في القبورِ)

على أن الآيات التي تتضمن أن نفع العمل وضرره عائد إلى عامله لا إلى غيره (١) كقوله تعالى في سورة البقرة (تلك أُمّةٌ قد خلت لها ما كسبَت ولكم ما كسبتمْ ولا تُسئلونَ عمّا كانوا يعلمون) وقوله تعالى فيها أيضا (لها ما كسبَتْ وعليها ما اكتسبَت) وقوله تعالى في آل عمران (ووُفّيَت كل نفسٍ ما كسبَتْ وهم لا يظلمون) وقوله تعالى أيضاً فيها (يومَ تجدُ كلُّ نفسٍ ما عملتْ من خيرٍ محضَرا وما عملت من سوءٍ) وقوله تعالى في سورة النساء (ومَنْ يكسِبْ اثما فانما يكسِبُه على نفسه) وقوله تعالى في سورة الانعام (فمَنْ أبصَر فلنفسه ومن عمِيَ فعليها) وقوله تعالى أيضا فيها (ولا تكسِب كلُّ نفسٍ إلاّ عليها ولا تزر وازرةٌ وِزْرَ أُخرى) وقوله تعالى في الاعراف (هل يجزَونَ إلاّ ما كانوا يعلمون) وقوله تعالى في يونس (فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضلّ فانما يَضلُّ عليها) وقوله تعالى في حم السجدة (من عمِل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربُّك بظلاّمٍ للعبيد) وقوله تعالى في الشورى (وأُمِرت لأعدِل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم) وقوله تعالى في

---

(١) سيأتي خبر أن الآيات بعد سرد الشواهد وكان ينبغي ان يذكر الخبر هنا فيقول كثيرة مثلا :

النجم (أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى* وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى* وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى) وقوله تعالى في سورة الليل (إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى) = كلها نصوص[1] على أن العبد الحي له قدرة على بعض الاشياء ، وكذلك آيات الاوامر والنواهي والآيات التي فيها ذكر الثواب والعقاب

وأما الاحاديث ، فمنها ما روي عن أبي هريرة (رض) قال قال رسول الله ﷺ « اذا مات الانسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة ، إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له » رواه مسلم

ومنها ما روي عنه « فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل » متفق عليه

ومنها ما روي عن جابر بن سمرة أن رجلا سأل رسول الله ﷺ أنتوضأ من لحوم الغنم ؟ قال « إن شئت فتوضأ وإن شئت فلا تتوضأ » رواه مسلم

ومنها ما روي عن عائشة (رض) قالت : كان النبي ﷺ يحب التيامن ما استطاع في شأنه كله في طهوره وترجله وتنعله . متفق عليه

ومنها ما روي عن حمنة بنت جحش في حديث الاستحاضة أن النبي ﷺ قال « وإن قويت عليهما فأنت أعلم » وفيه «وان قويت على أن تؤخري الظهر وتعجلي العصر » وفيه « فافعلي وصومي إن قدرت على ذلك » رواه الترمذي

ومنها ما روي عن أبي سعيد قال قال رسول الله ﷺ « لا يقطع الصلاة شيء وادرأوا ما استطعتم فانما هو شيطان » رواه أبو داود

ومنها ما روي عنه أيضا قال قال رسول الله ﷺ « إذا تثاءب أحدكم في الصلاة فليكظم ما استطاع » رواه مسلم

---

(١) هذا خبر قوله : على ان الآيات التي تتضمن الخ وهو من ضعف التأليف وكان حسنه يقتضي وضعه قبل الشواهد قريبا من اسمها . ويقول هنا : فهذه الآيات كلها نصوص الخ

ومنها ما روي عن عمر بن عبسة في قيام الليل قال قال رسول الله ﷺ « فان استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن » رواه الترمذي

ومنها ما روي عن عائشة (رض) قالت قال رسول الله ﷺ « خذوا من الاعمال ما تطيقون » متفق عليه

ومنها ما روي عن عمران ابن حصين قال قل رسول الله ﷺ «صل قائماً فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب » رواه البخاري

ومنها ما روي عن ابن عباس (رض) في حديث صلاة التسبيح أن النبي ﷺ قال « تفعل ذلك في أربع ركعات ان استطعت أن تصليها في كل يوم مرة فافعل » رواه أبو داود وابن ماجه

ومنها ما روي عن أبي موسى الاشعري في الصدقة فان لم يستطع أو لم يفعل قال « فيعين ذا الحاجة الملهوف » متفق عليه

ومنها ما روي عن أبي هريرة (ر ض) في كفارة الصوم قال رسول الله «فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين » قال لا ، متفق عليه

ومنها ما روي عن أبي قتادة أن رجلا أتى النبي ﷺ فقال كيف تصوم؟ وفيه قال « ويطيق ذلك أحد ؟ » رواه مسلم

ومنها ما روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال لي رسول الله ﷺ « ياعبدالله ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل » وفيه قلت اني أطيق أكثر من ذلك قال « صم أفضل الصوم صوم داود صيام يوم وافطار يوم » متفق عليه

ومنها ما روي عن عائشة (رض) أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ، وفيه ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده ، متفق عليه

ومنها ما روي عن جابر في الرقية قال قال رسول الله ﷺ « من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه » رواه مسلم

ومنها ما روي عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ « ألا يستطيع أحدكم أن يقرأ ألف آية في كل يوم » قالوا ومن يستطيع أن يقرأ ألف آية في كل يوم قال « أما يستطيع أحدكم أن يقرأ ألهاكم التكاثر » رواه البيهقي

ومنها ما روي عن أبي الدرداء قال قال رسول الله ﷺ « أيعجز أحدكم أن يقرأ في ليلة ثلث القرآن » قالوا وكيف يقرأ ثلث القرآن قال « قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن » رواه مسلم

ومنها ما روي عن سعد بن أبي وقاص قال : كنا عند رسول الله ﷺ فقال « أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة » فسأله سائل من جلسائه كيف يكسب أحدنا ألف حسنة ؟ قال « يسبح مائة تسبيحة فيكتب له ألف حسنة » رواه مسلم

ومنها ما روي عن شداد بن أوس قال قال رسول الله ﷺ « سيد الاستغفار أن تقول اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت » رواه البخاري

ومنها ما روي عن أنس رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ عاد رجلا من المسلمين وفيه فقال رسول الله ﷺ « سبحان الله لا تطيقه ولا تستطيعه »

ومنها ما روي عن أبي هريرة قال : خطبنا رسول الله ﷺ فقال « يا أيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا » فقال رجل أكل عام يا رسول الله ـ فسكت حتى قالها ثلاثا ـ فقال « لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم » وفيه « فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه » رواه مسلم

ومنها ما روي عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ « يا أيها الناس عليكم من الاعمال ما تطيقون » رواه مسلم

ومنها ما روي عن عبدالله بن مسعود قال قال رسول الله ﷺ « يا معشر

الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن الفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء » متفق عليه

ومنها ما روي عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ قال « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان » رواه مسلم

ومنها ما روي عن ابن عمر قال : كنا إذا بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة يقول لنا « فيما استطعتم » متفق عليه

ومنها ما روي عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله ﷺ « من بايع اماما فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه ان استطاع » رواه مسلم

ومنها ما روي عن أميمة بنت رقيقة تقول: بايعت رسول الله ﷺ في نسوة فقال لنا « فيما استطعتن وأطقتن » قلت: الله ورسوله ارحم بنا بأنفسنا الحديث رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح

ومنها ما روي عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يقسم بين نسائه فيعدل ويقول « اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك » رواه الترمذي

ولفظ الوسع والطاقة والقدرة والاستطاعة والقوة والملك بمعنى واحد. واثبات ميسرة . وعدم استواء الاحياء والاموات ، وانقطاع العمل بعد الموت ، وسلب العجز مما يستلزم اثبات القدرة للحي وهو المطلوب

(والثاني) أن قدرة الحي على بعض الاشياء دون الميت لا تستلزم اعتقاد أن العبد يخلق افعال نفسه . والدليل الذي ذكره صاحب الرسالة لا يثبت منه المطلوب ، فان مراد المتوسلين بالقدرة الواقعة في قولهم الحي يقدر والميت لا يقدر قدرة الكسب لا قدرة الخلق

(والثالث) المعارضة ، وتقريرها ان التسوية بين الحي والميت كما فهم من كلام هؤلاء المجوزين للتوسل (١) فان كلامهم يفيد أنهم يعتقدون أن الحي لا يقدر على شيء كما أن الميت كذلك لا يقدر ، وكأنهم يعتقدون أن العبد مجبور محض ليس له اختيار الكسب فهو مذهب باطل

والدليل على أن هذا هو اعتقادهم انهم يقولون إذا نودي الميت وطلب منه شيء فلا ضرر في ذلك ، كما أن الحي إذا نودي منه شيء فلا ضير فيه، فان كلهما سواء سيان (٢) في عدم القدرة

(والرابع) أن اثبات الكسب ولو باطنا للميت مخالف للنص الصريح وهو قوله ﷺ « اذا مات الانسان انقطع عنه عمله » فلا يعبأ به ، على أن قدرة الحي على الكسب يعلم حدها بالمشاهدة ، فلا نعلم أن الحي يقدر على حمل الحجر، وعلى أن يحول بينه وبين عدوه الكافر أو يدفع عنه سبعا مثلا أو لصا أو يدعو له أو نحو ذلك، وأما قدرة الميت على الكسب، فعلى تقدير تسليمها لا نعلم حدها بالمشاهدة فما طريق العلم بها؟ وهل هي مساوية لقدرة الحي أو زائدة عليها أو ناقصة عنها ؟ فلابد من بيانه حتى نطلب منه على حسبه ، ودونه لا معنى لهذه الدعوة العمياء

قوله (ذكر العلامة السيد السمهودي في خلاصة الوفاء : ان من الادلة الدالة على صحة التوسل بالنبي ﷺ بعد وفاته ما رواه الدرامي في صحيحه عن أبي الجوزاء قال : قحط أهل المدينة قحطا شديداً فشكوا إلى عائشة (رض) فقالت انظروا إلى قبر رسول الله ﷺ فاجعلوا منه كوة إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف، ففعلوا فمطروا حتى نبت العشب وسمنت الابل حتى تفتقت من الشحم فسمي عام الفتق)

١) ينظر اين جواب : ان التسويه الخ ٢) كذا في الاصل جمع بين الكلمتين

أقول في هذا الكلام كلام من وجوه

(الاول) ان اطلاق الصحيح على مسند الدارمي ـ الذي اشتهر بالمسند على خلاف اصطلاح المحدثين وحقه أن يسمى بالسنن دون المسند ـ ليس بصحيح قال المغلطاي ان جماعة أطلقوا على مسند الدارمي بكونه صحيحا فتعقبه الحافظ بن حجر بأني لم أر ذلك في كلام أحد ممن يعتمد عليه كيف ولو أطلق ذلك من يعتد به لكان الواقع بخلافه

(والثاني) انه قال العراقي : المرسل والمعضل والمنقطع والمقطوع فيه كثير ، وهذا الحديث من هذا القبيل كما سيظهر ان شاء الله تعالى

(والثالث) ان في سنده محمد بن الفضل السدوسي أبو النعمان البصري، قال الحافظ في التقريب لقبه عارم ثقة ثبت تغير في آخر عمره اه ، وقال في الخلاصة اختلط عارم قال ابو حاتم ثقة من سمع منه قبل سنة عشرين ومائتين فسماعه جيد اه وقال الذهبي في الكاشف تغير قبل موته وترك الاخذ منه، وقال الذهبي في الميزان قال أبو حاتم اختلط عارم في آخر عمره وزال عقله ، فمن سمع منه قبل العشرين ومائتين فسماعه جيد ، وقال البخاري تغير عارم في آخر عمره

وقال أبو داود : بلغني أن عارما أنكر سنة ثلاث عشرة ومائتين ثم راجعه عقله ثم استحكم به الاختلاط سنة ست عشرة ومائتين ولم يسمع منه أبو داود لتغيره اه ملخصا

(والرابع) ان في سنده سعيد بن زيد قال الذهبي في الكاشف ليس بالقوي قله جماعة ووثقه بن معين اه ، وقال الحافظ في التقريب صدوق له أوهام اه ، وقال في الخلاصة قال ابن معين ثقة . وقال أحمد ليس به بأس ، وقال النسائي ليس بالقوي اه ، وقال الذهبي في الميزان سعيد بن زيد أبو الحسن أخو حماد بن زيد مات قبل حماد بن زيد ، قال علي عن يحيي بن سعيد ضعيف ، وقال

السعدي ليس بحجة يضعفون حديثه ، وقال النسائي وغيره ليس بالقوي ، وقال أحمد ليس به بأس ، كان يحيى بن سعيد لا يستريبه اه

(والخامس) ان في سنده عمرو بن مالك النكري ، قال الحافظ في التقريب صدوق له أوهام اه

(والسادس) ان في سنده أبا الجوزاء اوس بن عبد الله ، قال في التقريب اوس بن عبد الله الربعي يرسل كثيرا ، وقال الذهبي في الميزان اوس بن عبدالله أبو الجوزاء الربعي البصري وثقوه ، وقال البخاري قال يحيى بن سعيد قتل في الجماجم ، في اسناده نظر ويختلفون فيه اه ، وقال أيضاً في الكنى أبو الجوزاء الربعي اوس تابعي مشهور ، قال البخاري في اسناده نظر اه . فقد ثبت من هناك أن هذا الحديث ضعيف منقطع

(والسابع) ان الحديث موقوف فلا يصلح حجة عند المحققين

(والثامن) بعد تسليم حجيته يعارضه أثر عمر بن الخطاب (رض) ذكر محمد بن اسحاق في مغازيه عن خالد بن دينار عن أبي العالية قال : لما فتحنا تستر وجدنا في بيت مال الهرمزان سريرا عليه رجل ميت عند رأسه مصحف له ، فحملنا المصحف الى عمر (رض) فدعا كعباً فنسخه بالعربية ، فانا أول رجل قرأته مثل ما أقرأ القرآن ، فقلت لابي العالية : ما كان فيه ؟ قال سيرتكم وأموركم ولحون كلامكم وما هو كائن بعد ، قلت فما صنعتم بالرجل قال حفرنا بالنهار ثلاثة عشر قبرا متفرقة ، فلما كان بالليل دفناه وسوينا القبور كلها لنعميه على الناس لا ينبشونه ، قلت وما يرجون منه قال كانت السماء إذا حبست عنهم أبرزوا السرير فيمطرون ، فقلت من كنتم تظنون الرجل قال دانيال ، قلت منذ كم وجدتموه مات؟ قال منذ ثلاثمائة سنة [1] قلت ما كان قد تغير منه شيء قال لا الا شعيرات من قفاه ،

(١ دانيال النبي (ع . م) كان في سبي نبوخذنصر لبني اسرائيل قبل ميلاد المسيح بستمائة سنة وكتابه من اسفار اليهود المعروفة . وكتبه محمد رشيد رضا

لأن لحوم الانبياء لا تبليها الارض ولا تأكلها السباع

فانظر مافي هذه القصة من صنع أصحاب رسول الله ﷺ وتعمية قبر هذا الرجل لئلا يفتتن به الناس ، كذا في (تبعيد الشيطان بتقريب إغاثة اللهفان)

قوله ﴿ ومن احسن مايقال ماجاء عن العتبي وهو مروي أيضا عن سفيان بن عيينة ، وكل منهما من مشايخ الامام الشافعي قال العتبي كنت جالساً عند قبر رسول الله ﷺ فجاء اعرابي فقال السلام عليك يارسول الله ، سمعت الله يقول — وفي رواية ياخير الرسل ان الله أنزل عليك كتابا صادقا قال فيه (ولو انهم إذ ظلموا انفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما) وقد جئتك مستغفرا من ذنبي ﴾

أقول : ليست هذه الحكاية مما تقوم به الحجة . قال في الصارم المنكي وهذه الحكاية التي ذكرها بعضهم يرويها عن العتبي بلا إسناد وبعضهم يرويها عن محمد بن حرب الهلالي وبعضهم يرويها عن محمد بن حرب عن ابي الحسن الزعفراني عن الاعرابي، وقد ذكرها البيهقي في كتاب شعب الايمان بسند مظلم عن محمد بن روح بن يزيد البصري حدثني أبو حرب الهلالي قال حج اعرابي فلما جاء الى باب مسجد رسول الله ﷺ أناخ راحلته فعقلها ، ثم دخل المسجد حتى اتى القبر ، ثم ذكر نحو ما تقدم ، وقد وضع لها بعض الكذابين إسنادا إلى علي بن أبي طالب (رض) كما سيأتي ذكره

وفي الجملة ليست هذه الحكاية المذكورة عن الاعرابي مما يقوم به حجة ، وإسنادها مظلم مختلف ، ولفظها مختلف أيضاً ، ولو كانت ثابتة لم يكن فيها حجة على مطلوب المعترض . ولا يصلح الاحتجاج بمثل هذه الحكاية ولا الاعتماد على مثلها عند اهل العلم وبالله التوفيق

قوله ﴿ وليس محل الاستدلال الرؤيا فانها لا تثبت بها الاحكام لاحتمال حصول الاشتباه على الرائي كما تقدم ذلك ، وانما محل الاستدلال كون العلماء استحسنوا الاتيان بما تقدم ذكره ، وذكروا في مناسكهم استحباب الاتيان به للزائر ﴾

أقول استحسان جميع علماء الامة ممنوع ، وأما استحسان بعض العلماء فلا يثبت به الاحكام كما انها لا تثبت بالرؤيا ، على انه لو ثبت استحسان جميع علماء الامة فكونه مجمعاً عليه بالاجماع الاصطلاحي محل كلام ، وبعد تسليم امكان الاجماع الاصطلاحي فكونه حجة شرعية غير مسلم والاحاديث الدالة على حجيته قد تقدم الكلام عليها على أن كونها دالة على حجية الاجماع أيضا منظور فيه

قوله ﴿ وقال العلامة ابن حجر في الجوهر المنظم: وروى بعض الحفاظ عن أبي سعيد السمعاني انه روي عن علي بن أبي طالب (رض) وكرم الله وجهه انهم بعد دفنه ﷺ بثلاثة أيام جاءهم اعرابي فرمى بنفسه على القبر الشريف على صاحبه افضل الصلاة والسلام ﴾

أقول هذا الخبر ضعيف جدا حتى قيل انه موضوع . قال في الصارم المنكي فان قيل قد روى أبو الحسن علي بن ابراهيم بن عبد الله بن عبد الرحمن الكرخي عن علي بن محمد بن علي ثنا احمد بن محمد بن الهيثم الطائي قال حدثني أبي عن أبيه عن سلمة بن كهيل عن أبي صادق عن علي بن أبي طالب «رض» قال قدم علينا اعرابي بعدما دفنا رسول الله (ص) بثلاثة أيام فرمى بنفسه على قبر النبي ﷺ وحثى على رأسه من ترابه وقال يارسول الله قلت فسمعنا قولك ووعيت عن الله عز وجل فما وعينا عنك ، وكان فيما أنزل الله تبارك وتعالى عليك (ولو أنهم إذ ظلموا انفسهم

جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما) وقد ظلمت نفسي وجئتك لتستغفرلي . فنودي من القبر انه قد غفر لك

والجواب أن هذا خبر منكر موضوع ، وأثر مختلق مصنوع، لا يصلح الاعتماد عليه ، ولا يحسن المصير اليه ، وإسناده ظلمات بعضها فوق بعض ، والهيثم جد احمد بن محمد بن الهيثم أظنه ابن عدي[1] الطائي فان يكنه فهو متروك كذاب وإلا فهو مجهول ، وقد ولد الهيثم بن عدي بالكوفة ونشأ بها وأدرك زمان سلمة بن كهيل فيما قيل ، ثم انتقل إلى بغداد فسكنها ، قال عباس الدوري سمعت يحيى ابن معين يقول الهيثم بن عدي كوفي ليس بثقة كان يكذب ، وقال العجلي وأبوداود كذاب ، وقال أبوحاتم الرازي والنسائي والدولابي والازدي متروك الحديث وقال السعدي ساقط قد كشف قناعه وقال ابوزرعة ليس بشيء وقال البخاري سكتوا عنه اي تركوه وقال ابن عدي ما أقل ماله من المسند وانما هو صاحب أخبار وأسمار ونسب وأشعار

وقال ابن حبان كان من علماء الناس بالسير وأيام الناس وأخبار العرب الا انه روى عن الثقات أشياء كأنها موضوعات يسبق الى القلب انه كان يدلسها وقال الحاكم ابواحمد ذاهب الحديث وقال الحاكم ابوعبدالله الهيثم بن عدي الطائي في علمه ومحله حدث عن جماعة من الثقات أحاديث منكرة وقال العباس بن محمد سمعت بعض اصحابنا يقول قالت جارية الهيثم كان مولاي يقوم عامة الليل يصلي فاذا أصبح جلس يكذب اه

---

(١) ومن ادعى أن الهيثم المذكور في سند الحكاية هو ابن مالك الطائي الشامي الاعمى او محمد الموثق فعليه الحجة وفي الحكاية أبو صادق لم يسمع من علي رضي الله عنه وفيها أحمد بن محمد ابن الهيثم عن أبيه لاذكر لهما في التقريب ولا التهذيب ولا اللسان فمن احتج بهما فعليه أن ينقل توثيقهما عن إمام من أئمة التوثيق

قال الذهبي في ترجمة الهيثم بن عدي الطائي: ابو عبد الرحمن المنبجي ثم الكوفي قال البخاري ليس بثقة كان يكذب قال يعقوب بن محمد ثنا ابو عبد الرحمن من أهل منبج وأمه من سبي منبج سكتوا عنه وروى عباس عن يحيى ليس بثقة كان يكذب، وقال أبو داود كذاب، وقال النسائي وغيره متروك الحديث، قلت كان اخباريا علامة روى عن هشام بن عروة وعبد الله بن عياش المشرف[1] ومجالد وقال ابن عدي ما اقل ماله في المسند انما هو صاحب اخبار. وقال ابن المديني هو أوثق من الواقدي ولا ارضاه في شيء، قال عباس الاودي: حدثنا بعض اصحابنا قال قالت جارية الهيثم بن عدي مولاي يقوم عامة الليل يصلي فاذا أصبح جلس يكذب انتهى ملخصاً

وفي الميزان: الهيثم الطائي الآخر هو أيضاً كذاب ولفظه هكذا: الهيثم ابن عبد الغفار الطائي بصري مقل تالف. قال احمد عرضت على ابن مهدي أحاديث الهيثم بن عبد الغفار عن همام بن يحيي وغيره فقال هذا يضع الحديث، وسألت الاقرع وكان صاحب حديث عن الهيثم فذكر نحوه. قال احمد وسمعت هشيما يقول ادعوا الله لأخينا عباد بن العوام سمعته يقول كان يقدم علينا من البصرة رجل يقال له الهيثم بن عبد الغفار فحدثنا عن همام عن قتادة وابيه وعن رجل يقال له ابن حبيب وعن جماعة، وكنا معجبين به فحدثنا بشيء أنكرته او ارتبت به ثم لقيته بعد فقال لي ذلك الحديث دعه، فقدمت على عبد الرحمن بن مهدي فعرضت عليه بعض حديثه فقال هذا رجل كذاب أو قال غير ثقة، وقال احمد ولقيت الاقرع بمكة فذكرت له بعض هذا [illegible] حديث البري عن قتادة يعني أحاديث همام، قال فخرقت حديثه وتركته بعد اه

(١) في الميزان المتشوف

قوله ﴿ ويؤيد ذلك ايضا ماصح عنه ﷺ من قوله «حياتي خير لكم، تحدثون وأحدث لكم، ووفاتي خير لكم تعرض علي أعمالكم، مارأيت من خير حمدت الله تعالى، وما رأيت من شر استغفرت لكم﴾

أقول: قال في الصارم المنكي (قلت) هذا خبر مرسل رواه القاضي اسماعيل ابن اسحاق في كتاب (فضل الصلاة على النبي ﷺ) عن سليمان بن حرب عن حماد بن زيد عن غالب القطان عن بكر بن عبدالله، وهذا اسناد صحيح الى بكر المزني، وبكر من ثقات التابعين وأئمتهم، وقال القاضي اسماعيل حدثنا حجاج بن منهال ثنا حماد بن سلمة عن كثير بن الفضل عن بكر بن عبد الله ان النبي ﷺ قال «حياتي خير لكم ووفاتي خير لكم تحدثون وأحدث لكم، فاذا أنا مت عرضت علي أعمالكم، فان رأيت خيراً حمدت الله وان رأيت شراً استغفرالله لكم» اه والمرسل من أقسام الحديث الضعيف، فالحكم عليه بالصحة غير صحيح

قوله ﴿ وفي الجوهر المنظم أيضاً ان اعرابيا وقف على القبر الشريف وقال: اللهم ان هذا حبيبك وأنا عبدك والشيطان عدوك، فان غفرت لي سر حبيبك وفاز عبدك وغضب عدوك، وان لم تغفر لي غضب حبيبك ورضي عدوك وهلك عبدك، وأنت يارب أكرم من أن تغضب حبيبك وترضي عدوك وتهلك عبدك، اللهم ان العرب إذا مات فيهم سيد اعتقوا على قبره. وان هذا سيد العالمين فاعتقني على قبره ياارحم الراحمين. فقال له بعض الحاضرين يااخا العرب ان الله قد غفر لك بحسن هذا السؤال ﴾

أقول هذا مما لا يصح الاحتجاج به على المطلوب من وجوه (الاول) ان هذه

القصة مذكورة بلا سند ، فلابد على من يحتج بها من بيان سند وتوثيق رجاله (والثاني) ان فعل الاعرابي ليس من الحجة في شيء (والثالث) ان هذه القصة ليس فيها دعاء غير الله ولا السؤال بحق المخلوق ، والتوسل الذي يمنعه المانعون هو الذي يتضمن دعاء غير الله أو السؤال بحق مخلوق أو ما ضاهاه من المنهيات والبدع والمنكرات (والرابع) ان بعض الحاضرين القائل يا أخا العرب ان الله قد غفر لك ، لا يدري من هو حتى يعتمد على قوله . وبالجملة ذكر امثال هذه الحكايات في محل الاستدلال أدل دليل على جهل صاحبه

قوله ﴿ وذكر علماء المناسك أيضاً ان استقبال قبره الشريف ﷺ وقت الزيارة والدعاء أفضل من استقبال القبلة ﴾

اقول استقبال قبره الشريف في الزيارة وقت التسليم مما اختلف فيه الائمة وأما استقبال القبر وقت الدعاء فمنهي عنه بالاتفاق

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله في منسك له صنفه في أواخر عمره :

ويسلم عليه مستقبل الحجرة مستدبر القبلة عند اكثر العلماء كمالك والشافعي وأحمد ، وأما ابو حنيفة فانه قال يستقبل القبلة . فمن اصحابه من قال يستدبر الحجرة ومنهم من قال يجعلها عن يساره . واتفقوا على انه لا يستلم الحجرة ولا يقبلها ولا يطوف بها ولا يصلي اليها ولا يدعو هناك مستقبلا الحجرة فان هذا كله منهي عنه باتفاق الائمة ، ومالك من أعظم كراهية لذلك ، والحكاية عنه انه أمر المنصور أن يستقبل القبلة وقت الدعاء كذب على مالك . بل ولا يقف عند القبر للدعاء لنفسه فان هذا بدعة ، ولم يكن أحد من الصحابة يقف عنده يدعو لنفسه ، ولكن كانوا يستقبلون القبلة ويدعون في مسجده اهـ

وقال في الصارم المنكي وكذلك الشرك بأهل القبور لم يطمع الشيطان أن يوقعهم اي الصحابة فيه فلم تكن على عهدهم في الاسلام قبر نبي يسافر اليه . ولا

يقصد الدعاء عنده او يطلب بركته أو شفاعته اوغيرذلك ، بل افضل الخلق محمد خاتم الرسل صلوات الله وسلامه عليه وقبره عندهم محجوب لا يقصده احد منهم بشيء من ذلك ، وكذلك كان التابعون لهم باحسان ومن بعدهم من أئمة المسلمين ، وانما تكلم العلماء والسلف في الدعاء للرسول ﷺ عند قبره منهم من نهى عن الوقوف للدعاء له دون السلام عليه ، ومنهم من رخص في هذا وهذا ، ومنهم من نهى عن هذا وهذا ، وأما دعاؤه هو وطلب استغفاره وشفاعته بعد موته فهذا لم ينقل عن احد من أئمة المسلمين لا من الائمة الاربعة ولا غيرهم ، بل الادعية التي ذكروها خالية من ذلك ، أما مالك فقد قال القاضي عياض : وقال مالك في المبسوط لا ارى أن يقف عند قبر النبي ﷺ يدعو ويسلم ولكن يسلم ويمضي — وهذا الذي نقله القاضي عياض ذكره القاضي اسماعيل بن اسحاق في المبسوط

قال وقال مالك لا ارى ان يقف الرجل عند قبر النبي ﷺ يدعو ولكن يسلم على النبي ﷺ وعلى أبي بكر وعمر «رض» ثم يمضي . وقال مالك ذلك لان هذا هو المنقول عن ابن عمر انه كان يقول السلام عليك يارسول الله السلام عليك ياأبا بكر السلام عليك ياأبت أو ياابتاه ، ثم ينصرف ولا يقف يدعو ، فرأى ذلك من البدع . قال القاضي عياض وقال مالك في رواية ابن وهب إذا سلم على النبي ﷺ ودعا يقف ووجهه الى القبر لا إلى القبلة ويدنو ويسلم ولا يمس القبر بيده فقوله في هذه الرواية إذا سلم ودعا قد يريد بالدعاء السلام فانه قال يدنو ويسلم ولا يمس القبر بيده ، ويؤيد ذلك انه قال في رواية ابن وهب السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته ، وقد يراد انه يدعو له بلفظ الصلاة كما ذكر في الموطأ من رواية عبدالله بن دينار انه كان يصلي على النبي ﷺ وعلى أبي بكر وعمر «رض» وفي رواية يحيي بن يحيي وقد غلطه ابن عبد البر وغيره وقالوا انما لفظ الرواية على ماذكره ابن القاسم والقعنبي وغيرهما يصلي على النبي «ص» ويسلم على ابي بكر

وعمر «رض» وقال أبو الوليد الباجي وعندي أنه يدعو للنبي «ص» بلفظ الصلاة ولابي بكر وعمر لما في حديث ابن عمر من الخلاف

قال القاضي عياض وقال في المبسوط لا بأس لمن قدم من سفر أو خرج الى سفر أن يقف على قبر النبي ﷺ فيصلي عليه ويدعو له ولابي بكر وعمر، فان أراد بالدعاء الصلاة والسلام فهو موافق لتلك الرواية وإن كان أراد دعاء زائداً فهي رواية اخرى وبكل حال فانما اراد الدعاء اليسير

وأما ابن حبيب فقال ثم يقف بالقبر متواضعا موقراً فيصلي عليه ويثني عليه ويثني بما حضر ويسلم على أبي بكر وعمر (رض) فلم يذكر الا الثناء عليه مع الصلاة

وأما الامام احمد فذكر الثناء عليه بلفظ الشهادة له بذلك مع الدعاء له بغير الصلاة ومع دعاء الداعي لنفسه أيضا ولم يذكر أن يطلب منه شيئا ولا يقرأ عند القبر قوله (ولو أنهم إذ ظلموا انفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما) كما لم يذكر مالك ذلك ولا المتقدمون من أصحابنا ولا جمهورهم ، بل قال في منسك المروزي : ثم ائت الروضة وهي بين القبر والمنبر فصل فيها وادع بما شئت ثم ائت قبر النبي ﷺ فقل السلام عليك يارسول الله ورحمة الله وبركاته ، السلام عليك يامحمد بن عبدالله ، أشهد أن لا إله الا الله وأشهد انك رسول الله ﷺ وأشهد انك قد بلغت رسالة ربك ، ونصحت لامتك ، وجاهدت في سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، وعبدت الله حتى أتاك اليقين ، فجزاك الله افضل ما جزى نبياً عن امته ، ورفع درجتك العليا . وتقبل شفاعتك الكبرى ، وأعطاك سؤلك في الآخرة والاولى. كما تقبل من ابراهيم ، اللهم احشرنا في زمرته ، وتوفنا على سنته ، وأوردنا حوضه . واسقنا بكأسه شرباً رويا لا نظمأ بعده أبدا اهـ

وقال شيخ الاسلام ابن تيميه في كتاب ﴿ اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ﴾ ولم يكن أحد من السلف يأتي الى قبر نبي أو غير نبي لاجل

الدعاء عنده، ولا كان الصحابة يقصدون الدعاء عند قبر النبي ﷺ ولا عند قبر غيره من الانبياء، وإنما كانوا يصلون ويسلمون على النبي (ص) وعلى صاحبيه

واتفق الائمة على انه إذا دعا بمسجد النبي (ص) لا يستقبل قبره، وتنازعوا عند السلام عليه فقال مالك وأحمد وغيرهما يستقبل قبره ويسلم عليه وهو الذي ذكره اصحاب الشافعي وأظنه منصوصا عنه. وقال أبو حنيفة بل يستقبل القبلة، ويسلم عليه، هكذا في كتب أصحابه وقال مالك فيما ذكره اسماعيل بن اسحاق في المبسوط والقاضي عياض وغيرهم: لا ارى أن يقف عند قبر النبي (ص) يدعو، ولكن يسلم ويمضي

وقال أيضا في المبسوط(١) لا بأس لمن قدم من سفر أو خرج أن يقف على قبر النبي ويدعو له ولابي بكر وعمر، فقيل له فان ناسا من أهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا يريدونه يفعلون ذلك في اليوم مرة او أكثر وربما وقفوا في الجمعة او في الايام المرة والمرتين أو أكثر عند القبر فيسلمون ويدعون ساعة (٢) فقال لم يبلغني هذا عن أحد من أهل الفقه ببلدنا وتركه واسع، لا يصلح آخر هذه الامة

(١) يعني الامام مالك

(٢) أي قيل للامام مالك ان بعض أهل المدينة المقيمين فيها يقفون عند قبره (ص) فيسلمون ويدعون من غير أن يكونوا يريدون السفر أو يكونوا قادمين منه. فقال مالك انه لم يبلغه عن أحد من العلماء من التابعين وغيرهم أنه فعل ذلك أو رواه عن الصحابة. فعلم من هذه الرواية أن الوقوف عند قبره (ص) للسلام والدعاء قد حدث في عصر الامام مالك من بعض العوام المقيمين في المدينة وانهم لقلتهم لم يرهم هو مع كثرة ملازمته لمسجده (ص) ولعلهم لم يكونوا يفعلونه امامه لعلمهم بانه ينكره عليهم. بل هو قد انكر على عبد الرحمن بن مهدي وهو من اقرانه عند ما وضع رداءه في المسجد وصلى عليه. واحتج عليه بقوله (ص) «من احدث فيه حدثا او آوى محدثا فعليه لعنة الله» الخ الحديث وهكذا تحدث البدع بفعل الجاهلين وسكوت العالمين حتى تحل محل السنن بل تنسخها. وكتبه محمد رشيد رضا

الا ما أصلح أولها، ولم يبلغني عن أول هذه الأمة وصدرها أنهم كانوا يفعلون ذلك ويكره إلا لمن جاء من سفر أو أراده، وقد تقدم في ذلك من الآثار عن السلف والأئمة ما يوافق هذا ويؤيده من انهم كانوا انما يستحبون عند قبره ما هو من جنس الدعاء له والتحية كالصلاة والسلام، ويكرهون قصده للدعاء والوقوف عنده للدعاء، ومن يرخص منهم في شيء من ذلك فانه إنما يرخص فيما إذا سلم عليه ثم أراد الدعاء أن يدعو مستقبل القبلة إما مستدبر القبر وإما منحرفا عنه وهو أن يستقبل القبلة ويدعو ولا يدعو مستقبل القبر

وهكذا المنقول عن سائر الأئمة ، ليس في أئمة المسلمين من استحب للمرء أن يستقبل قبر النبي ﷺ ويدعو عنده، وهذا الذي ذكرناه عن مالك والسلف يبين حقيقة الحكاية المأثورة عنه ، وهي الحكاية التي ذكرها القاضي عياض عن محمد ابن حميد قال ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين مالكا في مسجد رسول الله ﷺ فقال له مالك : يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد فان الله أدب قوما فقال (لا ترفَعُوا أصواتَكم فوقَ صوتِ النَّبيِّ) الآية وذكر باقي الحكاية

ثم قال فهذه الحكاية على هذا الوجه إما أن تكون ضعيفة أو مغيرة ، وإما أن تفسر بما يوافق مذهبه، إذ قد يفهم منها ما هو خلاف مذهبه المعروف بنقل الثقات من أصحابه، فإنه لا يختلف مذهبه أنه لا يستقبل القبر عند الدعاء . وقد نص على أنه لا يقف عند الدعاء مطلقا ، وذكر طائفة من أصحابه أنه يدنو من القبر ويسلم على النبي ﷺ ثم يدعو مستقبل القبلة ويوليه ظهره . وقيل لا يوليه ظهره ، فاتفقوا في استقبال القبلة وتنازعوا في تولية القبر ظهره وقت الدعاء .

ويشبه والله أعلم أن يكون مالك رحمه الله سئل عن استقبال القبر عند السلام عليه وهو يسمي ذلك دعاء فانه قد كان من فقهاء العراق من يرى أنه عند السلام عليه يستقبل القبلة أيضا ، ومالك يرى استقبال القبر في هذه الحال كما تقدم . وكما

قال في رواية ابن وهب عنه إذا سلم على النبي ﷺ يقف ووجهه إلى القبر لا إلى القبلة ويدنو ويسلم ويدعو ولا يمس القبر بيده ، وقد تقدم قوله أنه يصلي عليه ويدعو له ، ومعلوم أن الصلاة عليه والدعاء له يوجب شفاعته للعبد يوم القيامة كما قال في الحديث الصحيح « إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فانه من صلى علي مرة صلى الله عليه عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة فانها درجة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون ذلك العبد ، فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه شفاعتي يوم القيامة » فقول مالك في هذه الحكاية ان كان ثابتاً عنه ، معناه أنك إذا استقبلته وصليت عليه وسلمت عليه وسألت الله له الوسيلة يشفع فيك يوم القيامة ، فان الامم يوم القيامة يتوسلون إلى الله بشفاعته ، واستشفاع العبد به في الدنيا هو فعل ما يشفع به له يوم القيامة كسؤال الله تعالى الوسيلة ونحو ذلك

وكذلك ما نقل عنه من رواية ابن وهب إذا سلم على النبي ﷺ ودعا يقف ووجهه إلى القبر لا إلى القبلة ويدعو ويسلم -- يعني دعاء النبي ﷺ وصاحبيه -- فهذا هو الدعاء المشروع هناك كالدعاء عند زيارة قبور سائر المؤمنين وهو الدعاء لهم فانهم أحق الناس أن يصلى عليه ويسلم عليه ويدعى له بأبي هو وامي ﷺ وبهذا تتفق أقوال مالك ، ويفرق بين الدعاء الذي أحبه والدعاء الذي كرهه وذكر أنه بدعة اهـ

(فان قلت) قد روي عن بريدة قال كان رسول الله ﷺ يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر « السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وانا ان شاء الله بكم للاحقون نسأل الله لنا ولكم العافية » رواه مسلم والنسائي وابن ماجه ، وعن عائشة (رض) قالت : فقدته -- تعني النبي ﷺ -- فاذا هو بالبقيع فقال « السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، أنتم لنا فرط وانا بكم لاحقون اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم »

وعن ابن عباس قال : مر رسول الله ﷺ بقبور المدينة فأقبل عليهم بوجهه فقال «السلام عليكم يا أهل القبور يغفر الله لنا ولكم أنتم سلفنا ونحن بالاثر» ففي تلك الاحاديث الدعاء لنفسه بالعافية ، وعدم حرمان الاجر ، وعدم الفتن وبالمغفرة

(قلت) المقصود من الدعاء الذي نهى عنه عند القبر هو الدعاء الذي يقصد زيارة القبر لاجله ويظن أن الدعاء عند القبر مستجاب وأنه أفضل من الدعاء في المسجد فيقصد زيارته لاجل طلب حوائجه ، وأما الدعاء لنفسه عند القبر بالعافية وعدم حرمان الاجر ، وعدم الفتنة ، تبعاً للدعاء لاصحاب القبور ، والترحم عليهم والاستغفار لهم فلا ينهى عنه أحد من المسلمين . ألا ترى ان شيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم من أشدهم منعاً للدعاء عند القبور وهما يجوزان هذا الدعاء التبعي بل يجعلان الزيارة المشتملة عليه زيارة سنة وزيارة أهل الايمان ؟

قال شيخ الاسلام ابن تيمية في بعض مناسكه (باب زيارة قبر النبي ﷺ) : إذا أشرف على مدينة النبي ﷺ قبل الحج أو بعده فليقل ما تقدم فإذا دخل استحب له أن يغتسل ، نص عليه الامام أحمد . فإذا دخل المسجد بدأ برجله اليمنى وقال : بسم الله والصلاة على رسول الله اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك ثم يأتي الروضة بين القبر والمنبر فيصلي بها ويدعو بما شاء ثم يأتي قبر النبي ﷺ فيستقبل جدار القبر ولا يمسه ولا يقبله ويجعل القنديل الذي في القبلة عند القبر على رأسه ليكون قائما وجاه النبي ﷺ ويقف متباعدا كما يقف لو ظهر في حياته بخشوع وسكون منكس الرأس غاض الطرف مستحضراً بقلبه جلالة موقفه . ثم يقول السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته . السلام عليك يا نبي الله وخيرته من خلقه . السلام عليك يا سيد المرسلين وخاتم النبيين وقائد الغر المحجلين . أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله . أشهد أنك قد بلغت رسالات ربك ، ونصحت لامتك ، ودعوت الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ،

سوعبدت الله حتى أتاك اليقين ، فجزاك الله أفضل ما جزى نبيا ورسولا عن أمته ، اللهم آته الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته ليغبطه به الاولون والآخرون ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم انك حميد مجيد ، اللهم احشرنا في زمرته ، وتوفنا على سنته ، وأوردنا حوضه، واسقنا بكأسه شرابا رويا لا نظمأ بعده أبدا اه[1]

وقال في (الجواب الباهر لمن سأل من ولاة الامر عما افتى به في زيارة المقابر) بل قد ذكرت في غير موضع استحباب زيارة القبور كما كان النبي ﷺ يزور أهل البقيع وشهداء أحد، ويعلم أصحابه إذا زاروا القبور أن يقول قائلهم : السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وانا ان شاء الله بكم لاحقون، ويرحم المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين ، ونسأل الله لنا ولكم العافية، اللهم لا تحرمنا أجرهم ، ولا تفتنا بعدهم ، واغفر لنا ولهم . واذا كانت زيارة قبور عموم المؤمنين مشروعة فزيارة قبور الانبياء والصالحين أولى اه

وقال في منسك صنفه في أواخر عمره : وزيارة القبور على وجهين : زيارة شرعية، وزيارة بدعية ، فالشرعية المقصود بها السلام على الميت والدعاء كما يقصد بالصلاة على جنازته وزيارته بعد موته من جنس الصلاة عليه، فالسنة فيها أن يسلم على الميت ويدعى له سواء كان نبيا أو غير نبي كما كان النبي (ص) يأمر الصحابة اذا زاروا القبور أن يقول أحدهم « السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وانا ان شاء الله بكم لاحقون، ويرحم الله المستقدمين منكم والمستأخرين، نسأل الله لنا ولكم العافية، اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم واغفر لنا ولهم »وهكذا يقول إذا زار أهل البقيع ومن به من الصحابة وغيرهم أو زار شهداء أحد وغيرهم إلى أن قال

---

١) هذا الفصل قد ذكره المصنف في أول الكتاب وهو كثير التكرار

وأما الزيارة البدعية ، فهو أن يكون مقصود الزائر أن يطلب حوائجه من ذلك الميت ، أو يقصد الدعاء عند قبره ، أو يقصد الدعاء به . فهذا ليس من سنة النبي ﷺ ولا استحبه أحد من سلف الامة بل هو من البدع المنهي عنها باتفاق سلف الامة وأئمتها اه

وقال ابن القيم في زاد المعاد كان إذا زار قبور أصحابه يزورها للدعاء لهم والترحم عليهم والاستغفار لهم ، وهذه هي الزيارة التي سنها لأمته وشرعها لهم ، وأمرهم أن يقولوا إذا زاروها «السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وانا ان شاء الله بكم لاحقون نسأل الله لنا ولكم العافية » اه

وفي (تبعيد الشيطان بتقريب اغاثة اللهفان) فاسمع الآن زيارة أهل الايمان التي شرعها الله ووازن بينها وبين زيارة أهل الشرك التي شرعها لهم الشيطان واختر لنفسك ، قالت عائشة كان رسول الله ﷺ إذا كان ليلتي منه يخرج من آخر الليل الى البقيع فيقول « السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وأتاكم ما توعدون، غدا مؤجلون، وانا ان شاء الله بكم لاحقون ، اللهم اغفر لاهل بقيع الغرقد» رواه مسلم

وعنها أيضا أن جبريل أتاه فقال ان ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم، قالت قلت كيف أقول يا رسول الله ﷺ قال « قولي السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، ويرحم الله المستقدمين منكم والمستأخرين، وانا ان شاء الله بكم للاحقون » وفي حديث بريدة عن أبيه كان رسول الله ﷺ يعلمهم اذا خرجوا الى المقابر أن يقولوا « السلام على أهل الديار » وفي لفظ «السلام عليكم أهل الديار » الحديث اه . قلت حديث بريدة قد تقدم بتمامه وفيه « نسأل الله لنا ولكم العافية »وكيف يمنع أحد من الدعاء لنفسه تبعا للدعاء لاصحاب القبور وهو ثابت في الاحاديث الصحيحة ، وقال في الصارم فان الدعاء عند القبر لا يكره مطلقا بل يؤمر به كما جاءت به السنة فيما تقدم ضمنا وتبعا . وانما المكروه أن يتحرى المجيء الى القبر للدعاء عنده اه

وقد ثبت في الحديث الصحيح أن الداعي اذا قصد الدعاء لغيره بدأ بنفسه . عن أبي بن كعب أن رسول الله ﷺ كان إذا ذكر أحدا فدعا له بدأ بنفسه رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن غريب صحيح ومن ثم ورد في التشهد السلام علينا، قال الحافظ في الفتح استدل به على استحباب البدأة بالنفس في الدعاء اهـ

فالمقصود بالذات الدعاء للميت ، وأما الدعاء لنفسه فانما هو لاجل الداعي إذا قصد الدعاء بدأ بنفسه فهو مقصود بالعرض

قوله ﴿ وأما ما نقل عن الامام أبي حنيفة (رض) ان استقبال القبلة أفضل فهذا النقل غير صحيح فقد روى الامام أبو حنيفة (رض) نفسه في مسنده عن ابن عمر (رض) أنه قال من السنة استقبال القبر المكرم وجعل الظهر للقبلة ﴾

أقول في هذا الباب عن الامام ابي حنيفة (رض) روايتان ـ قال ابن حجر المكي في الجوهر المنظم ما ذكرنا من أن الافضل استدبار القبلة واستقبال الوجه الشريف هو مذهبنا ومذهب جمهور العلماء . وقال آخرون الافضل استقبال الكعبة ونقل عن ابي حنيفة ، لكن نقل عنه أيضا موافقة الاول اهـ

وأما ادعاء عدم صحة الرواية الاولى مستدلا بما روى الامام أبو حنيفة (رض) نفسه في مسنده ، ففيه أن رواية المسند مما لا يعبأ به ولا يعتمد عليه فان في رواتها من هو مجهول ومجروح ومن يتهم بالكذب ، ألا ترى أن من أشهر مسانيد أبي حنيفة مسند أبي محمد عبد الله بن محمد بن يعقوب الحارثي الذي رواه حسن بن زياد اللؤلؤي ، فعبد الله هذا جمعه متهم بوضع الحديث

قال الذهبي في الميزان عبد الله بن محمد بن يعقوب الحارثي البخاري الفقيه عرف بالاستاذ أكثر عنه أبو عبد الله بن منده وله تصانيف ، قال ابن الجوزي قال أبو سعيد الرواسي يتهم بوضع الحديث ، وقال أحمد السليماني كان يضع هذا

الاسناد على هذا المتن وهذا المتن على هذا الاسناد وهذا ضرب من الوضع ، وقال حمزة السهمي سألت أبا زرعة احمد بن الحسن الرازي عنه فقال ضعيف ، وقال الحاكم هو صاحب عجائب عن الثقات ، وقال الخطيب لا يحتج به ، وقال الخليلي يعرف بالاستاذ: له معرفة بهذا الشأن وهو لين ضعفوه ، ثنا عنه الملاحمي واحمد بن محمد البصير بعجائب قلت يروي عن عبيد الله بن واصل بن الصائغ وعبد الصمد بن الفضل البلخي وسماعاته في سنة ثمانين ومائتين قبلها وبعدها مات سنة أربعين وثلاثمائة عن احدى وثمانين سنة وقد جمع مسنداً لابي حنيفة اه

والحسن بن زياد اللؤلؤي راويه كذاب ، قال الذهبي في الميزان الحسن بن زياد اللؤلؤي الكوفي عن ابن جريج وغيره وتفقه على أبي حنيفة ، روى أحمد بن أبي مريم وعباس الدوري عن يحيي بن معين كذاب ، وقال محمد بن عبد الله بن نمير يكذب على ابن جريج ، وكذا كذبه أبو داود فقال كذاب غير ثقة ، وقال ابن المديني لا يكتب حديثه ، وقال ابو حاتم ليس بثقة ولا مأمون ، وقال الدارقطني ضعيف متروك ، وقال محمد بن حميد الرازي ما رأيت أسوأ صلاة منه ، البويطي: سمعت الشافعي يقول قال لي الفضل بن الربيع انا اشتهي مناظرتك واللؤلؤي فقلت ليس هناك فقال أنا أشتهي ذلك ، قال فأحضرنا وأتانا بطعام فأمسكنا ، فقال رجل معي له ما تقول في رجل قذف محصنة في الصلاة ؟ قال بطلت صلاته ، قال وطهارته ؟ قال بحالها فقلت له قذف المحصنات أشد من الضحك في الصلاة[1] قال فأخذ اللؤلؤي نعليه وقام فقلت للفضل قد قلت لك انه ليس هناك . وقال محمد بن رافع النيسابوري كان الحسن بن زياد يرفع رأسه قبل الامام ويسجد قبله مات سنة ٢٠٣ وكان رأسا في الفقه اه

---

(١) يعني الشافعي ان ابا حنيفة يقول بأن الضحك في الصلاة يبطل الوضوء فكيف لا يبطله قذف المحصنات وهو اشد إثما ؟ وقوله للفضل اولا وآخرا انه ليس هناك معناه انه ليس اهلا للمناظرة . وكتبه محمد رشيد رضا

سيما رواية هذا الاثر (١) فقد أخرجه طلحة بن محمد في مسنده عن صالح ابن احمد كذا في وفاء الوفاء وطلحة مخرجه ضعيف ، قال الذهبي في الميزان قال ابن ابي الفوارس كان يدعو إلى الاعتزال وضعفه الازهري اه وصالح بن احمد كذاب دجال ، قال الذهبي صالح بن احمد بن ابي مقاتل عن يعقوب الدورقي ويوسف بن موسى القطان وغيرهما ويعرف بالقيروطي البزار قال الدارقطني متروك كذاب دجال ادركناه ولم نكتب منه ، يحدث بما لم يسمع ، وقال ابن عدي كان يسرق الحديث واسم جده يونس ، وقال البرقاني ذاهب الحديث ، قال عبدالله الاستاذ فيما جمع من مسند أبي حنيفة : كتب إلي صالح ثنا الخضر بن ابان الهاشمي حدثنا مصعب بن المقدام ثنا زفر ثنا ابو حنيفة عن عطاء عن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ « بئس البيت الحمام لا يستر ، وماء لا يطهر » فهذا من اختلاق صالح اه .

على انه لو سلم صحة اسناد هذا الاثر إلى الامام فلا يلزم منه ان يكون ما ثبت منه هو مذهب الامام ، فغير واحد من الائمة يروون الاحاديث ويكون مذهبهم بخلافها لوجوه ذكرت في علم الاصول وهذا بين لا يتأتى جحوده من احد من أهل العلم ، على أن الامام أبا حنيفة لا يحتج بالآثار في غير واحد من المسائل فلتكن هذه المسئلة أيضا منها

وبالجملة فرواية الامام هذا الاثر في مسنده لا يصلح دليلا ، على أن نقل استقبال القبلة عند الزيارة عن الامام (رض) غير صحيح كما زعم صاحب الرسالة .

---

(١) قوله : سيما رواية هذا الاثر الخ الظاهر انه من كلام المصنف وانه تتمة لقوله في عبد الله الحارثي متهم بوضع الحديث ـ وما بينهما اعتراض ـ أي ولا سيما هذا الاثر عن ابن عمر فهو اجدرها بالوضع . وهذا القدر من تقطيع الكلام والاعتراض بين المستثنى والمستثنى منه وما في معناه من ضعف التأليف . وكتبه محمد رشيد رضا

ولننقل هناك بعض عبارات الحنفية ليعلم أن استقبال القبلة عند السلام هو المشهور بينهم ، قال الطحاوي في حاشية الدر المختار : ثم ينهض فيتوجه الى قبره عليه الصلاة والسلام فيقف عند رأسه مستقبل القبلة يدنو منه قدر ثلاثة أذرع أو أربعة ولا يدنو اكثر من ذلك اه ، وفي الهندية نقلا عن (الاختيار شرح المختار) ثم ينهض فيتوجه إلى قبره ﷺ فيقف عند رأسه مستقبل القبلة ثم يدنو منه ثلاثة أذرع أو أربعة ولا يدنو منه اكثر من ذلك اه

وقال السيد محمود آفندي شهاب الدين مفتي الحنفية ببغداد المفسر الشهير بالآلوسي في تفسيره ، واختلف الائمة في استقباله عند السلام ففي مذهب أبي حنيفة (رض) انه لا يستقبل بل يستدبر ويستقبل القبلة ، وقال بعضهم يستقبل وقت السلام ويستقبل القبلة ويستدبر وقت الدعاء ، والصحيح المعول عليه أنه يستقبل وقت السلام وعند الدعاء يستقبل القبلة اه ، وعن ابي الليث (رح) يقف مستقبل القبلة وكذلك نقل عن الكرماني وغيره وما قال السيد محمود من أن الصحيح المعول عليه انه يستقبل وقت السلام وعند الدعاء يستقبل القبلة مردود بما قال ابن جماعة في منسكه من أن الذي صححه الحنفية انه يستقبل القبلة عند السلام عليه والدعاء له اه

قوله ﴿ وسبق ابن الهمام فى النص على ذلك العلامة ابن جماعة فانه نقل

استحباب استقبال القبر عن الامام ابى حنيفة (رض) ورد على الكرماني فى انه

يستقبل القبلة فقال انه ليس بشيء ﴾

اقول راجعت منسك ابن جماعة فلم أجد فيه أثراً من هذا النقل والرد، وانما فيه في ذلك الباب ما نقلته آنفا فلعل هذا من أكاذيب صاحب الرسالة والنسخة التى راجعتها صحيحة قديمة كتب في آخرها ما نصه : وكمل نسخ هذه النسخة في

العاشر من شهر رمضان المعظم قدره سنة ست واربعين وسبعائة أحسن الله تقضيها في خير وعافية وكاتبها محمد بن عيسى البزاوي اه

قوله ﴿ ويستدل لاستقبال القبر ايضا بأنا متفقون على انه ﷺ حي في قبره يعلم بزائره وهو ﷺ لما كان في الدنيا لم يسع زائره إلا استقباله واستدبار القبلة فكذا يكون الامر حين زيارته في قبره الشريف ﷺ ﴾

اقول للامام على الرواية الاولى ان يقول ان حياته في القبر برزخية ومساواة الحياة البرزخية للحياة الدنيوية في جميع الاحكام غير مسلمة ومن يدعي فعليه الاثبات

قوله ﴿ واذا اتفقنا في المدرس من العلماء بالمسجد الحرام المستقبل للقبلة ان الطلبة يستقبلونه ويستدبرون الكعبة فما بالك به ﷺ فهذا اولى بذلك قطعا ﴾

اقول للامام ان يقول هذا قياس مع الفارق فان حياته ﷺ برزخية وحياة ذلك المدرس حياة دنيوية واين هذه من تلك؟

قوله ﴿ وقد تقدم قول الامام مالك للخليفة المنصور ولم تصرف وجهك عنه؟ ﴾

اقول قد تقدم الكلام عليه وتأويله فتذكر

قوله ﴿ قال العلامة الزرقاني في شرح المواهب كتب المالكية طافحة باستحباب الدعاء عند القبر مستقبلا له مستدبرا للقبلة ﴾

أقول قد عرفت فيما تقدم ان الامام مالكا قال في رواية ابن وهب إذا سلم على النبي ﷺ ودعا يقف ووجهه إلى القبر لا إلى القبلة، فقوله في هذه الرواية إذا سلم ودعا قد يريد بالدعاء الدعاء للنبي ﷺ كالدعاء عند زيارة قبور سائر المؤمنين وهو الدعاء لهم قصداً وبالذات ولنفسه تبعاً وبالعرض، وهذا لا ينكره أحد من المسلمين كما تقدم، فان كان مراد المالكية هذا الدعاء فهو حق لا نزاع

لأحد فيه ، وإن كان مرادهم الدعاء الذي يقصد زيارة القبر لاجله ويظن أن الدعاء عند القبر مستجاب ، وانه أفضل من الدعاء في المسجد فيقصد زيارته لطلب حوائجه ، فهذا مخالف لما روي عن إمامهم بسند صحيح انه قال لا أرى أن يقف عند قبر النبي ﷺ يدعو ولكن يسلم ويمضي . ذكره اسماعيل بن اسحاق في المبسوط والقاضي عياض وغيرهم ، وقول مالك للخليفة المنصور عند المناظرة لا يصلح معارضاً لهذا المروي فان سنده واه جداً كما تقدم

قوله ﴿ ثم نقل عن مذهب الامام أبي حنيفة والشافعي والجمهور مثل ذلك ﴾

أقول يعارض هذا النقل مانقله شيخ الاسلام ابن تيمية عن الائمة الاربعة من أنهم اتفقوا على انه إذا دعا لا يستقبل قبره ﷺ كما تقدم ، وقال الشيخ ابن القيم في الاغاثة ولقد جرد السلف الصالح التوحيد وحموا جانبه حتى كان أحدهم إذا سلم على النبي ﷺ ثم أراد الدعاء استقبل القبلة وجعل ظهره الى جدار القبر ثم دعا . قال سلمة بن وردان رأيت أنس بن مالك يسلم على النبي (ص) ثم يسند ظهره الى جدار القبر ثم يدعو ، ونص على ذلك الائمة الاربعة انه يستقبل القبلة وقت الدعاء حتى لا يدعو عند القبر فان الدعاء عبادة اه وهذان الشيخان إمامان في النقل كما صرح به علماء النقل

وقال ابن حجر المكي مستند صاحب الرسالة في الجوهر المنظم ما ذكرناه من الاستقبال هنا في حالة الدعاء هو مذهبنا ومذهب جمهور العلماء ، ومشى عليه بعض المالكية مع كون مالك (رض) خالف في ذلك فرأى أن الاولى أن يكون في حال الدعاء أيضا مستقبلا للوجه الشريف وقد سأله الخليفة المنصور الخ

(قلت) قد عرفت فيما تقدم ان هذه الحكاية عن مالك ضعيفة جداً ، وقد عارضها ماروي عن الامام مالك بسند صحيح انه قال لا أرى أن يقف عند قبر النبي (ص) يدعو ولكن يسلم ويمضي ، فقد ثبت أن الامام مالكا موافق للجمهور في القول باستقبال القبلة في حالة الدعاء

قوله ﴿ وأما ماذكره الالوسي في تفسيره من أن بعضهم نقل عن الامام أبي حنيفة (رض) انه منع التوسل فهو نقل غير صحيح إذ لم ينقله عن الامام أحد من أهل مذهبه ﴾

أقول قال ابو الحسن القدوري في شرح كتاب الكرخي قال بشر بن الوليد سمعت ابا يوسف يقول قال أبو حنيفة لا ينبغي لاحد أن يدعو الله إلا به ، وأكره أن يقول أسألك بمعاقد العز من عرشك وأن يقول بحق فلان ، وبحق انبيائك ورسلك ، وبحق البيت الحرام

قال ابو الحسن أما المسئلة بغير الله فمنكرة لانه لاحق لغير الله عليه وإنما الحق له على خلقه ، وأما قوله بمعقد العز من عرشك فكرهه ابو حنيفه ، ورخص فيه ابو يوسف ، كذا في (تبعيد السيطان) ، وقال ابن بلدجي في شرح المختار ويكره أن يدعو الله إلا به ، ولا يقول أسألك بملائكتك أو بأنبيائك أو نحو ذلك ، لانه لاحق للمخلوق على خالقه كذا في تبعيد الشيطان

وقال نعمان خير الدين الحنفي (في جلاء العينين) ونقل القدوري وغيره من الحنفية عن أبي يوسف انه قال قال ابو حنيفة (رض) لا ينبغي لاحد أن يدعو الله تعالى إلا به ، وذكر العلائي في شرح التنوير عن التتارخانية عن أبي حنيفة (رض) انه قال : لا ينبغي لاحد أن يدعو الله سبحانه وتعالى إلا به ، وفي جميع متونهم ان قول الداعي المتوسل بحق الانبياء والاولياء وبحق البيت والمشعر الحرام مكروه كراهة تحريم وهي كالحرام في العقوبة بالنار عند محمد اه ملخصاً

وأيضاً قال فيه فقد قال الشيخ ابو الحسين القدوري في الكتاب المسمى (بشرح الكرخي) المعروف به والمشهور عنه في (باب الكراهة) انهذا من بلاغات ﴿ وصل ﴾ قال بشر بن الوليد سمعت أبا يوسف يقول قال بحجة فما ظنك بهذا لا ينبغي لاحد أن يدعو الله تعالى الا به وأكره أن يقول بمعاقد او من تابعي أو أو بحق خلقك ، وأبو يوسف لم يكره الاول وقال أكره بحق فلان او بحق انبيائك

ورسلك وبحق البيت والمشعر الحرام ، قال القدوري المسئلة بخلقه لا تجوز ، لانه لاحق للمخلوق على الخالق ، وقال البلدجي في (شرح المختار) ويكره ان يدعو الله تعالى الا به ، فلا يقول أسألك بفلان أو بملائكتك او بأنبيائك ونحو ذلك ، لانه لاحق للمخلوق على الخالق اه

وقال في (الدر المختار) وفي التتارخانية معزيًا للمنتقى عن أبي يوسف عن أبي حنيفة لا ينبغي لاحد أن يدعو الله إلا به ، والدعاء المأذون فيه ، المأمور به ، ما استفيد من قوله تعالى (ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها) قال وكذا لا يصلي أحد على أحد إلا على النبي (ص) وكره قوله بحق رسلك وأنبيائك وأوليائك ، أو بحق البيت ، لأنه لا حق للخلق على الخالق تعالى اه

وقال العلامة ابن عابدين في (رد المحتار على الدر المختار) قوله : وكره قوله بحق رسلك الخ هذا لم يخالف فيه أبو يوسف بخلاف مسألة المتن السابقة كما افاده الاتقاني اه وقال تحت قوله «لانه لاحق للخلق على الخالق» ومجرد إيهام اللفظ ما لا يجوز كاف في المنع كما قدمناه ، فلا يعارض خبر الآحاد ، فلذا والله اعلم أطلق أئمتنا المنع اه

فهؤلاء كبار أهل مذهب أبي حنيفة (رح) ينقلون عن الامام منع التوسل ، والمنكر لذلك اما جاهل بمذهب أبي حنيفة (رح)

قوله : وفي المواهب اللدنية للامام القسطلاني وقف اعرابي على قبره الشريف صلى الله عليه وسلم وقال اللهم انك أمرت بعتق العبيد وهذا حبيبك وأنا عبدك فاعتقني من النار على قبر حبيبك فهتف به هاتف يا هذا تسأل العتق لك وحدك هلا سألت لجميع الخلق ؟ اذهب فقد أعتقتك

قوله : وبعضه مما لا يجحده

قول : فيه كلام من وجوه (الاول) ان هذه الحكاية ذكرها القسطلاني

بغير سند فلا يعتمد عليها (والثاني) ان هتف الهاتف ليس من الحجة الشرعية في شيء ، لاحتمال ان يكون ذلك الصوت من الشيطان (والثالث) ان فعل الاعرابي وقوله ليس دليلا شرعياً حتى يحتج بها على مسألة من مسائل الشرع

قوله ﴿ثم قال في المواهب وعن الحسن البصري قال وقف حاتم الاصم على قبره ﷺ فقال يارب إنا زرنا قبر نبيك فلا تردنا خائبين، فنودي ياهذا ماأذنا لك في زيارة قبر حبيبنا إلا وقد قبلناك فارجع أنت ومن معك من الزوار مغفوراً لكم﴾

أقول فيه أيضاً كلام من وجوه (الاول) ان هذه الحكاية لم يذكر لها سند فلا يعبأ بها (والثاني) ان قول حاتم الاصم ليس بحجة شرعية (والثالث) انه ليس في قول حاتم إلا ذكر الزيارة والدعاء بتوسل الزيارة التي هي من الاعمال الصالحة وهما مما لا يجحده أحد من المسلمين (والرابع) ان النداء المذكور في هذه الحكاية مما لا اعتماد عليه لجواز أن يكون هذا النداء من الشيطان، فلابد من نفي هذا الاحتمال من برهان

قوله ﴿وقال ابن أبي فديك سمعت بعض من أدركت من العلماء والصلحاء يقول بلغنا أن من وقف عند قبر النبي ﷺ فتلا هذه الآية (ان الله وملائكته يصلون على النبي ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) وقال صلى الله عليك يامحمد حتى يقولها سبعين مرة ناداه ملك صلى الله عليك يافلان ولم تسقط له حاجة﴾

اقول فيه خلل من وجوه (الاول) ان هذه الرواية ليس لها سند فلا يعتمد عليها (والثاني) ان من روى عنه ابن أبي فديك مبهم مجهول (والثالث) ان هذا من [illegible] ذلك الرجل المبهم المجهول، وبلاغات الائمة الثقات العدول ليس بحجة فما ظنك بهذا (والرابع) ان قوله «بلغنا» لايدرى انه ممن بلغه أمن تبع تابعي أو من تابعي أو صحابي أو رسول الله ﷺ (والخامس) ان محمد بن اسماعيل بن أبي فديك وإن

كان صدوقاً مشهوراً وهو من المروي عنه في الكتب الستة ، لكن قال ابن سعد وحده ليس بحجة . كذا في الميزان

قوله ﴿ وفي شرح المواهب للزرقاني ان الداعي إذا قال اللهم اني أستشفع اليك بنبيك ، يانبي الرحمة اشفع لي عند ربك — استجيب له ﴾

أقول قال الزرقاني تحت حكاية مناظرة أبي جعفر مالكا عند قول مالك «وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام الى الله يوم القيامة» إشارة الى حديث الشفاعة العظمى وإلى ماورد أن الداعي إذا قال اللهم اني أستشفع اليك بنبيك ، يانبي الرحمة اشفع لي عند ربك استجيب له ، فهذا المذكور لم يذكر الزرقاني له سنداً فعلى من يحتج به ذكر سنده وتوثيق رجاله ، ولعله أراد به حديث عثمان بن حنيف ان رجلا ضريراً أتى النبي ﷺ فقال ادع الله الحديث ، فان كان هذا فالكلام فيه ما تقدم تحت حديث عثمان بن حنيف (رض) فتذكر

قوله (فقد اتضح لك من هذه النصوص المروية عن النبي ﷺ وأصحابه وسلف الامة وخلفها ان التوسل به ﷺ وزيارته وطلب الشفاعة منه ثابتة عنهم قطعاً بلا شك ولا مرية وانها من أعظم القربات ، وان التوسل به واقع قبل خلقه وبعد خلقه ، في حياته وبعد وفاته ، وسيكون التوسل به أيضاً بعد البعث في عرصات القيامة)

أقول ما ذكر صاحب الرسالة بعضه غير ثابت وبعضه غير دال على المطلوب وبعضه مما لا يجحد مدلوله ومقتضاه خصمه وهذا كله ظاهر مما تقدم فتذكر

قوله ﴿ قال في المواهب ورحم الله ابن جابر حيث قال

به قد أجاب الله آدم اذ دعا ونجى من بطن السفينة نوح

وماضرت النار الخليل لنوره ومن أجله نال الفداء ذبيح

(أقول) لا يدرى ابن جابر من هو فعلى من يستدل به تعيينه وبيان سند هذين البيتين اليه حتى ينظر فيه

قوله (وروى البيهقي عن انس (رض) ان اعرابيا جاء الى النبي ﷺ يستسقي به وأنشد أبياتا أولها

أتيناك والعذراء يدمي لبانها وقد شغلت أم الصبي عن الطفل

الى أن قال

وليس لنا الا اليك فرارنا وأنى فرار الخلق إلا الى الرسل؟

فلم ينكر عليه ﷺ هذا البيت بل قال أنس لما أنشد الاعرابي الابيات قام ﷺ يجر رداءه حتى رقى المنبر فخطب ودعا لهم فلم يزل يدعو حتى أمطرت السماء)

أقول : فيه كلام من وجهين (الاول) ان في سنده مسلم الملائي وهو واه جداً . قال الذهبي في الميزان : مسلم بن كيسان أبوعبدالله الضبي الكوفي الملائي الاعور عن أنس وعن ابراهيم النخعي وعنه الثوري وأبو وكيع الجراح بن[1] بابح قال الفلاس متروك الحديث ، وقال أحمد لا يكتب حديثه . وقال يحيى ليس بثقة وقال البخاري يتكلمون فيه ، وقال يحيى أيضاً زعموا انه اختلط ، وقال النسائي وغيره متروك

أبو هشام الرفاعي . ثنا ابن فضيل ثنا مسلم الملائي عن أنس أهدت أم أيمن الى النبي ﷺ طيراً مشويا فقال «اللهم ائتني بأحب خلقك اليك» فذكره اه ملخصاً

وقال الحافظ في التقريب مسلم بن كيسان الضبي الملائي البراد الاعور

(١) في الميزان مليح

أبو عبدالله الكوفي ضعيف من الخامسة اه وفي الخلاصة قال عمرو بن علي منكر الحديث . وفي التهذيب ضعفه البخاري وأبوداود والنسائي وابن معين وأبو حاتم اه

(قلت) قد ثبت من عبارة الذهبي ان مسلما الملائي هذا يروي حديث الطير وهو موضوع عند غير واحد من المحدثين . قال العلامة عبد العزيز الدهلوي في التحفة ما معربه ان هذا الحديث قال غير واحد من المحدثين انه موضوع ، وممن صرح بوضعه الحافظ شمس الدين الجزري

وقال إمام أهل الحديث شمس الدين أبو عبدالله محمد بن احمد الدمشقي الذهبي في تلخيصه لقد كنت زمنا طويلا أظن ان حديث الطير لم يحسن بالحاكم أن يودعه في مستدركه ، فلما علقت هذا الكتاب رأيت القول به من الموضوعات التي فيه . وهكذا في الصواعق الموبقة للعلامة نصر الله الكابلي

وقال ابن الجوزي في العلل المتناهية قال ابن طاهر حديث الطير موضوع انما يجيء عن سقاط اهل الكوفة عن المشاهير والمجاهيل عن أنس وغيره ، قال ولا يخلو أمر الحاكم من أمرين إما الجهل بالصحيح فلا يعتمد على قوله ، وإما العلم به ويقول بخلافه ، فيكون معاندا كذابا وله وساوس . وقال الشيخ عبد الوهاب الشعراني في (اليواقيت والجواهر) وهذا الحديث ذكره ابن الجوزي في الموضوعات وأفرد له الحافظ الذهبي جزءا وقال ان طرقه كلها باطلة اه

قال العلامة الشوكاني في (الفوائد المجموعة) قال في المختصر له طرق كلها ضعيفة . وقد ذكره ابن الجوزي في الموضوعات وأما الحاكم فأخرجه في المستدرك وصححه ، واعترض عليه كثير من اهل العلم ، ومن أراد استيفاء البحث فلينظر ترجمة الحاكم في النبلاء اه

(والثاني) ان ما ثبت منهم هو التوسل بدعاء الاحياء وهذا مما لا ينكره أحد

قوله ﴿ وفي صحيح البخاري انه لما جاء الاعرابي وشكا للنبي ﷺ القحط فدعا الله فانجابت السماء بالمطر قال ﷺ « لو كان أبو طالب حياً لقرت عيناه ، من ينشدنا قوله ؟» فقال علي (رض) يارسول الله كأنك أردت قوله

وأبيض يستسقي الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للارامل

فتهلل وجه النبي ﷺ ولم ينكر إنشاد البيت ولا قوله * يستسقى الغمام بوجهه * ولو كان ذلك حراما أوشركا لأنكره ولم يطلب إنشاده ﴾

أقول ليس في صحيح البخاري هذه الرواية ، انما ورد فيه من حديث أنس انه قال جاء رجل الى النبي ﷺ فقال هلكت المواشي وتقطعت السبل ، فدعا فمطرنا من الجمعة إلى الجمعة ، ثم جاء فقال تهدمت البيوت وتقطعت السبل وهلكت المواشي فادع الله يمسكها فقال « اللهم على الآكام والظراب والاودية ومنابت الشجر » فانجابت عن المدينة انجياب الثوب ، وقد روى البخاري حديث انس هذا من طرق وليس في واحدة منها قال ﷺ «لو كان أبو طالب حيا لقرت عيناه، من ينشدنا قوله؟ » فقال علي (رض) يارسول الله كأنك أردت قوله

وأبيض يستسقي الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للارامل

فتهلل وجه النبي ﷺ اه

وكذلك قد روي أيضا فيه من حديث عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن أبيه قال سمعت ابن عمر يتمثل بشعر أبي طالب

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للارامل

ومن حديث سالم عن أبيه ربما ذكرت قول الشاعر وأنا أنظر إلى وجه النبي ﷺ يستسقي فما ينزل حتى يجيش كل ميزاب

وأبيض يستسقي الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للارامل

وهو قول أبي طالب ، نعم قد ورد ما عزاه الى البخاري فيما أخرجه البيهقي في الدلائل من رواية مسلم الملائي عن أنس قال : جاء رجل أعرابي الى النبي ﷺ فقال يا رسول الله أتيناك وما لنا بعير يئط ولا صبي يغط ثم أنشده شعرا يقول فيه

وليس لنا إلا اليك فرارنا وأين فرار الناس إلا الى الرسل؟

فقام يجر رداءه حتى صعد المنبر فقال « اللهم اسقنا » الحديث وفيه ثم قال ﷺ « لو كان أبو طالب حياً لقرت عيناه من ينشدنا قوله » فقام علي فقال يا رسول الله كأنك أردت قوله

* وأبيض يستسقي الغمام بوجهه * الابيات

قاله الحافظ في الفتح وكذا قال القسطلاني في المواهب وقد عرفت فيما تقدم أن في سنده مسلماً الملائي وهو متروك يروي الموضوع . فالصواب حينئذ ذكر قوله قال ﷺ « لو كان أبو طالب » الخ في رواية البيهقي لا في رواية البخاري

فانظر الى تحريف صاحب الرسالة ما أشنعه وما أقبحه أعاذنا الله من امثال هذا الصنيع

على أن في عبارة ما عزاه الى البخاري من الركاكة ما يدل دلالة واضحة على أنه ليس من كلام أفصح العرب

(الاول) ان كلمة «لم» لا يدخل في جوابها في أمثال هذه الموضع لفظة الماء

(والثاني) ان لفظ شكا متعد بالى لا باللام ، قال الله (إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وحُزني إلى الله) وفي رواية اسحق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك عند البخاري أن رجلا شكا إلى النبي ﷺ هلاك المال وجهد العيال ، وعن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « اشكت النار الى ربها » متفق به ؛ وعن

خباب قال أتينا رسول الله ﷺ فشكونا اليه حر الرمضاء فلم يشكنا رواه مسلم، وعن عائشة (رض) عند البخاري في كتاب التيمم فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ فأنزل الله آية التيمم ، وقد جاء تعدية شكا بالى في غير واحد من الاحاديث الصحيحة ، وقال في القاموس شكا أمره إلى الله

(والثالث) ان قوله فانجابت السماء بالمطر لا معنى له ، فان انجابت بمعنى انكشفت في الصحاح انجابت السحابة انكشفت ، وفي المصباح انجاب السحاب انكشف وانكشاف السماء بالمطر لا محصل له

(والرابع) أن الانجياب يدل على انقطاع المطر كما في حديث فانجابت عن المدينة انجياب الثوب وانقطاع السحاب بعد دعاء السقي يدل على عدم اجابة دعاء النبي ﷺ وهذا باطل بالبداهة بدليل أن الروايات كلها دالة على أن دعاء الرسول ﷺ في هذه الواقعة قد أجيب بلا مرية

(والخامس) أن انقطاع السحاب قبل ظهوره محال

(والسادس) أن صلة الانجياب بعن كما في حديث أنس لا بالباء

وبالجملة فصدر ما عزاه الى البخاري أعني قوله لما جاء الاعرابي وشكا النبي ﷺ الى قوله بالمطر ليس في البخاري ولا في البيهقي ولا في غيره من الكتب الحديثية فيما أعلم فاذاً انما هو من اختلاق مؤلف الرسالة

قوله «ولم ينكر انشاد البيت ولا قوله يستسقى الغمام بوجهه»

أقول فيه كلام من وجهين

(الاول) ان اللفظ الذي يستدل به على جواز التوسل ليس في صحيح البخاري انما هو في رواية البيهقي وهي ضعيفة جداً كما تقدم

(والثاني) ان الثابت به انما هو التوسل بالاحياء ولا ينكره أحد وانما يمنع

من يمنع التوسل بالاموات، فان قلت ـ لفظ يستسقى الغمام بوجهه ـ يدل على أن التوسل بالذوات الفاضلة جائز قلت المكروه من التوسل هو أن يقال أسألك بحق فلان او بحرمة فلان ، واما احضار الصالحين في مقام الاستسقاء او طلب الدعاء منهم فهو ليس من المكروه في شيء بل هو ثابت بالسنة الصحيحة ، وليس في حديث البيهقي إلا التوسل بدعائه ﷺ ، وكذا التوسل الذي يشير اليه ابو طالب انما كان باحضار النبي ﷺ في مقام الاستسقاء أو بدعائه ففيه احتمالان

(الاول) انه اشار إلى ما وقع في زمن عبد المطلب روى الخطابي حديثا فيه ان قريشا تتابعت عليهم سنو جدب في حياة عبد المطلب فارتقى هو ومن حضره من قريش ابا قبيس فقام عبد المطلب واعتضد النبي ﷺ فرفعه على عاتقه وهو يومئذ غلام قد ايفع او قرب فدعا فسقوا في الحال، فقد شاهد ابو طالب ما دله على ما قال

(والثاني) انه اشار إلى ما وقع في زمنه فقد اخرج ابن عساكر عن حليمة(١) قدمت مكة وقريش في قحط فقائل منهم يقول اعمدوا اللات والعزى وقائل منهم اعمدوا مناة الثالثة الاخرى فقال شيخ وسيم حسن الوجه جيد الرأي أنى تؤفكون وفيكم باقية ابراهيم وسلالة اسماعيل ، قالوا كأنك عنيت ابا طالب قال ايها فقاموا بأجمعهم فقمت فدققنا عليه الباب فخرج الينا فثاروا اليه فقالوا يا أباطالب أقحط الوادي وأجدب العيال وأنت فيهم أم تستسقي ؟ فخرج ابو طالب ومعه غلام كأنه شمس دجن تجلت عنه سحابة قتماء وحوله أغيلمة فأخذه ابو طالب فألصق ظهره بالكعبة ولاذ الغلام بأصبعه وما في السماء قزعة فأقبل السحاب من ههنا ومن ههنا وأغدق السحاب واغدودق وانفجر له الوادي واخصب النادي والبادي وفي ذلك يقول ابو طالب

---

١) كذا في الاصل وفي الخصائص الكبرى : عن جلهمة بن عرفطة. وفي الرواية اغلاط أخرى صححناها . وكتبه محمد رشيد رضا

* وأبيض يستسقى الغمام بوجهه *

وإذا كان حضور الصحابة والتابعين وتبع التابعين والضعفاء سببا للنصر والفتح فما ظنك بحضور سيد ولد آدم (ع . م)

روي عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ « يأتي علي الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقولون هل فيكم من صاحب رسول الله ﷺ فيقولون نعم فيفتح لهم، ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقال هل فيكم من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ فيقولون نعم فيفتح لهم ،ثم يأتي لى الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقال هل فيكم من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ فيقولون نعم فيفتح لهم » متفق عليه

وعن مصعب بن سعد قال : رأى سعد أن له فضلا على من دونه فقال رسول الله ﷺ « هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم » رواه البخاري ، وعن ابي الدرداء عن النبي ﷺ قال « ابغوني في ضعفائكم فانما ترزقون أو تنصرون بضعفائكم » رواه أبو داود ، وعن أمية بن خالدبن عبدالله بن أسيدعن النبي ﷺ أنه كان يستفتح بصعاليك المهاجرين رواه في شرح السنة ، وعن أبي هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « خرج نبي من الانبياء بالناس فاذا هو بنملة رافعة بعض قوائمها إلى السماء،فقال ارجعوا فقد استجيب لكم من اجل هذه النملة » رواه الدار قطني

فالمراد بوجهه في قول أبي طالب — يستسقى الغمام بوجهه — ببركة حضور ذاته او بدعائه لا ان يقال أسألك بحق النبي ﷺ او بحرمته.وما أشبه هذا القول بقول اسقف النصارى المذكور في البيضاوي وغيره من التفاسير تحت آية المباهلة حيث ذكروا فقال اسقفهم يا معشر النصارى اني لارى وجوها لو تسأل الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله فلا تباهلوا

قوله ﴿ وكان سبب انشاد ابي طالب هذا البيت من جملة قصيدة مدح بها النبي ﷺ ان قريشاً في الجاهلية أصابهم قحط فاستسقى لهم ابو طالب وتوسل بالنبي ﷺ ﴾

اقول هذا غلط واضح وخطأ فاضح ، فان سبب انشاده ان قريشا تمالأت على النبي ﷺ ونفروا عنه من يريد الاسلام

قال الحافظ في الفتح وهذا البيت من أبيات في قصيدة لابي طالب ذكرها ابن اسحاق في السيرة بطولها وهي اكثر من ثمانين بيتا قالها لما تمالأت قريش على النبي ﷺ ونفروا عنه من يريد الاسلام أولها

ولما رأيت القوم لا ود فيهم ... وقد قطعوا كل العرى والوسائل
وقد جاهرونا بالعداوة والاذى ... وقد طاوعوا امر العدو المزايل
أعبد مناف انتم خير قومكم ... فلا تشركوا في أمركم كل واغل
فقد خفت ان لم يصلح الله امركم ... تكونوا كما كانت احاديث وائل

وأيضا قال في الفتح وذكر ابن التين أن في شعر ابي طالب هذا دلالة على انه كان يعرف نبوة النبي ﷺ قبل ان ببعث لما أخبره به بحيرا او غيره من شأنه ، وفيه نظر لما تقدم عن ابن اسحاق ان انشاد ابى طالب لهذا الشعر كان بعد المبعث اه

وقال الزرقاني في شرح المواهب تحت قوله وفي ذلك يقول ابو طالب يذكر قريشاً حين تمالؤا عليه ﷺ بركته عليهم من صغره لا في هذا الوقت فلا يخالف قول ابن اسحاق انه قال القصيدة لما تمالأت قريش على النبي ﷺ ونفروا عنه من يريد الاسلام ، وتجويز انه قال البيت عقيب الاستسقاء والقصيدة كلها حين تمالؤا فيه نظر اذ مجرد قوله وفي ذلك يقول لا يستلزم انه قاله عقيب الاستسقاء اه



قوله ﴿ وصح عن ابن عباس (رض) أنه قال أوحى الله تعالى إلى عيسى (ع . م) يا عيسى آمن بمحمد ومر من أدركه من أمتك أن يؤمنوا به ولولا محمد ما خلقت الجنة والنار، ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتب عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله فسكن ﴾

أقول فيه كلام من وجهين

(الاول) ان هذا الاثر هكذا مذكور في الجوهر المنظم بلا سند، فعلى من يحتج به ذكر سنده وتوثيق رجاله، وقال الزرقاني في شرح المواهب رواه البيهقي وغيره كشيخه الحاكم وصححه [١] عن ابن عباس: أوحى الله تعالى إلى عيسى ان آمن بمحمد وامر أمتك ـ الحديث (قلت) وقد عرفت فيما تقدم ما في تصحيح الحاكم من التساهل فلا اعتداد به، قال الذهبي ما حاصله انه لا يحل لاحد أن يغتر بتصحيح الحاكم حتى يرى تعقباتي، ومن ثم تقرر عند العلماء أنه لا يعتمد على مستدرك الحاكم إلا بعد رؤية التلخيص للذهبي(٢)

(والثاني) أنه ليس فيه دليل على التوسل الذي يمنعه المانعون

قوله ﴿ وذكر القسطلاني في شرحه على البخاري عن كعب الاحبار أن بني اسرائيل كانوا إذا قحطوا استسقوا بأهل بيت نبيهم ﴾

١) تعقبه الذهبي في تلخيص المستدرك فقال اظنه موضوعا على سعيد عن قتادة كذا في حاشية الاصل

٢) اورده السيوطي في الخصائص الكبرى وتعقبه بقوله: قال الذهبي في سنده عمرو بن اوس لايدرى من هو ـ اه وقال الحافظ في لسان الميزان: عمرو بن اوس يجهل حاله واتى بخبر منكر أخرجه الحاكم في مستدركه واظنه موضوعا من طريق جندل بن واثق اه وذكر هذا الخبر. وكتبه محمد رشيد رضا

أقول هذه الحكاية ذكرها القسطلاني في شرحه بلا سند فلا يحتج بها . على أن المراد بالاستسقاء بأهل البيت هو الاستسقاء بدعائهم أو ببركة حضورهم في موضع الاستسقاء وهذا لا يمنعه أحد ، انما المكروه ان يقال: اللهم انا نسألك بحق أهل البيت وهذا غير ثابت منها

قوله ﴿ وإذا جاز التوسل بالاعمال الصالحة كما في صحيح البخاري في حديث الثلاثة الذين أووا إلى غار فأطبق عليهم ذلك الغار فتوسل كل واحد منهم إلى الله تعالى بأرجى عمل له فانفجرت الصخرة التي سدت الغار عنهم ، فالتوسل به ﷺ أحق وأولى لما فيه من النبوة والفضائل سواء كان ذلك في حياته أو بعد وفاته ؛ فالمؤمن إذا توسل به انما يريد بنبوته التي جمعت الكمالات ﴾

أقول الثابت بحديث صحيح البخاري انما هو توسل المرء بعمل نفسه لا التوسل بعمل الغير او بكماله الآخر ، واما ادعاء ان هذا ثابت بفحوى الخطاب ودلالة النص ، فهذا محتاج إلى تقريره واثباته حتى ينظر فيه ويتكلم عليه ودونه لا يسمع

قوله ﴿ وهؤلاء المانعون للتوسل يقولون بجوز التوسل بالاعمال الصالحة مع كونها اعراضا فالذوات الفاضلة أولى ﴾

أقول لا ملازمة بين جواز التوسل بالاعراض وبين جواز التوسل بالذوات الفاضلة ومن يدعي فعليه البيان(١)

قوله ﴿ فان عمر (رض) توسل بالعباس (رض) ﴾

١) انما ينبغي ان يقال هنا ان التوسل بالاعمال هو التقرب الى الله تعالى بما شرعه لعباده بالاجماع والنصوص القطعية وهو المعقول اذ هي التي تزكي نفس العامل وتجعله اهلا لرضوان الله واستجابته لدعائه . واما ذات غيرك فلا تأثير لها في تزكية نفسك وما تكن تلك الذات فاضلة بعملها المزكي لها (قد افلح من زكاها) وكتبه محمد رشيد رضا

أقول التوسل بالعباس (رض) كان توسلا بدعائه أو ببركة حضوره وهذا جائز لا شك فيه(١) انما المكروه أن يقال اللهم اسألك بحق العباس (رض) وهذا ليس بثابت

قوله ﴿ وأيضا لو سلمنا ذلك نقول لهم اذا جاز التوسل بالاعمال الصالحة فما المانع من جوازها بالنبي ﷺ باعتبار ما قام به من النبوة والرسالة والكمالات التي فاقت كل كمال وعظمت على كل عمل صالح في الحال والمآل ﴾

أقول المانع من جواز التوسل بالنبي ﷺ هو كونه بدعة وقد قال ﷺ «واياكم ومحدثات الامور» وقال ﷺ «من أحدث في أمرنا هذا ماليس منه فهو ردٌّ» ولا يخفى ما في ضمير جوازها والصواب جوازه بالتذكير، فان المرجع هو التوسل وهو مذكر لا وجه لتأنيثه

قوله ﴿ ومن أدلة جواز التوسل قصة سواد بن قارب (رض) التي رواها الطبراني في الكبير وفيها ان سواد بن قارب أنشد رسول الله ﷺ قصيدته التي فيها التوسل ولم ينكر عليه، ومنها قوله:

وأشهد أن الله لا رب غيره ... وأنك مأمون على كل غائب

وأنك أدنى المرسلين وسيلة ... الى الله يا ابن الاكرمين الاطايب

فمرنا بما يأتيك يا خير مرسل ... وإن كان فيما فيه شيب الذوائب

وكن لي شفيعا يوم لا ذو شفاعة ... بمغن فتيلا عن سواد بن قارب

فلم ينكر عليه رسول الله ﷺ قوله أدنى المرسلين وسيلة ولا قوله وكن لي شفيعا ﴾

أقول فيه كلام من وجوه

(١) المؤلف يكرر هذا المعنى بركة الحضور وفى كونه لا شك فيه نظر

(الاول) ان هذه القصة لابد من بيان سندها حتى ينظر فيه ودونه لايعول عليها ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد وعن محمد بن كعب القرظي قال : بينما عمر ابن الخطاب (رض) قاعدا في المسجد إذ مر به رجل في مؤخر المسجد ، فقال رجل يا أمير المؤمنين أتعرف هذا الجائي ؟ قال لا فمن هو ؟ قال هذا سواد بن قارب ، وهو من اهل اليمن ، له فيهم شرف وموضع ، وقد أتاه رِئيُّه بظهور رسول الله ﷺ ـ فقال عمر علي به ، فدعي به ، فقال أنت سواد بن قارب ؟ قال نعم ، قال أنت الذي أتاك رِئيُّك (١) بظهور رسول الله ﷺ ؟ قال نعم ، قال فأنت على ما كنت عليه من كهانتك ، فغضب غضبا شديدا وقال يا أمير المؤمنين ما استقبلني بهذا أحد منذ أسلمت ! فقال عمر يا سبحان الله ما كنا عليه من الشرك أعظم مما كنت عليه من كهانتك ، أخبرني باتيان رئيك بظهور رسول الله ﷺ قال نعم ، يا أمير المؤمنين بينا أنا ذات ليلة بين النائم واليقظان إذ أتاني رائيي فضربني برجله وقال قم يا سواد بن قارب فافهم واعقل ان كنت تعقل ، إنه قد بعث رسول الله من لؤي بن غالب يدعو إلى الله عز وجل وإلى عبادته فذكر القصة بطولها ، وفيها انشاد سواد بن قارب قصيدته تجاه النبي ﷺ التي فيها الابيات المذكورة وفيها قال ففرح رسول الله (ص) وأصحابه باسلامي فرحا شديدا حتى رؤي ذلك في وجوههم ، قال فوثب عمر بن الخطاب (رض) اليه والتزمه وقال قد كنت أحب أن أسمع هذا منك ، رواه الطبراني ، وفي رواية عنده عن سواد ابن قارب الازدي : قال كنت نائما على جبل من جبال السراة فأتاني آت فضربني برجله وذكر فيه أتيت مكة فاذا رسول الله (ص) قد ظهر فأخبرته الخبر وكلا الاسنادين ضعيف اه ما في المجمع

---

١) رئيك اي شيطانك الذى تراه كما افاده في النهاية

(قلت) قد ثبت منه ان كلا الاسنادين ضعيف.وفي المتن اضطراب. فتنبه
(والثاني) ان قوله ـ وانك أدنى المرسلين وسيلة الى الله ـ ليس نصاً على
أن الرسول (ص) نفسه وسيلة بل يحتمل أن يكون المراد أن قربته (ص) إلى
الله تعالى اكثر من قربة سائر المرسلين اليه ، كما أن المراد في قوله تعالى (ياأيها
الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة) هي القربة بلا خلاف ،
وكذلك المراد بها في قوله تعالى (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم
الوسيلة أيهم أقرب) أو يكون المراد بها الدرجة والمنزلة ، فاذاً حاصله أن
درجته (ص) ومنزلته أقرب إلى الله تعالى من درجة سائر المرسلين ، ولو سلم أن
المراد أن نفسه ﷺ وسيلة لنا فلا دليل فيه للتوسل المنهي عنه فان كونه (ص)
وسيلة بمعنى انه (ص) واسطة تبلغنا أمر الله حق لا ينكره احد ، فان الخلق لا يعلمون
ما يحبه الله ويرضاه ، وما أمر به ونهى عنه ، ولا يعرفون ما يستحقه من اسمائه
الحسنى وصفاته العلى إلا بالرسل الذين أرسلهم الله إلى عباده ، وكذلك كونه
(ص) وسيلة في حياته بأن الصحابة (رض) متى صدر من أحدهم معصية وذنب
جاء اليه (ص) فقال يارسول الله فعلت كذا وكذا فاستغفرلي واليه الاشارة في قوله
تعالى (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر
لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيما) وكذلك إذا وقع القحط في زمانه
(ص) يأتي احدهم فيقول يارسول الله هلكت المواشي وتقطعت السبل فادع...
وهكذا يطلبون الدعاء منه (ص) في سائر حاجاتهم كشفاء المريض ورد البصر،
وكذلك كونه ﷺ وسيلة يوم القيامة حيث يحبس المؤمنون يوم القيامة حتى
يهموا بذلك فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا فيريحنا من مكاننا. فيأتون آدم فنوحا
فابراهيم فموسى فعيسى فيقول ائتوا محمدا عبدا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما
تأخر. فيأتون محمدا ﷺ كما في حديث الشفاعة الطويل « فأستأذن على ربي في

داره[1] فيؤذن لي عليه» الحديث ، ولكن الكلام في التوسل بأن يقال اللهم اني أسألك بحق محمد ﷺ وهو لا يثبت من قوله * وإنك أدنى المرسلين وسيلة

(والثالث) ان طلب الشفاعة منه يوم القيامة لا يجحده مسلم نعم لا يكون إلا باذن الله تعالى كما جاء مصرحا في الكتاب العزيز والسنة المطهرة فليس في قول وكن لي شفيعا يوم لا ذو شفاعة * دليل على مطلوب الخصم

قوله ﴿ وكذا من أدلة التوسل مرثية صفية (رض) عمة رسول الله ﷺ ،

فانها رثته بعد وفاته ﷺ بأبيات فيها قولها

ألا يا رسول الله أنت رجاؤنا ... وكنت بنا برا ولم تك جافيا

ففيها النداء بعد وفاته معقولها * وأنت رجاؤنا * وسمع تلك المرثية الصحابة

«رض» فلم ينكر عليها احد قولها * يارسول الله انت رجاؤنا *

أقول قال في مجمع الزوائد وعن عروة قال قالت صفيه بنت عبد المطلب ترثي رسول الله ﷺ

لهف نفسي وبت كالمسلوب ... أرقب الليل لعلة المحروب

وذكر المرثية بطولها ثم قال وفيه ... ايضا

ألا يارسول الله كنت رجاءنا ... وكنت بنا برا ولم تك جافيا

---

١) قوله « في داره فيؤذن لي عليه » ذكر الحافظ في شرح حديث انس من كتاب الرقاق في البخارى ان هذه العبارة من زيادة همام في روايته للحديث . اقول وفسروا داره هنا بحضرة قدسه وبعضهم بالجنة من قوله تعالى ﴿ والله يدعو الى دار السلام ﴾ بناء على القول بأن السلام هنا اسم الله عز وجل وذكر الحافظ ما قيل في الحكمة في انتقال النبي ﴿ ص ﴾ من مكانه الى دار السلام وهى ان ارض الموقف مكان مخافة واشفاق ومقام الشافع يناسب ان يكون في مكان اكرام .
وكتبه محمد رشيد رضا

وذكر هذه المرثية أيضا بطولها ثم قال رواه الطبراني وإسناده حسن[1] هذا لفظ مجمع الزوائد (قلت) هذه المرثية وإن كان إسنادها حسنا ولكن ليس فيها دليل على التوسل المنهي عنه، فان لفظ الرجاء بمعنى التوقع والامل. قال في مجمع البحار وتكرر فيه الرجاء بمعنى التوقع والامل. وقال في النهاية وقد تكرر فيه ذكر الرجاء بمعنى التوقع والامل يقال رجوته أرجوه رجواً ورجاء ورجاوة. وقال في القاموس الرجاء ضد اليأس كالرجو والرجاءة والرجاوة والترجي والارتجاء والترجية، وقال في الصحاح والرجاء من الامل ممدود يقال رجوت فلانا رجواً ورجاء ورجاوة اه وقال في المصباح المنير رجوته أرجوه رجواً على فعول أملته أو أردته، قال تعالى (لا يرجون نكاحا) أي لا يريدونه، والاسم الرجاء بالمد اه

ولا يخفاك[2] ان الرجاء بمعنى التوقع والامل مصدر او اسم مصدر لا يصح حمله على رسول الله ﷺ بالمواطأة فاذاً هو إما مبني للفاعل أو للمفعول — لا سبيل الى الاحتمال الاول وهذا ظاهر فتعين الثاني، فكان كما في قوله تعالى في سورة هود (قالوا ياصالح قد كنت فينا مرجواً قبل هذا) قال البيضاوي تحت هذه الآية: لما نرى فيك من مخايل الرشد والسداد أن تكون لنا سيدا ومستشارا في الامور، وفي فتح البيان: أي كنا نرجو أن تكون فينا سيدا مطاعاً ننتفع برأيك، ونسعد بسعادتك، لما نرى فيك من مخايل الرشد والسداد، لانه كان من قبيلتهم، وكان يعين ضعيفهم، ويغني فقيرهم اه

ولكن لا بد من أن يعلم هناك أن من الرجاء ماهو مختص بالله تعالى بمعنى أن

---

(١) أنى له الحسن وعروة ولد بعد وفاة الرسول (ص) بتسع عشرة سنة فانه ولد سنة ٢٩ هكذا فى التهذيب ونحوه، فاذا كانت روايته عن ابيه مرسلة فكيف روايته عن ام ابيه في قصة وفاة رسول الله التي ولد بعدها بتسع عشرة سنة؟ فهي رواية منقطعة مرسلة اه وكتبه مصححه

٢) الصواب: لا يخفى عليك

المرجو فيه لا يصلح الا الله تعالى كرجاء كشف الضر والسوء وتحويله وإجابة المضطر إذا دعاه ، وإنزال الماء من السماء وشفاء المريض وبسط الرزق وإعطاء الاولاد ومغفرة الذنوب وغيرها مما لا يقدر عليه الا الله تعالى ، وهذا الرجاء هو الذي أثنى الله تعالى على فاعليه في قوله تعالى (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه) وهو الذي أمرنا الله أن ندعوه متلابساً[1] به حيث قال (وادعوه خوفاً وطمعاً) فعبر عن الرجاء بالطمع

وهو الذي نهى يعقوب عليه السلام بنيه عن ارتكاب ضده وقد حكاه الله تعالى في كتابه العزيز في قوله (ولا تيأسوا من روح الله انه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون) وهو الذي أثنى الله تعالى على زكريا عليه السلام وزوجه فقال (انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين) وهو الذي ذكر ابراهيم عليه السلام في ثناء الله تعالى (والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين)وهو الذي ذكره الله تعالى في وصف المؤمنين فقال (تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون) وهو الذي نهى الله تعالى عن ضده فقال تعالى (قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً انه هو الغفور الرحيم) والنهي عن ضد الشيء يقتضي الامر بذلك الشيء كما تقرر في محله . وهو الذي أمر الله تعالى نبيه ﷺ به فقال (وإلى ربك فارغب)وهو الذي أمر رسول الله أمته بتعظيمه في الدعاء فقال «اذا دعا أحدكم فلا يقل اللهم اغفر لي إن شئت ولكن ليعزم وليعظم الرغبة فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه» رواه مسلم من حديث أبي هريرة

وعنه أيضاً قال قال رسول الله ﷺ «ادعوا الله وأنتم موقنون بالاجابة » رواه الترمذي . قال العلماء أي كونوا موقنين . ومعنى يحب الدعاء . لأن فيه

---

١) الصواب متلبسين به

صدق الرجاء ، والكريم لا يخيب راجيه ، وهو المراد في الحديث القدسي « أنا عند ظن عبدي بي » متفق عليه من حديث أبي هريرة ، قال العلماء الاصح انه أراد الرجاء وتأميل العفو ، فان ظن العفو فله ذلك ، وان ظن العقوبة فكذلك ، وفي حديث قدسي آخر « يا ابن آدم انك مادعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالي » رواه الترمذي من حديث أنس : وهو المراد في الدعاء المأثور « اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني الى نفسي طرفة عين » رواه أبو داود من حديث أبي بكرة ، وفي الدعاء الذي يقرأ اذا أوى الى فراشه « اللهم أسلمت نفسي اليك ووجهت وجهي اليك ، وفوضت أمري اليك ، وألجأت ظهري اليك ، رغبة ورهبة اليك » الحديث متفق عليه من حديث البراء بن عازب

وأخرج ابن أبي شيبة من طريق المسور بن مخرمة قال كانت تلبية عمر فذكر مثل المرفوع وزاد : لبيك مرغوبا ومرهوبا اليك ذا النعماء والفضل الحسن ، كذا في الفتح

وهو الذي ينبغي للمكلف أن يكون بينه وبين الخوف حتى لا يكون مفرطا في الرجاء بحيث يصير من المرجئة القائلين لا يضر مع الايمان شيء ، ولا في الخوف بحيث لا يكون من الخوارج والمعتزلة القائلين بتخليد صاحب الكبيرة إذا مات من غير توبة — في النار بل يكون وسطا بينهما

أخرج الترمذي عن أنس أن النبي ﷺ دخل على شاب وهو في الموت فقال له « كيف تجدك ؟ » فقال أرجو الله وأخاف ذنوبي ، فقال رسول الله ﷺ « لا يجتمعان في قلب عبد في هذا الموطن الا أعطاه ما يرجو وأمنه مما يخاف » ورجاله كلهم ثقات غير جعفر بن سليمان الضبعي وسيار بن حاتم والاول قال فيه ابن معين ثقة وقال احمد لا بأس به وقال ابن سعد ثقة فيه ضعف وقال الذهبي في الميزان وهو صدوق في نفسه وقال في الكاشف ثقة وقال الحافظ في التقريب صدوق زاهد وأما الثاني فقال الذهبي في الميزان صالح الحديث وثقه ابن حبان

قيل للقواريري أتتهمه؟ قال لا ، وقال الحاكم كان سيار عابد عصره وقد أكثر عنه احمد بن حنبل ، وقال في الكاشف صدوق، وقال الحافظ في التقريب صدوق له أوهام اه فالحديث صالح لان يحتج به

واحتج البخاري على الرجاء مع الخوف بحديث أبي هريرة (رض) قال رسول الله ﷺ يقول « ان الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة فأمسك عنده تسعا وتسعين رحمة ، وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار » وهو المراد في قوله ﷺ الذي قاله قبل موته بثلاثة أيام « لا يموتن أحدكم الا وهو يحسن الظن بالله » رواه مسلم من حديث جابر وهو المراد في حديث أنس المروي بسند ضعيف قال لم يرد النبي ﷺ سفرا قط الا قال حين ينهض من جلوسه « اللهم بك انتشرت[1] ، واليك توجهت ، وبك اعتصمت ، اللهم انت ثقتي وأنت رجائي اللهم اكفني ما أهمني وما لا اهتم به وما أنت اعلم به مني، وزودني التقوى، واغفر لي ذنبي، ووجهني للخير حيث ما توجهت » رواه أبو يعلى وفيه عمرو بن مساور وهو ضعيف ، كذا في مجمع الزوائد. قال البخاري منكر الحديث، وقال أبو حاتم ضعيف. كذا في الميزان

هذا كله هو الرجاء المختص بالله تعالى - ومنه ما هو جائز في حق رسولنا ﷺ في حياته بمعنى أن المرجو منه فيه يصلح النبي ﷺ ، وهو ما يقدر عليه الانبياء عليهم السلام سيما نبينا ﷺ من صلة الرحم وحمل الكل وكسب المعدوم وقرى الضيف، والاعانة على نوائب الحق. والرحمة بالمؤمنين ، والجود والشجاعة

---

١) في الاصل المطبوع في الهند أنشر وهو غلط والانتشار الانبساط والتمدد والتفرق وهو معنى قوله تعالى (فانتشروا) في سورتي الاحزاب والجمعة. وفسر ابن الاثير - انتشرت - هنا بابتدأت سفري الخ وكتبه محمد رشيد رضا

والبركة ، وقضاء حوائج الارملة والمساكين واليتامى ، وعدم انتقامه لنفسه في شيء قط ، وعدم اللوم على شيء قط أتي فيه على يدي احد ، وعيادة المريض واتباع الجنازة ، وإجابة دعوة المملوك ، والخلق العظيم ، وتعليم الامة الكتاب والحكمة وتزكيتهم ، ودعوتهم إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ، وتبليغ رسالات الرب تعالى ، ونصح الامة، والاستغفار لهم عند صدور الذنوب عنهم ، والدعاء لهم في حاجاتهم ، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ، وإعلاء كلمة الله ، والجهاد مع أعداء الله ، وتعظيم شعائر الله ، وإعزاز المؤمنين ، وإذلال الكافرين ـ وغير ذلك

وأما كونه ﷺ رجاء بمعنى المرجو بعد الموت فما ثبت منه بالكتاب والسنة المطهرة فهو على الرأس والعين كالشفاعة يوم القيامة وأما مالم يثبت بواحد منهما فهو مردود

إذا تقرر هذا فاعلم أن معنى ما في المرثية إنا كنا نرجو برك ورحمتك وشفقتك يدل عليه قولها * وكنت بنا برا ولم تك جافيا * وقولها *وكان بنا برا رحيما نبينا*

والبر والرحمة والشفقة مما يقدر عليه النبي ﷺ في حياته فيجوز رجاء البر والرحمة والشفقة منه ﷺ ، فيكون ﷺ على هذا مرجوا منه ، والبر والرحمة والشفقة مرجوا ،فيكون الرجاء في الشعر بمعنى المرجو الذي اريد منه المرجو منه وارادة المرجو منه من المرجو ثابتة كما في قوله تعالى (قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا) ويمكن أن يقال إن المراد بالرجاء في البيت المرجو ويقدر التميز أي كنت مرجونا برا ورحمة وأمنا من الهرج الآتي بعدك وبقاء فينا كما في طاب زيد علما ودارا وغلاما وفرسا ، فالمرجو منه في الاولين هو النبي ﷺ وفي الاخيرين هو الله تعالى ويدل على الاخيرين قولها

لعمرك ما أبكي النبي لموته ولكن لهرج كان بعدك آتيا

وقولها فلو أن رب العرش أبقاك بيننا سعدنا ولكن أمره كان ماضيا

ويؤيد الاخير قول عمر (رض) حين توفي رسول الله ﷺ والله ما مات رسول الله ﷺ قالت وقال عمر والله ما كان يقع في نفسي الا ذاك وليبعثنه الله فليقطعن ايدي رجال وأرجلهم. رواه البخاري من حديث عائشة (رض) وفي رواية أن رسول الله ﷺ لا يموت حتى يفني الله المنافقين رواه احمد من طريق يزيد بن بابنوس عن عائشة (رض)

وفي حديث ابن عمر عند ابن أبي شيبة ان أبا بكر مر بعمر وهو يقول ما مات رسول الله ﷺ ولا يموت حتى يقتل الله المنافقين وكانوا أظهروا الاستبشار ورفعوا رءوسهم كذا في فتح الباري. وفي روايه والله اني لارجو أن تقطع أيدي رجال وأرجلهم ذكره الطبري في الرياض وفي رواية ولكنني كنت أرجو أن يعيش رسول الله (ص) حتى يدبرنا ذكره الوائلي أبو نصر عبد الله في كتاب (الابانة) كذا في المواهب

(قلت) والرواية الاخيرة موجودة في صحيح البخاري من حديث أنس (رض) نصه في كتاب الاحكام (باب الاستخلاف) هكذا قال كنت أرجو أن يعيش رسول الله (ص) حتى يدبرنا. يريد بذلك أن يكون آخرهم

فقد علم مما ذكرنا ان عمر أيضا كان يرجو بقاء النبي (ص) في أمته مثل صفية بنت عبد المطلب (رض) بل وأكثر الصحابة كأنهم كانوا يرجون ما يرجو عمر رضي الله عنه

قال الحافظ في الفتح وفي الحديث قوة جأش أبي بكر وكثرة علمه وقد وافقه على ذلك العباس كما ذكرنا والمغيرة كما رواه ابن سعد ـ وابن أم مكتوم كما في المغازي لابي الاسود عن عروة قال انه كان يتلو قوله تعالى (انك ميت وانهم ميتون) والناس لا يلتفتون اليه وكان أكثر الصحابة على خلاف ذلك اه وفي حديث

ابن عباس عند البخاري: والله لكأن الناس لم يعلموا ان الله انزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر فتلقاه الناس منه كلهم فما أسمع بشرا من الناس الا يتلوها ا ه

وجملة القول ان المراد في مرثية صفية (رض) ليس ان رسول الله (ص) رجاء في كل أمر في الحياة بل في الامر الذي يقدر عليه وبعد الوفاة في الامر الذي ثبت بالكتاب العزيز والسنة المطهرة كونه رجاء فيه ففي هذه المرثية ليس دلالة على التوسل الذي يمنعه المانعون أصلا ومن ادعى اثبات التوسل المذكور منها فعليه البيان

*
* *

وليعلم أن الوارد في المرثية « كنت رجاءنا » كذا في مجمع الزوائد

ولقد حرفه صاحب الرسالة حيث كتب «أنت» بدل «كنت» ليدل هذا اللفظ على أن كونه ﷺ رجاء غير مقيد بالحياة

بل هو رجاء مطلقا في الحياة وبعد الممات فصار مصداقا لقول الله تعالى (فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم * وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون)

وأما استدلال صاحب الرسالة بتلك المرثية على جواز النداء بعد وفاته فجوابه من وجوه (الاول) ان « يا » هنا للندبة لا للنداء كما في قول فاطمة رضي الله عنها: يا أبتاه، أجاب ربا دعاه، يا أبتاه، من جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه الى جبرئيل ننعاه، رواه البخاري من حديث ثابت بن أنس وكما في قول الصديق (رض) بأبي أنت وأمي يا نبي الله لا يجمع الله عليك موتتين رواه البخاري من حديث عائشة (رض)

وفي رواية يزيد بن بابنوس عن عائشة عند احمد انه أتاه من قبل رأسه فحدر فاه فقبل جبهته ثم قال وانبياه، ثم رفع رأسه فحدر فاه وقبل جبهته ثم قال واصفياه، ثم رفع رأسه فحدر فاه وقبل جبهته وقال واخليلاه . كذا في المواهب .

ومنه قول علي (رض) حين توفي عمر (رض) وقد وضع على سريره يرحمك

الله : إن كنت لأرجو أن يجعلك الله مع صاحبيك ، لأني كثيراً ما كنت أسمع رسول الله ﷺ يقول كنت وأبو بكر وعمر ، وفعلت وأبو بكر وعمر ، وانطلقت وأبو بكر وعمر فان كنت لارجو أن يجعلك الله معهما رواه البخاري من حديث ابن عباس - وبعض ما ذكرنا كونها واقعة في الرثاء

(والثاني) انه لو سلم انه نداء ، فالنداء قد يراد به غير المنادى . قال الحافظ في الفتح تحت حديث « ان العين تدمع ، والقلب يحزن ، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا ، وإنا بفراقك يا ابراهيم لمحزونون » وفيه وقوع الخطاب للغير وإرادة غيره بذلك ، وكل منهما مأخوذ من مخاطبة النبي ﷺ ولده مع انه في تلك الحال لم يكن ممن يفهم الخطاب بوجهين احدهما صغره والثاني نزعه ، وإنما أراد بالخطاب غيره من الحاضرين اشارة الى ان ذلك لم يدخل في نهيه السابق اه

ومن هذا القبيل ما روي عن ابن عمر قال كان رسول الله ﷺ اذا سافر فاقبل الليل قال « يا أرض ربي وربك الله ، أعوذ بالله من شرك وشر ما فيك وشر ما خلق فيك وشر ما يدب عليك » رواه ابو داود ، ومنه ما روي عن قتادة بلغه ان رسول الله ﷺ كان اذا رأى الهلال قال « هلال خير ورشد ، هلال خير ورشد ، هلال خير ورشد ، آمنت بالذي خلقك » ثلاث مرات - رواه أبو داود

ومنه ما روي عن عمر بن الخطاب وأبي هريرة قالا قال رسول الله (ص) « ما من رجل رأى مبتلى فقال الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به » رواه الترمذي والبزار والطبراني في الصغير والاوسط بنحوه واسناده حسن كذا في مجمع الزوائد

ومنه ما روي عن طلحة بن عبيد ان النبي (ص) كان اذا رأى الهلال قال « اللهم أهله علينا بالأمن والايمان ، والسلامة والاسلام ، ربي وربك الله » رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن غريب

وعن ابن عمر قال كان رسول الله (ص) اذا رأى الهلال قال اللهم أهله

علينا بالأمن والايمان، والسلامة والاسلام ، والتوفيق لما تحب وترضى ، ربنا وربك الله» رواه الطبراني وفيه عثمان بن ابراهيم الحاطبي وفيه ضعف وبقية رجاله ثقات

وعن أنس بن مالك عن النبي (ص) انه كان اذا رأى الهلال قال« هلال خير ورشد ،آمنت بالذي خلقك فعدلك» رواه الطبراني في الاوسط وفيه احمد بن عيسى اللخمي ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات ، كذا في مجمع الزوائد

ومنه ماروي عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص) لمكة « ما أطيبك من بلد وأحبك الي،ولولا ان قومي أخرجوني منك ماسكنت غيرك» رواه الترمذي

ومنه قول عمر (رض) اني لأعلم انك حجر ما تنفع ولا تضر ولولا اني رأيت رسول الله (ص) يقبلك ما قبلتك متفق عليه من حديث عابس بن ربيعة

﴿والثالث﴾ انه لو سلم أن المراد به المنادى ، فالنداء مجازي كنداء السماء والجبال والارض والاطلال والمنازل والمطايا والقبور ، والمانعون انما يمنعون النداء الحقيقي

(والرابع) انه لو سلم ثبوت النداء منها فلا يثبت منه مطلوب الخصم ، فان النزاع انما هو في نداء يتضمن الدعاء والطلب بأن يقول يارسول الله اكشف عني السوء واشف مريضي ،أو يقول يارسول الله ادع الله أن يشفي مريضي ويكشف عني السوء ، فالمانعون يقولون الاول شرك والثاني بدعة ،والمجوزون يجوزونهم وليس في المرثية دعاء شيء ولا طلبه

قوله ﴿ قال العلامة ابن حجر في كتابه المسمى (بالخيرات الحسان في مناقب الامام أبي حنيفة النعمان) في الفصل الخامس والعشرين ان الامام الشافعي ايام هو ببغداد كان يتوسل بالامام أبي حنيفة (رض) ـ الى قوله ـ فلينوسل الى الله تعالى بالامام الغزالي ﴾

أقول: فيه كلام من وجهين (الاول) انه لا بد من رفع هذه الامور الى أصحابها بسند يعتمد عليه ودونه لا يسمع، قال في (تبعيد الشيطان) والحكاية المنقولة عن الشافعي انه كان يقصد الدعاء عند قبر أبي حنيفة من الكذب الظاهر اهـ (والثاني) ان أقوال هؤلاء المذكورين وأفعالهم وتقريراتهم ليست من الحجة في شيء

قوله ﴿ وذكر العلامة ابن حجر في كتابه المسمى (بالصواعق المحرقة لاخوان الضلال والزندقة) ان الامام الشافعي (رض) توسل بأهل البيت النبوي حيث قال

آل النبي ذريعتي* وهم اليه وسيلتي* ارجو بهم أُعطى غداً * بيدي اليمين صحيفتي

أقول فيه كلام من وجوه (الاولان منها) هما اللذان ذكرا في القول الذي قبله «والثالث» ان المضاف هنا مقدر، تقدير الكلام ان حب آل النبي وتعظيمهم واتباعهم وشفاعتهم والصلاة عليهم ذريعتي ووسيلتي، وكذلك في قوله أرجو بهم أي أرجو بحبهم وتعظيمهم واتباعهم وشفاعتهم، كما في قول عمر (رض). اللهم انا كنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون، فان المراد انا كنا نتوسل اليك بدعاء نبينا

قوله ﴿ وذكر العلامة السيد طاهر بن محمد بن هاشم باعلوي في كتابه المسمى (مجمع الاحباب في ترجمة الامام أبي عيسى الترمذي صاحب السنن) انه رأى في المنام - الى قوله - فكان الامام الترمذي يقول ذلك دائماً بعد صلاة سنة الصبح، ويأمر أصحابه به ويحثهم على فعله وعلى المواظبة عليه ﴾

أقول فيه كلام من وجوه (أولاها) هما اللذان ذكرا فيما تقدم (والثالث) ان الرؤيا ليست من الادلة الشرعية في شيء

قوله «بل هذا الامر – أعني التوسل – لم ينكره أحد من السلف والخلف، حتى جاء هؤلاء المنكرون»

أقول: هذا كذب جلي، فهذا الامام الاعظم يقول: لا ينبغي لأحد أن يدعو الله الا به، وقال أكره أن يقول بحق فلان وبحق أنبيائك ورسلك، وبحق البيت الحرام، وهو قول صاحبيه، وعن الحنابلة في أصح القولين انه مكروه

قوله (وفي الاذكار للامام النووي ان النبي ﷺ أمر أن يقول العبد بعد ركعتي الفجر ثلاثا «اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل ومحمد ﷺ أجرني من النار)

أقول فيه خلل من وجوه الاول ان هذا القسم من التوسل لا ننكره، فانه داخل في القسم الخامس من التوسل المشروع كما تقدم ذكره. وهذا ثابت من حديث عائشة قالت كان إذا قام من الليل افتتح صلاته «اللهم رب جبرئيل وميكائيل وإسرافيل» الحديث رواه مسلم في صلاة الليل والنسائي في كتاب قيام الليل والترمذي في أبواب الدعوات وأبو داود في باب ما يستفتح به الصلاة من الدعاء وابن ماجه في باب ماجاء في الدعاء إذا قام الرجل من الليل وهذا حديث صحيح فلا وجه للعدول عنه إلى الذي ذكر فان فيه كلاما سيذكر

(والثاني) ان في ذكر هذه الرواية تحريفا بينا يظهر بنقل لفظ الاذكار فأقول نص الاذكار هكذا: روينا في كتاب ابن السني عن أبي المليح واسمه عامر بن أسامة عن أبيه (رض) انه صلى ركعتي الفجر وان رسول الله ﷺ صلى قريبا منه ركعتين خفيفتين ثم سمعته يقول وهو جالس «اللهم رب جبرئيل واسرافيل وميكائيل ومحمد النبي ﷺ أعوذ بك من النار» ثلاث مرات اه بلفظه – فليس فيه ان النبي ﷺ أمر أن يقول العبد بعد ركعتي الفجر ثلاثا، انما فيه رواية فعله ﷺ وليس

فيه : أجرني من النار ، انما هو أعوذ بك من النار - وفيه تقديم اسرافيل على ميكائيل

(والثالث) ان صاحب الحصن الحصين وصاحب مجمع الزوائد وغيرهم ذكروا هذا الحديث ولم يذكر واحد منهم أمر النبي ﷺ ولا لفظ : أجرني من النار ، فها أنا أنقل عباراتهم ليظهر ان هذا من اختلاق مؤلف الرسالة .

قال محمد بن محمد الجزري الشافعي في الحصن الحصين ويقول وهو جالس « اللهم رب جبرئيل وميكائيل وإسرافيل ومحمد النبي ﷺ أعوذ بك من النار » ثلاث مرات مس ي

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد وعن أسامة بن عمير انه صلى مع رسول الله ﷺ ركعتي الفجر فصلى قريبا منه ، فصلى ركعتين خفيفتين فسمعته يقول « رب جبرئيل وميكائيل وإسرافيل ومحمد أعوذ بك من النار - ثلاث مرات رواه الطبراني في الكبير ، وفيه عباد بن سعيد قال الذهبي عباد بن سعيد عن مبشر لا شيء قلت قد ذكره ابن حبان في الثقات اهـ

وقال في (نزل الابرار) عن أسامة بن عمير انه صلى مع النبي ﷺ ركعتي الفجر وان رسول الله صلى قريبا منه ركعتين خفيفتين ثم سمعته يقول وهو جالس « اللهم رب جبرئيل وميكائيل واسرافيل ومحمد أعوذ بك من النار » أخرجه ابن السني والحاكم في المستدرك بدون قوله : وهو جالس . وصححه وأخرجه الطبراني في الكبير أيضا اهـ

(والرابع) ان هذا الحديث وان صححه الحاكم ويعلم من كلام الحافظ ابن حجر انه حسن . قال الحافظ بعد تخريجه : حديث حسن أخرجه الدارقطني في الافراد وقال تفرد مبشر وهو بضم الميم وفتح الموحدة وكسر المعجمة ذكره ابن حبان في الثقات . واسم أبي المليح عامر وهو من رجال الصحيح ، وعباد بن سعيد أي الراوي عن مبشر فلم أر فيه جرحا ولا تعديلا ، إلا أن ابن حبان ذكره

في الثقات عباد بن سعيد ولم يذكر ما يتميز به ، أخرج هذا الحديث الحاكم في المستدرك من طريق آخر

قال الحافظ : ووجدت للحديث شاهداً من حديث عائشة بسند ضعيف في سنده من هو متروك ومن فيه مقال، قال وأبو المليح إن كان هو ابن أسامة المذكور أولا فقد اختلف عليه في اسناده ، وإن كان غيره فهو مجهول اه كذا نقله ابن علان في شرح الاذكار لكنه لا يخلو عن كلام وله وجوه (الاول) ان أبا المليح إن كان هو ابن أسامة فقد اختلف عليه في إسناده كما قال الحافظ فيكون الحديث مضطربا وإن كان غيره فهو مجهول ، وعلى كلا التقديرين يكون الحديث ضعيفا

(والثاني)ان في سنده مبشراً فان كان هو ابن عبيد الحمصي فهو واه جداً ، قال الذهبي في الميزان قال احمد كان يضع الحديث ، وقال البخاري روى عنه بقية منكر الحديث اه وقال الحافظ في التقريب مبشر بن عبيد الحمصي أبو حفص كوفي الاصل متروك رماه أحمد بالوضع اه وفي التهذيب قال احمد يضع الحديث وقال الدارقطني متروك اه كذا نقله بعض الثقات ، وقال في الكاشف مبشر بن عبيد الحمصي عن قتادة وزيد بن أسلم والزهري وعنه أبو المغيرة وأبو اليمان تركوه اه وإن كان غيره فلابد من تعيينه وتوثيقه

(والثالث) ان فيه عباد بن سعيد قال الذهبي في الميزان عباد بن سعيد بصري مقل روى عن مبشر لا شيء اه قلت ذكره ابن حبان في الثقات قاله الحافظ ابن حجر والهيثمي، ولكن هذا التوثيق لا يعارض قول الذهبي لا شيء فان ابن حبان معروف بالاحتجاج بمن لا يعرف كما تقدم

قال ابن عبد الهادي في الصارم المنكي وقد علم أن ابن حبان ذكر في هذا الكتاب الذي جمعه في الثقات عددا وخلقاً عظيما من المجهولين الذين لا يعرف هو ولا غيره أحوالهم، وقد صرح ابن حبان بذلك في غير موضع من هذا الكتاب فقال

في الطبقة الثالثة سهل يروي عن شداد بن الهادي روى عنه أبو يعقوب ولست أعرفه ولا أدري من أبوه ، هكذا ذكر هذا الرجل في كتاب الثقات ، ونص على انه لا يعرفه ، وقال أيضا حنظلة شيخ يروي المراسيل لا أدري من هو ؟ روى ابن المبارك عن ابراهيم بن حنظلة عن أبيه ، هكذا ذكره لم نرو(١) وقال أيضا الحسن أبو عبدالله شيخ يروي المراسيل روى عنه أيوب النجار لا أدري من هو ولا ابن من هو ؟ وقال أيضا جميل شيخ يروي عن أبي المليح بن أسامة روى عنه عبدالله ابن عون لا أدري من هو ولا ابن من هو؟

وقد ذكر ابن حبان في هذا الكتاب خلقا كثيرا من هذا النمط وطريقه فيه أن يذكر من لم يعرفه بجرح وإن كان مجهولا لم يعرف حاله ، وينبغي أن يتنبه لهذا ويعرف أن توثيق ابن حبان للرجل بمجرد ذكره في هذا الكتاب من أدنى درجات التوثيق اهـ

***

وليعلم أن الحديث روي من طريق أخرى عن عائشة أشار اليها الحافظ قالت كان رسول الله ﷺ يصلي الركعتين قبل الفجر ثم يقول « اللهم رب جبرئيل وميكائيل ورب اسرافيل ورب محمد أعوذ بك من النار » ثم يخرج الى الصلاة ، رواه أبو يعلى وفيه عبيد الله بن ابي حميد وهو متروك كذا في مجمع الزوائد ، قال الذهبي في الميزان عبيدالله بن أبي حميد أبو الخطاب عن أبي المليح الهذلي ضعفه محمد بن المثنى ، وقال البخاري منكر الحديث ، وقال النسائي متروك وقال احمد ترك الناس حديثه ، وقال وحيم ضعيف ، وقال البخاري يروي عن أبي المليح عجائب انتهى

وأيضا عن عائشة (رض) قالت كان رسول الله ﷺ يصلي الركعتين قبل صلاة

---

(١) كذا في الاصل

الفجر ثم يقول «اللهم رب جبرئيل وميكائيل ورب اسرافيل ورب محمد اعوذ بك من النار» ثم يخرج الى الصلاة (قلت) رواه النسائي نحوه من غير تقيد بركعتي الفجر، رواه أبو يعلى عن شيخه سفيان بن وكيع وهو ضعيف كذا في مجمع الزوائد

قال الذهبي في الميزان: سفيان بن وكيع بن الجراح أبو محمد الرؤاسي قال البخاري يتكلمون فيه لاشياء لقنوه إياها، وقال أبو زرعة يتهم بالكذب وقال ابن أبي حاتم: أشار أبي عليه أن يغير وراقه فانه أفسد حديثه وقال له لا تحدث الا من أصولك فقال سأفعل، ثم تمادى وحدث بأحاديث أدخلت عليه، وقد ساق له ابو احمد خمسة أحاديث منكرة السند لا المتن ثم قال وله حديث كثير، وانما بلاؤه انه كان يتلقن، يقال كان له وراق يلقنه من حديث موقوف فيرفعه، أو مرسل يوصله أو يبدل رجلا برجل

وقال ابن حبان كان شيخا فاضلا صدوقا الا انه ابتلي بوراق سوء كان يدخل عليه فكلم في ذلك فلم يرجع، وكان ابن خزيمة يروي عنه سمعته يقول ثنا بعض من أمسكنا عن ذكره؛ وهو من الضرب الذي ذكرته مرارا أن لو خر من السماء فتخطفه الطير أحب اليه من أن يكذب على رسول الله ﷺ ولكن أفسدوه وما كان ابن خزيمة يحدث عنه الا بالحرف بعد الحرف (قلت) روى عن أبيه وجرير وعبد السلام ابن حرب، وعنه أبو عروبة وابن صاعد وخلق، وقد حسن له الترمذي اه ملخصا

(قلت) رواه النسائي نحوه من غير تقيد بركعتي الفجر كما قال الهيثمي ولفظ النسائي في كتاب الاستعاذة هكذا أخبرنا احمد بن حفص قال حدثني أبي قال حدثني ابراهيم عن سفيان بن سعيد عن أبي حسان عن جسرة عن عائشة (رض) انها قالت قال رسول الله ﷺ «اللهم رب جبرئيل وميكائيل ورب اسرافيل أعوذ بك من حر النار وعذاب القبر» اه فليس فيه التقييد بركعتي الفجر ولا لفظ محمد، وفيه زيادة لفظ حر وعذاب القبر، وهذه الرواية رجال سندها كلهم ثقات

غير جسرة بنت دجاجة ، قال البيهقي فيها نظر ، وقال ابن حبان فيما نقله أبو العباس البناني عندها عجائب ، وقال البخاري في تاريخه عندها عجائب ، وأما احمد فقال صاحبها فليت العامري لا أرى به بأسا ، وقال احمد العجلي جسرة تابعية ثقة . فقوله عندها عجائب ، ليس بصريح في الجرح ، كذا في الميزان ، وقال الحافظ في التقريب مقبولة من الثالثة ، وقال في الخلاصة وثقها العجلي ، وقال الذهبي في الكاشف ثقة ، فالراجح انها ثقة ، لكن فيها سفيان الثوري وهو مدلس وقد عنعن هذا الحديث فلا يقبل

*
* *

وجملة الكلام ان هذا الحديث لا يخلو طريق من طرقه من مقال ، فالاولى الاستدلال في ذلك الباب بحديث عائشة (رض) قالت كان النبي ﷺ اذا قام من الليل افتتح صلاته فقال « اللهم رب جبرئيل » الحديث فانه في صحيح مسلم وصحيح ابن حبان وسنن النسائي الصغرى التي يقال لها (المجتبى) وهي التي قال النسائي في حقها صحيح كلها ، وأطلق اسم الصحة عليها أبو علي النيسابوري وأبو احمد بن عدي وأبو الحسن الدارقطني وأبو عبدالله الحاكم وابن مندة وعبدالغني ابن سعيد وأبو يعلى الخليلي وأبو علي بن السكن وأبو بكر الخطيب وغيرهم

وقال سعد بن علي الريحاني ان لابي عبد الرحمن شرطا في الرجال أشد من شرط البخاري ومسلم

وقال الترمذي هذا حديث حسن غريب وسكت عليه أبو داود ورجال سنده كلهم ثقات من رجال الصحيحين غير عكرمة بن عمار فانه من رجال مسلم فقط وهو ممن اختلف فيه ، قال الحافظ في التقريب عكرمة بن عمار العجلي اليمامي أصله من البصرة صدوق يغلط ، وفي روايته عن يحيى بن أبي كثير اضطراب ، ولم يكن له كتاب انتهى

قال الذهبي في الميزان : عكرمة بن عمار الحنفي اليمامى عن هرماس وطاوس وطائفة ،وعنه شعبة ويحيى القطان وعبدالرزاق وخلق وهو ثقة إلا في يحيى بن أبي كثير فمضطرب وكان مجاب الدعوة اه

وقال في الخلاصة : عكرمة بن عمار الحنفي العجلي أبوعمار اليمامى أحد الائمة عن الهرماس بن زياد ثم عن عطاء وطاوس وعن شعبة والسفيانين ويحيى القطان وابن المبارك وابن مهدي وخلق ، وثقه ابن معين والعجلي وتكلم البخاري وأحمد والنسائي في روايته عن يحيى بن أبي كثير وأحمد في اياس بن سلمة اه

وقال الذهبي في الميزان عكرمة بن عمار أبوعمار العجلي اليمامي عن الهرماس بن زياد وله رواية عن طاوس وسالم وعطاء ويحيى بن أبي كثير وعنه يحيى القطان وابن مهدي وأبو الوليد وخلق، روى أبوحاتم عن ابن معين كان أميا حافظا ، وقال أبوحاتم صدوق ربما يهم ، وقال يعقوب بن أبي شيبة ثنا غير واحد سمعوا يحيى بن معين يقول ثقة ، وقال عاصم بن علي كان مستجاب الدعوة ، وقال يحيى القطان أحاديثه عن يحيى بن أبي كثير ضعيفة، وقال أحمد بن حنبل ضعيف الحديث وكان حديثه عن اياس بن سلمة صالحا ،قال الحاكم اكثر مسلم الاستشهاد به ، قال البخاري لم يكن له كتاب فاضطرب حديثه عن يحيى ، وقال أحمد أحاديثه عن يحيى ضعاف ليست بصحاح ، وقال محمد بن عثمان سمعت عليا يقول عكرمة بن عمار كان عند أصحابنا ثقة ثبتا اه ، وقال الترمذي في جامعه وعكرمة ربما يهم في حديث يحيى اه

فقد علم من العبارات المذكورة أن الناس في عكرمة بن عمار مفترقون على فرقتين ، منهم من يوثقه على الاطلاق كمسلم وابن حبان والترمذي وأبي داود وابن معين والعجلي وأبي حاتم وعلي بن عبد الله بن المديني ، ومنهم من يوثقه في غير روايته عن يحيى بن أبي كثير كالحافظ ابن حجر والذهبي والبخاري ويحيى

القطان وأحمد، وإيراد النسائي في المجتبى حديثه يدل على أنه عنده ثقة على الاطلاق وعبارة الخلاصة تدل على خلافه فليفهم

وفي الباب عن أم سلمة (رض) قالت قلت يا رسول الله ألا تعلمني دعوة أدعو بها لنفسي ؟ قال « بلى ، قولي اللهم رب النبي محمد اغفر لي ذنبي، واذهب غيظ قلبي، وأجرني من مضلات الفتن ما أحييتنا » قلت عند الترمذي بعضه ، رواه أحمد واسناده حسن كذا في مجمع الزوائد

قوله ﴿ قال العلامة ابن علان في شرح الاذكار خُصَّ هؤلاء بالذكر لتوسل بهم في قبول الدعاء وإلا فهو سبحانه وتعالى رب جميع المخلوقات ﴾

أقول هذه العبارة ليس لها أثر في شرح الاذكار فهي من اختلاق صاحب الرسالة ، فانقل هنا لفظ ابن علان في شرح الاذكار بعينه

قال ابن علان في شرح الاذكار : إنما خصهم بالذكر وإن كان تعالى رب كل شيء بما تكرر في القرآن والسنة من نظائره من الاضافة إلى كل عظيم المرتبة وكبير الشأن دون ما يستحقر ويستصغر ، فيقال له سبحانه رب السموات ورب الارض ورب العرش الكريم ورب الملائكة ورب المشرقين ورب المغربين ونحوه مما هو وصف له بدلائل العظمة ، وعظمة القدرة والملك ولم يستعمل فيما يستحقر ويستصغر ، فلا يقال رب الحشرات وخالق القردة والخنزير وشبهها على سبيل الافراد ، وانما يقال خالق المخلوقات وحينئذ تدخل هذه في العموم

« وقال القرطبي خص هؤلاء الملائكة بالذكر تشريفاً لهم اذ بهم ينتظم هذا الوجود إذ أقامهم الله تعالى في ذلك ، قال في الحرز والظاهر أن مراتب فضلهم على ترتيب ذكرهم اهـ ، وقال ابن الجزري في مفتاح الحصن خصهم بالذكر وكذا رب العرش العظيم ونحوه من دلائل العظمة لعظمة شأنه فانه رب كل شيء . اهـ

«وقد يقال ان حياة القلب بالهداية وهؤلاء الثلاثة موكلون بالحياة فجبريل بالوحي وهو سبب حياة القلب، وميكائيل بالقطر الذي هو سبب حياة الابدان، واسرافيل بالنفخ في الصور الذي هو سبب حياة العالم وعود الروح إلى الاجساد فالتوسل إلى الله سبحانه بربوبية هذه الارواح العظيمة الموكلة بالحياة له تأثير عظيم في حصول الحاجات ووصول المهمات»

هذا آخر ما في شرح الاذكار فليس فيها ذكر التوسل بهم، انما في الجملة الاخيرة ذكر التوسل بربوبية هذه الارواح العظيمة، والربوبية صفة من صفات الله تعالى والتوسل بصفة الله تعالى جائز بلا خلاف

على أن التخصيص بالذكر لا يدل على التوسل؛ ألا ترى إلى الآيات الكريمة التي فيها التخصيص بالذكر وأين هي من التوسل، منها ما قال الله تعالى في سورة التوبة (عليه تَوَكَّلْتُ وَهو رَبُّ العَرْشِ العَظِيم) ومنها ما قال الله تعالى في سورة المؤمنون (لاَ إِلٰهَ إِلاَّ هو رَبُّ العَرْشِ الكَرِيم) ومنها ما قال تعالى في سورة النمل (لاَ إله إلا هو رَبُّ العَرْشِ العَظِيم) ومنها ما قال تعالى في سورة الزخرف (سُبْحانَ رَبِّ السموات والارْضِ رَبِّ العَرْشِ عمَّا يَصِفونَ) ومنها ما قال تعالى في سورة بنى اسرائيل (قال لَقَدْ علمْتَ ما أَنْزَلَ هؤلاَءِ إلاَّ رَبُّ السموات وَالارض بَصائِرَ) ومنها ما قال تعالى في سورة الكهف (وَرَبَطْنَا على قلوبِهم إِذْ قاموا فقَالوا رَبُّنَا رَبُّ السمواتِ وَالارضِ) ومنها ما قال في سورة مريم (رَبُّ السمواتِ وَالارضِ وَما بَيْنَهما فاعبدهُ وَاصْطَبِرْ لعبادَتهِ) ومنها ما قال تعالى في سورة طه (قالوا آمنَّا بِرَبِّ هٰرونَ وَموسٰى) ومنها ما قال تعالى في سورة ص (ربُّ السمواتِ

والارض وما بينهما العزيز الغفار) ومنها ما قال تعالى في سورة الزمر (قل اللهم فاطر السموات والارض) ومنها ما قال تعالى في سورة النجم (وأنه هو رب الشعرى) ومنها ما قال تعالى في سورة الرحمن (رب المشرقين ورب المغربين) ومنها ما قال تعالى في سورة المعارج (فلا أقسم برب المشارق والمغارب) ومنها ما قال تعالى في سورة المزمل (رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا) ومنها ما قال تعالى في سورة الذاريات (فورب السماء والارض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون) ومنها ما قال تعالى في سورة النبأ (رب السموات والارض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا) ومنها ما قال تعالى في سورة قريش (فليعبدوا رب هذا البيت) ومنها ما قال تعالى في سورة الفلق (قل أعوذ برب الفلق) ومنها ما قال تعالى في سورة الناس (قل أعوذ برب الناس)

وكذلك قد تكرر هذا التخصيص في السنة المطهرة منها ما روي عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب « لا إله الا الله العظيم الحليم ، لا اله الا الله رب العرش العظيم ، لا اله الا الله رب السموات ورب الارض ورب العرش الكريم » رواه البخاري ومسلم . ومنها ما روي عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يقول إذا قام الى الصلاة من جوف الليل « اللهم لك الحمد أنت نور السموات والارض ، ولك الحمد أنت قيم السموات والارض ، ولك الحمد أنت رب السموات والارض ومن فيهن » الحديث رواه مسلم

ومنها ما روي عن أبي هريرة قال كان رسول الله ﷺ يأمرنا اذا أخذنا مضجعنا أن نقول « اللهم رب السموات ورب الارض ورب العرش العظيم ، ربنا

ورب كل شيء فالق الحب والنوى ومنزل التوراة والانجيل والفرقان» الحديث رواه مسلم والترمذي وقال حديث حسن صحيح ، ومنها ماروي عن أبي هريرة قال قال أبوبكر قلت يارسول الله مرني بشيء أقوله اذا أصبحت وإذا أمسيت ، قال « قل اللهم عالم الغيب والشهادة فاطر السموات والارض ، رب كل شيء ومليكه » الحديث رواه الترمذي وأبوداود والدارمي وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح ، ومنها ماروي عن بريدة قال شكا خالد بن الوليد الى النبي ﷺ فقال يارسول الله ماأنام الليل من الارق فقال نبي الله ﷺ «إذا أويت الى فراشك فقل اللهم رب السموات السبع وما أظلت ، ورب الارضين وما أقلت ، ورب الشياطين وما أضلت » الحديث رواه الترمذي وقال هذا حديث ليس إسناده بالقوي ، ومنها ماروي عن أبي لبابة بن عبدالمنذر أن رسول الله ﷺ كان اذا أراد دخول قرية لم يدخلها حتى يقول « اللهم رب السموات السبع وما أظلت ، ورب الارضين السبع وما أقلت ، ورب الرياح وما أذرت ، ورب الشياطين وما أضلت ، اني أسألك خيرها وخير مافيها ،وأعوذ بك من شرها وشر من فيها » رواه الطبراني في الاوسط واسناده حسن

وعن أبي مغيث بن عمرو أن رسول الله ﷺ لما أشرف على خيبر قال لاصحابه وانا فيهم «قفوا» ثم قال « اللهم رب السموات وما أظللن، ورب الارضين وما أقللن ، ورب الشياطين وما أضللن، ورب الرياح وما ذرين، أسألك خير هذه القرية وخير أهلها ، وأعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها ، اقدموا بسم الله » وكان يقولها لكل قرية يريد يدخلها ، رواه الطبراني وفيه راو لم يسم وبقية رجاله ثقات كذا في مجمع الزوائد

وعن قتادة قال كان ابن مسعود إذا أراد أن يدخل قرية قال : اللهم رب السموات وما أظلت ، ورب الشياطين وما أضلت ، ورب الرياح وما أذرت ،

أسألك خيرها وخير مافيها ، وأعوذ بك من شرها وشر مافيها ، رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح الا أن قتادة لم يدرك ابن مسعود، كذا في مجمع الزوائد

فبعض ما ذكرنا من الآيات والاحاديث ليس فيه الدعاء حتى يتوسل في إجابته ، والبعض الآخر وان كان فيه دعاء لكن ما أضيف اليه الرب لا يصلح لان يتوسل به عند أحد من عقلاء المسلمين — كالفلق والشياطين والرياح ، فالتخصيص بالذكر فيما هنالك ليس للتوسل بل بوصفه تعالى بدلائل العظمة ، وعظيم القدرة والملك

قال النووي قال العلماء خصهم بالذكر وإن كان تعالى رب كل المخلوقات كما تقرر في القرآن والسنة من نظائره من الاضافة الى كل عظيم المرتبة وكبير الشأن دون مايستحقر ويستصغر .فيقال له سبحانه وتعالى رب السموات ورب العرش الكريم ، ورب الملائكة والروح ، رب المشرقين ورب المغربين ، رب الناس ملك الناس إله الناس ، رب العالمين رب كل شيء رب النبيين خالق السموات والارض فاطر السموات والارض جاعل الملائكة رسلا — فكل ذلك وشبهه وصف له سبحانه بدلائل العظمة وعظيم القدرة والملك ولم يستعمل ذلك فيما يحتقر ويستصغر فلا يقال رب الحشرات وخالق القردة والخنزير وشبه ذلك على الافراد وإنما يقال خالق المخلوقات وخالق كل شيء وحينئذ تدخل هذه في العموم اه

وقد ذكر هذا الوجه ابن علان أيضا في شرح الاذكار فمن بن صاحب الرسالة يعزو الى ابن علان مالم يذكره ولا ينقل ما ذكره في توجيه التخصيص ؟ وهل هذا الا خيانة في الدين ؟ واعلم ان قول النووي لم يستعمل ذلك فيما يحتقر ويستصغر ليس على عمومه فانه قد ورد في الحديث «رب الشياطين وما أضلت» فوهم (١)

(١) ان خبث الشياطين واحتقار اضلالها لا يقتضي استصغار خلقها واحتقار أفعالها بمعنى انه لا يؤبه لشرها ، بل هي اكبر شرور العالم بحيث لا يقدر الانسان على اتقائها الا بالاستعاذة منها بخالقها . فاضافة اسم الرب اليها من دلائل عظمته وقدرته عز وجل . وكتبه محمد رشيد رضا

قوله ﴿وفي شرح حزب البحر للامام زروق قال بعد ذكر كثير من الاخيار

لهم إنا نتوسل اليك بهم فانهم أحبوك﴾

أقول: قول أحد من الناس غير النبي ﷺ ليس بحجة

قوله ﴿ولبعض العارفين دعاء مشتمل على قوله: اللهم رب الكعبة وما بناها،

وفاطمة وأبيها، وبعلها وبنيها، نوّر بصري﴾

أقول: فيه ما ذكر من أن قول غير النبي ﷺ ليس دليلا شرعيا، مع أن امثال هذا الدعاء لا يعنها أحد وإن كان كون هذا التركيب دالا على التوسل محل بحث كما قد بيناه آنفا من أن الاضافة الى كل عظيم المرتبة وكبير الشأن انما هي لاظهار عظمة شأنه تعالى لا للتوسل بما أضيف اليه الرب

قوله ﴿فكما أن الله تعالى جعل الطعام والشراب سببين للشبع والري لا تأثير لهما، والمؤثر هو الله تعالى وحده، وجعل الطاعة سببا للسعادة ونيل الدرجات جعل ايضا التوسل بالاخيار الذين عظمهم الله تعالى، وأمر بتعظيمهم سببا لقضاء الحاجات﴾

أقول فيه كلام من وجهين (الاول) ان هذا قياس مع الفارق. فان كون الطعام والشراب سببين للشبع والري معلوم بالعقل والنقل، وكذلك كون الطاعة سببا للسعادة ونيل الدرجات، وأما كون التوسل بالاخيار سببا لقضاء الحاجات فلا يدل عليه دليل عقلي أو نقلي

(والثاني) ان الكلام في مشروعية التوسل لا في كونه سببا لقضاء الحاجات، ولا ملازمة بين الامرين، فرب سبب في الدنيا وبال ونكال في الآخرة

قوله ﴿ فعليك باتباع الجمهور والسواد الاعظم ﴾

أقول فيه نظر من وجوه (١)

(الاول) ان الاكثر قد يخطىء ، قال الحافظ في الفتح تحت حديث ابن عباس ان أبا بكر خرج وعمر بن الخطاب يكلم الناس فقال اجلس ياعمر، فأبى عمر أن يجلس ، فأقبل الناس اليه وتركوا عمر ، فقال ابو بكر . أما بعدمن كان

(١) ان فى كل وجه من الوجوه الثلاثة التى رد بها المصنف على هذه الجملة نظراظاهرا، والجملة فى نفسها بمعنى الاحاديث الصحيحة الواردة فى الامر باتباع الجماعة وهى معروفة مشهورة ولكن المراد بالجماعة فيها جماعة الصحابة والسواد الاعظم منهم فيما كانوا عليه من امر الدين الذى تلقوه عن النبي (ص) دون من شذ من افرادهم باجتهاده الخاص . واما الجمهور والسواد الاعظم الآن وهم الذين يعنيهم دحلان، فقد فشت فيهم البدع والمنكرات فلا عبرة بكثرتهم ولا بجمهورهم، بل بمتبعي جماعة السلف منهم

أما الوجه الاول مما اورد المصنف فلا يرد على الاحاديث الصحيحة فى اتباع الجماعة ولا ينافى ما تدل عليه من كون جمهور الصحابة كانوا على الحق في امر الدين فان ماعرض لهم من الذهول والاضطراب عند موت الرسول (ص) من العوارض البشرية لا من العقائد ولا السنن العملية المتبعة ، وقد انتهى هذا العارض البشري باتباع الصديق فيما ذكرهم به من قول الله عز وجل وانما العبرة في الاعمال والاحوال بخواتيمها لا بمباديها و بهذا ثبت انهم رضى الله عنهم كانوا على هدى فيما جروا عليه من العمل في هذه المصيبة الكبرى .

واما الوجه الثانى فقد اخطأ المصنف في استدلاله بالآيات التي ذكرها على قلة رشد المؤمنين فالآيات ليست فيهم . واما الوجه التالث فموضوعه مخالفة بعض المجتهدين للجمهور في بعض المسائل الاجتهادية، فمن كان من أهل النظر والاجتهاد في أمثال هذه المسائل فعليه ان يعمل بما اداه إليه اجتهاده فيها ، ومن لم يكن عنده من العلم الا ان جمهور علماء المسلمين رأوا في هذه المسألة كذا ، وان فردا منهم خالفهم فرأى فيها غير رأيهم ، ولم يكن عنده قدرة على الترجيح فالاولى له ان يتبع الجمهور فيها .

وكتبه محمد رشيد رضا ، ثم رأيت له فيما سيأتي ما يقرب منه

منكم يعبد محمداً ﷺ فان محمداً قد مات ، ومن كان منكم يعبد الله فان الله حي لا يموت قال الله تعالى (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ)، إلى قوله (الشاكرين) وقال والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر، فتلقاها الناس منه كلهم فما أسمع بشراً من الناس إلا يتلوها الحديث ، وكان اكثر الصحابة على خلاف ذلك ، فيؤخذ منه أن الاقل عددا في الاجتهاد قد يصيب ، ويخطىء الاكثر فلا يتعين الترجيح بالكثرة ولاسيما ان ظهر أن بعضهم قلد بعضا اه ، فلا وجه للقول بوجوب اتباع الجمهور عموما

(والثاني) ان الخير والرشد في الناس قليل والشر والضلالة كثير يدل عليه الآيات التي نتلوها عليك

منها قوله تعالى في سورة الاعراف (قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثم لَآتِيَنَّهُمْ من بين أَيْدِيهِم ومن خَلْفِهِمْ وعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُم شاكِرِينَ) وقوله تعالى في سورة بني اسرائيل (قَالَ أَرَأَيْتَكَ هذا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قليلا)

ففي هاتين الآيتين قد نقل الله تعالى قول الشيطان وهذا قاله إبليس على الظن فأصاب كما قال تعالى في سورة سبأ (وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقاً من الْمُؤْمِنِينَ) ومنها قوله في سورة الانعام (وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن في الارض يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ الله) وقوله تعالى في سورة (ص) وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ الخلطاءِ لَيَبْغِي بعضهم عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ) وقوله تعالى في سورة سبأ (وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ) وقوله تعالى في سورة المائدة قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ)

ففيه اشارة إلى قلة الخير وكثرة الشر وقوله تعالى في سورة يونس (وَإنَّ كثيراً مِنَ النَّاسِ عَنْ آياتِنا لغافلُونَ) وقوله في سورة يوسف (ولكنَّ أكثرَ النَّاس لا يَشكرونَ) وقوله تعالى أيضا فيها (وَمَا أكثر النَّاسِ وَلو حرَصْتَ بمُؤْمِنين) وقوله تعالى أيضا فيها (وَمَا يُؤْمِنُ أكثرهُم بِالله إلاَّ وَهُمْ مشركون) وقوله تعالى في سورة المائدة (وَإن كثيراً مِنَ النَّاسِ لفَاسِقُون) وقوله تعالى في سورة الاعراف (قليلاً ما تذَكرُون) وقوله تعالى أيضا فيها (قليلاً ما تشكرونَ) وقوله تعالى في سورة الرعد (وَلكِنَّ أكثر النَّاسِ لا يُؤْمِنونَ) وقوله تعالى في سورة الفرقان (ولقدْ صَرفْناه بَيْنَهُمْ فأبَى أكثر النَّاسِ إلاّ كفُورا) وقوله تعالى في سورة الشعراء بعد ذكر بناء ابراهيم عليه السلام (وَمَا كانَ أكثرُهم مؤمنين) وقد تكرر هذا القول في هذه السورة في قصة نوح (ع م) وقصة هود وقصة صالح وقصة لوط وقصة شعيب عليهم الصلاة والسلام . فقد دل قوله تعالى هذا على أن الرشد في الامم الماضية أيضاً كان قليلا والضلالة كثيرا وقوله تعالى في سورة الزخرف (وَلكن أكثرَكمْ لِلحقِّ كارِهون) وقوله تعالى في سورة الحديد (وَلقدْ أرسَلْنا نوحاً وَإبْرَاهيم وَجعلنَا فِي ذُرِّيَّتهِمَا النُّبُوَّةَ وَالكِتَاب فمِنْهمْ مهتد وَكثيرٌ مِنهمْ فَاسِقُون)

إذا وعيت تيك الآيات فقد علمت أن ارشد في بني آدم عموما وفي المؤمنين خصوصا قليل ، أما قلة رشد بني آدم عموما فظاهر من الآيات المذكورة ، وأما قلة رشد المؤمنين خصوصا فيدل عليه قوله تعالى (ولقَدْ صدقَ عليهِمْ إبليس ظنَّه فاتَّبعوهُ إلا فَريقاً مِنَ المؤمِنين) وقوله تعالى (وَما يُؤْمِنُ أكثرُهُمْ بالله إلا وهُمْ مشركون) فكيف يصح القول باتباع الجمهور عموما؟

(والثالث) ان كثيراً من الائمة قد خالفوا الجمهور في مسائل كثيرة كابن أبي ليلى والاصم فانهما جوزا الطهارة بسائر أنواع المياه حتى المعتصرة من الاشجار ونحوها وخالفا الجمهور في أنه لا تصح الطهارة إلا بالماء المطلق ، وكأبي حنيفة فانه خالف الجمهور في أن النجاسة لا تزال إلا بالماء وقال تزال بكل مائع غير الادهان ، وكالشافعي فانه خالف الجمهور وقال بكراهة استعمال ماء المشمس في الطهارة ، وكأحمد فانه قال بكراهة الماء المسخن بالنجاسة وخالف الجمهور ، وكمالك فانه قال الماء المستعمل مطهر وخالف في ذلك الجمهور ، وغير ذلك من الامثلة التي لا تكاد تحصر فيلزم أن تكون تلك الائمة تاركين لهذا الواجب

قوله ﴿ وقد قال الله تعالى (وَمَنْ يُشاقق الرَّسولَ من بعدِ ما تَبينَ له الهُدَى وَيَتّبع غير سَبيلِ المؤمنين نُوَلّه ما تولى ونُصْله جَهَنم وَساءت مَصيرا) ﴾

أقول قد استدل القائلون بحجية الاجماع بهذه الآية فان تم فان الثابت منه وجوب اتباع ما أجمع عليه الامة لا وجوب اتباع الجمهور فلا يتم التقريب مع أن في تمامه كلاما صعبا

قوله ﴿ وقال رسول الله ﷺ « عليكم بالسواد الاعظم فانما يأكل الذئب من الغنم القاصية » ﴾

أقول هذا الحديث بهذا اللفظ لم أقف عليه نعم في سنن ابن ماجه من حديث أنس بن مالك سمعت رسول الله ﷺ يقول « ان أمتي لا تجتمع على ضلالة فاذا رأيتم اختلافا فعليكم بالسواد الاعظم » وفي سنده معان بن رفاعة وهو لين الحديث كثير الارسال وايضا في سنده ابو خلف الاعمى وهو متروك كذبه يحيى بن معين كما تقدم

فهذا الحديث ضعيف جداً ليس مما يحتج به على شيء من الاحكام الشرعية ، وعلى تقدير ثبوت الحديث فالسواد الاعظم فيه قولان

(أحدهما) جملة الناس ومعظمهم الذين يجتمعون على طاعة السلطان وسلوك النهج المستقيم كذا في النهاية ومجمع البحار ، وعبر عنه بالجماعة في حديث ابن عباس عن النبي ﷺ قال « من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر عليه فانه من فارق الجماعة شبرا فمات مات ميتة جاهلية » رواه البخاري ومسلم ، وفي حديث حذيفة ابن اليمان وهو حديث طويل أن النبي ﷺ قال « تلزم جماعة المسلمين وامامهم — قلت فان لم يكن لهم جماعة ولا امام ؟ — قال — فاعتزل تلك الفرق كلها » رواه البخاري ومسلم ، وفي الباب أحاديث كثيرة ثابتة في الصحاح وغيرها ، فاتباع السواد الاعظم هو اتباع الامام والجماعة الذين يجتمعون على طاعة السلطان

ويؤيده ما روي عن النعمان بن بشير قال قال رسول الله ﷺ على هذه الاعواد وعلى هذا المنبر « من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله عز وجل ، والتحدث بنعمة الله شكر وتركها كفر ، والجماعة رحمة والفرقة عذاب » فقال أبو امامة الباهلي عليكم بالسواد الاعظم فقال رجل ما السواد الاعظم ؟ فقرأ أبو امامة هذه الآية التي في سورة النور (فَإِنْ تَوَلَّوا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ) رواه عبد الله بن أحمد والبزار والطبراني ورجاله ثقات كذا في مجمع الزوائد ، وعن سعيد بن جمهان قال لقيت عبد الله ابن أبي أوفى وهو محجوب البصر فسلمت عليه فقال من أنت ؟ قلت أنا سعيد ابن جمهان قال ما فعل ولدك ؟ قلت قتلته الازارقة ، وحدهم أم الخوارج كلها ؟ قال بل الخوارج كلها[1] قال قلت فان السلطان يظلم الناس ويفعل بهم ويفعل بكم ذاك ، فتناول يدي فغمزها غمزة شديدة بيده ثم قال : يا ابن جمهان عليك بالسواد الاعظم

١) كذا في الاصل وهو كما ترى فيراجع في مظانه ويحرر

مرتين ان كان السلطان يسمع منك فانه في بيته فانصره بما تعلم فان قبل منك وإلا فدعه فانك لست أعلم منه

(قلت) روى ابن ماجه منه طرفا رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد ثقات كذا في مجمع الزوائد ،وهو واجب على المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية ، وليس السواد الاعظم بهذا المعنى مما نبت به مسألة شرعية.

(وثانيهما) السواد الاعظم هم جماعة الصحابة ،يدل عليه حديث عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله ﷺ « ليأتين على أمتي ما اتى على بني اسرائيل حذو النعل بالنعل » وفيه قالوا من هي يارسول الله ؟ قال « ما أنا عليه وأصحابي » رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن غريب مفسر ، وفي رواية عوف بن مالك قيل يارسول الله من هم؟ قال «الجماعة» وفي رواية أنس بن مالك «كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة » رواهما ابن ماجه ؛والاحاديث بعضها يفسر بعضا

فعلم ان السواد الاعظم هو الجماعة ، وهي جماعة الصحابة ، ولعله بهذا المعنى قال اسحاق بن راهويه حين سئل عن معنى حديث «عليكم بالسواد الاعظم» هو محمد بن أسلم وأتباعه، فأطلق على محمد بن أسلم وأتباعه لفظ السواد الاعظم تشبيها لهم بالصحابة في شدة ملازمة السنة والتمسك بها ، ومن ثم قال الامام الشافعي : إذا رأيت رجلا من أصحاب الحديث فكأني رأيت رجلا من أصحاب النبي ﷺ ، كذا في (تلبيس ابليس) ولذا كان سفيان الثوري يقول المراد بالسواد الاعظم هم من كان من أهل السنة والجماعة ولو واحداً . كذا في الميزان للشعراني

قال ملاسعد الرومي في مجالس الابرار فلابد لك أن تكون شديد التوقي من محدثات الامور ، وان اتفق عليه الجمهور، فلا يغرنك اتفاقهم على ما أحدث بعد الصحابة ، بل ينبغي لك أن تكون حريصاً على التفتيش عن أحوالهم وأعمالهم، فان أعلم الناس وأقربهم الى الله تعالى أشبههم بهم ،وأعرفهم بطريقهم ،إذ منهم أخذ

الدين ،وهم أصول في نقل الشريعة عن صاحب الشرع . وقد جاء في الحديث «إذا اختلف الناس فعليكم بالسواد الاعظم» والمراد به لزوم الحق واتباعه وان كان المتمسك به قليلا ،والمخالف كثيراً ، لان الحق ما كان عليه الجماعة الاولى وهم الصحابة، ولا عبرة إلى كثرة الباطل بعدهم

وقد قال فضيل بن عياض ما معناه : الزم طرق الهدى ولا يضرك قلة السالكين، وإياك وطرق الضلالة ولا تغتر بكثرة الهالكين . وقال بعض السلف إذا وافقت الشريعة ولاحظت الحقيقة، فلا تبال وإن خالف رأيك جميع الخليقة ، وقال ابن مسعود : أنتم في زمان خيركم المسارع في الامور ، وسيأتي زمان بعدكم خيرهم فيه المتثبت المتوقف لكثرة الشبهات

قال الامام الغزالي: ولقد صدق،لان من لم يتثبت في هذا الزمان ووافق الجماهير فيما هم فيه ، وخاض فيما خاضوا فيه ، يهلك كما هلكوا ، فان أصل الدين وعمدته وقوامه ليس بكثرة العبادة والتلاوة والمجاهدة بالجوع وغيره ، وإنما هو باحرازه من الآفات والعاهات ، التي تأتي عليه من البدع و المحدثات ،فانها لكثرتها وشيوعها صارت كأنها من شعار الدين أو من المفروضة علينا اهـ

وقال الحافظ ابن القيم فالبصير الصادق لا يستوحش من قلة الرفيق ولا من فقده اذا استشعر قلبه مرافقة الرعيل الاول الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً، فتفرد العبد في طريق طلبه دليل على صدق طلبه ،وقد سئل اسحاق بن راهويه عن مسألة فاجاب عنها ، فقيل له ان أخاك احمد بن حنبل يقول فيها بمثل قولك، فقال ما ظننت أن أحداً يوافقني عليها ولم يستوحش بعد ظهور الصواب له من عدم الموافق ، فان الحق إذا لاح وتبين لم يحتج إلى شاهد يشهد به ، والقلب يبصر الحق كما تبصر العين الشمس ، فكيف يحتاج الى شاهد يشهد بطلوعها ويوافقه عليه ؟

وما أحسن ما قال أبو شامة عبد الرحمن بن اسماعيل في كتاب (الحوادث والبدع) حيث جاء الامر بلزوم الجماعة فالمراد به لزوم الحق واتباعه وإن كان المتمسك به قليلا والمخالف له كثيراً، لان الحق هو الذي كانت عليه الجماعة الاولى من عهد النبي ﷺ وأصحابه ، ولا نظر إلى كثرة أهل الباطل بعدهم

قال عمرو بن ميمون الازدي صحبت معاذا باليمن فما فارقته حتى واريته في التراب بالشام ، ثم صحبت بعده أفقه الناس عبدالله بن مسعود فسمعته يقول: عليكم بالجماعة فان يد الله على الجماعة ،ثم سمعته يوماً من الايام وهو يقول:سيلي عليكم ولاة يؤخرون الصلاة عن مواقيتها فصلوا الصلاة لميقاتها فهي الفريضة وصلوا معهم فانها لكم نافلة ، قال قلت يا أصحاب محمد ما أدري ما تحدثونا ، قال وما ذاك؟ قلت تأمرني بالجماعة وتحضني عليها ثم تقول صل الصلاة وحدك وهي الفريضة وصل مع الجماعة وهي النافلة . قال ياعمرو بن ميمون قد كنت أظنك من أفقه أهل هذه القرية، تدري ما الجماعة ؟ قلت لا، قال ان جمهور الناس الذين فارقوا الجماعة، الجماعة ما وافق الحق وان كنت وحدك ـ قال نعيم بن حماد يعني إذا فسدت الجماعة فعليك ما كانت عليه الجماعة قبل أن تفسد وان كنت وحدك، فانك أنت الجماعة حينئذ ـ وعن الحسن قال : السنة والذي لا اله الا هو بين الغالي والجافي، فاصبروا عليها رحمكم الله ، فان أهل السنة كانوا أقل الناس فيما مضى ، وهم أقل الناس فيما بقي، الذين لم يذهبوا مع أهل الاتراف في اترافهم، ولا مع أهل البدع في بدعهم، وصبروا على سنتهم حتى لقوا ربهم ، فكذلك ان شاء الله تعالى فكونوا

وكان محمد بن أسلم الطوسي الامام المتفق على إمامته من أتبع الناس للسنة في زمانه حتى قال ما بلغتني سنة عن رسول الله ﷺ إلا عملت بها ولقد حرصت على أن أطوف بالبيت راكباً فما مكنت من ذلك

وسئل بعض أهل العلم في زمانه عن السواد الاعظم الذين جاء فيهم الحديث « اذا اختلف الناس فعليكم بالسواد الاعظم » من السواد الاعظم ؟ قال محمد بن أسلم الطوسي هو السواد الاعظم اه

وقال ابن حجر المكي مستند الخصم في الفتاوى (فان قلت) هذا القول الثالث ينسب الى الاكثر وقد قالوا ان الخطأ الى القليل أقرب منه الى الكثير (قلت) وانه يتعين الافتاء بما عليه الاكثر — محل ذلك ما لم يتضح ان الاكثر استروحوا كما هنا فانهم تمسكوا بالظواهر مع عدم الالتفات للدلائل الواضحة التي تدل على القول الاول والثاني ، فوجب المصير إلى ماعليه الاقل ، لانهم أئمة محققون اتضحت أدلتهم ، وظهرت حجتهم ، على انه ورد عن ابن مسعود (رض) رفعه « ليس الجماعة بكثرة الناس ، من كان معه الحق فهو الجماعة وان واحدا » اه

ويؤيد هذا المعنى ما روي عن أبي الدرداء وواثلة بن الاسقع وأنس بن مالك قالوا خرج علينا رسول الله ﷺ يوماً ونحن نتمارى في شيء من أمر الدين فغضب غضباً شديدا لم يغضب مثله ثم انتهرنا فقال «مهلا يا أمة محمد انما هلك من كان قبلكم بهذا المراء لقلة خيره ، ذروا المراء فإن المؤمن لا يماري ، ذروا المراء فإن المماري قد تمت خسارته ، ذروا المراء فكفى اثماً أن لاتزال ممارياً ، ذروا المراء فإن المماري لا أشفع له يوم القيامة ، ذروا المراء فأنا زعيم بثلاثة أبيات في الجنة في رياضها ووسطها وأعلاها لمن ترك المراء وهو صادق ، ذروا المراء فان أول ما نهاني عنه ربي بعد عبادة الاوثان المراء ، فان بني اسرائيل افترقوا على إحدى وسبعين فرقة والنصارى على ثنتين وسبعين فرقة كلهم على الضلالة الا السواد الاعظم » قالوا يارسول الله ما السواد الاعظم ؟ قال « من كان على ما أنا عليه وأصحابي من لم يمار في دين الله ولم يكفر أحدا من أهل التوحيد بذنب غفر له »

ثم قال « ان الاسلام بدأ غريبا وسيعود غريباً » قالوا يا رسول الله ومن

الغرباء؟ قال «الذين يصلحون اذا فسد الناس ولا يمارون في دين الله ولا يكفرون أحداً من أهل التوحيد بذنب» رواه الطبراني في الكبير وفيه كثير بن مروان وهو ضعيف جدا ، كذا في مجمع الزوائد في باب المراء ، وفيه في (باب لا يكفر أحد من أهل القبلة) أخرجه الطبراني في الكبير وفيه كثير بن مروان ، كذبه يحيي والدارقطني اه ، وفي الميزان ضعفوه يروي عن ابراهيم بن أبي عبلة وغيره قال يحيي والدارقطني ضعيف وقال يحيي مرة كذاب وقال الفسوي ليس حديثه بشيء اه

فان قيل هذا الحديث ضعيف جداً فلا يصلح لأن يحتج به (قلت) ليس بأضعف من حديث «عليكم بالسواد الاعظم» فاذا جوز صاحب الرسالة الاحتجاج بهذا على لزوم اتباع الجمهور فليجوز الاحتجاج بذاك أيضا على تعيين المراد بالسواد الاعظم، وليعلم هناك أن محل وجوب اتباع السواد الاعظم الذي أريد منه جماعة الصحابة هو ما اختلف فيه الصحابة فذهب عامتهم وأكثرهم إلى أمر والبعض الآخر إلى خلافه بدليل لفظ الاختلاف والسواد الاعظم الواردين في الحديث، فان السواد من الناس عامتهم كما في القاموس وغيره ، وأما ما أجمع عليه الصحابة فوجوب اتباعه يعلم بفحوى الخطاب ، وأما ما اختلفوا فيه ولا يعلم كثرتهم في جانب فالحديث لا يدل على وجوب اتباعهم فيه ، وهذا كله فيما إذا لم يعارضه آية أو حديث مرفوع صحيح أو حسن ولم يثبت نسخهما ، وأما إذا عارضته آية أو حديث فلا يلتفت إلى ما أجمع عليه الصحابة أو ذهب اليه أكثرهم إن قدر وقوع ذلك

وجملة الكلام أن المقصود اتباع الحق ولزومه كما قال ملا سعد الرومي في المجالس لا اتباع الكثير أو القليل ، وانما أمرنا باتباع الكثير من الصحابة فيما اختلفوا فيه لان ذهاب أكثرهم إلى أمر جعل امارة وعلامة على كونه حقا إذ هم

خير الامة وأمنة لها . قال ﷺ « فاذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون » أي من البدع والحوادث وذهاب الخير ومجيء الشر وهم كانوا لا يبتدعون من عند أنفسهم شيئا ويأخذون في كل أمر بسنته ﷺ ويقتدون بأمره والعمل بمقتضى الأمارة انما هو إذا لم يوجد نص صريح ، وأما وقت وجدان النص الصريح الصحيح المعارض لمقتضى الأمارة فلا يعمل بمقتضى الامارة بل العمل بالنص حينئذ متعين متحتم فانه حق صريح ، وإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل ، وماذا بعد الحق إلا الضلال

ولعلك قد تفطنت من هنا أن الاحداث في أمر الدين كما انه لا يجوز لنا كذلك هو غير جائز للصحابة (رض) أيضا لعموم قوله ﷺ « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » ولا تحسبن أن محدثات الصحابة من قدر وقوعها داخلة في السنة خارجة عن حد البدعة كيف وقد ورد في الصحيح من حديث عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال « انا فرطكم على الحوض وليرفعن رجال منكم ثم ليختلجن دوني فأقول يا رب أصحابي فيقال انك لا تدري ما أحدثوا بعدك » وفي رواية أبي سعيد الخدري عند البخاري « فأقول سحقا سحقا لمن غير بعدي »

فلا غرو ان صدر أحيانا من بعض أفراد الصحابة شيء من الحدث أو غيره من المعاصي ، فانا معاشر أهل السنة والجماعة لا نقول بعصمة أحد غير الأنبياء عليهم السلام كائنا من كان ، ولكننا نعلم قطعا أن معظم الصحابة وعامتهم وأكثرهم كانوا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويأخذون بسنته ﷺ ويقتدون بأمره ، وينكرون شديد الانكار على من أحدث في الدين أو فعل فعلا لم يفعله سيد المرسلين ﷺ

قال الحافظ في الفتح : وحصل ما حمل عليه حال المذكورين أنهم كانوا

ممن ارتد عن الاسلام فلا أشكال في تبري النبي ﷺ منهم وابعادهم، وان كانوا ممن لم يرتد لكن أحدث معصية كبيرة من أعمال البدن أو بدعة من اعتقاد القلب، فقد أجاب بعضهم بأنه يحتمل أن يكون أعرض عنهم ولم يشفع لهم اتباعا لأمر الله فيهم حتى يعاقبهم على جنايتهم ، ولا مانع من دخولهم في عموم شفاعته لاهل الكبائر من أمته فيخرجون عند اخراج الموحدين من النار والله أعلم اه

قوله ﴿ وقال ﷺ « من خالف الاسلام قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه » ﴾

أقول هذا الحديث بهذا اللفظ رواه الترمذي في أبواب الامثال من حديث الحارث الاشعري في أثناء حديث طويل وقال هذا حديث حسن صحيح غريب قال محمد بن اسماعيل والحارث الاشعري له صحبة وله غير هذا الحديث

قال الحافظ في الفتح « من فارق الجماعة شبرا فكأنما خلع ربقة الاسلام من عنقه » أخرجه الترمذي وابن خزيمة وابن حبان وصححاه من حديث الحارث بن الحارث الاشعري في أثناء حديث طويل ، وأخرجه البزار والطبراني في الاوسط من حديث ابن عباس ؛ وفي سنده خليد بن دعلج وفيه مقال وقال «من رأسه» بدل عنقه انتهى

وفي مجمع الزوائد وعن أبي سلام ممطور عن رجل من أصحاب النبي ﷺ عن أراه أبا مالك الاشعري قال قال رسول الله ﷺ « وأنا آمركم بخمس آمركم بالسمع والطاعة والجماعة والهجرة والجهاد في سبيل الله ، فمن خرج عن الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من رأسه » الحديث ، وقال أحمد ورجاله ثقات رجال الصحيح خلا علي بن اسحق السلمي وهو ثقة، ورواه الطبراني باختصار إلا أنه قال فمن فارق الجماعة قيد قوس لم يقبل منه صلاة ولا صيام وأولئك هم وقود النار اه

(قلت) في تصحيح الترمذي وابن خزيمة وابن حبان حديث الحارث نظر فان في سنده يحي بن أبي كثير وهو مدلس وقد عنعنه ورواه عن زيد بن سلام وروايته عنه منقطعة لانها عن كتاب وقع له ، وقال يحيى القطان مرسلات يحى ابن أبي كثير شبه الريح كذا في الميزان ، ورواه أيضا ابوداود في باب قتل الخوارج من حديث أبي ذر ، وفي سنده خالد بن وهبان ، قال الذهبي في الميزان خالد بن وهبان عن أبي ذر مجهول اه

وفي الباب أحاديث أخر جلها ضعيفة ، منها ما روي عن أبي ذر أن رسول الله ﷺ خطبنا فقال « انه كائن بعدي سلطان فلاتذلوه فمن أراد أن يذله فقد خلع ربقة الاسلام » رواه أحمد وفيه راو لم يسم وبقية رجاله ثقات

ومنها ما روي عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله ﷺ « ومن خرج عن الجماعة قيد شبر متعمدا فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه » رواه الطبراني وفيه عمرو بن واقد وهو متروك

ومنها ما روي عن أبي الدرداء قال قال رسول الله ﷺ « ومن خرج من الطاعة شبرا فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه » رواه الطبراني وفيه عمرو بن روبة وهو متروك

ومنها ما روي عن ابن عمر قال رأيت رسول الله ﷺ يشبر شبرا « من فارق جماعة المسلمين شبرا خرج من عنقه ربقة الاسلام » رواه الطبراني وفيه حسين بن قيس وهو ضعيف

ومنها ما روي عن سعد بن جندة قال قال رسول الله ﷺ « من فارق الجماعة فهو في النار على وجهه » رواه الطبراني وفيه جماعة لم أعرفهم

ومنها ما روي عن حذيفة (رض) قال قال رسول الله ﷺ « من فرق الجماعة واستذل الامارة لقي الله لا وجه له عنده » رواه أحمد ورجاله ثقات

ومنها ما روي عن صلة قال قال رسول الله ﷺ « من فارق الجماعة شبرا فقد فارق الاسلام » رواه البزار وفيه محمد بن عبيد الله العزرمي وهو ضعيف

ومنها ما روي عن ابن عباس (رض) قال قال رسول الله ﷺ « من فارق الجماعة قياس أو قيد شبر خلع ربقة الاسلام من عنقه » رواه الطبراني في الاوسط وفيه خليد بن دعلج وهو ضعيف

ذكر تلك الاحاديث كلها الهيثمي في مجمع الزوائد: نعم في الوعيد على من فارق الجماعة احاديث صحيحة لعل صاحب الرسالة لم يظفر بها والا فلا وجه لترك ما هو فى اعلى درجة الصحة وذكر ما دونه وهذا ادل دليل على قصور نظره فى صنعة الحديث (منها) حديث ابن عباس (رض) « من خرج من السلطان شبرا مات ميتة جاهلية » وفى رواية « من فارق الجماعة شبرا فمات الامات ميتة جاهلية » وفى رواية « ليس أحد يفارق الجماعة شبرا فيموت إلا مات ميتة جاهلية » رواه البخاري ومسلم والدارمي

ومنها حديث أبي هريرة « من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية » وفي لفظ « من خرج من الطاعة ثم مات مات ميتة جاهلية » رواه مسلم والنسائي

ومنها حديث ابن عمر « من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية » ولكن ليس فيها ولا في غيرها مما فيه وعيد على مفارق الجماعة دلالة على مطلوب الخصم من لزوم اتباع الجمهور . كيف والمراد بالجماعة في تلك الاحاديث هو معظم الناس الذين يجتمعون على طاعة السلطان ؟

يدلك على هذا ما ورد في بعض الروايات من لفظ السلطان ومثله، وليعلم أن لا يبعد أن يكون الحامل على ترك ما هو في أعلى درجة الصحة وذكر ماهو دونه

هو زعم ان ارادة الجمهور من لفظ الجماعة في القسم الاول غير متعسرة بخلاف القسم الثاني فان كان هذا فهو أبعد من الديانة على ما لا يخفى

قوله ﴿ وقد ذكر العلامة ابن الجوزي في كتابه المسمى (تلبيس ابليس) أحاديث كثيرة في التحذير من مفارقة السواد الاعظم ﴾

أقول يعلم من هذا ديانة المؤلف من وجوه

(الاول) ان صاحب هذه الرسالة نقل ما ذكر ابن الجوزي في التحذير من مفارقة الجماعة زعماً منه أنه يفيده في ذلك المقام مع أنه بعد تعيين المراد منه ليس فيها أثر من ذلك، ولم ينقل ما ذكر(١) في قلة أهل السنة والجماعة الدال على نقيض مدعاه، حيث قال في الباب الاول من ذلك الكتاب عن يوسف بن أسباط قال قال سفيان يا يوسف إذا بلغك رجل بالمشرق أنه صاحب سنة فابعث اليه بالسلام وإذا بلغك عن رجل آخر بالمغرب أنه صاحب سنة فابعث اليه بالسلام فقد قل أهل السنة والجماعة

وأيضاً قال وعن سفيان الثوري قال استوصوا بأهل السنة خيراً فانهم غرباء. وعن أبي بكر بن عياش السنة في الاسلام أعز من الاسلام في سائر الاديان، وقال في الباب الثاني وعن عبد الله بن محيريز يذهب الدين سنة سنة كما تذهب الحبل قوة قوة(٢) وإذ قد ثبت قلة أهل السنة والجماعة فكيف يصح القول بلزوم اتباع جمهور كل زمان وقرن ؟

(والثاني) ان صاحب الرسالة لم ينقل من كتاب ابن الجوزي ما يدل على تعيين الجماعة والسواد الاعظم فان فيه حديث ابن عمرو قال قال رسول الله ﷺ « ليأتين على أمتي ما أتى على بني اسرائيل حذو النعل بالنعل حتى ان كان منهم من أتى

(١) أي ولم ينقل عنه ماذكره الخ (٢) القوة من الحبل الطاقة من طاقات فتله

أمه علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك وان بني اسرائيل تفرقت على اثنتين وسبعين ملة وتفترق أمتي على على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا واحدة . قالوا من هي يا رسول الله ؟ قال - ما أنا عليه وأصحابي » قال الترمذي هذا حديث غريب مفسر اه . فهذا الحديث فيه دلالة على أن المراد بالجماعة جماعة الصحابة كما قال الترمذي ونقله ابن الجوزي

وأيضاً فيه عن أبي العالية قال: عليكم بالامر الاول الذي كانوا عليه قبل أن يفترقوا . قال عاصم فحدثت به الحسن فقال قد نصحك والله وصدقك ، وعن الاوزاعي قال: اصبر نفسك على السنة وقف حيث وقف القوم وقل بما قالوا وكف عما كفوا عنه، واسلك سبيل سلفك الصالح فانه يسعك ما وسعهم اه وإذ قد تعين المراد ، فالقول باتباع جمهور كل عصر بين الفساد

(والثالث) انه ترك من كلام ابن الجوزي في الباب الثاني ما فيه التصريح بالمراد حيث قال فإن قال قائل قد مدحت السنة وذممت البدعة فما السنة وما البدعة وكل مبتدع في زعمه يزعم أنه من أهل السنة ؟ فالجواب ان السنة في اللغة الطريق ولا ريب في أن أهل النقل والاثر المتتبعين آثار رسول الله ﷺ وآثار أصحابه هم أهل السنة لانهم على تلك الطريق التي لم يحدث فيها حادث وانما وقعت الحوادث والبدع بعد رسول الله ﷺ وأصحابه اه

وأيضاً فيه فقد بان بما ذكرنا ان أهل السنة هم المتبعون ، وان أهل البدعة هم مظهرون شيئاً لم يكن قبل لا مستند له

وأيضاً فيه : وعن المغيرة بن شعبة قال قال رسول الله ﷺ « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الناس حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون » أخرجاه في الصحيحين [١]

١) كان هذا الحديث وما بعده محرفين وسقط من الاول لفظ أمر فكان حتى يأتي الله فصححناهما

وعن ثوبان قال قال رسول الله ﷺ « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله » قال المصنف انفرد باخراجه مسلم ، وقد روى هذا المعنى عن النبي ﷺ معاوية وجابر بن عبدالله وقرة. وعن الترمذي قال محمد بن اسماعيل قال علي بن المديني هم أصحاب الحديث اه

(والرابع) ان ابن الجوزي ذكر في الكتاب المذكور أحاديث كثيرة في ذم البدع والمبتدعين (منها) حديث عائشة (رض) قالت قال رسول الله ﷺ « من أحدث في أمرنا هذا ماليس منه فهورد » (ومنها) حديث عبدالله بن عمرو عن النبي ﷺ انه قال « من رغب عن سنتي فليس مني» (ومنها) حديث العرباض بن سارية قال صلى رسول الله ﷺ صلاة الصبح ذات يوم ثم أقبل علينا يعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ، ووجلت منها القلوب : فقال قائل يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد الينا ؟ فقال «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن كان عبدا حبشياً فانه من يعش بعدي فسيرى اختلافا كثيرا ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الامور ، فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة»

(ومنها) حديث ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ «أنا فرطكم على الحوض وليرفعن رجال منكم ثم ليختلجن دوني فأقول يارب أصحابي فيقال انك لا تدري ما أحدثوا بعدك » وصاحب الرسالة قد ترك تلك الاحاديث كلها لأنها تبطل دعواه الباطلة من التوسل المكروه المحدث بعد رسول الله ﷺ وأصحابه من قول القائل اللهم اني أسألك بحق محمد ﷺ فانه محدث . والاحاديث المذكورة ترد على كل ما احدث في الدين

*
* *

وليعلم هنا ان قرن الصحابة كأن البدعة لم تكن فيه ، والسنة كانت

خالصة فيه ، يدل عليه حديث أبي موسى (رض) مرفوعا « وأصحابي أمنة لامتي فاذا ذهب أصحابي أتى أمتي مايوعدون » رواه مسلم . وحديث ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ مامن نبي بعثه الله في أمته قبلي إلا كان له في أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم انها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ،ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل »رواه مسلم

وحديث العرباض بن سارية مرفوعا «فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ » رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه . وحديث عبدالله بن عمرو قال قال رسول الله ﷺ « ما أنا عليه وأصحابي» وحديث أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ من اكل طيبا وعمل في سنة وأمن الناس بوائقه دخل الجنة » فقال رجل يارسول الله ان هذا اليوم لكثير في الناس قال وسيكون في قرون بعدي رواه الترمذي

ولذا أثبت رسول الله ﷺ لهم الخيرية المطلقة في قوله «خير أمتي قرني » ومن ثم قال ابن مسعود (رض) من كان مستنا فليستن بمن قد مات فان الحي لا تؤمن عليه الفتنة أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا أفضل هذه الامة أبرها قلوبا وأعمقها علما وأقلها تكلفا، اختارهم الله لصحبة نبيه ولاقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم ، واتبعوهم على أثرهم ، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسيرهم ، فانهم كانوا على الهدى المستقيم رواه رزين كذا في المشكاة

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد :وعن عبد الله بن مسعود قال لا يقلدن أحدكم دينه رجلا فان آمن آمن وإن كفر كفر ،وإن كنتم لا بد مقتدين فاقتدوا بالميت فان الحي لا تؤمن عليه الفتنة . رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح اه

وأيضا قال ابن مسعود ان الله تعالى نظر في قلوب العباد فاختار محمدا فبعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد فاختار له أصحابا فجعلهم أنصار دينه ووزراء نبيه، فما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما رآه المسلمون قبيحاً فهو عند الله قبيح. قال شمس الدين السخاوي في المقاصد الحسنة أخرجه أحمد من حديث ابن مسعود من قوله، وكذا أخرجه البزار والطيالسي والطبراني وأبو نعيم في حلية الاولياء في ترجمة ابن مسعود، بل هو عند البيهقي في الاعتقاد من وجه آخر عن ابن مسعود اهـ كلامه. قال ابن نجيم في (الاشباه والنظائر) قال العلائي لم أجده مرفوعا في شيء من كتب الحديث أصلا ولا بسند ضعيف، بعد طول البحث وكثرة الكشف والسؤال، وإنما هو من قول عبدالله بن مسعود (رض) موقوفا عليه أخرجه أحمد في مسنده. وقال الحموي في حواشيه قال السخاوي في (المقاصد الحسنة) حديث «ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن» رواه احمد في كتاب السنة، ووهم من عزاه للمسند من حديث أبي وائل عن ابن مسعود وهو موقوف حسن اهـ ملخصاً فكأن العلائي تبع من وهم في نسبته إلى المسند اهـ

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد رواه أحمد والبزار والطبراني في الكبير، ورجاله موثقون، وروى الدارمي عن عمرو بن يحيى قال سمعت أبي يحدث عن أبيه قال كنا نجلس على باب عبد الله بن مسعود قبل صلاة الغداة فاذا خرج مشينا معه الى المسجد، فجاءنا أبو موسى الاشعري فقال أخرج اليكم أبو عبدالرحمن بعد؟ قلنا لا فجلس معنا حتى خرج، فلما خرج قمنا اليه جميعاً، فقال له أبو موسى يا أبا عبدالرحمن اني رأيت في المسجد آنفاً أمراً أنكرته ولم أر والحمد لله إلا خيرا، قال فما هو؟ فقال إن عشت فستراه، قال رأيت في المسجد قوما حلقا جلوسا ينتظرون الصلاة في كل حلقة رجل وفي أيديهم حصى فيقول كبروا مائة فيكبرون مائة، فيقول هللوا مائة فيهللون مائة، ويقول سبحوا مائة فيسبحون مائة — قال فماذا قلت لهم؟

قال ماقلت لهم شيئا انتظار رأيك أو انتظار أمرك ، قال أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم وضمنت لهم أن لا يضيع من حسناتهم شيء ، ثم مضى ومضينا معه حتى أتى حلقة من تلك الحلق فوقف عليهم فقال ما هذا الذي أراكم تصنعون قالوا يا أبا عبد الرحمن حصى نعد به التكبير والتهليل والتسبيح ، قال فعدوا سيئاتكم فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء ، ويحكم يا أمة محمد ما أسرع هلكتكم ، هؤلاء صحابة نبيكم ﷺ متوافرون ، وهذه ثيابه لم تبل ، وآنيته لم تكسر ، والذي نفسي بيده انكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد أو مفتحي باب ضلالة ، قالوا والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير ، قال وكم من مريد للخير لن يصيبه ، ان رسول الله ﷺ حدثنا ان قوما يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، وايم الله ما أدري لعل أكثرهم منكم ، ثم تولى عنهم ، فقال عمرو بن سلمة رأينا عامة أولئك الحلق[1] يطاعنونا يوم النهر وان مع الخوارج اه

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد وعن عمرو بن سلمة قال كنا قعوداً على باب ابن مسعود بين المغرب والعشاء فأتى أبو موسى فقال اخرج الينا أبا عبد الرحمن فخرج ابن مسعود فقال أبا موسى ما جاء بك هذه الساعة قال لا والله الا اني رأيت أمراً ذعرني وانه لخير ، ولقد ذعرني وانه لخير ، قوم جلوس في المسجد ورجل يقول سبحوا كذا وكذا ، احمدوا كذا وكذا ، قال فانطلق عبد الله وانطلقنا معهم حتى أتاهم فقال ما أسرع ما ضللتم وأصحاب رسول الله ﷺ أحياء

(١) الحلق في الاصل بالمهملة وصحح في جدول بيان الخطأ وصوابه فجعل بالمعجمة وهو تصحيف لا يقبل الا اذا كان هو الرواية والا فالحلق بالمهملة هو الذي ذكر في أول الاثر فالمعرفة هنا عين المنكرة هناك فهو الذي تقتضيه الرواية وواضع جدول التصويب يذكر مثل هذا التصحيف وما يقرب منه من التحريف ويدع الاغلاط الكثيرة لانه لا يعرفها . وقد صححنا أكثرها كما نظن وكتبه محمد رشيد رضا

وأزواجه شواب وثيابه وأبنيته لم تغير ، احصوا سيئاتكم فأنا أضمن على الله أن يحصي حسناتكم رواه الطبراني في الكبير ، وفيه مجالد بن سعيد وثقه النسائي ، وضعفه البخاري واحمد بن حنبل ويحيى

وعن أبي البختري قال : بلغ عبد الله بن مسعود أن قوما يقعدون بين المغرب والعشاء يقولون قولوا كذا قولوا كذا ، قال عبد الله ان فعلوا فآذنوني ، فلما جلسوا أتوه فانطلق معهم ، فجلس وعليه برنس فأخذوا في تسبيحهم ، فحسر عبد الله عن رأسه البرنس وقال أنا عبد الله بن مسعود ـ فسكت القوم ـ فقال لقد جئتم ببدعة ظلما وإلا فضلتم أصحاب محمد ﷺ ، فقال عمرو بن عتبة بن فرقد أستغفر الله يا ابن مسعود وأتوب اليه ، فأمرهم أن يتفرقوا ، قال ورأى ابن مسعود حلقتين في مسجد الكوفة فقام بينهما فقال أيتكما كانت قبل صاحبتها ؟ قالت إحداهما نحن ، فقال للاخرى قوموا اليها فجعلهم واحدة . رواه الطبراني في الكبير وفيه عطاء ابن السائب وهو ثقة ولكنه اختلط ، وفي بعض طرق الطبراني الصحيحة المختصرة فجاء عبد الله بن مسعود متقنعا فقال : من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا عبد الله بن مسعود ، انكم لاهدى من محمد ﷺ وأصحابه أو انكم لتعلقون بذنب ضلالة ، وفي رواية لعطاء بن السائب فقال ابن مسعود لئن اتبعتم القوم لقد سبقوكم سبقا بعيدا بينا ولئن أخذتم يمينا وشمالا لقد ضللتم ضلالا بعيدا اهـ

وعن حذيفة (رض) قال : يا معشر القراء استقيموا فقد سبقتم سبقاً بعيداً ، وان أخذتم يميناً وشمالا لقد ضللتم ضلالا بعيدا ، رواه البخاري

وأيضا عن حذيفة قال : كل عبادة لا يتعبدها أصحاب رسول الله ﷺ فلا تعبدوها ، فان الاول لم يدع للآخر مقالا ، فاتقوا الله يا معشر القراء وخذوا طريق من قبلكم ، رواه أبو داود

إذا دريت ما ذكرنا من الاحاديث والآثار فقد علمت أن قرن الصحابة كانت

السنة خالصة فيه وكأن البدعة لم تكن فيه. وإنما لم أقل إن البدعة لم تكن فيه لما ورد في الصحيح «انا فرطكم على الحوض فليرفعن الي رجال منكم حتى إذا أهويت لاناولهم اختلجوا دوني فأقول إي رب أصحابي فيقول لا تدري ما أحدثوا بعدك» فهذا الحديث يدل أوضح دلالة على أن من الصحابة من يحدث بعد النبي ﷺ

ثم بعد انقراض قرن الصحابة أتى أمته ما يوعدون من الحوادث والبدع، وكلما أحدثت بدعة رفع مثلها من السنة، ولكن في قرن التابعين وأتباع التابعين لم يظهر البدع ظهوراً فاشياً، وأما بعد قرن أتباع التابعين فقد تغيرت الاحوال تغيراً فاحشاً وغلبت البدع وصارت السنة غريبة، واتخذ الناس البدعة سنة والسنة بدعة، ولا تزال السنة فى المسقبل غريبة إلا ما استثني من زمان المهدي (رض) وعيسى عليه السلام إلى أن تقوم الساعة على شرار الناس

يدل على ذلك الاحاديث والآثار التي نذكرها الآن بحوله وقوته. منها حديث عمران بن حصين (رض) يقول قال رسول الله ﷺ «خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم» قال عمران فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة «ثم ان بعدكم قوم يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يفون، ويظهر فيهم السمن» رواه البخاري ومسلم

ومنها حديث الاسلمي قال قال النبي ﷺ «يذهب الصالحون الاول فالاول ويبقى حثالة كحثالة الشعير أو التمر لا يباليهم الله بالة» رواه البخاري

قال الحافظ فى الفتح ووجدت لهذا الحديث شاهدا من رواية الفزارية امرأة عمر بلفظ «تذهبون الخير فالخير حتى لا يبقى منكم إلا حثالة كحثالة التمر ينزوا بعضهم على بعض نزو المعز» أخرجه أبو سعيد بن يونس في تاريخ مصر وقال بُعيْدَه ووقع في آخر حديث الفزارية المذكور آنفاً «على أولئك تقوم الساعة» وقال في الفتح أيضا قال ابن بطال وفيه أنه يجوز انقراض أهل الخير في آخر

الزمان حتى لا يبقى إلا أهل الشر ، واستدل به على جواز خلو الارض من عالم حتى لا يبقى إلا أهل الجهل صرفا اه

ومنها حديث أنس (رض) قال قال رسول الله ﷺ «ان من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويثبت الجهل ويشرب الخمر ويظهر الزنا» رواه البخاري

ومنها حديث عبدالله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رءوسا جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا» رواه البخاري ، قال الحافظ في الفتح واستدل به الجمهور على القول بخلو الزمان عن مجتهد ولله الامر يفعل ما يشاء اه

ومنها حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « يتقارب الزمان وينقص العلم ويلقى الشح وتظهر الفتن ويكثر الهرج » قالوا يا رسول الله أيما هو ؟ قال « القتل القتل » رواه البخاري

ومنها حديث أنس بن مالك قال : سمعت من نبيكم ﷺ « لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده أشر منه حتى تلقوا ربكم » رواه البخاري . قال الحافظ في الفتح وبهذا اللفظ أخرج الطبراني بسند جيد عن ابن مسعود نحو هذا الحديث موقوفا عليه قال « ليس عام إلا والذي بعده شر منه » وله عنه بسند صحيح قال « أمس خير من اليوم واليوم خير من غد وكذلك حتى تقوم الساعة » اه .

قال الحافظ في الفتح : وقد استشكل هذا الاطلاق مع أن بعض الازمنة تكون في الشر دون التي قبلها ، ولو لم يكن في ذلك إلا زمن عمر بن عبدالعزيز وهو بعد زمان الحجاج بيسير ، وقد اشتهر الخير الذي كان في زمن عمر بن عبد العزيز ، بل لو قيل ان الشر اضمحل في زمانه لما كان بعيدا فضلا عن أنه

يكون شراً من الزمن الذي قبله ، وقد حمله الحسن البصري على الاكثر الاغلب فسئل عن وجود عمر بن عبد العزيز بعد الحجاج فقال لا بد للناس من تنفيس ، وأجاب بعضهم أن المراد بالتفضيل تفضيل مجموع العصر على مجموع العصر ، فان عصر الحجاج كان فيه كثير من الصحابة في الاحياء وفي عصر عمر بن عبد العزيز انقرضوا والزمان الذي فيه الصحابة خير من الزمن الذي بعده لقوله ﷺ «خير القرون قرني » وهو في الصحيحين وقوله « أصحابي أمنة لأمتي فاذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون » أخرجه مسلم ، ثم وجدت عن عبد الله بن مسعود التصريح بالمراد وهو أولى بالاتباع ، فأخرج يعقوب بن شيبة من طريق الحارث ابن حصيرة عن زيد بن وهب قال : سمعت عبد الله بن مسعود يقول : لا يأتي عليكم يوم إلا وهو شر من اليوم الذي كان قبله حتى تقوم الساعة ، لست أعني رخاء من العيش يصيبه ولا مالا يفيده ولكن لا يأتي عليكم يوم إلا وهو أقل علما من اليوم الذي مضى قبله فاذا ذهب العلماء استوى الناس فلا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر فعند ذلك يهلكون اهـ

وقال في الفتح أيضا : واستشكلوا أيضا زمان عيسى بن مريم بعد زمان الدجال وأجاب الكرماني بأن المراد الزمان الذي يكون بعد عيسى أو المراد جنس الزمان الذي فيه الامراء وإلا فمعلوم من الدين بالضرورة أن زمان النبي المعصوم لا شر فيه (قلت) ويحتمل أن يكون المراد بالازمنة ما قبل وجود العلامات العظام كالدجال وما بعده ويكون بالازمان المتفاضلة في الشر من زمن الحجاج فما بعده إلى زمن الدجال وأما زمن عيسى (ع . م) فله حكم مستأنف والله أعلم اهـ

وقال في الفتح أيضا واستدل ابن حبان في صحيحه بأن حديث أنس ليس على عمومه بالاحاديث الواردة في المهدي وأنه يملأ الارض عدلا بعد أن ملئت جورا ، ثم وجدت عن ابن مسعود ما يصلح أن يفسر به الحديث وهو ما أخرجه

الدارمي بسند حسن عن عبد الله قال : لا يأتي عليكم عام إلا وهو شر من الذي قبله أما اني لست أعني عاما اه

(قلت) وتمام الحديث أخصب من عام ولا أميراً خيراً من أمير ، ولكن علماءكم وخياركم وفقهاءكم يذهبون ثم لا تجدون منهم خلفا ، ويجيء قوم يقيسون الامر برأيهم .

ومنها حديث حذيفة قال حدثنا رسول الله ﷺ حديثين رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر . حدثنا ان الامانة نزلت في جذر قلوب الرجال ثم علموا من القرآن ثم علموا من السنة ، وحدثنا عن رفعها قال « ينام الرجل النومة فتقبض الامانة من قلبه فيظل أثرها مثل أثر الوكت ، ثم ينام النومة فتقبض فيبقى أثرها مثل أثر المجل كجمر دحرجته على رجلك فتنفط فتراه منتبرا وليس فيه شيء ، ويصبح الناس يتبايعون ولا يكاد أحد يؤدي الامانة فيقال ان في بني فلان رجلا أمينا ويقال للرجل ما أعقله وما أظرفه وما أجلده وما في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان » متفق عليه

ومنها حديث حذيفة قال كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني قال قلت يا رسول الله انا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر ؟ قال « نعم » قلت وهل بعد ذلك الشر من خير ؟ قال « نعم وفيه دخن » قلت وما دخنه ؟ قال « قوم قوم يستنون بغير سنتي ويهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر » قلت فهل بعد ذلك الخير من شر ؟ قال « نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم اليها قذفوه فيها » قلت يا رسول الله صفهم لنا قال « هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا » قلت فما تأمرني ان أدركني ذلك ؟ قال « تلزم جماعة المسلمين وامامهم » قلت فان لم يكن لهم جماعة ولا امام ؟ قال « فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك » متفق عليه

ومنها حديث أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « بادروا بالاعمال فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا، ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا، يبيع دينه بعرض من الدنيا » رواه مسلم

ومنها حديث أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ « لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا في جحر ضب لاتبعتموهم » قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى ؟ قال « فمن » متفق عليه

ومنها حديث أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « بدأ الاسلام غريبا وسيعود كما بدأ غريبا فطوبى للغرباء » رواه مسلم

وقد ورد تفسير الغرباء في حديث كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف بن زيد بن ملحة عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال « ان الدين ليأرز إلى الحجاز كما تأرز الحية إلى جحرها وليعقلن الدين في الحجاز معقل الأروية من رأس الجبل ، ان الدين بدأ غريبا ويرجع غريبا فطوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس من بعدي من سنتي » رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن

(قلت) وفي تحسينه نظر فانه من رواية كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني عن أبيه عن جده ، وكثير هذا اتهمه الشافعي وأبو داود بالكذب، وقال ابن حبان له عن أبيه عن جده نسخة موضوعة ، وأما الترمذي فروى من حديثه «الصلح جائز بين المسلمين» وصححه فلذا لم يعتمد العلماء على تصحيح الترمذي كذا في الميزان

وقد وقع تفسير الغرباء في حديث روي عن أبي الدرداء وأبي أمامة وواثلة ابن الاسقع وأنس بن مالك وهو حديث طويل رواه الطبراني في الكبير وقد تقدم في بيان السواد الاعظم وفيه كثير بن مروان وهو أيضا متهم بالكذب

وورد تفسير الغرباء أيضا في حديث عبد الله (رض) قال قال رسول الله

ﷺ « ان الاسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا فطوبى للغرباء » قال ، قيل ومن الغرباء ؟ قال « النزاع من القبائل » رواه ابن ماجه والدارمي وجميع رواته ثقات سوى سفيان بن وكيع وهو وإن تكلموا فيه لكنه صدوق ، قال ابن خزيمة لو خر من السماء فتخطفه الطير أحب اليه من أن يكذب على رسول الله ﷺ وقد حسن له الترمذي كذا في الميزان ، فهذا الحديث أحسن شيء في الباب ، قال في النهاية وفيه « طوبى للغرباء » قيل من هم يا رسول الله ؟ قال « النزاع من القبائل » هي جمع نازع ونزيع وهو الغريب الذي نزع من أهله وعشيرته أي بعد وغاب . انتهى

(ومنها) حديث أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « من تمسك بسنتي عند فساد امتي فله أجر مائة شهيد » كذا في المشكاة من غير ذكر المخرج ، وفي مجمع الزوائد ، وعن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « المتمسك بسنتي عند فساد امتي له أجر شهيد » رواه الطبراني في الاوسط ، وفيه محمد بن صالح العدوي ولم أر من ترجمه وبقية رجاله ثقات

(ومنها) حديث أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ انكم في زمان من ترك منكم عشر ما أمر به هلك ، ثم يأتي زمان من عمل منهم بعشر ما أمر به نجا » رواه الترمذي (ومنها) حديث أبي ثعلبة في قوله تعالى (عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم) وفيه « فان وراءكم أياما الصبر فمن صبر فيهن قبض على الجمر ، للعامل فيهن اجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله »[1] قالوا يا رسول الله ﷺ أجر خمسين منهم ؟ قال « أجر خمسين منكم » رواه الترمذي وابن ماجه

(ومنها) حديث أنس قال قال رسول الله ﷺ « يأتي على الناس زمان الصابر

(١) هكذا أورد الحديث ، ونصه المروي « فان من ورائكم أيام الصبر فيهن مثل القبض على الجمر للعامل فيهن أجر خمسين رجلا يعملون مثل عملكم »

فيهم على دينه كالقابض على الجمر» رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب إسنادا

(ومنها) حديث عبد الرحمن بن العلاء الحضرمي قال حدثني من سمع النبي ﷺ يقول «انه سيكون في آخر هذه الامة قوم لهم مثل أجر أولهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقاتلون أهل الفتن» رواه البيهقي في دلائل النبوة

(ومنها) ماروي عن عبد الله بن الديلمي قال بلغني ان أول ذهاب الدين ترك السنّة يذهب الدين سنة فسنة كما يذهب الحبل قوة قوة» رواه الدارمى (ومنها) ماروي عن شقيق قال قال عبد الله كيف أنتم إذا لبستكم فتنة يهرم فيها الكبير، ويربو فيها الصغير، وتتخذها الناس سنة فاذا غيرت قالوا غيرت السنة، قالوا ومتى ذلك يا أبا عبد الرحمن ؟قال إذا كثرت قراؤكم وقلت فقهاؤكم، وكثرت أمراؤكم، وقلت أمناؤكم، والتمست الدنيا بعمل الآخرة رواه الدارمي

ومنها ماروي عن عبد الله قال لا يأتي عليكم عام إلا وهو شر من الذي كان قبله أما اني لست أعني عاما أخصب من عام ولا أميراً خيراً من أمير، ولكن علماءكم وخياركم وفقهاءكم يذهبون، ثم لا تجدون منهم خلفا، ويجيء قوم يقيسون الامر برأيهم رواه الدارمي وقد نقل هذا فيما قبل من الفتح

(ومنها) ماروي عن الحسن قال سنتكم والله الذي لا إله الا هو بينهما بين الغالي والجافي فاصبروا عليها رحمكم الله، فان أهل السنة كانوا أقل الناس فيما مضى، وهم أقل الناس فيما بقي، الذين لم يذهبوا مع أهل الاتراف في اترافهم، ولا مع أهل البدع في بدعهم، وصبروا على سنتهم حتى لقوا ربهم، فكذلك إن شاء الله فكونوا رواه الدارمي (ومنها) ماروي عن ابن مسعود قال لي رسول الله ﷺ « تعلموا العلم وعلموه الناس، تعلموا الفرائض وعلموه الناس، تعلموا القرآن وعلموه الناس، فاني امرؤ مقبوض والعلم سيقبض، وتظهر الفتن حتى يختلف اثنان في فريضة لا يجدان أحداً يفصل بينهما» رواه الدارمي

(ومنها) ماروي عن زياد بن لبيد قال ذكر النبي ﷺ شيئا فقال «ذاك عند أوان ذهاب العلم » قلت يارسول الله وكيف يذهب العلم ونحن نقرأ القرآن ونقرئه أبناءنا ويقرئه أبناؤنا أبناءهم الى يوم القيامة؟ فقال « ثكلتك أمك زياد، إن كنت لأراك من أفقه رجل بالمدينة : أوليس هذه اليهود والنصارى يقرءون التوراة والانجيل لا يعملون بشيء مما فيهما» رواه أحمد وابن ماجه ، وروى الترمذي عنه نحوه وكذا الدارمي عن أبي إمامة . كذا في المشكاة

(قلت) وقد روى الدارمي هذا الحديث أيضا عن أبي الدرداء قال كنا مع رسول الله ﷺ فشخص ببصره الى السماء ثم قال «هذا أوان يختلس العلم من الناس حتى لا يقدروا منه على شيء »فقال زياد بن لبيد الانصاري : يارسول الله كيف يختلس منا وقد قرأنا القرآن ؟ فوالله لنقرأنه ولنقرئنه نساءنا وأبناءنا ، فقال« ثكلتك أمك يازياد » الحديث. ورواه احمد والطبراني في الكبير عن أبي امامة وإسناد الطبراني أصح

وفي الباب عن ابن عمر رواه البزار وفيه سعيد بن سنان،وعن عوف بن مالك رواه البزار وفيه عبدالله بن صالح وعن وحشي بن حرب رواه الطبراني في الكبير وإسناده حسن ،وعن صفوان بن عسال رواه الطبراني في الكبير ،وفيه مسلمة بن علي الخشني وهو ضعيف كذا في مجمع الزوائد

(ومنها) حديث حزام بن حكيم بن حزام عن أبيه عن النبي ﷺ قال «انكم قد أصبحتم في زمان كثير فقهاؤه، قليل خطباؤه ،كثير معطوه قليل سؤاله، العمل فيه خير من العلم، وسيأتي زمان قليل فقهاؤه وكثير خطباؤه ، وكثير سؤاله قليل معطوه ، العلم فيه خير من العمل » رواه الطبراني في الكبير وفيه عثمان بن عبدالرحمن الطرائقي وهو ثقة إلا انه قيل فيه يروي عن الضعفاء وهذا من روايته عن صدقة بن خالد وهو من رجال الصحيح

وعن أبي ذر ان النبي ﷺ قال «انكم في زمان علماؤه كثير وخطباؤه قليل، من ترك فيه عشر ما يعلم هوى، وسيأتي على الناس زمان يقل علماؤه ويكثر خطباؤه، من تمسك فيه بعشر ما يعلم نجا» رواه أحمد وفيه رجل لم يسم. وعن حزام بن حكيم عن عمه عن رسول الله ﷺ انه قال «أصبحتم في زمان كثير فقهاؤه قليل خطباؤه، كثير معطوه قليل سؤاله، العمل فيه خير من العلم، وسيأتي زمان قليل فقهاؤه كثير خطباؤه كثير سؤاله قليل معطوه العلم فيه خير من العمل» رواه الطبراني في الكبير وفيه صدقة بن عبدالله السمين وهو ضعيف منكر الحديث كذا في مجمع الزوائد

(ومنها) حديث حذيفة بن اليمان عن رسول الله ﷺ قال «سيأتي عليكم زمان لا يكون فيه شيء أعز من ثلاث: درهم حلال أو أخ يستأنس به، أو سنة يعمل بها» رواه الطبراني في الاوسط وفيه روح بن صلاح ضعفه ابن عدي وقال الحاكم ثقة مأمون وذكره ابن حبان في الثقات وبقية رجاله موثقون كذا في مجمع الزوائد (ومنها) حديث ابن عباس (رض) قال ما أتى على الناس عام إلا أحدثوا فيه بدعة وأماتوا فيه سنة حتى تحيا البدع وتموت السنن. رواه الطبراني في الكبير ورجاله موثقون كذا في مجمع الزوائد

(ومنها) حديث علي قال قال رسول الله ﷺ «يوشك أن يأتي على الناس زمان لا يبقى من الاسلام إلا اسمه، ولا يبقى من القرآن الا رسمه، مساجدهم عامرة وهي خراب من الهدى، علماؤهم شر من تحت أديم السماء، من عندهم تخرج الفتنة وفيهم تعود» رواه البيهقي في شعب الايمان كذا في المشكاة

(ومنها) حديث حذيفة بن اليمان قال قال رسول الله ﷺ «يدرس الاسلام كما يدرس وشي الثوب حتى لا يدرى ما صيام ولا صلاة ولا صدقة، وليسري على كتاب الله عز وجل في ليلة فلا يبقى في الارض منه آية، ويبقى طوائف من الناس الشيخ الكبير والعجوز يقولون أدركنا آباءنا على هذه الكلمة: لا اله الا الله

فنحن نقولها » فقال له صلة ما تغني عنهم لا اله الا الله وهم لا يدرون ما صلاة ولا صيام ولا نسك ولا صدقة ؟ فأعرض عنه حذيفة ثم ردها عليه ـ ثلاثا ـ كل ذلك يعرض عنه حذيفة ثم أقبل عليه في الثالثة فقال يا صلة تنجيهم من النار ثلاثا رواه ابن ماجه ورواته كلهم ثقات

(ومنها) حديث ثوبان قال قال رسول الله ﷺ « يوشك الامم أن تداعى عليكم كما تداعى الاكلة الى قصعتها »[1] فقال قائل ومن قلة نحن يومئذ؟ قال بل أنتم يومئذ كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم ، وليقذفن في قلوبكم الوهن » قال قائل يا رسول الله وما الوهن؟ قال «حب الدنيا وكراهية الموت» رواه أبو داود والبيهقي في دلائل النبوة كذا في المشكاة

(ومنها) حديث ابن مسعود سمعت النبي ﷺ يقول « من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء » رواه البخاري

(ومنها) حديث أنس (رض) ان رسول الله ﷺ قال «لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الارض الله الله» رواه مسلم (ومنها) حديث عبدالله بن مسعود قال قال رسول الله ﷺ « لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق » رواه مسلم

(ومنها) حديث أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس حول ذي الخلصة » وذو الخلصة طاغية دوس التي كانوا يعبدون في الجاهلية » متفق عليه

(ومنها) حديث عائشة (رض) قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول « لا يذهب الليل والنهار حتى يعبد اللات والعزى » فقلت يا رسول الله إن كنت لأظن حين أنزل الله تعالى (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق

(١) تداعى عليكم الامم بفتح التاء أصله تتداعى اى يدعو بعضها بعضا لى سلب ملككم واستذلالكم كما يتداعون الى قصعة الطعام لانكم تكونون أكلة لهذ

ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) ان ذلك تام قال « انه سيكون من ذلك ما شاء الله ثم يبعث الله ريحا طيبة فتوفى كل من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان فيبقى من لا خير فيه فيرجعون الى دين آبائهم » رواه مسلم

ومنها حديث النواس بن سمعان في قصة الدجال وعيسى أو يأجوج ومأجوج وفيه « إذ بعث الله ريحا طيبة فتقبض روح كل مؤمن ومسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة »

(فان قلت) ما وجه الجمع بين تلك الاحاديث وبين حديث « لا تزال طائفة من أمتي على الحق حتى تقوم الساعة »

(قلت) وجه الجمع حمل الغاية في حديث « لا تزال طائفة » على وقت هبوب الريح الطيبة التي تقبض روح كل مؤمن ومسلم فلا يبقى إلا الشرار فتهجم الساعة عليهم بغتة . كذا في فتح الباري

وجملة القول في الباب أن السنة كانت غالبة في قرن الصحابة خاصة ولذا وصفه النبي صلى الله عليه وسلم بالخيرية المطلقة ، وأما بعده فقد زالت غلبة السنة ، ولكن قرن التابعين وقرن تبع التابعين لم تغلب فيهما البدعة أيضا ولذا وصفا في الحديث بالخيرية الاضافية ، وأما بعد انقراض القرن الثالث فقد صارت السنة غريبة وأهلها غرباء ولا تزال غربتها في زيادة إلى أن تقوم الساعة اللهم إلا في زمان المهدي (رض) وعيسى عليه السلام فلا يجوز التمسك بجمهور إلا بجمهور الصحابة

وبما علم مما نقل من الاحاديث والآثار أن غربة الاسلام ليس معناها أنه قل أهل الاسلام ذلك عليه ما في حديث ثوبان المتقدم من قوله صلى الله عليه وسلم « بل أنتم يومئذ كثير » (بل) معناها أن الصالحين من أهل الاسلام يذهبون الاول فالاول وتبقى حثالة كحثالة الشعير وغثاء كغثاء السيل وأن سنن الاسلام وشعبها وشرائعها من الصلاة والصيام والنسك والصدقة وغيرها تذهب وقتا فوقتا حتى لا يبقى

إلا قول لا إله إلا الله ، فاذا بعث الله ريحا طيبة توفي كل من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فيبقى من لا خير فيه فعليهم تقوم الساعة

ولفظ السنة فيما هنالك يشمل الفرض والسنة والمندوب كما ورد في حديث أبي هريرة (رض) قال قال رسول الله ﷺ « السنة سنتان : سنة في فريضة ، وسنة في غير فريضة ، فالسنة التي في الفريضة أصلها في كتاب الله أخذها هدى وتركها ضلالة ، والسنة التي ليس أصلها في كتاب الله الاخذ بها فضيلة وتركها ليس بخطيئة » رواه الطبراني في الاوسط وقال لم يروه عن أبي سلمة إلا عيسى بن واقد تفرد به عبدالله بن الرومي ولم أر من ترجمه، كذا في مجمع الزوائد

وإطلاق السنة على ما يشمل الفرض وغيره شائع كما في قوله ﷺ « فمن رغب عن سنتي فليس مني » أي أعرض عن طريقتي فرضاً أو سنة ، عملا أو عقيدة ، فليس قريبا مني ، أو أعرض عنها غير معتقدها ـ كذا في مجمع البحار

وقال الحافظ في الفتح : المراد بالسنة الطريقة لا التي تقابل الفرض ، وفي حديث حذيفة الطويل ثم علموا من القرآن ثم علموا من السنة ـ قال الحافظ في الفتح : والمراد بالسنن ما يتلقونه عن النبي ﷺ واجب كان أو مندوبا

* * *

قوله ﴿ ومنها حديث عبد الله بن عمر (رض) عن النبي ﷺ انه خطب في الجابية فقال « من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة ، فان الشيطان مع الواحد ، وهو من الاثنين أبعد ﴾

أقول فيه بحث من وجوه (الاول) ان لفظ حديث ابن عمر في تيسير الوصول هكذا : وعن ابن عمر عن النبي ﷺ قال « من سره أن يسكن بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة فان الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد » اه فليس فيه انه خطب

في الجابية ، وليس فيه من اراد بحبوحة الجنة بل لفظه «من سره أن يسكن بحبوحة الجنة» (والثاني) أن رواية ابن عمر قد ذكرها الهيثمي في مجمع الزوائد ونصه هكذا: وعن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ « احفظوني في أصحابي ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، ثم يظهر الكذب حتى يشهد الرجل قبل أن يستشهد وحتى يحلف الرجل قبل أن يستحلف ، ويبذل نفسه بحلف الزور ، فمن سره بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة ، فان يد الله علي الجماعة ، وان الشيطان مع الواحد ، وهو من الاثنين أبعد ، ولا يخلون رجل بامرأة ، فان ثالثهما الشيطان ، ومن ساءته سيئته وسرته حسنته فهو مؤمن »رواه الطبراني في الاوسط وفيه ابراهيم بن عبد الله بن خالد المصيصي وهو متروك اه

قال الذهبي في الميزان : ابراهيم بن عبدالله بن خالد عن عبد الله بن قيس وابراهيم المصيصي عن وكيع أحد المتروكين ،قال ابن حبان ابراهيم بن عبدالله بن خالد يسرق الحديث ويروي عن الثقات ماليس من حديثهم (قلت) هذا رجل كذاب قال الحاكم أحاديثه موضوعة اه ملخصا

(والثالث) ان الحديث من مسنيد عمر لا ابن عمر ، دل على ذلك رواية الترمذي لفظه هكذا حدثنا احمد بن منيع حدثنا النضر بن اسماعيل أبو المغيرة عن محمد بن سوقة عن عبدالله بن دينار عن ابن عمر قال خطبنا عمر بالجابية فقال يا أيها الناس اني قمت فيكم كمقام رسول الله ﷺ فينا فقال « أوصيكم بأصحابي ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يفشو الكذب حتى يحلف الرجل ولا يستحلف ، ويشهد الشاهد ولا يستشهد ، ألا لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان ، عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة فان الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد ، من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة ،من سرته حسنته وساءته سيئته فذلكم المؤمن » هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه وقد رواه ابن المبارك عن محمد

ابن سوقة وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن عمر عن النبي ﷺ اه

وهذه الرواية قد ذكرها ابن الجوزي أيضا في (تلبيس ابليس) بل هو أول حديث ذكره في الباب الاول، وما أعقل صاحب الرسالة حيث لم ينقل ما صححه الترمذي ونقل ما فيه متروك كذاب، وهذا أبهر برهان على انه لا يميز بين الصحيح والسقيم

(والرابع) ان رواية الترمذي في سندها النضر بن اسماعيل أبو المغيرة وهو ضعيف، قال الذهبي في الميزان قال يحيى ليس بشيء وقال النسائي وأبو زرعة ليس بالقوي وقال ابن حبان فحش خطؤه حتى استحق الترك وقال ابن عدي أرجو انه لا بأس به وقال العجلي ثقة اه وقال الحافظ ابن حجر في التقريب ليس بالقوي اه الا أن يقال ان ابن المبارك قد تابعه كما ذكره الترمذي فارتقى الحديث الى درجة الصحة والحسن

وروي هذا الحديث عن عامر بن ربيعة بلفظ قال قال رسول الله ﷺ «من مات وليس له طاعة مات ميتة جاهلية، وان خلعها من بعد عقدها في عنقه لقي الله تبارك وتعالى ليست له حجة، ألا لا يخلون رجل بامرأة فان ثالثهما الشيطان إلا محرم، فان الشيطان مع الواحد وهو مع الاثنين أبعد، من ساءته سيئته وسرته حسناته فهو مؤمن» رواه احمد وأبو يعلى والبزار والطبراني، وفي رواية عنده «بعد عقده إياها في عنقه» وفيه عاصم بن عبيد الله وهو ضعيف كذا في مجمع الزوائد

(والخامس) ان حديث ابن عمر المذكور ليس دالا على دعواه وهي لزوم اتباع الجمهور إذ لفظ الجماعة يحتمل معاني (أحدها) الجماعة في الصلاة كما في حديث أبي الدرداء سمعت رسول الله ﷺ يقول «ما من ثلاثة في قرية ولا بدو ولا تقام فيهم الصلاة الا قد استحوذ عليهم الشيطان، فعليكم بالجماعة فانما يأكل الذئب القاصية» قال السائب يعني بالجماعة الجماعة في الصلاة، رواه النسائي وأبو داود والبواقي تظهر بملاحظة العبارات التي ننقلها

قال الحافظ في الفتح في كتاب (الفتن) قال الطبراني اختلف في هذا الامر وفي الجماعة فقال قوم هو للوجوب والجماعة السواد الاعظم ، ثم ساق عن محمد بن سيرين عن أبي مسعود انه وصى من سأله لما قتل عثمان عليك بالجماعة ، فان الله لم يكن ليجمع أمة محمد ﷺ على ضلالة. وقال قوم المراد بالجماعة الصحابة دون من بعدهم وقال قوم المراد بهم أهل العلم ، لان الله جعلهم حجة على الخلق ، والناس تبع لهم في أمر الدين

قال الطبري : والصواب ان المراد من الخبر لزوم الجماعة الذين في طاعة من اجتمعوا على تأميره ، فمن نكث بيعته خرج عن الجماعة اه

وقال في كتاب (الاعتصام بالكتاب والسنة) والمراد بالجماعة أهل الحل والعقد من كل عصر ، وقال الكرماني مقتضى الامر بلزوم الجماعة أنه يلزم المكلف متابعة ما أجمع عليه المجتهدون وهم المراد بقوله: وهم أهل العلم ، والآية التي ترجم بها احتج بها أهل الاصول لكون الاجماع حجة اه

وقال القسطلاني في كتاب (الفتن) والجماعة التي أمر الشارع بلزومها جماعة أئمة العلماء لان الله تعالى جعلهم حجة على خلقه واليهم تفزع العامة في أمر دينها ، وهم المعنيون بقوله «ان الله تعالى لن يجمع أمتي على ضلالة » وقال آخرون : هم جماعة الصحابة الذين قاموا بالدين وقوّموا عماده ، وثبتوا أوتاده . وقال آخرون هم جماعة أهل الاسلام ما كانوا مجتمعين على أمر واجب على أهل الملل اتباعه ، فاذا كان فيهم مخالف منهم فليسوا مجتمعين اه

وعلى كل تقدير لا يثبت منه دعوى الخصم وهو لزوم اتباع الجمهور ، انما الثابت منه على المعنى الاول لزوم اتباع الجماعة في الصلاة ، وعلى الثاني لزوم اتباع ما أجمع عليه جميع أهل الاسلام ، وعلى الثالث لزوم اتباع جماعة الصحابة وعلى الرابع لزوم اتباع أهل العلم أي المجتهدين ، وعلى الخامس لزوم الجماعة الذين في طاعة

من اجتمعوا على تأميره وهم أهل الحل والعقد من كل عصر ويؤيد المعنى.
الخامس حديث عامر بن ربيعة المتقدم ، وكفى به مؤيداً وإن كان الحديث المذكور ضعيفاً فان التأييد يحصل بالضعيف أيضاً

قوله ﴿ وحديث عرفجة (رض) قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « يد الله على الجماعة والشيطان مع من يخالف الجماعة »

أقول أخرج هذا الحديث النسائي ولفظه هكذا عن عرفجة بن شريح الاشجعي قال رأيت النبي ﷺ على المنبر يخطب الناس فقال « انه سيكون بعدي هنات وهنات فمن رأيتموه فارق الجماعة أو يريد يفرق أمر أمة محمد كائناً من كان فاقتلوه فان يد الله على الجماعة ، فان الشيطان مع من فارق الجماعه يركض (قت) ورواته كلهم ثقات ، وفي مجمع الزوائد وعن عرفجة (رض) قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « يد الله على الجماعة والشيطان مع من يخالف يركض » رواه الطبراني ورجاله ثقات اه ولكن المراد بالجماعة في هذا الحديث هم الذين في طاعة من اجتمعوا على تأميره لا غير ، دل عليه ما رواه مسلم عن عرفجة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم ويفرق جماعتكم فاقتلوه »

قوله ﴿ وحديث أسامة بن شريك (رض) قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « يد الله على الجماعة ، فاذا شذ الشاذ منهم اختطفته الشياطين كما يختطف الذئب الشاة من الغنم ﴾

أقول راجعت كتاب (تلبيس ابليس) فوجدت فيه (الشاذ) بدل الشاة ، وفي مجمع الزوائد وعن أسامة بن شريك قال قال رسول الله ﷺ « يد الله عز وجل على الجماعة ، وإذا شذ الشاذ منهم اختطفه الشيطان كما يختطف الذئب الشاة من الغنم » رواه الطبراني وفيه عبد الاعلى بن أبي المساوري وهو ضعيف اه

قال الذهبي في الميزان عبد الاعلى بن أبي المساور الكوفي الجرار الفاخوري عن الشعبي لحقه جبارة بن المغلس ضعفوه ، قال يحيى وأبوداود ليس بشيء ، وقال ابن نمير والنسائي متروك وقال الدارقطني ضعيف اه

فهذا الحديث غير صالح لان يحتج به — على أن دلالته على المطلوب غير مسلمة فان لفظ الجماعة يحتمل الجماعة في الصلاة كما في حديث أبي الدرداء، وجماعة الصحابة وجماعة أهل الحل والعقد الذين هم في طاعة من اجتمعوا على تأميره

وروى النسائي عن اسامة بن شريك قال قال رسول الله ﷺ «أيما خرج يفرق بين أمتي فاضربوا عنقه» فهذا الحديث يعين أن المراد بالجماعة في الحديث المذكور هم الذين اجتمعوا على تأمير الامير ، فأين الاستدلال على لزوم اتباع الجمهور؟

قوله ﴿ وحديث معاذ بن جبل (رض) عن النبي ﷺ انه قال «ان الشيطان ذئب الانسان كذئب الغنم يأخذ الشاة الشاذة القاصية والنائية، فاياكم والشعاب، وعليكم بالجماعة العامة والمسجد ﴾

أقول : لم يذكر المصنف هناك حديث عبدالله قال خط رسول الله ﷺ خطاً بيده ثم قال «هذا سبيل الله مستقيما» ثم خط عن يمينه وشماله ثم قال «هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو اليه» ثم قرأ (ان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل) وهو موجود في (تلبيس ابليس) مع انه هو حديث جيد رواه أحمد والنسائي والدارمي والحاكم وصححه وابن حميد والبزار وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبوالشيخ وابن مردويه وأبوجعفر الرازي وورقاء وعمرو بن أبي قبيس ويزيد بن هرون ومسدد وابن جرير كذا في تفسير ابن كثير وفتح البيان وغيرهما

(قلت) ورجال بعضهم رجال الصحيحين كالدارمي واحمد والنسائي ، فلعل الباعث على حذفه ان هذا الحديث كان يقطع دابر المبتدعين ، ويقوي أمر المتبعين، وحديث معاذ بن جبل الذي ذكره صاحب الرسالة رواه أحمد والطبراني

قال الهيثمي في مجمع الزوائد وعن معاذ بن جبل ان النبي ﷺ قال « ان الشيطان ذئب الانسان كذئب الغنم يأخذ الشاة القاصية والنائية ، وإيا كم والشعاب وعليكم بالجماعة والعامة والمسجد » رواه احمد والطبراني ورجال أحمد ثقات إلا أن العلاء بن زياد قيل انه لم يسمع من معاذ بن جبل اه

(قلت) قال في الخلاصة العلاء بن زياد بن مطر البصري أرسل عن معاذ اه قال الذهبي في الكاشف العلاء بن زياد وأبو نصر العدوي له مراسيل اه فيكون الحديث ضعيفا فلا يصلح لان يحتج به — على أن لفظ الجماعة يحتمل جماعة الصلاة وجماعة أهل الحل والعقد وجماعة الصحابة ، فلا دلالة لهذا الحديث على لزوم اتباع كل جمهور ، فلا يتم التقريب

قوله ﴿ وحديث أبي ذر (رض) عن النبي ﷺ انه قال «اثنان خير من واحد وثلاثة خير من اثنين وأربعة خير من ثلاثة ، فعليكم بالجماعة فإن الله تعالى لن يجمع أمتي إلا على هدى ﴾

أقول رواه احمد وفي مسنده البختري بن عبيد وهو ضعيف متروك ، وقد تقدم الكلام عليه فتذكر

﴿ أحاديث أخرى في لزوم الجماعة للمصنف ﴾

(قلت) قد بقي في الباب أحاديث أخر فلا بأس هنا أن نذكرها ونتكلم عليها بالانصاف (منها) حديث أبي بصرة الغفاري صاحب رسول الله ﷺ قال. «سألت ربي عز وجل أربعا فأعطاني ثلاثا ومنعني واحدة، سألت الله أن لا يجمع أمتي على ضلالة فأعطانيها، وسألت الله أن لا يظهر عليهم عدواً من غيرهم فأعطانيها، وسألت الله أن لا يهلكهم بالسنين كما أهلك الامم قبلهم فأعطانيها ، وسألت الله عز وجل أن لا يلبسهم شيعا ويذيق بعضهم بأس بعض فمنعنيها » رواه أحمد كذا في تفسير ابن كثير ، وفي سنده رجل لم يسم كذا في مجمع الزوائد

(ومنها) حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « سألت ربي لامتي أربع خصال فأعطاني ثلاثا ومنعني واحدة، سألته أن لا تكفر أمتي واحدة فأعطانيها ، وسألته أن لا يعذبهم بما عذب به الامم قبلهم فأعطانيها ، وسألته أن لا يظهر عليهم عدواً من غيرهم فأعطانيها ، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها » رواه ابن مردويه ورواه ابن أبي حاتم نحوه، كذا في تفسير ابن كثير وهذا حديث مفسر لما جاء في الاحاديث الأخر من لفظ الضلالة فغايته ما يثبت من أحاديث الاجماع ان ما أجمع عليه الامة لا يكون كفراً

(ومنها) حديث زيد بن ثابت قال قال رسول الله ﷺ « نضر الله امرءاً سمع مقالتي فبلغها فرب حامل فقه غير فقيه ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه» زاد فيه علي بن محمد « ثلاث لا يغل عليهن قلب امرىء مسلم إخلاص العمل لله ، والنصح لأئمة المسلمين ، ولزوم جماعتهم » رواه ابن ماجه وفي سنده ليث بن أبي سليم وهو ضعيف ، ورواه الدارمي ولفظه أخبرنا عصمة بن الفضل ثنا حرمي بن عمارة عن شعبة عن عمرو بن سليمان عن عبدالرحمن بن ابان بن عثمان عن أبيه

قال خرج زيد بن ثابت من عند مروان بن الحكم بنصف النهار ، قال فقلت ماخرج هذه الساعة من عند مروان إلا وقد سأله عن شيء فأتيته فسألته قال نعم سألني عن حديث سمعته من رسول الله ﷺ قال « نضر الله امرءاً سمع منا حديثا فحفظه فأداه إلى من هو أفقه منه فرب حامل فقه ليس بفقيه ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، لا يعتقد قلب مسلم على ثلاث خصال إلا دخل الجنة » قال قلت ماهي ؟ قال « إخلاص العمل ، والنصيحة لولاة الامر ، ولزوم الجماعة فان دعوتهم تحيط من ورائهم ، ومن كانت الآخرة نيته جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله وأتته الدنيا وهي راغمة ، ومن كانت الدنيا نيته فرق الله عليه شمله وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له » قال وسألته عن صلاة الوسطى قال هي الظهر (قلت) ورواته كلهم ثقات

(ومنها) حديث جبير بن مطعم رواه الدارمي بسندين ولفظه هكذا: أخبرنا سليمان بن داود الزهراني انا اسماعيل هو ابن جعفر ثنا عمرو بن أبي عمرو عن عبد الرحمن بن الحويرث عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه انه شهد خطبة رسول الله ﷺ في يوم عرفة في حجة الوداع « أيها الناس اني والله لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد يومي هذا بمكاني هذا ، فرحم الله من سمع مقالتي اليوم فوعاها فرب حامل فقه ولا فقه له ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، واعلموا ان أموالكم ودماءكم حرام عليكم كحرمة هذا اليوم في هذا الشهر في هذا البلد ، واعلموا أن القلوب لا تغل على ثلاث إخلاص العمل لله ومناصحة أولي الامر وعلى لزوم الجماعة فان دعوتهم تحيط من ورائهم

أخبرنا احمد بن خالد ثنا محمد هو ابن اسحق عن الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال قام رسول الله ﷺ بالخيف من منى فقال « نضر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها ، ثم أداها إلى من لم يسمعها فرب حامل فقه لا فقه له ، ورب

حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، ثلاث لا يغل عليهن قلب المؤمن : إخلاص العمل لله ، وطاعة ذوي الامر ولزوم الجماعة ، فان دعوتهم تكون من ورائهم اه ورجال السند الاول كلهم رجال الصحيحين غير عبدالرحمن بن الحويرث فاني لم أجده في التقريب والخلاصة والميزان والكاشف ، ورجال السند الثاني أيضاً كلهم ثقات إلا أن محمد بن اسحاق مدلس وقد عنعنه. قال الهيثمي في مجمع الزوائد وله طريق عن صالح ابن كيسان عن الزهري ورجالها موثقون

ومنها حديث أبي الدرداء رواه الدارمي ولفظه هكذا : أخبرنا يحيى بن موسى ثنا عمرو بن محمد القرشي انا اسرائيل عن عبدالرحمن بن زبيد اليامى عن أبي العجلان عن أبي الدرداء قال خطبنا رسول الله ﷺ فقال « نضر الله امرءا سمع منا حديثا فبلغه كما سمعه ، فرب مبلغ أوعى من سامع ، ثلاث لا يغل عليهن قلب امريء مسلم : إخلاص العمل لله والنصيحة لكل مسلم ولزوم جماعة المسلمين فان دعاءهم محيط من ورائهم انتهى

(قلت) رجال سنده كلهم ثقات غير عبدالرحمن بن زبيد بن الحارث اليامى الكوفي ، قال البخاري منكر الحديث وقيل النكارة هي من يحيى بن عقبة الراوي عنه نقل عن البخاري أيضا كذا في الميزان (قلت) الراوي عنه فيما نحن فيه هو اسرائيل فلا بأس بحديثه والله أعلم ، وقال في مجمع الزوائد رواه الطبراني في الكبير ومداره على عبد الرحمن بن زبيد وهو منكر الحديث قاله البخاري اه (قلت) وقد عرفت جواب هذا الجرح فافهم

(ومنها) حديث أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ انه قال في حجة الوداع « نضر الله امرءا سمع مقالتي فوعاها فرب حامل فقه ليس بفقيه ، ثلاث لا يغل عليهن قلب امرىء مؤمن إخلاص العمل لله والمناصحة لأئمة المسلمين ولزوم جماعتهم فان دعاءهم يحيط من ورائهم » رواه البزار ورجاله موثقون الا أن يكون

شيخ سليمان بن سيف سعيد بن بزيع فاني لم أر أحدا ذكره، وإن كان سعيد بن الربيع فهو من رجال الصحيح فانه روى عنهما والله أعلم كذا في مجمع الزوائد

(ومنها) حديث معاذ بن جبل قال قال رسول الله ﷺ «نضر الله عبدا سمع كلامي ثم لم يزد فيه، فرب حامل فقه إلى أوعى منه، ثلاث لا يغل عليهن قلب مؤمن إخلاص العمل لله والمناصحة لاولي الامر، والاعتصام بجماعة المسلمين فان دعوتهم تحيط من ورائهم» رواه الطبراني في الكبير والاوسط الا انه قال في الاوسط (رب حامل كلمة) بدل (فقه) وفيه عمرو بن واقد رمي بالكذب وهو منكر الحديث كذا في مجمع الزوائد

قال الذهبي في الميزان عمرو بن واقد الدمشقي عن يونس بن ميسرة وغيره، وعنه يحيى الوحاظي وهشام بن عمار، قال أبو مسهر ليس بشيء، قال البخاري منكر الحديث وقال ابن عدي يكتب حديثه مع ضعفه وقال الدارقطني متروك وروى القسوي عن دحيم قال لم يكن شيوخنا يحدثون عنه، وقال وكان لا يشك انه كان يكذب، وكذبه مروان بن محمد وقال وهو هالك اه ملخصا

(ومنها) حديث النعمان بن بشير انه قال في خطبة خطبها رسول الله ﷺ في مسجد الخيف فقال «نضر الله وجه عبد سمع مقالتي فحملها فرب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه إلي من هو أفقه منه، ثلاث لا يغل عليهن قلب مؤمن إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الامر، ولزوم جماعة المسلمين فان دعوتهم تحيط من ورائهم» رواه الطبراني في الكبير وفيه عيسى الخياط وهو متروك كذا في مجمع الزوائد

قال الذهبي في الميزان عيسى بن أبي عيسى ميسرة المدني الخياط وهو حناط والخباط عمل المعايش الثلاث وروى عن أنس والشعبي وعنه وكيع وعبيد الله بن موسى وابن أبي فديك وجماعة ضعفه أحمد وغيره. قال الفلاس والنسائي متروك وقال ابن سعد كان يقول أنا حناط وخباط وخياط كلا قد عالجت. وقال أحمد لا يساوي شيئا اه ملخصا

(ومنها) حديث النعمان بن بشير عن أبيه عن النبي ﷺ قال «رحم الله عبدا سمع مقالتي فحفظها فرب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ثلاث لا يغل عليهن قلب مؤمن إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة المسلمين ولزوم جماعة المسلمين» رواه الطبراني في الكبير وفيه محمد بن كثير الكوفي ضعفه البخاري وغيره ومشاه ابن معين كذا في مجمع الزوائد

قال الذهبي في الميزان: قال أحمد خرقنا حديثه، وقال البخاري كوفي منكر الحديث، وقال ابن المديني كتبنا عنه عجائب وخططت على حديثه ومشاه ابن معين، روى عباس عن يحيى قال شيعي ولم يكن به بأس، قال ابن عدي: الضعف على حديثه بين اه ملخصاً

(ومنها) حديث أبي قرصافة جندرة بن خيشنة(١) قال قال رسول الله ﷺ «نضر الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها وحفظها فرب حامل علم إلى من هو أعلم منه، ثلاث لا يغل عليهن القلب إخلاص العمل ومناصحة الولاة ولزوم الجماعة» قال وبلغني ان ابناً لأبي قرصافة أسرته الروم فكان أبو قرصافة يناديه من سور عسقلان في وقت كل صلاة: يافلان الصلاة. فيسمعه فيجيبه وبينهما عرض البحر رواه الطبراني في الاوسط والصغير وإسناده لم أر من ذكر أحداً منهم

ومنها حديث جابر قال قال رسول الله ﷺ «نضر الله امرءا سمع مقالتي فوعاها ثم بلغها فرب مبلغ أوعى من سامع، ثلاث لا يغل عليهن قلب امريء مسلم إخلاص العمل لله ومناصحة ولاة المسلمين ولزوم جماعتهم فان دعوتهم تحيط من ورائهم» رواه الطبراني في الاوسط، وفيه محمد بن موسى البربري(٢) قال الدارقطني ليس بقوي كذا في مجمع الزوائد

---

(١) في الاصل حيدره بمهملة وياء بن خثيمة والصواب جندره بجيم مفتوحة ابن خيشنة بمعجمة فياء مثناة تحتية فشين معجمة فنون. وقرصافة بكسر القاف وكتبه محمد رشيد رضا (٢) فى حاشية نسخة الهند: وفى نسخة البربري

ومنها حديث أنس بن مالك قال خطبنا رسول الله ﷺ بمسجد الخيف من منى فقال «نضر الله امرءا سمع مقالتي فحفظها ثم ذهب بها الى من لم يسمعها فرب حامل فقه ليس بفقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، ثلاث لا يغل عليهن قلب امرىء مؤمن: إخلاص العمل لله والنصح لمن ولاه الله عليكم الامر ، ولزوم جماعة المسلمين ، فان دعوتهم تحيط من ورائهم » رواه الطبراني في الاوسط وفيه عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف كذا في مجمع الزوائد

(الاخبار والآثار في الحكم والقضاء بالشورى)*)

ومنها حديث ابن عباس قال قلت يا رسول الله أرأيت ان عرض لنا أمر لم ينزل فيه قرآن ولم تمض فيه سنة منك ؟ قال «تجعلونه شورى بين العابدين من المؤمنين ولا تقضونه برأي خاصة» فذكر الحديث بتمامه رواه الطبراني في الكبير وفيه عبد الله بن كيسان قال البخاري منكر الحديث كذا في مجمع الزوائد ، قال الذهبي في الميزان قال البخاري منكر الحديث ، وقال أبو حاتم ضعيف ، وقال النسائي ليس بالقوي اه

ومنها حديث علي قال قلت يا رسول الله إن نزل بنا أمر ليس فيه أمر ولا نهي فما تأمرني؟ قال «تشاوروا الفقهاء والعابدين ولا تمضوا فيه رأي خاصة» رواه الطبراني في الاوسط ورجاله موثقون من أهل الصحيح كذا في مجمع الزوائد

ومنها حديث أبي سلمة الحمصي أن النبي ﷺ سئل عن الامر يحدث ليس في كتاب ولا سنة فقال « ينظر فيه العابدون من المؤمنين » رواه الدارمي وهذا حديث رجال سنده كلهم رجال الصحيحين إلا أن فيه انقطاعاً

وفي الباب آثار (منها) أثر عبد الله بن مسعود ما رآه المسلمون حسن فهو

---

*) العنوان للمصحح

عند الله حسن وما رآه المسلمون سيئاً فهو عند الله سيء رواه أحمد والبزار والطبراني في الكبير ورجاله موثقون كذا في مجمع الزوائد وقد تقدم ذكره

ومنها ماروي عن المسيب بن رافع قال كانوا إذا نزلت بهم قضية التي ليس فيها من رسول الله ﷺ أثر اجتمعوا لها وأجمعوا فالحق فيما رأوا رواه الدارمي ورجال سنده كلهم رجال الصحيحين إلا أن هشيما كثير التدليس وقد تابعه يزيد قال الدارمي أخبرنا عبد الله أنا يزيد عن العوام بهذا

ومنها ماروي عن ميمون بن مهران قال كان أبوبكر إذا ورد عليه الخصم نظر في كتاب الله فان وجد فيه مايقضي بينهم قضى به وان لم يكن في الكتاب وعلم من رسول الله ﷺ في ذلك الامر سنة قضى به فان أعياه خرج فسأل المسلمين وقال أتاني كذا وكذا فهل علمتم ان رسول الله ﷺ قضى في ذلك بقضاء ؟ فربما اجتمع اليه النفر كلهم يذكر من رسول الله ﷺ فيه قضاء فيقول أبو بكر الحمد لله الذي جعل فينا من يحفظ على نبينا فان أعياه أن يجد فيه سنة من رسول الله ﷺ جمع رءوس الناس وخيارهم فاستشارهم فاذا اجتمع رأيهم على أمر قضى به ، رواه الدارمي ورجال سنده كلهم موثقون

ومنها أثر عبد الله بن مسعود قال : أتى علينا زمان لسنا نقضي ولسنا هنالك وإن الله قد قدر من الامر أن قد بلغنا ما ترون فمن عرض له قضاء بعد اليوم فليقض فيه بما في كتاب الله عز وجل فان جاءه ما ليس في كتاب الله فليقض بما قضى به رسول الله ﷺ فان جاءه ما ليس في كتاب الله ولم يقض به رسول الله ﷺ فليقض بما قضى به الصالحون ، ولا يقل اني أخاف واني أرى فان الحرام بين والحلال بين . وبين ذلك أمور مشتبهة فدع ما يريبك إلى ما لا يريبك . رواه الدارمي وفي سنده حريث بن ظهير قال الذهبي في الميزان لا يعرف وفيه سفيان

وهو مدلس وقد عنعنه وقد تابع حريثا عبد الرحمن بن يزيد وتابع سفيان شعبة وأبو عوانة وجرير

قال الدارمي في مسنده أخبرنا يحيى بن حماد ثنا شعبة عن سليمان عن عمارة ابن عمير عن حريث بن ظهير قال أحسبه أن عبد الله قال : قد أتى علينا زمان وما نسأل وما نحن هناك وان الله قدر ان بلغت ما ترون فاذا سئلتم من شيء فانظروا في كتاب الله فان لم تجدوه في كتاب الله ففي سنة رسول الله ﷺ فان لم تجدوه في سنة رسول الله ﷺ فما أجمع عليه المسلمون فان لم يكن فيما اجتمع عليه المسلمون فاجتهد رأيك ولا تقل اني أخاف وأخشى فان الحلال بين والحرام بين . وبين ذلك أمور مشتبهة فدع ما يريبك إلى ما لا يريبك . حدثنا يحيى بن حماد عن أبي عوانة عن سليمان عن عمارة بن عمير عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله نحوه . أخبرنا عبد الله بن محمد ثنا جرير عن الاعمش عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الله بنحوه اه

وقال النسائي في المجتبى أخبرنا محمد بن العلاء قال حدثنا أبو معاوية عن الاعمش عن عمارة هو ابن عمير وعن عبد الرحمن بن يزيد قال : أكثروا على عبد الله ذات يوم فقال عبد الله : انه قد أتى علينا زمان ولسنا نقضي ولسنا هنالك ثم ان الله عز وجل قدر علينا ان بلغنا ما ترون فمن عرض له منكم قضاء بعد اليوم فليقض بما في كتاب الله فان جاءه أمر ليس في كتاب الله فليقض بما قضى به نبيه ﷺ فان جاءه أمر ليس في كتاب الله ولا قضى به نبيه ﷺ فليقض بما قضى به الصالحون فان جاءه أمر ليس في كتاب الله ولا قضى به نبيه ﷺ ولا قضى به الصالحون ، فليجتهد رأيه ولا يقول اني أخاف واني أخاف فان الحلال بين والحرام بين وبين ذلك أمور مشتبهات فدع ما يريبك الى ما لا يريبك . قال

أبو عبد الرحمن[1] هذا الحديث حديث جيد جيد اهـ ، ورواه النسائي من حديث حريث بن ظهير أيضا

(ومنها) ما روي عن شريح عن عمر بن الخطاب كتب اليه: ان جاءك شيء في كتاب الله فاقض به ولا يلتفتك عنه(٢) الرجال فان جاءك ما ليس في كتاب الله فانظر سنة رسول الله ﷺ فاقض به فان جاءك ما ليس في كتاب الله ولم يكن فيه سنة من رسول الله ﷺ فانظر ما اجتمع عليه الناس فخذ به فان جاءك ما ليس في كتاب الله ولم يكن في سنة رسول الله ﷺ ولم يتكلم فيه أحد قبلك فاختر أي الامرين شئت ، ان شئت أن تجتهد برأيك ثم تقدم فتقدم وان شئت أن تتأخر فتأخر ولا أرى التأخر إلا خيرا لك . رواه الدارمي ورواته كلهم موثقون ورواه النسائي ولفظه هكذا

أخبرنا محمد بن بشار قال ثنا أبو عامر قال ثنا سفيان عن الشيباني عن الشعبي عن شريح أنه كتب الى عمر يسأله فكتب اليه : أن اقض بما في كتاب الله فان لم يكن في كتاب الله فبسنة رسول الله فان لم يكن في كتاب الله ولا في سنة رسول الله ﷺ فاقض بما قضى به الصالحون فان لم يكن في كتاب الله ولا في سنة رسول الله ﷺ ولم يقض به الصالحون فان شئت فتقدم وان شئت فتأخر ولا أرى التأخر إلا خيرا لك والسلام عليكم اهـ

ولكن ليس في شيء من تلك الاحاديث الدلالة على مقصود الخصم من لزوم اتباع كل جمهور لاحتمال أن يكون المراد ما أجمع عليه الامة لا يكون كفرا كما في حديث أبي هريرة الذي رواه ابن مردويه أو يكون المراد لزوم جماعة

(١) كتب فى حاشية طبعة الهند هنا: أي الدارمي . وهو غلط بل هو الحافظ احمد بن شعيب النسائي صاحب السنن

(٢) كذا فى النسخة ولعل صوابه يلفتك من الثلاثي فهو المتعدى بنفسه قال تعالى (لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا)

أهل الحل والعقد أو يكون المراد ما أجمع عليه الفقهاء الصالحون وهم فقهاء أهل السنة والجماعة

قوله ﴿ ومما يعتقده هؤلاء المنكرون للزيارة والتوسل منع طلب الشفاعة من النبي صلى الله عليه وسلم ﴾

أقول لابد هناك أولا من تحقيق لفظ الشفاعة ، فاعلم أنه قال ابن الاثير في النهاية قد تكرر ذكر الشفاعة في الحديث فيما يتعلق بأمور الدنيا والآخرة وهي السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم ، يقال شفع يشفع شفاعة فهو شافع وشفيع والمشفع الذي يقبل الشفاعة(١) والمشفع الذي يقبل شفاعته اه

وفي مجمع البحار والشفاعة تكررت في الحديث وتتعلق بأمور الدنيا والآخرة وهي السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم شفع فهو شافع وشفيع والمشفع من من يقبلها والمشفع من يقبل شفاعته اه

وقال البيضاوي والشفاعة من الشفع كأن المشفوع له كان فردا فجعله الشفيع شفعا بضم نفسه اليه اه

وقال في فتح البيان والشفاعة مأخوذة من الشفع وهو الاثنان تقول استشفعته أي سألته أن يشفع لي أي يضم جاهه إلى جاهك عند المشفوع اليه ليصل النفع إلى المشفوع اه

وقال الحافظ في فتح الباري الاستشفاع طلب الشفاعة وهي انضمام الادنى إلى الاعلى ليستعين به على ما يرومه اه

إذا دريت هذا فاعلم أن شفاعة النبي ﷺ للمؤمنين ثابتة في الدنيا والآخرة أما الشفاعة في الدنيا فقد قال الله تعالى في سورة النساء ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا

(١) المشفع هنا بكسر الفاء المشددة والذي بعده بفتحها

أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّابًا رَحِيمًا)

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره تحت هذه الآية : يرشد تعالى العصاة والمذنبين إذا وقع منهم الخطأ والعصيان أن يأتوا إلى الرسول ﷺ فيستغفروا الله عنده ويسألوه أن يستغفر لهم فإنهم إذا فعلوا ذلك تاب الله عليهم ورحمهم وغفر لهم انتهى

قال ابن عبد الهادي في الصارم المنكي وهذه كانت عادة الصحابة معه (ص) ان أحدهم متى صدر منه ما يقتضي التوبة جاء اليه فقال يارسول الله فعلت كذا وكذا فاستغفر لي اه

ويدل عليه ما روي عن كعب بن مالك في حديث طويل فيه : فطفقوا يعتذرون اليه ويحلفون له ، وكانوا بضعة وثمانين رجلا، فقبل منهم رسول الله ﷺ علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم، ووكل سرائرهم إلى الله تعالى اه

وقال تعالى في سورة آل عمران (فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ) وقال تعالى في سورة محمد (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ) وقال تعالى في سورة الممتحنة: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللهِ ـ إلى قوله تعالى ـ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللهَ . إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ، وقال تعالى في سورة التوبة (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)

قال الحافظ ابن كثير (وصل عليهم) أي ادع لهم واستغفر لهم كما رواه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن أبي أوفى قال كان النبي ﷺ إذا أتي بصدقة قوم صلى عليهم، فأتاه أبي بصدقته فقال « اللهم صل على آل أبي أوفى » اه

وفي فتح البيان قال ابن عباس (رض) استغفر لهم من ذنوبهم التي كانوا أصابوها ان صلاتك رحمة لهم اه وكذا نقل السيوطي في الاكليل

وقال تعالى فيها أيضاً (وَلاَ تُصَلِّ على أحدٍ منهُمْ ماتَ أبداً وَلاَ تَقُمْ على قَبْرِهِ إنَّهُمْ كفروا باللهِ وَرسوله وَماتوا وَهم فاسِقونَ)

قال السيوطي في الاكليل :فيه تحريم الصلاة على الكافر والوقوف على قبره ، وان دفنه جائز ، ومفهومه وجوب الصلاة على المسلم ودفنه ومشروعية الوقوف على قبره والدعاء له والاستغفار

وقال تعالى فيها ما كانَ للنَّبيِّ وَالَّذِينَ آمنوا أنْ يَستَغفِروا للمُشرِكين وَلو كانوا أُولِي قُرْبىٰ مِنْ بَعْدِ ما تَبيَّنَ لَهُمْ أنَّهُمْ أَصحابُ الجَحيم) فان مفهومه مشروعية الاستغفار للمؤمنين

ومن هذا القبيل دعاء النبي ﷺ لابي سلمة حين مات بقوله «اللهم اغفر لابي سلمة، وارفع درجته في المهديين ،واخلفه في عقبه في الغابرين ،واغفر لنا وله يارب العالمين ، وافسح له في قبره، ونور له فيه» رواه مسلم

ومنه صلاته ﷺ على الجنازة كما دعا على جنازة بقوله «اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه، واكرم نزله ووسع مدخله ، واغسله بالماء والثلج والبرد، ونقه من الخطايا كما نقيت الثوب الابيض من الدنس، وابدله داراً خيراً من داره، وأهلا خيرا من أهله ، وزوجا خيرا من زوجه ، وادخله في الجنة، وأعذه من عذاب القبر ومن عذاب النار» رواه مسلم . ولذا قال ﷺ « ان هذه القبور مملوءة ظلمة على أهلها وان الله ينورها لهم بصلاتي عليهم » متفق عليه .و قال ﷺ « ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلا لا يشركون بالله شيئا إلا شفعهم الله فيه» رواه مسلم . وأيضا قال ﷺ « ما من ميت تصلي عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة كلهم يشفعون له إلا شفعوا فيه » رواه مسلم

ومن هذا القبيل قوله ﷺ إذا صلى على الجنازة « اللهم اغفر لحينا وميتنا، وشاهدنا وغائبنا، وصغيرنا وكبيرنا، وذكرنا وانثانا، اللهم من أحييته منا فأحيه على الاسلام، ومن توفيته منا فتوفه على الايمان، اللهم لاتحرمنا أجره، ولا تفتنا بعده » رواه أحمد وأبوداود والترمذي وابن ماجه

ومنه قوله ﷺ في صلاة الجنازة « اللهم ان فلان بن فلان في ذمتك، وحبل جوارك، فقه من فتنة القبر وعذاب النار، وأنت أهل الوفاء والحق، اللهم اغفر له وارحمه انك أنت الغفور الرحيم » رواه أبو داود وابن ماجه

ومنه ماروي عن النبي ﷺ في الصلاة على الجنازة « اللهم أنت ربها وأنت خلقتها، وأنت هديتها إلى الاسلام، وأنت قبضت روحها، وأنت أعلم بسرها وعلانيتها، جئنا شفعاء فاغفر له » رواه أبو داود

ومنه ما روي أن النبي ﷺ كان إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال « استغفروا لاخيكم ثم سلوا له التثبيت فانه الآن يسئل » رواه أبو داود

ومنه الادعية المروية عنه ﷺ في زيارة القبور فانها كلها من باب الشفاعة

ومنه دعاؤه ﷺ لبعض أصحابه كما دعا لانس (رض) فقال « اللهم اكثر ماله وولده وأطل حياته واغفر له » أخرجه البخاري في الادب المفرد قاله الحافظ في الفتح

ومنه دعاؤه ﷺ لعبيد أبي عامر بقوله « اللهم اغفر لعبيد أبي عامر » ورأيت بياض ابطيه فقال « اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك من الناس » رواه البخاري

ومنه دعاؤه ﷺ للعباس وولده بقوله « اللهم اغفر للعباس وولده مغفرة ظاهرة وباطنة لا تغادر ذنبا » رواه الترمذي

ومنه ما روي عن جابر قال استغفر لي رسول الله ﷺ خمسا وعشرين مرة رواه الترمذي . ومنه قال لغفار « غفر الله لها » رواه البخاري

ومنه قوله ﷺ « اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فاغفر للمهاجرين والانصار » رواه البخاري

ويدل على هذا القسم من الشفاعة قوله (ص) لأبي جري جابر بن سليم « أنا رسول الله الذي ان أصابك ضر فدعوته كشفه عنك، وان اصابك عام سنة فدعوته أنبتها لك، وإذا كنت بأرض قفر أو فلاة فضلت راحلتك فدعوته ردها عليك » وهذا القول في حديث طويل رواه أبو داود

ومنه دعاؤه (ص) لبسر حين أخذ بلجام دابته وقال ادع الله لنا فقال « اللهم بارك لهم فيما رزقتهم واغفر لهم وارحمهم » رواه مسلم

ومنه استسقاؤه (ص) لهم كما روي عن أنس بن مالك أنه قال جاء رجل إلى رسول الله (ص) فقال يا رسول الله هلكت المواشي وانقطعت السبل فادع الله ، فدعا الله فمطرنا من الجمعة إلى الجمعة ، فجاء رجل إلى النبي (ص) فقال يا رسول تهدمت البيوت وانقطعت السبل وهلكت المواشي ، فقال رسول الله (ص) « اللهم على ظهور الجبال والآكام وبطون الاودية ومنابت الشجر » فانجابت عن المدينة انجياب الثوب رواه البخاري

وعن ابن مسعود قال : ان قريشا أبطأوا عن الاسلام فدعا عليهم النبي (ص) فأخذتهم سنة حتى هلكوا فيها وأكلوا الميتة والعظام فجاءه أبو سفيان فقال يا محمد جئت تأمر بصلة الرحم وان قومك هلكوا فادع الله تعالى فقرأ (فارتقب يَوْمَ تأتِي السَّماءُ بدُخانٍ مبين) الآية رواه البخاري في أبواب الاستسقاء

قال الحافظ في الفتح : ولم يقع في هذا السياق التصريح بأنه دعا لهم وسيأتي هذا الحديث في تفسير سورة (ص) بلفظ « فكشف عنهم ثم عدوا » وفي سورة الدخان من وجه آخر بلفظ « فاستسقى لهم فسقوا » ونحوه في رواية أسباط المعلقة اه .

وهذا الضرب من الشفاعة حاصل للانبياء الآخرين أيضا يدل عليه الايات التي نتلوها عليك

قال الله تعالى في سورة يوسف (قالوا ياأبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خطئين*قال سوف أستغفر لكم ربي إنه هو الغفور الرحيم) وقال تعالى في سورة ابراهيم (ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب) وللملائكة[1] أيضاً قال الله تعالى في سورة المؤمن (الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم*ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم * وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم) وقال تعالى في سورة الشورى (تكاد السموات يتفطرن من فوقهن والملئكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض ألا إن الله هو الغفور الرحيم) بل عامة المؤمنين مأذونون في هذه الشفاعة قال الله تعالى (والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رءوف رحيم)

وعن عبادة بن الصامت قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « من استغفر

(١) معطوف على قوله : حاصل للانبياء

للمؤمنين والمؤمنات كتب الله بكل مؤمن ومؤمنة حسنة» رواه الطبراني وإسناده جيد كذا في مجمع الزوائد — وفي الباب عن أبي هريرة وأم سلمة وأبي الدرداء، ولكن في رواياتهم ضعف، وهي تكفي للتأييد

وهذا النوع من الشفاعة يجوز طلبها منه ﷺ بلا مرية بأن يأتي أحد منهم النبي ﷺ في حياته ويستشفع به، لا أن يدعوه غائباً عنه، دل عليه قوله تعالى (ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول) الآية وقوله تعالى (قالوا ياأبانا استغفر لنا ذنوبنا) وقوله تعالى (واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رءوسهم) وقول الصحابة (رض) وغيرهم لرسول الله ﷺ ادع الله لنا، وقوله ﷺ لعمر «ان خير التابعين رجل يقال له أويس وله والدة وكان به بياض فمره فليستغفر لكم» رواه مسلم

فاذا جاز طلب هذا الضرب من الشفاعة من غير النبي ﷺ من أهل الخير والصلاح فالنبي (ص) أولى به

القسم الثانى

(شفاعته ﷺ في عالم البرزخ)

وفي الباب حديث عبدالله بن مسعود عن النبي ﷺ قال « ان لله ملائكة سياحين يبلغوني عن أمتي السلام »قال: وقال رسول الله ﷺ «حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم، ووفاتي خير لكم، تعرض علي أعمالكم فما رأيت من خير حمدت الله عليه، وما رأيت من شر استغفرت الله لكم» رواه البزار ورجاله رجال الصحيح، كذا في مجمع الزوائد

وقال القسطلاني في شرحه على صحيح البخاري :وفي حديث ابن مسعود عند

البزار باسناد جيد رفعه «حياتي خير لكم ووفاتي خير لكم، تعرض علي أعمالكم، فما رأيت من خير حمدت الله عليه، وما رأيت من شر استغفرت الله لكم» اهـ ولا يخفى عليك ان كون رجال الحديث رجال الصحيح أو كون سنده جيداً لا يقتضي صحة الحديث وجودته لجواز أن يكون فيه انقطاع أو شذوذ أو علة أخرى

قال التقي السبكي في (شفاء الاسقام) وقال بكر بن عبدالله المزني قال رسول الله ﷺ «حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم فاذا أنا مت كانت وفاتي خيراً لكم، تعرض على أعمالكم، فان رأيت خيرا حمدت الله وإن رأيت غير ذلك استغفرت الله لكم» قال ابن عبدالهادي في (الصارم) هذا خبر مرسل رواه القاضي اسماعيل بن اسحاق في كتاب (فضل الصلاة على النبي ﷺ) وقد نقلنا عبارته فيما تقدم، ولو سلم ثبوت ذلك الحديث فليس فيه دلالة على جواز طلب الشفاعة منه ﷺ

وبالجملة فطلب هذه الشفاعة عند القبر أو بعيدا منه بدعة لا يدل عليه دليل شرعي من الكتاب العزيز، والسنة المطهرة

وأما ما روي أن الناس أصابهم قحط في خلافة عمر (رض) فجاء بلال بن الحرث (رض) الحديث، وكذا ما روي أن رجلا كان يختلف الى عثمان بن عفان (رض) في زمن خلافته في حاجة فكان لا يلتفت اليه ولا ينظر اليه في حاجته، فشكا ذلك لعثمان بن حنيف راوي الحديث، وكذا ما روي عن العتبي انه قال كنت جالساً عند قبر رسول الله ﷺ فجاء اعرابي فقال السلام عليكم يا رسول الله سمعت الله يقول: الحديث — فقد عرفت جوابه فيما تقدم فتذكر

القسم الثالث

﴿ شفاعته ﷺ يوم القيامة ﴾

وهي ثابتة بالكتاب والسنة ، وطلبها من النبي ﷺ في حياته ﷺ ثابت بما روي عن أنس قال سألت النبي (ص) أن يشفع لي يوم القيامة فقال «أنا فاعل» قلت يارسول الله فأين أطلبك ؟ قال «اطلبني أول ماتطلبني على الصراط» قلت فان لم ألقك على الصراط قال «فاطلبني عند الميزان» قلت فان لم ألقك عند الميزان ؟ قال «فاطلبني على الحوض فاني لا أخطىء هذه الثلاث المواطن» رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه

(قلت) ورجاله رجال الصحيح وكلهم ثقات غير حرب بن ميمون أبي الخطاب فقد اختلف فيه قال الذهبي في الميزان بصري صدوق يخطىء(١) قال ابو زرعة لين وقال يحيى بن معين صالح. وقد وثقه علي بن المديني وغيره. وأما البخاري فذكره في الضعفاء ، وما ذكر الذي بعده صاحب الاغمية (٢) وقد خلط البخاري وابن عدي صاحب الاغمية بأبي الخطاب وجعلهما واحدا ، والصواب انهما اثنان ، قال عبدالغني بن سعيد هذا مما وهم فيه البخاري نبهني عليه الدارقطني اه ملخص ، قال المؤلف وهو من رواة مسلم

وعن معاذ بن جبل وأبي موسى قالا كان رسول الله ﷺ اذا نزل منزلا كان الذي يليه المهاجرون ، قال فنزلنا منزلا فنام رسول الله ﷺ ونحن

---

١) وقال الحافظ في التقريب : صدوق رمي بالقدر اه فهو في المرتبة الخامسة بين الثقات والضعفاء (٢) صاحب الاغمية هو حرب الاصفر وكنيته ابوعبدالرحمن وهو متروك على عبادته والاغمية بالفتح السقوف كما في التقريب . وكتبه محمد رشيد رضا

قال فتعاررت بالليل أنا ومعاذ فنظرنا فلم نره ، قال فخرجنا نطلبه فسمعنا هريرا كهرير الارحاء إذ أقبل فلما أقبل نظر فقال «ما شأنكم ؟» فقالوا انتبهنا فلم نرك حيث كنت خشينا أن يكون أصابك شيء فجئنا نطلبك، قال«أتاني آت في منامي فخيرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة أو شفاعة ، فاخترت لهم الشفاعة » فقلنا انا نسألك بحق الاسلام وبحق الصحبة لما أدخلتنا في شفاعتك ، فدعا لهم ، قال فاجتمع عليه الناس وقالوا مثل مقالتنا وكثر الناس فقال « اني جاعل شفاعتي لمن مات لا يشرك بالله شيئا » رواه أحمد والطبراني بنحوه ، وفي رواية عند أحمد فقالا ادع الله يا رسول الله أن يجعلنا في شفاعتك فقال « أنتم ومن مات لا يشرك بالله شيئا في شفاعتي » ورجالها رجال الصحيح غير عاصم بن أبي النجود وقد وثق وفيه ضعف ، ورواه البزار باختصار ولكن أبا المليح وأبا بردة لم يدركا معاذ بن جبل كذا في مجمع الزوائد ، وفي الباب عن أبي موسى رواه أحمد والطبراني وأحد أسانيد الطبراني رجاله ثقات

وعن مصعب الاسلمي قال : انطلق غلام منا فأتى النبي ﷺ فقال اني سائلك سؤالا قال « وما هو ؟ » قال أسألك أن تجعلني ممن تشفع له يوم القيامة ، قال « من أمرك بهذا ، ومن علمك هذا ، ومن دلك على هذا ؟ » قال ما أمرني به أحـد إلا نفسي قال « فانك ممن أشفع له يوم القيامة » رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح ، وعن عوف بن مالك الاشجعي رواه الطبراني بأسانيد ورجال بعضها ثقات ، وعن أبي بن كعب صاحب الحرير رواه الطبراني في الاوسط وفيه علي بن قرة بن حبيب ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات ، وهذا كله في مجمع الزوائد

وكذا طلب هذه الشفاعة من النبي ﷺ يوم القيامة أيضا ثابت بأحاديث صحيحة مروية في الصحاح وغيرها

منها حديث أنس أن النبي ﷺ قال « يحبس المؤمنون يوم القيامة حتى

يهموا بذلك فيقولون لو استشفعنا ربنا فيريحنا من مكاننا فيأتون آدم فيقولون أنت آدم أبو الناس خلقك الله بيده وأسكنك جنته وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا » وهذا حديث طويل فيه « فيأتوني فأستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه فاذا رأيته وقعت ساجدا فيدعني ماشاءالله أن يدعني، فيقول ارفع محمد وقل تسمع، واشفع تشفع، وسل تعطه » الحديث متفق عليه

وأما طلبها من النبي ﷺ بعد الوفاة قبل يوم القيامة عند القبر أو بعيداً من القبر فبدعة وأي ملجىء لنا الى احداث هذه البدعة

وقد ورد في الاحاديث الصحيحة من الاذكار والاعمال ما يكون سببا لاستحقاق الشفاعة ووجوبها ونزولها كما في حديث جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال « من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة » أخرجه البخاري وأهل السنن

وقد ورد في حديث أبي الدرداء في الباب طلب الشفاعة من الله تعالى لامن الرسول ﷺ ولفظه هكذا قال كان رسول الله ﷺ إذا سمع النداء قال « اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة صل على عبدك ورسولك واجعلنا في شفاعته يوم القيامة » قال رسول الله ﷺ « من قال هذا عند النداء جعله الله في شفاعتي يوم القيامة » رواه الطبراني في الاوسط وفيه صدقة بن عبد الله السمين ضعفه أحمد والبخاري ومسلم وغيرهم ووثقه دحيم وأبو حاتم وأحمد بن صالح المصري كذا في مجمع الزوائد . وكذا ورد في حديث ابن عباس بلفظ طلب الشفاعة من الله تعالى ولفظه هكذا

وعن ابن عباس أن النبي (ص) قال « من سمع النداء فقال أشهد أن

لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله اللهم صل على محمد وبلغه درجة الوسيلة عندك واجعلنا في شفاعته يوم القيامة وجبت له الشفاعة » رواه الطبراني في الكبير وفيه اسحاق بن عبد الله بن كيسان لينه الحاكم وضعفه ابن حبان وبقية رجاله ثقات كذا في مجمع الزوائد، وهاتان السنتان وان كانتا ضعيفتين فالتمسك بهما خير من احداث بدعة

وجملة القول أن طلب الشفاعة منه (ص) في حياته (ص) ثابت بلا شك ، وكذلك طلب الشفاعة منه (ص) يوم القيامة وهذا لا ينكره أحد . وأما ما يمنعه المانعون فهو طلب الشفاعة منه (ص) بعد الوفاة قبل يوم القيامة وهو غير ثابت فعزو منع مطلق طلب الشفاعة إلى المانعين كما فعله صاحب الرسالة لا يخلو عن تلبيس وتدليس

قال شيخ الاسلام ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم : فحينئذ فيقال أما التوسل والتوجه إلى الله وسؤاله بالاعمال الصالحة التي أمر بها كدعاء الثلاثة الذين أووا إلى الغار بأعمالهم الصالحة وبدعاء الانبياء والصالحين وشفاعتهم ، فهذا مما لا نزاع فيه بل هو من الوسيلة التي أمر الله بها في قوله تعالى (يا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله وابْتَغُوا اليهِ الوَسِيلَةَ) وقوله (أُولئِكَ الذينَ يَدْعُونَ يَبتَغُونَ إلى ربهم الوسيلةَ أَيُّهم أَقربُ وَيرجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذابَه) فان ابتغاء الوسيلة اليه هو طلب ما يتوسل به أي يتوسل ويتقرب به اليه سبحانه وتعالى كان على وجه العبادة والطاعة وامتثال الامر أو كان على وجه السؤال له والاستعاذة به رغبة اليه في جلب المنافع ودفع المضار اهـ

وقال فيه والمقصود هنا أن دعاء الله تعالى قد يكون دعاء عبادة لله يثاب العبد عليه في الآخرة مع ما يحصل له في الدنيا وقد يكون دعاء مسألة يقضي به

حاجته ثم قد يثاب عليه إذا كان مما يحبه الله وقد لا يحصل له إلا تلك الحاجة وقد يكون سببا لضرر دينه فيعاقب على ما ضيعه من حقوق الله وتعداه من حدوده، فالوسيلة التي أمر الله بابتغائها تعم الوسيلة في عبادته وفي مسألته ، فالتوسل اليه بالاعمال الصالحة التي أمر بها وبدعاء الأنبياء والصالحين وشفاعتهم ليس هو من باب الاقسام عليه بمخلوقاته

ومن هذا الباب استشفاع الناس بالنبي (ص) يوم القيامة فانهم يطلبون منه أن يشفع لهم إلى الله كما كانوا في الدنيا يطلبون منه أن يدعو لهم في الاستسقاء وغيره ، وقول عمر (رض) انا كنا إذا أجدبنا توسلنا اليك بنبينا فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبينا ، معناه نتوسل اليك بدعائه وشفاعته وسؤاله ونحن نتوسل اليك بدعاء عمه وسؤاله وشفاعته ، ليس المراد به انا نقسم عليك به أو ما يجري هذا المجرى مما يفعل بعد موته وفي مغيبه كما يقول بعض الناس أسألك بجاه فلان عندك ، ويقولون انا نتوسل إلى الله بأنبيائه وأوليائه ويروون حديثا موضوعا: إذا سألتم الله فاسألوه بجاهي فان جاهي عند الله عظيم. فانه لو كان هذا هو التوسل الذي كان الصحابة يفعلونه كما ذكر عمر (رض) لفعلوا ذلك بعد موته ولم يعدلوا عنه إلى العباس مع علمهم بأن السؤال به والاقسام به أعظم من العباس فعلم أن ذلك التوسل الذي ذكروه هو مما يفعل بالأحياء دون الأموات وهو التوسل بدعائهم وشفاعتهم فان الحي يطلب منه ذلك والميت لا يطلب منه شيء لا دعاء ولا غيره ، وكذلك حديث الاعمى فانه طلب من النبي (ص) أن يدعو له ليرد الله عليه بصره فعلمه النبي (ص) دعاء أمره فيه أن يسأل الله قبول شفاعته فيه . فهذا يدل على أن النبي (ص) شفع فيه وأمره أن يسأل الله قبول شفاعته وأن قوله: أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة أي بدعائه وشفاعته كما قال عمر: كنا نتوسل اليك بنبينا فلفظ التوجه والتوسل في الحديثين بمعنى واحد ثم قال يا محمد

يا رسول الله اني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي ليقضيها اللهم فشفعه في - فطلب من الله أن يشفع فيه نبيه اه

وقال فيه : وأما قول الناس أسألك بالله وبالرحم وقراءة من قرأ (تسألون به والارحام) فهو من باب التسبب بها فان الرحم توجب الصلة وتقتضي أن يصل الانسان قرابته فسؤال السائل بالرحم لغيره يتوصل اليه بما يوجب صلته من القرابة التى بينهما ليس هو من باب الاقسام ولا من باب التوسل بما لا يقتضي المطلوب، بل هو توسل بما يقتضي المطلوب كالتوسل بدعاء الانبياء وبطاعتهم والصلاة عليهم اه

وقال فيه : فالتوسل بالانبياء والصالحين يكون بأمرين إما طاعتهم واتباعهم، وإما دعاؤهم وشفاعتهم ، فمجرد دعائهم من غير طاعة منه لهم ولا شفاعة منهم له فلا ينفعه وان عظم جاه أحدهم عند الله تعالى ، وقد بسطت هذه المسائل في غير هذا الموضع . والمقصود هنا إذا كان السلف والائمة قالوا في سؤاله بالمخلوق ما قد ذكر فكيف بسؤال المخلوق الميت سواء سئل أن يسأل الله أو يسأل قضاء الحاجة ونحو ذلك مما يفعله بعض الناس إما عند قبر الميت وإما مع غيبته اه

وقال فيه وهذا الموضع افترق الناس فيه ثلاث فرق ، طرفان ووسط ، فالمشركون ومن وافقهم من مبتدعة أهل الكتاب كالنصارى ومبتدعة هذه الامة أثبتوا الشفاعة التي نفاها القرآن ، والخوارج والمعتزلة أنكروا شفاعة نبينا محمد (ص) في أهل الكبائر من أمته، بل أنكر طائفة من أهل البدع انتفاع الانسان بشفاعة غيره ودعائه كما أنكروا انتفاعه بصدقة غيره وصيامه عنه وأنكروا الشفاعة بقوله (من قبلِ أَن يأتِيَ يومٌ لا بيعٌ فيهِ ولا خُلةٌ ولاشفاعة) وقوله (ما للظالمينَ من حميمٍ ولا شفيعٍ يُطاع)وغير ذلك ،وأما سلف الامة وأئمتها ومن اتبعهم من أهل السنة والجماعة فأثبتوا ما جاءت به السنة عن النبي (ص)

من شفاعته لأهل الكبائر من أمته وغير ذلك من أنواع شفاعته. وشفاعة غيره من الانبياء والملائكة ، وقالوا انه لايخلد في النار من أهل التوحيد أحد ، وأقروا بما جاءت به السنة من انتفاع الانسان بدعاء غيره وشفاعته والصدقة عنه بل والصوم عنه فى أصح قولي العلماء كما ثبتت به السنة الصحيحة الصريحة[1] وما كان في معنى الصوم

وقالوا ان الشفيع يطلب من الله ويسأله ، ولا تنفع الشفاعة عنده إلا باذنه قال تعالى (من ذا الذي يشفع عنده إلا باذنه*ولا يشفعون إلا لمن ارتضى *وكم من ملك في السموات لاتغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى)

وقد ثبت في الصحيح أن سيد الشفعاء (ص) إذا طلبت منه الشفاعة بعد أن تطلب الشفاعة من آدم وأولي العزم نوح وابراهيم وموسى وعيسى فيردونها الى محمد ﷺ العبد الذي غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال «فأذهب الى ربي واذا خررت سجدا فأحمد ربي بمحامد يفتحها علي لا أحسنها الآن ، فيقول اي محمد ارفع رأسك وقل يسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع . فأقول رب أمتي أمتي، فيحد لي حدا فأدخلهم الجنة » وقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا * أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا قال طائفة من السلف كان أقوام يدعون العزير والمسيح والملائكة .

(١) هذا ليس بعام فان الثابت في السنة من صوم الولد او حجه عن امه او ابيه لا يتعارض مع قوله تعالى (وان ليس للانسان الا ما سعي) فان ولد الانسان من كسبه وملحقا به بقوله تعالى (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان ألحقنا بهم ذريتهم) الآية ، وحديث «اذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاث» وذكر منها الولد الصالح يدعو له وهو في صحيح مسلم . وقد حققنا المسألة بالتفصيل في أواخر تفسير سورة الانعام . وكتبه محمد رشيد رضا

فأنزل الله هذه الآية وقد أخبر فيها ان هؤلاء المسئولين يتقربون الى الله، ويرجون رحمته ويخافون عذابه

وقد ثبت في الصحيح ان أباهريرة قال يارسول الله أي الناس أسعد بشفاعتك يوم القيامة ؟ قال « يا أباهريرة لقد ظننت أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث : أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لاإله الا الله يبتغي بها وجه الله » فكلما كان الرجل أتم اخلاصاً لله كان أحق بالشفاعة، وأما من علق قلبه بأحد من المخلوقين يرجوه ويخافه فهذا من أبعد الناس عن الشفاعة، فشفاعة المخلوق عند المخلوق باعانة الشافع للمشفوع له بغير اذن المشفوع عنده بل يشفع إما لحاجة المشفوع عنده اليه وإما لخوفه منه فيحتاج أن يقبل شفاعته، والله تعالى غني عن العالمين، وهو وحده يدبر العالمين كلهم فما من شفيع إلا من بعد اذنه، فهو الذي يأذن للشفيع في الشفاعة وهو يقبل شفاعته كما يلهم الداعي الدعاء ثم يجيب دعاءه فالامر كله له، فاذا كان العبد يرجو شفعاء من المخلوقين فقد لا يختار ذلك الشفيع أن يشفع له، وان اختار فقد لا يأذن الله له في الشفاعة ولا يقبل شفاعته اه

وقال ابن عبد الهادي في الصارم وكذلك الشرك بأهل القبور لم يطمع الشيطان أن يوقعهم فيه فلم يكن على عهدهم في الاسلام قبر نبي يسافر اليه ولا يقصد الدعاء عنده أو تطلب بركته أو شفاعته أو غير ذلك، بل أفضل الخلق محمد خاتم الرسل صلوات الله وسلامه عليه وقبره عندهم محجوب لا يقصده أحد منهم بشيء من ذلك. وكذلك كان التابعون باحسان ومن بعدهم من أئمة المسلمين، وانما تكلم العلماء والسلف في الدعاء للرسول (ص) عند قبره : منهم من نهى عن الوقوف للدعاء له دون السلام عليه . ومنهم من رخص في هذا وهذا، ومنهم من نهى عن هذا وهذا . وأما دعاؤه وهو طلب استغفاره وشفاعته بعد موته فهذا لم ينقل عن احد من أئمة المسلمين لا من الائمة الاربعة ولا غيرهم اه

وقال فيه أيضاً : ولم يذكر أحد منهم ـ أي المالكية ـ انه استحب أن يسئل بعد الموت لا استغفاراً ولا غيره ، وكلامه المنصوص عنه وعن أمثاله ينافي هذا اه

وقال فيه أيضاً : وقد أجدب الناس على عهد عمر بن الخطاب (رض) فاستسقى بالعباس، ففي صحيح البخاري عن أنس (رض) أن عمر استسقى بالعباس (رض) وقال : اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا ، وإنا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون فاستسقوا به كما كانوا يستسقون بالنبي ﷺ في حياته وهم انما كانوا يتوسلون بدعائه وشفاعته لهم فيدعو لهم ويدعون معه كالامام والمأمومين من غير أن يكونوا يقسمون على الله بمخلوق ، كما ليس لهم أن يقسم بعضهم على بعض بمخلوق. ولما مات ﷺ توسلوا بدعاء العباس واستسقوا به ، ولهذا قال الفقهاء يستحب الاستسقاء بأهل الخير والدين . والافضل أن يكونوا من أهل بيت النبي ﷺ

وقد استسقى معاوية بيزيد بن الاسود الجرشي وقال اللهم نستسقي بيزيد ابن الاسود ، يايزيد ارفع يديك ، فرفع يديه ودعا ودعا الناس حتى أمطروا ، ولم يذهب أحد من الصحابة الى قبر نبي ولا غيره يستسقي عنده ولا به اه

وقال فيه أيضاً واعلم أن قول [illegible] ان قصد الانتفاع بالميت بدعة صحيح وهو سر الفرق بين الزيارة المشروعة وغيرها فان الزيارة التي شرعها الله ورسوله مقصودها نفع الميت والاحسان اليه وأن يفعل عند قبره من جنس ما يفعل على نعشه من الدعاء والاستغفار والترحم عليه فان عمله قد انقطع وصار محتاج الى ما يصل اليه من نفع الاحياء له ولهذا يقال عند زيارته ما علمه النبي ﷺ لامته أن يقولوا إذا زاروا القبور وهو كان أهل [illegible] «السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين . وانا ان شاء الله بكم لاحقون ، يرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين . نسأل الله لنا ولكم العافية ، اللهم

لا تحرمنا أجرهم، ولا تفتنا بعدهم واغفر لنا ولهم» فهذا من جنس الدعاء له عند الصلاة عليه وهذا غير الدعاء به والدعاء عنده فالمراتب ثلاثة فالذي شرعه عز وجل ورسوله للامة الدعاء للميت عند الصلاة عليه وعند زيارة قبره دون الدعاء به والدعاء عنده وهذه سنته بحمد الله، اليها التحاكم والتخاصم، ولا التفات الى تحكيم غيرها البتة كائنا ما كان

وأما انتفاع الزائر فليس بالميت بل بعمله وهو زيارته ودعاؤه له والترحم عليه والاحسان اليه كما ينتفع المحسن باحسانه، يوضحه أن الميت قد انقطع عمله الذي ينفع به نفسه، ولم يبق عليه منه إلا ماتسبب في حياته في شيء يبقى نفعه كالصدقة وتعليم العلم ودعاء الولد الصالح، فكيف يبقى عمله للحي وهو عمل بعمله له؟ وهل هذا إلا باطل شرعا؟

ومن جعل زيارة الميت من جنس زيارة الفقير الغني لينال من بره وإحسانه فقد أتى بما هو من أعظم الباطل المتضمن لقلب الحقيقة والشريعة، ولو كان ذلك مقصود الزيارة شرع من دعاء الميت والتضرع اليه وسؤاله ما يناسب هذا المطلوب، ولكن هذا يناقض ما دعا اليه الرسول ﷺ من التوحيد وتجريده مناقضة ظاهرة، ولا ينبغي الاقتصار على ذلك بأنه بدعة بل فتح لباب الشرك، وتوسل اليه بأقرب وسيلة، وهل أصل عبادة الاصنام إلا ذلك كما قال ابن عباس (رض) في قوله تعالى (وَقالوا لا تَذرُنَّ آلهتكم ولا تذرُنَّ وَدًّا ولا سُواعاً ولا يغوثَ ويعوقَ ونسرا) قال هؤلاء كانوا قوما صالحين في قومهم، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم، فلما طال عليهم الامد عبدوهم فهؤلاء لما قصدوا الانتفاع بالموتى قادهم ذلك إلى عبادة الاصنام اهـ

وقال أيضا فيه وكذلك لم يكن أحد من الصحابة يأتيه فيسأله عند القبر عن بعض ما تنازعوا فيه وتشكل عليهم من العلم لا خلفاؤه الاربعة ولا غيرهم مع

أنهم أخص الناس به حتى ابنته فاطمة (رض) لم يطمع الشيطان فيهم فيقول لهم اطلبوا منه أن يدعو لكم بالمطر لما أجدبوا ، ولا قال اطلبوا منه أن يستنصر لكم ولا أن يستغفر كما كانوا في حياته يطلبون منه أن يستسقي لهم وأن يستغفر لهم ، فلم يطمع الشيطان منهم بعد موته أن يطلبوا منه ، ولا طمع بذلك في القرون الثلاثة ، وانما ظهرت هذه الضلالات ممن قل علمه بالتوحيد والسنة ، فأضله الشيطان كما أضل النصارى في أمور لقلة علمهم بما جاء به المسيح ومن قبله من الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه اه

وقال فيه أيضاً : وهو لم يأمرهم ﷺ اذا كان لأحد حاجة أن يذهب الى قبر نبي أو صالح فيصلي عنده ويدعوه أو يدعو بلا صلاة أو يسأله حوائجه أو يسأله أن يسأل ربه فقد علم الصحابة أن رسول الله ﷺ لم يأمرهم بشيء من ذلك ، ولا أمرهم أن يخصوا قبره أو حجرته أو جوانب حجرته لا بصلاة ولا دعاء لا له ولا لانفسهم بل قد نهاهم أن يتخذوا بيته عيداً . فلم يقل كما يقول بعض الشيوخ الجهال لاصحابه : اذا كان لكم حاجة فتعالوا الى قبري، بل نهاهم عما هو أبلغ من ذلك أن يتخذوا قبره أو قبر غيره مسجدا يصلون فيه لله ليسد ذريعة الشرك اه

وأيضاً قال فيه : وهذه كانت عادة الصحابة معه ﷺ ان أحدهم متى صدر منه ما يقتضي التوبة جاء اليه فقال يارسول الله فعلت كذا وكذا فاستغفر لي ، وكان هذا فرقا بينهم وبين المنافقين ، فلما استأثر الله عز وجل نبيه ﷺ ونقله من بين أظهرهم الى دار كرامته لم يكن أحد منهم قط يأتي الى قبره ويقول يا رسول الله فعلت كذا وكذا فاستغفر لي — ومن ينقل هذا عن أحد منهم فقد جاهر بالكذب والبهتان اه

وأيضا قال فيه : ولم ينقل عن أحد منهم قط وهم القدوة بنوع من أنواع الاسانيد أنه جاء الى قبره ليستغفر له ولا شكا اليه ولا سأله اه

وقال الحافظ ابن القيم في الاغاثة (ومنها) ان الذي شرعه رسول الله ﷺ عند زيارة القبور انما هو تذكر الآخرة والاحسان الى المزور بالدعاء والترحم عليه والاستغفار له وسؤال العافية له فيكون الزائر محسناً الى نفسه والى الميت — فقلب هؤلاء المشركون الامر وجعلوا المقصود بالزيارة الشرك بالميت وسؤال حوائجهم منه فأساؤا الى نفوسهم والى الميت اه

وأيضا قال فيه : فبدل أهل البدع والشرك قولا غير الذي قيل لهم[1] فبدلوا الدعاء له بدعائه نفسه ، والشفاعة له بالاستشفاع به ـ وجعلوا الزيارة التي لتذكر الآخرة والاحسان الى الميت بسؤال الميت والاقسام به على الله وكيف يكون دعاء الموتى والدعاء عند قبورهم والاستشفاع بهم مشروعا وعملا صالحا وتصرفه عنه القرون الثلاثة المفضلة بنص الرسول ﷺ ثم يفوز به الخلوف الذين يقولون ما لا يفعلون ويفعلون مالا يؤمرون اه

وأيضا قال فيه : ولو كان للدعاء عند القبور والتبرك بها فضيلة لنصب المهاجرون والانصار هذا القبر علما ودعوا عنده، فقد كانوا السابقين إلى كل خير وكذلك التابعون كان عندهم من قبور أصحاب رسول الله ﷺ بالامصار عدد كثير فما استغاثوا بقبر أحد منهم ولا دعوه، ولا دعوا به ولا دعوا عنده، ولا استشفعوا به ، ولو كان ذلك منهم لنقل أفيكون ذلك فضلا حرمه خير القرون وجهلوه، وظفر به الخلوف وعلموه؟ أم كانوا عالمين به ولكنهم زهدوا (فيه) وقد كانوا أحرص الناس على الخير فلو لم يكن منافيا للشرع مع احتياج كل أحد إلى الدعاء سيما عند نزول الحوادث العظيمة به اه

وقال الشيخ محمد بن عبدالوهاب في الرد على أهل مكة: فاذا كنا على جنازة ندعو له لا ندعوه ، ونشفع له لا نستشفع به ، فبعد الدفن أولى وأحرى ، فبدّله

---

١) قوله فبدلوا ـ الخ بدل او عطف بيان لما قبله

أهل الشرك قولا غير الذي قيل لهم ، بدلوا الدعاء له بدعائه ، والشفاعة له بالتشفع به انتهى

وقال أيضا فيه : وقد كان عندهم من قبور أصحاب رسول الله ﷺ بالأمصار عدد كثير وهم متوافرون فما منهم من استغاث عند القبر ولا دعاه ولا استسقى به ولا استنصر به، ولا أحد من الصحابة استغاث بالنبي ﷺ بعد موته ولا بغيره من الانبياء ولا كانوا يقصدون الدعاء عند قبور الانبياء ولا الصلاة عندها اهـ

وفي المختصر من الرسائل المؤلفة للشيخ محمد بن عبد الوهاب : ولا ننكر كرامات الاولياء ونعترف لهم أنهم على هدى من ربهم مهما ساروا على الطريقة الشرعية والقوانين المرعية إلا أنهم لا يستحقون شيئا من أنواع العبادة لا حال الحياة ولا حال الممات ونطلب من أحدهم الدعاء في حال حياته بل ومن كل مسلم فقد جاء في الحديث «دعاء المسلم مستجاب لأخيه » الحديث(١) وأمر النبي ﷺ عمر وعليا سؤال الاستغفار لهما من أويس ففعلا، ونثبت الشفاعة لنبينا محمد ﷺ يوم القيامة كما ورد أيضا ونسألها من الله المالك لها والآذن فيها لمن يشاء من الموحدين الذين هم أسعد الناس بها كما ورد بأن يقول أحدنا متضرعا إلى الله تعالى اللهم شفع نبينا محمدا ﷺ فينا يوم القيامة، واللهم شفع فينا عبادك الصالحين أو ملائكتك ونحو ذلك مما يطلب من الله لا منهم فلا يقال يا رسول الله أو يا ولي الله أسألك الشفاعة وغيرها ، وأدركني وأغثني وانصرني على عدوي ونحو ذلك مما لا يقدر عليه إلا الله ، فاذا طلب ذلك ممن ذكر في أيام البرزخ كان من أقسام الشرك إذ لم يرد بذلك نص من الكتاب ولا من السنة ولا أثر من السلف

(١) وتتمته « بظهر الغيب عند رأسه ملك موكل به كلما دعا لاخيه بخير قال الملك : آمين ولك بمثل ذلك » رواه احمد ومسلم وابن ماجه وكتبه محمد رشيد رضا

الصالح على ذلك بل ورد الكتاب والسنة واجماع السلف أن ما ذكر شرك أكبر قاتل عليه رسول الله ﷺ اه

قوله ﴿ ويقولون ان الله تعالى قد قال في كتابه العزيز (من ذا الذي يشفع عنده إلا باذنه) وقال تعالى (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) فالطالب للشفاعة لا يعلم حصول الاذن للنبي ﷺ في أنه يشفع له فكيف يطلب منه الشفاعة ولا يعلم أنه ممن ارتضى فكيف يطلب الشفاعة ؟ ﴾

أقول دليل مانعي طلب الشفاعة من النبي ﷺ بعد الوفاة هو ما ذكر ولم أر أحداً من المانعين أنهم ذكروا ما نقله صاحب الرسالة في هذا القول وانما هو من اختلاقات المؤلف

قوله ﴿ واحتجاجهم هذا مردود وباطل بالاحاديث الصحيحة الصريحة في حصول الاذن للنبي ﷺ بالشفاعة للمؤمنين ﴾

أقول ان أراد أن الاحاديث الصحيحة صريحة في أن يحصل الاذن للنبي ﷺ يوم القيامة بالشفاعة للمؤمنين فهذا لا ينكره أحد من أهل السنة والجماعة وان أراد أن الاحاديث الصحيحة صريحة في أن الاذن بالشفاعة يوم القيامة للمؤمنين حصل الآن فهذا غير مسلم كيف وليس هناك حديث واحد يدل على هذه الدعوى فضلا عن الاحاديث الصحيحة

قوله ﴿ وقد صحت الاحاديث بأنه ﷺ يشفع لمن قال بعد الاذان الى قوله وجاءت أحاديث صريحة في شفاعته لعصاة أمته ﴾

أقول الثابت مما ذكر انما هو نفس الشفاعة وليس فيه تعرض لحصول الاذن الآن أو لعدمه

قوله ﴿ فثبت بهذا كله أن الشفاعة ثابتة ومأذون للنبي ﷺ فيها لكل من مات مؤمناً ﴾

أقول ثبوت الشفاعة وحصول الاذن يوم القيامة مسلم ولكن لا ينكره أحد من أهل السنة والجماعة . وأما حصول الاذن الآن بالشفاعة التي تكون يوم القيامة فثبوته غير مسلم

قوله ﴿ فالطالب للشفاعة كأنه يتوسل الى الله تعالى بالنبي (ص) أن يحفظ عليه الايمان إلى أن يتوفاه الله عليه فيدخل في شفاعة النبي (ص) ويكون من أهلها ﴾

أقول صورة طلب الشفاعة من النبي (ص) بعد موته التي وقع النزاع في جوازه هي أن يقول أحدهم عند القبر أو بعيداً منه : يارسول الله اشفع لي، أو يقول يارسول الله أسألك الشفاعة . ولا يخفى أن هذه العبارة لا تدل بواحدة من الدلالات الثلاث المطابقة والتضمن والالتزام على التوسل المذكور . ولو كان مقصود هذا القائل التوسل المحض الى الله تعالى كما زعم صاحب الرسالة لكان حق عليه أن يقول اللهم صل على محمد واجعلنا في شفاعته يوم القيامة أو نحوه . وبالجملة فالتأويل الذي ذكره صاحب الرسالة باطل لا يغني عن شيء

قوله ﴿ وما يعتقده هؤلاء المنكرون للزيارة والتوسل منع نداء الميت والجماد ويقولون ان ذلك كفر واشراك وعبادة لغير الله تعالى ﴾

أقول المانعون نداء الميت والجماد وكذا الغائب انما يمنعونه بشرطين (الأول) أن يكون النداء حقيقياً لا مجازياً

(والثاني) أن يقصد ويطلب به من المنادى ما لا يقدر عليه إلا الله من جلب

النفع وكشف الضر . مثلا يقال يا سيدي فلان اشف مريضي وارزقني ولداً ولا مرية أن هذا النداء هو الدعاء، والدعاء هو العبادة، فكيف يشك مسلم في كونه كفراً واشراكاً وعبادة لغير الله ، وأما إذا قصد بهذا النداء أن يدعو الميت والجماد والغائب في حضرة الرب تعالى للمنادين بالكسر فنداء الميت بعيداً من القبر وكذا نداء الغائب يقتضي اعتقاد علم الغيب بذلك الميت والغائب ، واعتقاد علم الغيب لغير الله تعالى شرك وكفر مع أنه من محدثات الامور ، وأما نداء الجماد والاموات بهذا القصد فان لم يكن كفراً وشركاً فلا أقل أن يكون بدعة وحمقاء وأما إذا لم يقصد بالنداء لاجلب النفع وكشف الضر ولا الدعاء من المنادين (بالفتح) للمنادين (بالكسر) في حضرة الرب سبحانه وتعالى فيكون النداء الحقيقي جنوناً وسفها ، وأما النداء المجازي فلا يمنعه أحد

قوله ﴿ وحاصل الرد عليهم أن النداء قد يسمى دعاء كما في قوله تعالى (لا تجعلوا دُعاء الرَّسُولِ بينكم كدُعاءِ بَعضِكم بَعضا) لكنه لا يسمى عبادة فليس كل دعاء عبادة ولو كان كل نداء وكل دعاء عبادة اشمل ذلك نداء الاحياء والاموات فيكون كل نداء ممنوعاً مطلقا سواء كان للاحياء والاموات أم للحيوانات والجمادات وليس الامر كذلك ﴾

أقول قد عرفت أن مراد المانعين بالنداء ليس مطلق النداء بل النداء الحقيقي الذي يقصد به من المنادى ما لا يقدر عليه إلا الله من جلب النفع وكشف الضر ، ولا مرية في أنه عبادة ، وكونه عبادة وممنوعا لا يقتضي كون كل نداء ممنوعاً ، حتى يلزم منه عدم جواز نداء الاحياء فيما يقدرون عليه

قوله ﴿ وانما النداء الذي يكون عبادة هو نداء من يعتقد ألوهيته واستحقاقه للعبادة فيرغبون اليه ويخضعون بين يديه ﴾

أقول لا ريب في أن من ينادي أحداً نداء حقيقياً ويقصد به من المنادى مالا يقدر عليه إلا الله من جلب النفع وكشف الضر فهو يعتقد استحقاقه العبادة[1] وإلا لم يصدر منه هذا النداء الذي هو الدعاء وهو من أفراد العبادة على أن مطلق ارتكاب فعل أو قول أو عمل مما يعد من العبادة هو العبادة ولا يتوقف كونه عبادة على اعتقاد الوهيته ومن يدعي ذلك فعليه البيان

قوله ﴿ فالذي يوقع في الاشراك هو اعتقاد ألوهية غير الله أو اعتقاد التأثير لغير الله تعالى ﴾

أقول فيه كلام من وجهين

(١) تحرير الموضوع أن الدعاء قسمان دعاء العبادة ودعاء العادة فالثانى ما يطلبه الناس بعضهم من بعض مما يقدرون عليه بالاسباب التي سخرها الله لهم ودعاء العبادة هو طلب ما وراء الاسباب مما لا يقدر عليه إلا رب العباد ، والاله فى اللغة هو المعبود بالدعاء الذى هو مخ العبادة والفرد الكامل منها أو بغيره مما يتقرب به الى المعبود من نذر وتعظيم قولى أو عملى باعثه اعتقاد القدرة الغيبية على النفع ومنعه والضر وكشفه من غير طريق الاسباب بالذات أو بالتأثير عند الله وكانت عبادة قريش لآلهتهم من النوع الثانى وهي دعاؤهم ليشفعوا لهم عند الله ويقربوهم اليه زلفى كما هو صريح نصوص القرآن . ودحلان وامثاله من متأولة الشرك يجهلون معنى العبادة والالوهيه ولا يفرقون بين اتخاذ المخلوق الها بدعائه والنذر له ونحو ذلك و بين تسميته الها فيظنون أن الشرك هو تسمية المخلوق الها فاذا عبده بالدعاء وغيره ولم يسمه الها لا يكون مشركا ، واذا سمى العبادة توسلا لا تكون عبادة . والعرب كانوا يسمون هذه المعاني باسمائها لان اللغة سليقة لهم . وقد فصلنا هذ مرارا في المنار وتفسيره . وكتبه محمد رشيد رضا

(الاول) ان اعتقاد ألوهية غير الله واستحقاقه للعبادة متحقق فيما نحن فيه (والثاني) ان هذا الحصر غير مسلم كيف ومجرد ارتكاب فعل أوقول أو اعتقاد لغير الله مما يعد من العبادة من الدعاء والذبح والنذر والخوف والرجاء والخشية والانابة والتوكل أيضا موقع في الاشراك سواء وجد معه اعتقاد ألوهية غير الله أم لا (١)

قوله ﴿ وقد ورد في أحاديث كثيرة نداء الاموات والجمادات ﴾

أقول كون هذا النداء نداء حقيقيا يطلب به من المنادى بالفتح ما لا يقدر عليه إلا الله غير مسلم ومن يدعي فعليه البرهان

قوله ﴿ فقولهم كل نداء دعاء وكل دعاء عبادة غير صحيح على اطلاقه وعمومه ﴾

أقول نسبة هذه الكلية والاطلاق والعموم الى المانعين افك قديم وبهتان عظيم

قوله ﴿ ولو كان الامر كذلك لامتنع نداء الحي والميت فانهما مستويان في أن كلا منهما لا تأثير له في شيء ﴾

أقول فيه خلل من وجهين (الاول) ان لزوم امتناع نداء الحي والميت كان على تقدير الكلية والاطلاق والعموم وقد عرفت انه افتراء بحت (والثاني) ان تجشم المؤلف لاثبات الملازمة بين المقدم والتالي بقوله (فانهما مستويان) مستغنى عنه ولا مدخل لهذا القول في اثبات الملازمة وان الملازمة على تقدير تسليم الكلية مما لا خفاء فيه

قوله ﴿ فان قالوا ان نداء الحي والطلب منه لشيء من الاشياء انما هو لكونه قادرا على فعل ذلك الشيء الذي طلب منه ، وأما الميت والجماد فانه عاجز ولا قدرة

(١) التحقيق أن هذه الانواع من العبادة لغير الله تتضمن اتخاذ الها بالاعتقاد والفعل وان لم يسمه الها

له على فعل شيء من الاشياء ، فنقول لهم اعتقادكم ان الحي قادر على بعض الاشياء يستلزم اعتقادكم ان العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية ، وهو اعتقاد فاسد ـ الى قوله ـ فيستوي الحي والميت والجماد في أن كلا منهم لاخلق له ولا تأثير (١) والمؤثر هو الله تعالى وحده *

أقول (أولا) معارضة ان اعتقادكم ان الحي لا يقدر على شيء يستلزم اعتقادكم ان العبد مجبور محض لا اختيار له وهو اعتقاد فاسد ومذهب باطل (وثانيا) انا لا نسلم ان اعتقاد ان الحي قادر على بعض الاشياء يستلزم اعتقاد ان العبد يخلق أفعال نفسه ، كيف والفرق بين القدرة والخلق جلي واضح لا يخفى على من له أدنى بصيرة ، وقد مر تحقيق هذه المسألة في سفر بما لا مزيد عليه فتذكر

قوله * والاحاديث التي ورد فيها النداء للاموات والجمادات من غير اعتقاد الالوهية والتأثير كثيرة (منها) حديث الاعمى الذي تقدمت روايته عن عثمان بن حنيف (رض) فان فيه يا محمد اني أتوجه بك الى ربك . وتقدم ان الصحابة (رض) استعملوا ذلك الدعاء بعد وفاته صلى الله عليه وسلم *

أقول الجواب عن حديث الاعمى على وجوه (الاول) ان خطاب ...

(١) ان الميت لا تأثير له وأما الحي فله تأثير قطعا وهو ما يسميه الاشعرية كسبا وبه اسند الشرع اليه الاعمال ورتب عليه الجزاء في الدنيا والآخرة . وعلى كل حال يقال اذا لم يكن الميت يعتقد تأثيره بنفسه ولا في ارادة الله تعالى كما هو الحق ولا هو من الاسباب العادية فلماذا يدعونه ويطلبون منه ما لا يطلب في هداية الشرع الا من الله تعالى بدون أمر من الله . ولا اسوة حسنة برسول الله ولا اتباع لاحد من أصحابه ولا أئمة شرعه . وكتبه محمد رشيد رضا

لان في سنده عيسى بن أبي عيسى ماهان أبا جعفر الرازي التميمي وقد ضعفه أحمد والنسائي وأبو حاتم والفلاس وابن حبان وأبو زرعة كما ظهر فيما تقدم من عبارة الذهبي

(والثاني) ان هذا نداء مجازي يطلب به استحضار المنادى في القلب فيخاطب المشهود بالقلب كما يقول المصلي « السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته »قاله الشيخ ابن تيمية «رح» في (اقتضاء الصراط المستقيم)

(والثالث) ان الاعمى انما طلب من النبي ﷺ أن يدعو له في حياته وحضرته والدعاء في الحياة مما يقدر عليه النبي ﷺ ولما كان طلب الدعاء من كل مسلم في الحياة مشروعا فما ظنك بسيد المرسلين والشافعين ؟

وأما ماروى الطبراني من أن رجلا كان يختلف الى عثمان بن عفان في زمن خلافته في حاجته فكان لا يلتفت اليه ولا ينظر اليه في حاجته فشكا ذلك لعثمان بن حنيف ، الحديث — فهذا وإن كان دالا على أن هذا الدعاء استعمل بعد وفاته ﷺ ولكن في سنده روح بن صلاح وقد ضعفه ابن عدي كما تقدم

قوله ﴿ وحديث بلال بن الحرث المتقدم أيضا فان فيه انه جاء إلى النبي ﷺ وقال يارسول الله استسق لامتك — ففيه النداء بعد وفاته ﷺ والخطاب بالطلب ان يستسقي لامته ﴾

أقول قد تقدم ان الحديث رواه سيف بن عمرو الضبي في الفتوح وهو ضعيف جدا حتى ان ابن حبان قال اتهم بالزندقة

قوله ﴿ ومن ذلك الاحاديث الواردة في زيارة القبور ، فان في كثير منها النداء والخطاب كقوله السلام عليكم ياأهل القبور ،السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين ، وإنا ان شاء الله بكم لاحقون — ففيها نداء وخطاب وهي أحاديث كثيرة لا حاجة الى الاطالة بذكرها ﴾

أقول أحاديث زيارة القبور وإن كان فيها النداء ولكن ليس فيه طلب شيء من الاموات، والكلام في النداء الذي يطلب فيه ما لا يقدر عليه إلا الله

قوله ﴿ وتقدم ان السلف والخلف من أهل المذاهب الاربعة استحبوا للزائر أن يقول تجاه القبر الشريف: يا رسول الله اني جئتك مستغفرا من ذنبي، مستشفعا بك إلى ربي ﴾

أقول: العمدة في الباب ما جاء عن العتبي وهو مما لا تقوم به الحجة كما تقدم، واستحباب أهل المذاهب الاربعة سلفهم وخلفهم ذلك بعد التسليم ليس من الحجة في شيء (١)

قوله ﴿ وقد جاءت صورة النداء أيضا في التشهد الذي يقرؤه الانسان في كل صلاة حيث يقول السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ﴾

أقول: كون النداء حقيقيا هناك ممنوع، وليس فيه طلب شيء فلم يكن مما نحن فيه

قال شيخ الاسلام ابن تيمية في (اقتضاء الصراط المستقيم) وقوله يا محمد يا نبي الله، هذا وأمثاله نداء يطلب به استحضار المنادى في القلب فيخاطب المشهود بالقلب كما يقول المصلي السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته. والانسان يفعل مثل هذا كثيرا يخاطب من يتصوره في نفسه وإن لم يكن في الخارج من يسمع خطابه اهـ

قال الحافظ في الفتح «وإن قيل» ما الحكمة في العدول عن الغيبة الى الخطاب في قوله «عليك» أيها النبي مع أن لفظ الغيبة هو الذي يقتضيه السياق كأن يقول

(١) يعني أن صح النقل عنهم فليس بحجة لانهم مقلدون ومذاهبهم متفقة على أن الحجة اجماع المجتهدين وان المقلدين لا حجة ولا عبرة بأقوالهم ولا بأفعالهم. على أن مثل هذا القول لا يصح ثبوته إلا بنص من الكتاب أو السنة لانه ليس من المسائل الاجتهادية. وكتبه محمد رشيد رضا

« السلام على النبي » فينتقل من تحية الله الى تحية النبي ثم الى تحية النفس ثم الى الصالحين ؟ أجاب الطيبي بما محصله: نحن نتبع لفظ الرسول بعينه الذي كان علمه الصحابة ويحتمل أن يقال على طريق أهل العرفان إن المصلين لما استفتحوا باب الملكوت بالتحيات ، أذن لهم بالدخول في حريم الحي الذي لا يموت ، فقرت أعينهم بالمناجاة، فنبهوا على أن ذلك بواسطة نبي الرحمة، وبركة متابعته ، فالتفتوا فاذا الحبيب في حرم الحبيب حاضر، فأقبلوا عليه قائلين « السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته » اهـ

*
* *

وقد ورد في بعض طرق حديث ابن مسعود هذا ما يقتضي المغايرة بين زمنه ﷺ فيقال بلفظ الخطاب ، وما بعده فيقال بلفظ الغيبة ، وهو مما يخدش في وجه الاحتمال المذكور ففي الاستئذان من صحيح البخاري من طريق أبي معمر عن ابن مسعود بعد أن ساق حديث التشهد قال : وهو بين ظهرانينا فلما قبض قلنا السلام يعني على النبي. كذا وقع في البخاري وأخرجه أبو عوانة في صحيحه والسراج والجوزقي وأبو نعيم الاصبهاني والبيهقي من طرق متعددة الى أبي نعيم شيخ البخاري فيه بلفظ فلما قبض قلنا السلام على النبي بحذف لفظ يعني، وكذلك رواه أبو بكر ابن أبي شيبة عن أبي نعيم

قال السبكي في شرح المنهاج بعد أن ذكر هذه الرواية من عند أبي عوانة وحده إن صح هذا عن الصحابة دل على أن الخطاب في السلام بعد النبي ﷺ غير واجب فيقال « السلام على النبي »

قلت : قد صح بلاريب وقد وجدت له متابعاً قوياً. قال عبدالرزاق أخبرنا ابن جريج أخبرني عطاء ان الصحابة كانوا يقولون والنبي ﷺ حي : السلام عليك أيها النبي فلما مات قالوا السلام على النبي . وهذا إسناد صحيح اهـ

وقال محمد الزرقاني في شرح الموطأ لكن المقرر في الفروع انما يقول السلام عليك أيها النبي ولو بعد وفاته اتباعا لامره وتعليمه فتمت النكتة اهـ

(قلت) ليس المراد بضمير قلنا جميع الصحابة . فهذا عمر (رض) كان يعلم الناس على المنبر التشهد وفيه السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ؛ رواه مالك في الموطأ والطحاوي في شرح معاني الآثار ومحمد بن الحسن في موطئه ؛ وهذه عائشة (رض) كانت تقول في التشهد : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ؛ رواه مالك في الموطأ بسندين ومحمد بن الحسن في موطئه والطحاوي في معاني الآثار ؛ وهذا عبد الله بن الزبير يعلم الناس التشهد على المنبر وفيه السلام عليك أيها النبي . رواه الطحاوي في شرح معاني الآثار ؛ وهذا أبو بكر (رض) يعلم التشهد على المنبر كما تعلمون الصبيان الكتاب وفيه السلام عليك أيها النبي رواه الطحاوي في شرح معاني الآثار

وقد اختلفت الرواية عن ابن عمر (رض) ففي موطأ مالك السلام على النبي . وفي موطأ محمد ابن الحسن السلام عليك أيها النبي بكاف الخطاب ولفظ أيها . وهكذا في شرح معاني الآثار للطحاوي

وكذلك اختلفت الرواية عن عبد الله بن مسعود . ففي الاستئذان من صحيح البخاري قال فلما قبض قلنا السلام يعني على النبي . وقال محمد بن الحسن في موطئه بعد ما روى تشهد ابن مسعود عن النبي ﷺ وفيه السلام عليك أيها النبي . وكان عبد الله بن مسعود (رض) يكره أن يزاد فيه حرف أو ينقص فيه حرف اهـ

وروى البخاري عن عبد الرحمن بن يزيد قال : كنا [illegible]

[illegible] في التشهد . وروى عن المسيب بن [illegible] قال سمع [illegible]

[illegible] . وروى عن إبراهيم [illegible]

الربيع بن خثيم لقي علقمة فقال انه بدا لي أن أزيد في التشهد ومغفرته فقال له علقمة ننتهي إلى ما علمناه ، وروى عن اسحاق قال أتيت الاسود بن يزيد فقلت إن أبا الاحوص قد زاد في خطبة الصلاة: والمباركات قال فأته فقل له ان الاسود ينهاك ويقول لك ان علقمة بن قيس تعلمهن من عبد الله كما يتعلم السورة من القرآن ، عدهن عبد الله في يده ثم ذكر تشهد عبد الله . اه ما في الطحاوي بحذف الاسانيد.

وروى سعيد بن منصور من طريق أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود عن أبيه أن النبي ﷺ علمهم التشهد فذكره فقال ابن عباس: انما كنا نقول السلام عليك أيها النبي إذ كان حياً ، فقال ابن مسعود هكذا علمنا وكذا نعلم . كذا في الفتح، ثم قال الحافظ لكن رواية ابي معمر أصح لان أبا عبيدة لم يسمع من أبيه والاسناد اليه مع ذلك ضعيف اه

(قلت) وان كانت رواية أبي عبيدة ضعيفة لكن تكفي للتأييد وقال في مجمع الزوائد وعن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ كان يتشهد قال وكنا نحفظ عن رسول الله ﷺ كما نحفظ حروف القرآن الواوات والالفات إذا جلس على وركه اليسرى رواه الطبراني في الكبير هكذا ، وله عند البزار عن الاسود قال قال كان عبد الله يعلمنا التشهد في الصلاة فيأخذ علينا الالف والواو، وفي اسناد الطبراني زهير بن مروان الرقاشي ولم اجد من ذكره ، واسناد البزار رجاله رجال الصحيح اه

وكذلك اختلفت الرواية عن ابن عباس ، فقد روى الطحاوي أن عطاء قال سمعت عبد الله بن عباس يقول مثل ما سمعت ابن الزبير يقول وقد تقدم روايته قول ابن الزبير على المنبر وقت تعليم التشهد وفيها السلام عليك أيها النبي . وروى سعيد بن منصور ما تقدم آنفا نقله من الفتح من أن ابن عباس قال انما كنا نقول السلام عليك أيها النبي إذ كان حيا

فقد علم مما ذكرنا أن الصحابة (رض) لم يكونوا متفقين بعد وفاة رسول الله ﷺ على ترك الخطاب والاحاديث المرفوعة كلها فيها لفظ الخطاب وقد ورد به الامر وما يدل على تأكد أمره . ففي صحيح البخاري عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله ﷺ « فاذا صلى أحدكم فليقل التحيات » ورواه أيضا مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه والدارمي والطحاوي ومحمد بن الحسن في موطئه . وفي رواية في البخاري وغيره « لا تقولوا السلام على الله فان الله هو السلام ولكن قولوا التحيات لله » وفي رواية علمني رسول الله ﷺ وكفي بين كفيه التشهد كما يعلمني السورة من القرآن ، وفي صحيح مسلم عن ابن عباس أنه قال كان رسول الله ﷺ يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن ، ورواه أيضا أبو داود والنسائي والترمذي وابن ماجه ، وفي صحيح مسلم عن أبي موسى الاشعري قال قال رسول الله ﷺ « واذا كان عند القعدة فليكن من أول قول أحدكم التحيات » ورواه أيضا أبو داود وابن ماجه وفي صحيح البخاري عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال : لقيني كعب بن عجرة فقال ألا أهدي لك هدية ؟ ان النبي ﷺ خرج علينا فقلنا يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك ؟ الحديث . ورواه أيضا مسلم وأبو داود

وعن أبي مسعود الانصاري قال : أتانا رسول الله ﷺ ونحن في مجلس سعد بن عبادة فقال له بشير بن سعد أمرنا الله أن نصلي عليك يا رسول الله فكيف نصلي عليك ؟ الحديث . وفي آخره « والسلام كما قد علمتم » رواه مسلم والدارمي وروى الطحاوي عن عبد الله أنه قال : أخذت التشهد من في رسول الله ﷺ ولقننيه كلمة كلمة اهـ

وروى النسائي عن عبد الله قال كنا لا ندري ما نقول في كل ركعتين غير أن نسبح ونكبر ونحمد ربنا وأن محمدا ﷺ علم فواتح الخير وخواتمه فقال

« إذا قعدتم في كل ركعتين فقولوا التحيات » الحديث ، وفي رواية له قال كنا لا ندري ما نقول إذا صلينا فعلمنا نبي الله ﷺ جوامع الكلم فقال لنا « قولوا التحيات لله » الحديث وفي آخره قال عبيد الله قال زيد عن حماد عن ابراهيم عن علقمة قال لقد رأيت ابن مسعود يعلمنا هؤلاء الكلمات كما يعلمنا القرآن اه ، ورواه الطحاوي وأبو داود ولفظه وكان رسول الله ﷺ قد علم وفي رواية له وكان يعلمنا كلمات ولم يكن يعلمناهن كما يعلمنا التشهد ، وفي صحيح مسلم عن حطان بن عبد الله الرقاشي قال صليت مع أبي موسى الاشعري صلاة فلما كان عند القعدة قال رجل من القوم : أقِرَّت (أي قرنت) الصلاة بالبر والزكاة ، قال فلما قضى أبو موسى الصلاة وسلم انصرف فقال أيكم القائل كلمة كذا وكذا ؟ فأرمّ القوم ثم قال أيكم القائل كلمة كذا وكذا ؟ فأرمَّ القوم ، فقال لعلك يا حطان قلتها ، قال ما قلتها ولقد رهبت ان تبكعني بها[1] فقال رجل من القوم أنا قلتها ولم أرد بها إلا الخير فقال أبو موسى : أما تعلمون كيف تقولون في صلاتكم ؟ إن رسول الله ﷺ خطبنا فبين لنا سنتنا وعلمنا صلاتنا الحديث وفي آخره « وإذا كان عند القعدة فليكن من أول قول أحدكم التحيات » وفي تمامه نحوه

فهذه الاحاديث كلها دالة على أن كلمات التشهد توقيفية لا يتصرف فيها بالزيادة والنقصان ، وترك بعض الصحابة الخطاب بعد وفاته ﷺ لا يصلح معارضاً لتلك الاحاديث المرفوعة الصحيحة فلتقول ما قال الزرقاني . فعلى هذا لابد ههنا من بيان توجيه الخطاب فنقول فيه احتمالات

(الاول) ما قيل في المرقاة قال ابن الملك روي أنه ﷺ لما عرج به أثنى على الله تعالى بهذه الكلمات فقال الله تعالى (السَّلامُ عليك أيها النَّبيُّ

---

(١) بكعه بكته واستقبله بما يكره، وضربه على مواضع متفرقة من جسده والمناسب من معانيه هنا الاول والثاني وفعله من باب جمع ويشدد للتكثير

ورحمة الله وبركاته) فقال ﷺ « السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين » فقال جبرئيل أشهد أن لا إله إلا الله الخ اه وبه يظهر وجه الخطاب وأنه على حكاية معراجه ﷺ في آخر الصلاة التي هي معراج المؤمنين اه

ويشير الى هذا المروي القسطلاني حيث قال في شرح التشهد السلام أي السلامة من المكاره أو السلام الذي وجه إلى الرسل والانبياء أو الذي سلمه الله عليك ليلة المعراج اه

وقال في مسك الختام شرح بلوغ المرام في الفارسية مامعربه ووجه الخطاب ابقاء هذا الكلام على ما كان في الاصل فان ليلة المعراج قد خاطب الله تعالى رسوله بالسلام فأبقاه النبي ﷺ وقت تعليم الامة على ذلك الاصل ليكون ذلك مذكرا لتلك الحال اه وتمام بيان القصة مع شرح ألفاظ التشهد في الامداد كذا في ردالمحتار، وهذا المروي لم أقف على سنده فان كان ثابتا فنعم التوجيه هذا، ونظيره ما ورد في حديث أم سلمة في الاحداد قال رسول الله ﷺ « انما هي أربعة أشهر وعشرا » رواه البخاري قال الحافظ في الفتح كذا في الاصل بالنصب على حكاية لفظ القرآن اه

(قلت) كذلك الخطاب في التشهد على حكاية سلام الله ليلة المعراج ومن هذا القبيل ما وقع في حديث سبيعة في عدة الحامل المتوفى عنها زوجها من قولها فولدت قبل أن يمضي بها أربعة أشهر وعشرا من وفاة زوجها بنصب عشرا(١) ومن قول أبي السنابل لعلك تريدين النكاح قبل أن يمر عليك أربعة أشهر وعشرا بالنصب رواه النسائي، وهذه الحكاية لا يقتضي ان لا يكون معناه مرادا للناطق أنه هو قائله وأن يكون مقصوده مجرد حكاية كلام الآخر فلا يرد عليه ما في

(١) الوجه أن يقال بالنصب كما قال الحافظ في الفتح فان عشرا ما نصبت الا بعطفها على أربعة عشر. وكتبه محمد رشيد رضا

المجتبى وغيره من الكتب الفقهية ، ويقصد بألفاظ التشهد معانيها مرادة له على وجه الانشاء كأنه يحيي الله تعالى ويسلم على نبيه وعلى نفسه وأوليائه لا الاخبار عن ذلك ، ذكره في المجتبى اهـ ، ولعلك قد تفطنت من ههنا ان المراد بالانشاء والاخبار في هذا القول ليس ما هو مصطلح علماء البيان بل المراد بالانشاء قول القائل على انه هو قائله اعم من ان يكون ذلك القول انشاء او اخباراً في الاصطلاح والمراد بالاخبار مجرد نقل قول الغير وحكايته — على أن كلام الفقهاء هذا مما لا دليل عليه ، فلو قصد الاخبار عن السلام وحكايته ولم يقصد الانشاء فأي محذور فيه ؟ فان الاخبار عن السلام سلام كما ان الاخبار عن الحمد حمد ، بل هذا أتم وأكمل فان فيه إشارة إلى أن المصلي كأنه يعترف بأنه لا يقدر على سلام النبي ﷺ كما ينبغي ويليق بشأن الرسول ﷺ وحقه فيقتصر على حكاية سلام الله تعالى على حبيبه[1] وقد علم أن الاعتراف بالعجز عن آلاء الله تعالى من أكمل أفراد الشكر فكذلك الاعتراف بالعجز عن سلام النبي ﷺ من أكمل أفراد السلام فيحصل الامتثال بقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) على تقدير الحكاية والاخبار ايضاً ، وكيف لا يحصل الامتثال بلا ريب بهذه الحكاية وقد علمها الله نبيه ﷺ وعلم نبيه أمته ؟

(١) الحق أن هذا وما بعده تنطع والقول ما قاله الفقهاء فاننا أمرنا أن نسلم وان نصلي بهذه الالفاظ أي ننشئ السلام والصلاة بها ، فقولهم لا يحتاج الى دليل لانه هو مفهوم الامر . والاخبار بالسلام بقصد الحكاية دون الانشاء ليس سلاماً كما أن حكاية لفظ الحمد أو الايمان أو الكفر ليس حمدا ولا ايمانا ولا كفرا بالبداهة. وقوله بل هذا اتم واكمل، وما علله به كلاهما تنطع لا يصح ، فهو لا يتضمن الاعتراف بعدم القدرة لغة وهو يشبه تنطع بعض الصوفية اذ قال : اللهم احمد نفسك عمن امرته ان يتخذك وكيلا . ولو قال : ان قصد الجمع بان الانشاء والحكاية اكمل - لصح قوله وتم مراده . وكتبه محمد رشيد رضا

(والثاني) ان هذا الخطاب علمه النبي ﷺ الحاضرين من الصحابة أولاً ثم أبقي على حاله، وأمثال هذا كثير في الشرع (منها) الرمل فانه كان أولاً للصحابة الذين قال المشركون فيهم انه يقدم عليكم وفد وهنهم حمى يثرب، ومن ثم قال عمر (رض) مالنا وللرمل انما كنا رأينا المشركين وقد أهلكهم الله، ثم أبقي على غيرهم ولذا قال عمر (رض) بعده: شيء صنعه النبي ﷺ فلا نحب أن نتركه (ومنها) رمي الجمار إذ أصله رمي الخليل عليه السلام الشيطان عند الجمار لما عرض له عندها بالاغواء للمخالفة في ذبح الولد

قال الامام أحمد حدثنا شريح ويونس قالا حدثنا حماد بن سلمة عن أبي عاصم الغنوي عن أبي الطفيل عن ابن عباس (رض) انه قال لما أُمر ابراهيم عليه الصلاة والسلام بالمناسك عرض له الشيطان عند المسعى فسابقه فسبقه ابراهيم «ع م» ثم ذهب به جبريل «ع م» الى جمرة العقبة فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب، ثم عرض له عند الجمرة الوسطى فرماه بسبع حصيات ثم تله للجبين وعلى اسماعيل «ع م» قميص أبيض فقال له يا أبت انه ليس لي ثوب تكفنني فيه غيره فاخلعه حتى تكفنني فيه: فعالجه ليخلعه: فنودي من خلفه أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا) فالتفت ابراهيم فاذا بكبش أبيض أقرن أعين. كذا في تفسير ابن كثير وفي معالم التنزيل

وروى أبو الطفيل عن ابن عباس «رض» أن ابراهيم لما أمر بذبح ابنه عرض له الشيطان بهذا المشعر فسابقه فسبقه ابراهيم ثم ذهب الى جمرة العقبة فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب. ثم عرض له عند الجمرة الوسطى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم أدركه عند الجمرة الكبرى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم مضى ابراهيم لأمر الله عز وجل (فلما أسلما وتله للجبين) ه

ومنها قصر الصلاة في السفر فانه شرع للخوف: قال الله تعالى (واذا ضربتم

في الارض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا)

وروى مسلم في صحيحه عن يعلى قال قلت لعمر بن الخطاب (ليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا) فقد أمن الناس، فقال عجبت مما عجبت منه فسألت رسول الله ﷺ عن ذلك فقال «صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته» اه

وقال الحافظ في الفتح: قيل هو من الاشياء التي شرع الحكم فيها بسبب ثم زال السبب وبقي الحكم كالرمل. وفي جواب عمر إشارة اليه، وروى السراج من طريق اسماعيل بن أبي خالد عن أبي حنظلة وهو الحذاء لا يعرف اسمه قال سألت ابن عمر عن الصلاة في السفر فقال فقلت ان الله عز وجل قال (إن خفتم) ونحن آمنون؟ فقال سنة النبي ﷺ، وهذا يرجح ماقيل اه ملخصا — ولعل هذا الاحتمال أراد الطيبي حيث قال: نحن نتبع لفظ الرسول بعينه الذي كان علمه الصحابة الحاضرين

(والثالث) ماذكره الطيبي من انه يحتمل أن يقال على طريق أهل العرفان أن المصلين الخ وقد سبق نقل عبارته فيما تقدم من الفتح وحاصله ان الخطاب والنداء مجازي، ولعل شيخ الاسلام ابن تيمية أراد هذا المعنى أو نحوه حيث قال هذا وأمثاله نداء يطلب به استحضار المنادى في القلب فيخاطب المشهود بالقلب اه وقد نقل عبارته فيما تقدم

(والرابع) انه ﷺ نصب العين للمؤمنين، وقرة العين للعابدين، دائما في جميع الاحوال والاوقات سيما حالة العبادة، فان النورانية والانكشاف في هذه الحال أكثر وأقوى. كذا في مسك الختام

ويؤيد هذا المعنى ماورد في الحديث الصحيح في عذاب القبر من أن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وانه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان

ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ لمحمد ﷺ رواه البخاري من حديث أنس بن مالك

قال القسطلاني : وعبر بذلك امتحانا لئلا يتلقن تعظيمه من عبارة القائل والاشارة في قوله «هذا» لحاضر فقيل : يكشف للميت حتى يرى النبي ﷺ وهي بشرى عظيمة للمؤمن إن صح ذلك ، ولا نعلم حديث صحيحا مرويا في ذلك والقائل به انما استند لمجرد ان الاشارة لا تكون إلا لحاضر ، لكن يحتمل أن تكون الاشارة لما في الذهن فيكون مجزا اهـ وهذا الاحتمال أيضا يؤول الى أن هذا الخطاب والنداء مجازي

(والخامس) ما قاله بعض العرفاء أن هذا الخطاب وجهه سريان الحقيقة المحمدية عليها الصلاة والسلام في ذرائر الموجودات ، وأفراد الممكنات ، فهو ﷺ موجود في ذوات المصلين ، فلابد للمصلي أن يتنبه الى هذا المعنى ، ولا يغفل عن هذا الشهود ليتنور بأنوار القرب وأسرار المعرفة . ذكره صاحب مسك الختام

(قلت) هذا مما لا دليل عليه من الكتاب والسنة ، بل عسى أن يكون باطلا فلا يصغى إليه

وتحقيق المقام يقتضي تمهيداً وهو أن تشهده ﷺ كان مثل تعليم الامة فيقول ﷺ في التشهد «السلام عليك أيها النبي» كما أمر الامة . قال الطحاوي في شرح معاني الآثار حدثنا محمد بن حميد بن قرة قال حدثنا سعيد بن أبي مريم قال أنا ابن لهيعة قال حدثني الحارث بن يزيد أن ابن أسلم المؤذن حدثه أنه سمع عبد الله بن الزبير يقول إن تشهد رسول الله ﷺ الذي كان يتشهد به «بسم الله وبالله خير الاسماء التحيات الطيبات الصلوات لله . أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن

---

(١) أحسن المصنف وأصاب في رد هذا الباطل المشتق من كلام أصحاب الوحدة وأهل الغلو ولو لم يكن فيه سوى أنه قول على الله وعلى رسوله بغير علم لكفي في رده والاعراض عنه اهـ من حاشية خطية على نسخة الاصل

محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ،السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، اللهم اغفر لي واهدني » اه

وفي مجمع الزوائد عن ابن مسعود ان رسول الله ﷺ كان يتشهد في الصلاة قال فكنا نحفظ عن رسول الله ﷺ كما نحفظ حروف القرآن الواوات والالفات إذا جلس على وركه اليسرى رواه الطبراني في الكبير هكذا

وأيضا في مجمع الزوائد عن أبي الورد انه سمع عبدالله ابن الزبير يقول ان تشهد رسول الله ﷺ كان يتشهد« بسم الله وبالله خير الاسماء التحيات الطيبات الصلوات لله، أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيرا ونذيرا، وان الساعة آتية لاريب فيها، السلام عليك أيها النبي الكريم ورحمة الله وبركاته ،السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ،اللهم اغفر لي واهدني» رواه البزار والطبراني في الكبير والاوسط وزاد فيه : وحده لا شريك له ،وقال في آخره: هذا في الركعتين الاولين - ومداره على ابن لهيعة وفيه كلام اه

وأيضا في مجمع الزوائد وعن عبد الله بن مسعود قال علمني رسول الله ﷺ التشهد في وسط الصلاة وفي آخرها قال فكان يقول إذا جلس في وسط الصلاة وفي آخرها على وركه اليسرى «التحيات لله والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله» قال ثم إن كان في وسط الصلاة نهض حين يفرغ من تشهده، وان كان في آخرها دعا بعد تشهده ماشاء الله أن يدعو ثم يسلم

(قلت) هو في الصحيح باختصار عن هذا رواه أحمد ورجاله موثقون ، ورواه بسند آخر وقال بعد قوله « وأشهد ان محمدا عبده ورسوله »قال «فاذا قضيت هذا- أو- فعلت هذا فقد قضيت صلاتك فان شئت أن تقوم فقم ، وإن

شئت أن تقعد فاقعد » رواه الطبراني في الاوسط ـ وبيّن أن ذلك من قول ابن مسعود من قوله فإذا فرغت عن هذا فقد قضيت صلاتك كذلك لفظه عند الطبراني ، ورجال احمد موثقون اه وبعض هذه الروايات وان كانت ضعيفة لكن تكفي للتأييد

وفي المواهب وشرحها للسيد محمد الزرقاني نقلا عن النووي بعد ذكر لفظ التشهد نصه وفي هذا فائدة حسنة وهي ان تشهده عليه السلام بلفظ تشهدنا اه

ويقوي هذا أن النبي ﷺ مأمور بجميع ما أمر به أمته إلا ما ورد فيه دليل دال على أنه ﷺ خرج عنه والامة مأمورة بالسلام لقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) والسلام كان مجملا فوقع قوله ﷺ « فاذا صلى أحدكم فيقل التحيات لله » اه وقوله « ولكن قولوا التحيات لله » اه رواهما البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن مسعود بيانا له ، وليس هناك دليل يدل على أنه ﷺ خرج عن هذا الحكم فعلم منه أن تشهد النبي ﷺ كان مثل تشهدنا ، وأيضا هذا التشهد عام للحاضرين من الصحابة والغائبين والموجودين في زمن النبي ﷺ ومن حدثوا بعده إذ الخطاب في قوله « إذا صلى أحدكم » وقوله « ولكن قولوا » يشمل الحاضرين والغائبين والموجودين والمعدومين إلى يوم القيمة مثل سائر الخطابات الواردة في الوضوء والصلاة والصيام والزكاة والحج وغيرها ، وليس هناك حديث يدل على أن الغائبين والمعدومين تشهد آخر غير هذا التشهد

إذا عرفت هذا فقد علمت بطلان الاحتمالات الاربعة الاخيرة والملازمة ظاهرة فلا نطول الكلام ببيانها فوجه الخطاب حينئذ ثم الاحتمال الاول أن نبت ما روي فيه وإلا فهو مما لم نؤمر بعلمه ، فينبغي لنا أن لا نبحث فيه ونكل

أمره الى الله تعالى قال الله تعالى(وَلا تَقفُ ما ليسَ لك بهِ علم إنّ السمعَ وَالبصَرَ والفؤادَ كلُّ أولئك كانَ عنهُ مَسئُولا) واذاً يكون هذا الخطاب معدولا عن العقل والقياس فيكون مقصوراً على مورده فلا يقتضي هذا الخطاب جواز خطابه ﷺ وندائه في غير تشهد الصلاة

قوله ﴿ وصح عن بلال بن الحارث (رض) أنه ذبح شاة عام القحط المسمى الرمادة فوجدها هزيلة فصار يقول وامحمداه وامحمداه ﴾

أقول فيه كلام من وجهين

(الاول) ان دعوى صحة هذا الاثر مفتقرة إلى اقامة الحجة عليها ، ودونها لا يلتفت اليها

(والثاني) ان هذا ليس نداء بل ندبة كما تقرر في مقره من أن (وا) انما تدخل على المندوب لا على المنادى ، فان قلت المندوب عند البعض داخل في المنادى فالجواب ان من يدخله في المنادى فانما يدخله في المنادى الحكمي لا الحقيقي فلم يكن مما نحن فيه في شيء

قوله ﴿ وصح أيضاً أن أصحاب النبي ﷺ لما قاتلوا مسيلمة الكذاب كان شعارهم وامحمداه وامحمداه ﴾

أقول الكلام عليه بوجهين

(الاول) ان القول بصحة هذا الاثر كلام بلا دليل فلا يقبل

(والثاني) ان هذا مندوب أو منادى حكمي فلم يكن مما نحن فيه في شيء

قوله ﴿ وفي الشفاء للقاضي عياض أن عبد الله بن عمر (رض) خدلت رجله مرة فقيل له أذكر أحب الناس اليك فقال وامحمداه فانطلقت رجله ﴾

أقول فيه كلام من وجوه

(الاول) ان نص الشفاء هكذا: وروي أن عبد الله بن عمر خدرت رجله فقيل له اذكر أحب الناس اليك يزل عنك فصاح يا محمداه فانتشرت اهـ

فالمؤلف قد أخطأ في نقل هذه العبارة المختصرة في مواضع فكتب خدلت وانما هي خدرت، وزاد لفظ مرة قبل فقيل، وحذف لفظ يزل عنك، وبدل لفظ فقال مكان فصاح، ولفظ وا موضع يا، ولفظ فانطلقت رجله محل فانتشرت، ولعل الخطأ الاول من الناسخ، ولفظ الحديث في الاذكار هكذا: عن الهيثم بن حنش قال كنا عند عبد الله بن عمر فخدرت رجله فقال له رجل اذكر أحب الناس اليك فقال يا محمد ﷺ فكأنما نشط من عقال اهـ وفي الحصن الحصين ومنه حديث ابن عمر انه خدرت رجله فقيل له ما لرجلك؟ فقال اجتمع عصبها. فقيل اذكر أحب الناس اليك فقال يا محمد فبسطها اهـ أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة كذا في الحصن الحصين ومنه يظهر الضعف في تخريج أحاديث الشفاء

(والثاني) المطالبة باثبات صحة هذا الاثر وحسنه ودونه لا يعتنى به

(والثالث) أن هذا ليس نداء حقيقيا انما هو ندبة او نداء مجازي

قوله لا وجه الخطاب والنداء التجويزات في الاحاديث كثيرة منه ﷺ

كان اذا نزل منزلا قال يا ارض ربي وربك الله [illegible]

ولا كفر ولا شرك فيه اذ ليس فيه اعتقاد الوهية واستحقاق عبادة ولا اعتقاد تأثير لغير الله تعالى

اقول هذا الخطاب والنداء مجازي [illegible] تحقق لذلك الحديث

قوله وقد ذكر الفقهاء في آداب السفر [illegible] ارض

ليس بها انيس فليقل : ياعبادالله احبسوا ، وإذا اضل شيئا او اراد عونا فليقل:

يا عباد الله أعينوني أو اغيثوني فان لله عبادا لا نراهم ، واستدل الفقهاء على ذلك

بما رواه ابن السني عن عبد الله بن مسعود (رض) قال قال رسول الله ﷺ «إذا

انفلتت دابة احدكم بأرض فلاة فلينادِ ياعباد الله احبسوا، فان لله عبادا يحبسونه»

ففيه نداء وطلب نفع ﴾

اقول هذا الحديث ضعيف ، قال في مجمع الزوائد وعن عبد الله بن مسعود انه قال قال رسول الله (ص) « اذا انفلتت دابة احدكم بأرض فلاة فليناد ياعباد الله احبسوا يا عباد الله احبسوا فان لله حاضرا في الارض ليحبسه » رواه ابو يعلى والطبراني وفيه معروف بن حسان وهو ضعيف اه قال الذهبي في الميزان معروف ابن حسان ابو معاذ السمرقندي عن عمر بن ذر قال ابن عدي منكر الحديث قد روى عن عمر بن ذر نسخة طويلة كلها غير محفوظة ، وقال قاسم بن حنبل السرخسي ثنا اسحق بن اسماعيل السمرقندي ثنا معروف بن حسان عن ابن ابي ذئب عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله (ص) « من ربى شجرة كان له كاجر قائم الليل صائم النهار كاجر غاز في سبيل الله دهره » اه

وعلى تقدير ثبوته ففيه نداء للاحياء وطلب منهم ما يقدرون عليه ، وهذا مما لا نزاع في جوازه . والعجب من المؤلف انه ذكر هذا الحديث في باب خطاب ونداء الجمادات وعباد الله الذين وقع ذكرهم في الحديث ليسوا بجمادات

قوله ﴿ وفي حديث آخر رواه الطبراني انه (ص) قال « إذا ضل احدكم

شيئاً أو اراد عوناً وهو بأرض ليس فيها انيس فليقل يا عباد الله اعينوني »وفي

رواية « اغيثوني فان لله عبادا لا ترونهم » قال العلامة ابن حجر في حاشيته على ايضاح المناسك وهو مجرب كما قاله الراوي للحديث المذكور »

اقول قال في مجمع الزوائد وعن عتبة بن غزوان عن نبي الله (ص) قال « إذا ضل احدكم شيئا او اراد احدكم عونا وهو بأرض ليس بها انيس فليقل يا عباد الله اعينوني يا عباد الله اعينوني يا عباد الله اعينوني فان لله عبادا لا نراهم » وقد جرب ذلك رواه الطبراني ورجاله وثقوا على ضعف في بعضهم إلا ان زيد ابن علي لم يدرك عتبة اه

فالحديث ضعيف بسبب الانقطاع ؛ فدعاء المؤلف في تقدم صحته ليس بشيء . وعلى تقدير ثبوته فليس فيه إلا نداء الاحياء والطلب منهم ما يقدر هؤلاء الاحياء عليه وذلك مما لا يجحده أحد ، وذكر هذا الحديث أيضا في نداء الجمادات دال على أن ذاكره ليس له حظ من العقل

(قلت) وفي الباب عن ابن عباس (رض) قال في مجمع الزوائد وعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال « ان لله ملائكة في الارض سوى الحفظة يكتبون ما سقط من ورق الشجر فإذا أصاب أحدكم شيء بأرض فلاة فلينادِ أعينوني عباد الله » رواه البزار ورجاله ثقات اه

(قلت) كون الرجال ثقات لا يقتضي صحة الحديث أو حسنه لاحتمال أن يكون فيه انقطاع أو شذوذ ، وعلى تقدير ثبوت الحديث فإنما ثبت منه جواز نداء الاحياء أو طلب ما يقدرون عليه منهم وذلك لا ينكره أحد

قوله : وروى أبو داود وغيره عن عبد الله بن عمر (رض) قال كان رسول الله ﷺ إذا سافر فأقبل الليل قال « يا أرض ربي وربك الله أعوذ بالله

من شرك وشر ما فيك وشر ما خلق فيك وشر ما يدب عليك، أعوذ بالله من أسد وأسود ، ومن الحية والعقرب ، ومن شر ساكن البلد ، ووالد وما ولد ﴾

أقول هكذا قال النووي في الاذكار رواه أبو داود وغيره وعزاه صاحب المشكاة إلى أبي داود فقط ورمز له في الحصن الحصين د،س،مس،وهو دال على أنه أخرجه أبو داود في سننه والنسائي والحاكم في المستدرك. وقال في نزل الابرار (قلت) أخرجه أيضا أبو داود والترمذي والحاكم في المستدرك من حديث ابن مسعود وقال صحيح الاسناد اه

(قلت) واني راجعت سنن أبي داود والمجتبى والترمذي فما وجدته إلا في سنن أبي داود ونصه هكذا : حدثنا عمرو بن عثمان نا بقية حدثني صفوان حدثني شريح بن عبيد عن الزبير بن الوليد عن عبد الله بن عمر قال : كان رسول الله ﷺ إذا سافر فأقبل الليل قال « يا أرض ربي وربك الله أعوذ بالله من شرك وشر ما فيك وشر ماخلق فيك وشر ما يدب عليك وأعوذ بالله من أسد وأسود ومن الحية والعقرب ومن ساكني البلد ومن والد وما ولد اه

وفي هذا السند الزبير بن الوليد وهو مجهول لأنه تفرد عنه شريح بن عبيد كذا في الميزان ، قال في الخلاصة وثقه ابن حبان ، وقال الحافظ في التقريب مقبول(قلت) قد عرفت فيما تقدم أن توثيق ابن حبان لا اعتداد به وأن التعديل بلفظ مقبول من أدنى مراتب التعديل وحكمه أنه يكتب حديثه للاعتبار لا للاحتجاج به

قوله ﴿ وروى الترمذي عن عبد الله بن عمر (رض) والدارمي عن طلحة بن عبدالله (رض) أنه ﷺ كان إذا رأى الهلال قال « ربي وربك الله » ففيه خطاب للجماد ﴾

أقول رمز لهذا الحديث في الحصن الحصين (ت حب مى) وهو يدل على أنه أخرجه الترمذي وابن حبان في صحيحه والدارمي ، وعزاه صاحب المشكاة إلى الترمذي من حديث طلحة ، وقد راجعت الترمذي والدارمي ، فنص الترمذي هكذا : حدثنا محمد بن بشار نا أبو عامر العقدي نا سليمان بن سفيان المدني قال حدثني بلال بن يحيى بن طلحة بن عبيد الله عن أبيه عن جده طلحة بن عبيد الله أن النبي ﷺ كان إذا رأى الهلال قال « اللهم أهلله علينا باليمن والايمان والسلامة والاسلام ربي وربك الله » هذا حديث حسن غريب ، هذا آخر كلام الترمذي

ولفظ الدارمي هكذا : أخبرنا سعيد بن سليمان عن عبد الرحمن بن عثمان بن ابراهيم حدثني أبي عن أبيه وعمه عن ابن عمر قال كان رسول الله ﷺ إذا رأى الهلال قال « الله أكبر اللهم أهله علينا بالأمن والايمان والسلامة والاسلام والتوفيق لما يحب ربنا ويرضى . ربنا وربك الله » أخبرنا محمد بن يزيد الرفاعي واسحاق ابن ابراهيم نا العقدي نا سليمان بن سفيان المدني عن بلال بن يحيى بن طلحة عن أبيه عن طلحة قال كان النبي ﷺ إذا رأى الهلال قال « اللهم أهله علينا بالأمن والايمان والسلامة والاسلام ربي وربك الله » هذا آخر كلام الدارمي

فعلم من هنا أن الترمذي إنما أخرجه من حديث طلحة بن عبيد الله لا من حديث ابن عمر والدارمي أخرجه من حديث ابن عمر أولاً ثم من حديث طلحة فعزو رواية حديث ابن عمر الى الترمذي وعدم عزو رواية حديث طلحة اليه والاقتصار على عزو رواية حديث طلحة إلى الدارمي كما فعله المؤلف خطأ بين دال على غاية قصور باعه في علم الحديث . وحديث طلحة حسنه الترمذي وفي تحسينه نظر ، فان في سنده سليمان بن سفيان المدني قال الذهبي سليمان بن سفيان أبو سفيان المدني عن عبد الله بن دينار وبلال بن يحيى قال ابن معين ليس بشيء

وقال مرة ليس بثقة ، وكذا قال النسائي ، وقال أبو حاتم والدار قطني ضعيف العقدي ، ثنا سليمان بن سفيان ثنا بلال بن يحيي بن طلحة بن عبيد الله عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ كان إذا رأى الهلال قال « اللهم أهله علينا بالامن والامان والاسلام ربي وربك الله » اه وأيضا في سنده بلال بن يحيي ، قال الحافظ في التقريب بلال بن يحيي بن طلحة بن عبيد الله التيمي المدني لين اه وحديث ابن عمر ايضا ضعيف لان في سنده عثمان بن ابراهيم الحاطبي ، قال الذهبي في الميزان عثمان بن ابراهيم الحاطبي مدني رأى ابن عمر له ما ينكر ، وقال ابو حاتم روى عن أبيه أحاديث منكرة اه وايضا في سنده عبد الرحمن ابن عثمان الحاطبي ، قال الذهبي في الميزان ضعفه ابو حاتم الرازي

(قلت) وحديث ابن عمر رواه الطبراني ايضا ، قال في مجمع الزوائد وعن ابن عمر قال كان رسول الله ﷺ إذا رأى الهلال قال « اللهم أهله علينا بالامن والامان والسلامة والاسلام والتوفيق لما تحب وترضى ربنا وربك الله » رواه الطبراني ، وفيه عثمان بن ابراهيم الحاطبي وفيه ضعف وبقية رجاله ثقات اه

وفي الباب حديث أنس بن مالك فيه ايضا خطاب وهو ضعيف ايضا ، قال في مجمع الزوائد وعن أنس بن مالك عن النبي ﷺ انه كان إذا رأى الهلال قال « هلال خير ورشد آمنت بالذي خلقك فعدلك » رواه الطبراني في الاوسط وفيه أحمد بن عيسى اللخمي وبقية رجال ثقات اه

وفي سنن أبي داود حدثنا موسى بن اسماعيل نا ابان نا قتادة أنه بلغه أن نبي الله ﷺ كان إذا رأى الهلال قال « هلال خير ورشد هلال خير ورشد آمنت بالذي خلقك » ثلاث مرات ثم يقول « الحمد لله الذي ذهب بشهر كذا وجاء بشهر كذا » اه

(قلت) وهذا أيضا ضعيف لانه مرسل وفي بعض نسخ أبي داود ، قال

أبو داود ليس عن النبي ﷺ في هذا الباب حديث مسند صحيح اهـ وعلى تقدير ثبوت الحديث الذي ذكره المؤلف فالخطاب فيه مجازي والمقصود بالخطاب فيه غير المخاطب كما تقدم

قوله ﴿ وصح أنه لما توفي ﷺ أقبل أبو بكر (رض) حين بلغه الخبر فدخل على رسول الله ﷺ فكشف عن وجهه ثم أكب عليه فقبله ثم بكى وقال بأبي وأمي طبت حيا وميتا أذكرنا يا محمد عند ربك ولنكن من بالك ، وفي رواية للامام أحمد فقبل جبهته ثم قال : وانبياه ثم قبلها ثانيا وقال واصفياه ثم قبلها ثالثا وقال واخليلاه . ففي ذلك نداء وخطاب له ﷺ بعد وفاته ﴾

أقول لا يخفى عليك أن لفظ « بأبي أنت وأمي طبت حيا وميتا والله الذي نفسي بيده لا يذيقك الله الموتتين أبدا » رواه البخاري من حديث عائشة (رض) في حديث طويل في مناقب الصديق (رض) وفيه خطاب لكن هذا الخطاب مجازي من جنس ما يخاطبون المندوب ويعدون محاسنه الواقعية كما روي عن ابن عباس يقول وضع عمر على سريره فتكنفه الناس يدعون ويصلون قبل أن يرفع وأنا فيهم، فلم يرعني إلا رجل أخذ منكبي فاذا علي بن أبي طالب فترحم على عمر وقال ما خلفت أحدا أحب الي أن ألقى الله بمثل عمله منك، وايم الله إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك، وحسبت اني كنت كثيرا أسمع النبي «ص» يقول « ذهبت أنا وأبو بكر وعمر ، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر ، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر » وكما روي عن أنس «رض» انه لما مات «ص» قالت فاطمة يا أبتاه أجاب ربا دعاه، يا أبتاه من جنة الفردوس مأواه ، يا أبتاه الى جبريل ننعاه رواه البخاري . قال الحافظ في الفتح فيؤخذ منه أن تلك الالفاظ إذا كان الميت

متصفاً بها لا يمنع ذكره لها بعد موته بخلاف ما اذا كانت فيه ظاهرا وهو في الباطن بخلافه أو لا يتحقق اتصافه بها فيدخل في المنع اه

ويؤيد هذا المعنى قوله «رض» بأبي أنت وأمي — فان حقيقة التفدية لا تتصور بعد الموت ، فكما أن المراد بالتفدية معناها المجازي كذلك الخطاب ، وأيضا يؤيده قوله (رض) وانبياه واصفياه واخليلاه ،فان لفظة «وا» لا تستعمل في النداء ، إنما تستعمل في الندبة ، ويحتمل أن يكون ذلك الخطاب والنداء مثل الخطاب والنداء الواقعين في الاحاديث الواردة في زيارة القبور ، والتوجيه فيه مثل ما ذكر في الاحاديث المذكورة

بقي قوله (رض) اذكرنا يا محمد عند ربك ، ولنكن من بالك — وظاهره مشكل ، فان فيه نداء مع الطلب من الميت وهوغير جائز عندنا . والجواب هو الكلام في ثبوت هذا اللفظ فاني لا أعلم أحداً رواه بسند صحيح أو حسن خال عن العلة،إنما ذكره صاحب المواهب بغير سند وعبارته هكذا : وقال ابن المنير لما مات صلى الله عليه وسلم طاشت العقول فمنهم من خبل ومنهم من أقعد فلم يطق القيام، ومنهم من أخرس فلم يطق الكلام، ومنهم من اضني، وكان عمر ممن خبل، وكان عثمان ممن اخرس يذهب ويجيء ولا يستطيع كلاما ، وكان علي ممن اقعد فلم يستطع حراكا، وأضني عبد الله بن أنيس فمات كمداً ، وكان أثبتهم أبوبكر جاء وعيناه تهملان ، وزفراته تتردد، وغصصه تتصاعد وترتفع، فدخل على النبي صلى الله عليه وسلم فأكب عليه ، وكشف الثوب عن وجهه وقال : طبت حياً وميتاً ، وانقطع لموتك ما لم ينقطع لموت أحد من الانبياء قبلك ،فعظمت عن الصفة وجللت عن البكاء ،ولو أن موتك كان اختياريا لجدنا لموتك بالنفوس ، اذكرنا يا محمد عند ربك ولنكن من بالك . هكذا ذكره صاحب المواهب بلا سند ولم يتعرض شارحه العلامة محمد ابن عبدالباقي الزرقاني أيضاً لسنده بل هناك قرينة تدل على انه ليس من كلام

الصديق (رض) وهي ان الله تعالى حرم على الامة نداءه باسمه . قال تعالى (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) أي لا تجعلوا دعاءه وتسميته كنداء بعضكم بعضاً باسمه ورفع الصوت به والنداء وراء الحجرات ولكن قولوا يارسول الله يانبي الله مع التوقير والتواضع وخفض الصوت فكيف يقول أفضل الامة بعد الرسول ﷺ «يامحمد» ؟ ومن ثم وقع لفظ «يانبي الله» في قول الصديق (رض) في حديث عائشة الذي رواه البخاري في الجنائز ولفظه هكذا : ثم بكى فقال بأبي أنت وأمي يانبي الله لايجمع الله عليك موتتين إلا الموتة التي كتبت عليك فقد متها

قال بعض المحققين *) في الرد على كتاب (جلاء الغمة) وفي نفس هذا الأثر الذي أورده مايرد عليه من وجوه (منها) قوله اللهم ابلغه عنا فاذا سأل الله أن يبلغ نبيه عنهم فكيف يقول بعدها اذكرنا يامحمد عند ربك؟ وهل هذا إلا عكس ماقبله؟ ومن دون أبي بكر يتحاشا العاقل من نسبته اليه فكيف بصديق الامة ؟

وقد ثبت في الصحيح وغيره أن الشهداء قالوا ألا بلغوا عنا قومنا انا قد لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا ولم يأت أحد من أصحاب رسول الله ﷺ الى شهيد من الشهداء وطلب منه أن يبلغ عنه ربه، وهم أجل وأفقه من ذلك فكيف بالصديق (رض)؟ فاذا جاءت السنة بأن الله هو الذي يبلغ عمن عنده من الشهداء فكيف يعكس القضية ويجعل النبي ﷺ هو الذي يبلغ ربه؟ هذا لو صح سنده فكيف وهو ممن لايحتج به؟ قال ابن السكن سيف بن عمرو ضعيف وقال أبو حاتم قعقاع بن عمرو قال شهدت وفاة رسول الله ﷺ هذا فيما رواه سيف بن عمر بن عمرو بن تميم عن أبيه عنه وسيف متروك فبطل الحديث اه

وعلى تقدير ثبوت اللفظ المذكور فلا يبعد كل البعد أن يكون هذا امـ ـاء

(*) هو الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن وكتابه مصباح الظلام اه من حاشية خطية على الاصل

والطلب كلاهما مجازيين كما يتصور الحبيب كثيراً حبيبه في نفسه فيخاطبه بأمور ويطلب منه أشياء ولا يقصد هنالك إلا مجرد التذاذ نفسه بتلك التصورات والالفاظ لا معانيها الحقيقية، أو يكون المقصود بالخطاب غير المخاطب كما تقدم فكأنه خاطب الله وطلب منه أن يجعل نبيه ذا كرز(١) عنده تعالى وشفيعنا لديه ، وهذان الاحتمالان وإن كانا لا يخلوان عن بعد لكنهما ليسا بأبعد من الاحتمالات التي وضعها المؤلف لتصحيح كلام المشركين

قوله ﷺ ولما تحقق عمر « رض » وفاته ﷺ بقول أبي بكر « رض » قال وهو يبكي بأبي أنت وأمي يارسول الله لقد كان لك جذع تخطب الناس عليه، فلما كثروا واتخذت منبرا لتسمعهم حن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن، فأمتك أولى بالحنين عليك حين فارقتهم — الى قوله — فانظر الى هذه الالفاظ التي نطق بها عمر «رض» فقد تعدد فيها النداء له ﷺ بعد وفاته ، وقد رواها كثير من أئمة الحديث وذكرها القاضي عياض في الشفاء والقسطلاني في المواهب والغزالي في الاحياء وابن الحج في المدخل ﷺ

أقول في المواهب بعد ذكر هذا الخبر مانصه الخبر ذكره أبو العباس المصار في شرحه بردة الابوصيري ونقله عن الرشاطي في كتابه «اقتباس الانوار والتماس الازهار» وذكره ابن الحج في المدخل وساقه بتمامه والقاضي عياض في الشفاء، لكنه ذكر بعضه اه فعلى من يحتج به ذكر سنده وتوثيق رجاله ، وبيان أنه خال من جميع العلل القادحة في التصحيح والتحسين ودونه خرط القتاد — على أن هذا من الرثاء المشروع والتحزن والتوجع المباح كما في قول فاطمة والصديق «رض» فليس هذا من النداء في شيء بل هو ندبة

قوله ﴿ فيبطل بها وبغيرها من الادلة قول المانعين لنداء مطلقا ﴾

أقول المانعون للنداء لا يمنعون النداء مطلقا بل يمنعون النداء الحقيقي الذي فيه يطلب من المنادى ما لا يقدر عليه إلا الله

قوله ﴿ وروى البخاري عن أنس «رض» أن فاطمة «رض» بنت رسول الله ﷺ قالت لما توفى رسول الله ﷺ يا أبتاه ـ الى قوله ففي هذا الحديث أيضا نداؤه ﷺ بعد وفاته ﴾

أقول هذا ليس من النداء في شيء بل هو ندبة ، يرشدك الى هذا كون هذا الكلام صادرا وقت الوفاة ووقوع لفظ النعي فيه وزيادة الالف في آخره لمد الصوت المطلوب في الندبة ، فالقول بكونه نداء أدل دليل على جهل قائله

قوله ﴿ ورثته عمته صفية بمراث كثيرة — الى قوله — ففي هذا البيت ايضا نداؤه ﷺ بعد وفاته ﴾

أقول القول بكونه نداء أوضح برهان على سوء فهم قائله فان وقوعه في الرثاء دليل واضح على كونه ندبة .

قوله ﴿ ومما جاء من النداء للميت التلقين له بعد الدفن ، وقد ذكره كثير من الفقهاء ، واستندوا في ذلك الى حديث الطبراني عن أبي أمامة « رض » واعتضد بشواهد كثيرة — الى قوله — ففي التلقين الخطاب والنداء للميت ، فكيف يمنعون النداء مطلقا ؟ ﴾

أقول في مجمع الزوائد عن سعيد بن عبد الله الاودي قال شهدت أبا امامة وهو في النزع فقال إذا أنا مت فاصنعوا بي كما أمر رسول الله ﷺ فقال « إذا

مات أحد من اخوانكم فسويتم التراب على قبره فليقم أحدكم على رأس قبره ثم ليقل: يافلان ابن فلانة فانه يسمعه ولا يجيب ، ثم يقول يافلان ابن فلانة فانه يستوي قاعدا ، ثم يقول يافلان ابن فلانة ، فانه يقول ارشدنا رحمك الله ولكن لا تشعرون ، فليقل اذكر ماخرجت عليه من الدنيا شهادة ان لا إله الا الله وان محمدا عبده ورسوله ، وانك رضيت بالله ربا وبالاسلام دينًا وبمحمد نبيا وبالقرآن إماما ، فان منكرا ونكيرا يأخذ كل واحد منهما بيد صاحبه ويقول انطلق بنا ما نقعد عند من لقن حجته ، فيكون الله حجيجه دونهما » قال رجل يارسول الله فان لم يعرف أمه؟ قال «فينسبه إلى حواء يافلان بن حواء» رواه الطبراني في الكبير وفي إسناده جماعة لم أعرفهم

وقال الحافظ ابن القيم في زاد المعاد ولم يكن يجلس يقرأ عند القبر ولا يلقن الميت كما يفعله الناس اليوم ، وأما الحديث الذي رواه الطبراني في معجمه من حديث أبي امامة عن النبي ﷺ « إذا مات أحد من اخوانكم فسويتم التراب على قبره فليقم أحدكم على رأس قبره ثم ليقل يافلان فانه يسمعه ولا يجيب ثم يقول يا فلان ابن فلانة فانه يستوي قاعدا ثم يقول يا فلان ابن فلانة فانه يقول أرشدنا يرحمك الله ، ولكن لا تشعرون ، ثم يقول اذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا اله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وأنك رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا وبالقرآن اماما ، فان منكرا ونكيراً يأخذ كل واحد منهما بيد صاحبه ويقول انطلق بنا ما نقعد عند من لقن حجته فيكون الله حجيجه دونهما » فقال رجل : رسول الله ﷺ فان لم يعرف أمه ؟ قال «فينسبه الى حواء يا فلان ابن حواء » فهذا حديث لا يصح رفعه ، ولكن قال الأثرم قلت لأبي عبد الله فهذا الذي يصنعونه اذا دفن الميت يقف الرجل ويقول يا فلان بن فلان أذكر مافارقت عليه : شهادة أن لا إله إلا الله ، فقال ما رأيت أحداً فعل هذا إلا أهل الشام حين مات أبو المغيرة جاء انسان فقال ذلك ، وكان أبو المغيرة يروي فيه

عن أبي بكر بن أبي مريم أنهم كانوا يفعلونه ، وكان ابن عياش يروي فيه (قلت) يريد حديث اسماعيل بن عياش هذا الذي رواه الطبراني عن أبي امامة

وقد ذكر سعيد بن منصور في سننه عن راشد بن سعد وضمرة بن حبيب وحكيم بن عمير قال : اذا استوى على الميت قبره وانصرف الناس عنه فكانوا يستحبون أن يقال للميت عند قبره يافلان قل لا إله الا الله ، أشهد ان لا إله إلا الله ـ ثلاث مرات ـ قل ربي الله وديني الاسلام ، ونبيي محمد ثم ينصرف اه

قال الحافظ في التلخيص واسناده صالح وقد قواه الضياء في أحكامه وفي اسناده سعيد الازدي بيض له أبو حاتم ، وقال الهيثمي بعد أن ساقه في إسناده جماعة لم أعرفهم اه وفي إسناده أيضاً عاصم بن عبيد الله وهو ضعيف

قال الاثرم : قلت لاحمد هذا الذي يصنعونه اذا دفن الميت يقف الرجل ويقول يافلان بن فلانة ؟ قال ما رأيت أحداً يفعله إلا أهل الشام حين مات أبو المغيرة يروى فيه عن أبي بكر بن أبي مريم عن أشياخهم أنهم كانوا يفعلونه وكان اسماعيل بن عياش يرويه يشير الى حديث أبي امامة اه هكذا نقله في النيل وفي فتح العلام شرح بلوغ المرام ، وقال في المنار ان حديث التلقين هذا حديث لا يشك أهل المعرفة بالحديث في وضعه

وقال ابن القيم في كتاب الروح إنه حديث ضعيف ويتحصل من كلام أئمة التحقيق أنه حديث ضعيف والعمل به بدعة ولا يغتر بكثرة من يفعله، انتهى ملتقطا . وفي نزل الابرار : وقد أنكر هذا التلقين جماعة من أهل العلم وبدعوه أنظر ذلك في الهدي النبوي وغيره كثمار التنكيت لهذا العبد الضعيف اه (قلت) لا شك في ضعف هذا الحديث لان في سنده مجاهيل كما قال الهيثمي في مجمع الزوائد ولان في سنده عاصم بن عبيد الله كما قال الحافظ في التلخيص على مانقله الشوكاني (رح) وهو ضعيف

قال الذهبي في الميزان عاصم بن عبيد الله بن عاصم بن عمر بن الخطاب العدوي عن أبيه وعبد الله بن عامر بن ربيعة وجماعة ، وعنه شعيب ومالك ثم ضعفه مالك ، وقال يحي ضعيف لايحتج به ، وقال ابن حبان كثير الوهم فاحش الخطأ فترك . وقال أحمد قال ابن عيينة كان الاشياخ يتقون حديث عاصم بن عبيد الله ، وقال النسائي ضعيف اه

وقد صرح بضعفه النووي في الاذكار وغيره في غيره وانما قواه من قوى لاتصال عمل أهل الشام به فلننظر فيه فنقول منه ما روى أبو المغيرة الحمصي عن أبي بكر بن أبي مريم أنهم كانوا يفعلونه وهذا لا يثبت فان في سنده أبا بكر بن عبد الله بن أبي مريم الغساني الحمصي ، قال الذهبي ضعيف عندهم (قلت) وكان من العباد عن راشد بن سعد وخالد بن معدان ، وعنه بقية وأبو اليمان وطائفة ضعفه أحمد وغيره لكثرة ما يغلط وكان أحد أوعية العلم ، وقال ابن حبان رديء الحفظ لايحتج به اذا انفرد .

وقال أبوداود سرق لابي بكر بن أبي مريم حلي فأنكر عقله ، وسمعت أحمد يقول ليس بشيء اه ملخصاً ، وفي الخلاصة وهامشها : قال الحافظ أبو عبد الله ضعيف ، وكذا قال ابن معين وأبو حاتم وأبو زرعة الخ تهذيب اه

قال الحافظ ابن حجر في التقريب ضعيف وكان قد سرق بيته فاختلط اه

ومنه ما أخرجه سعيد بن منصور في سننه عن راشد بن سعد وحمزة بن حبيب وحكيم بن عمير قال : اذا استوى على الميت قبره وانصرف الناس عنه فكانوا يستحبون الخ وراشد هذا وإن كان ثقة لكنه كثير الارسال ، وحكيم بن عمير الحمصي صدوق يهم قاله الحافظ في التقريب ، على أنه لا يعلم سنده إلى هؤلاء التابعين فعلى من يحتج به بيان السند حتى ينظر فيه

وبالجملة فثبوت عمل أهل الشام أولا ممنوع وعلى تقدير ثبوته لا نسلم كونه مقتضيا لكون الحديث الضعيف قابلا لان يحتج به ومن يدعي فعليه الاثبات.

وأما مجرد عمل بعض أهل الشام فليس من الدليل الشرعي في شيء ، وعلى تقدير ثبوت حديث التلقين فليس فيه طلب شيء من الميت مما لا يقدر عليه إلا الله انما فيه نداء وإرشاد للميت وهو قد ثبت مخالفا للقياس فيكون مقصوراً على المورد فلا يقاس عليه غيره

قوله (ومن النداء الميت ما جاء في الحديث المشهور حيث نادى النبي صلى الله عليه وسلم كفار قريش المقتولين يوم بدر بعد إلقائهم في القليب رواه البخاري وأصحاب السنن)

أقول: الجواب عليه من وجوه (الاول) ان الله تعالى أحياهم حتى أسمعهم قول النبي ﷺ على طريق خرق العادة ، والدليل عليه ما روى البخاري في المغازي عن ابن عمر قال وقف النبي ﷺ على قليب بدر فقال «هل وجدتم ما وعد ربكم حقا» ثم قال «انهم الآن يسمعون ما أقول» الحديث ، فان لفظة «الآن» دليل واضح عليه ، والتخصيص بما أقول يمكن الاستئناس به على أن ذلك كان من قبيل خرق العادة . وقال قتادة أحياهم الله حتى أسمعهم قوله توبيخا وتصغيرا ونقمة وحسرة وندما رواه البخاري في صحيحه ، ورواه أحمد بلفظ قال قتادة أحياهم الله له حتى سمعوا قوله توبيخا وتصغيرا ورجاله رجال الصحيح كذا في مجمع الزوائد

قال السهيلي ما محصله ان في نفس الخبر ما يدل على خرق العادة بذلك للنبي ﷺ لقول الصحابة له أتخاطب أقواما جيفوا؟ فأجابهم كذا في الفتح . وإذا كان الذي وقع حينئذ من خوارق العادة للنبي ﷺ حينئذ لم يصح التمسك به على جواز نداء

الميت (والثاني) ان هذا النداء لم يكن لطلب ما لا يقدر عليه إلا الله بل انما كان توبيخا وتصغيرا، فعلى تقدير عدم كونه من خوارق العادة انما يثبت به جواز نداء من علم موته على الكفر قطعا على قبره وقول ما قاله رسول الله ﷺ لقتلى بدر من المشركين توبيخا وتصغيرا، وهذا لانزاع فيه، انما النزاع في ندائهم الاموات من الانبياء والصالحين تعظيما وإكراما لهم متضرعين خاشعين طالبين لما لا يقدر عليه إلا الله وهذا لا يدل عليه الحديث أصلا

(والثالث) ان هذا النداء معدول عن القياس مخالف له فيكون مقصورا على المورد فلا يقاس عليه غيره، وقد صدر مثل هذا التقريع والتوبيخ من الانبياء السابقين أيضا كصالح عليه السلام قال الله تعالى في سورة الاعراف (فتولى عنهم وقال ياقوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين)

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره هذا تقريع من صالح عليه السلام لقومه لما أهلكهم الله بمخالفتهم إياه وتمردهم على الله وإبائهم عن قبول الحق وإعراضهم عن الهدى إلى العمى، قال لهم صالح ذلك بعد هلاكهم تقريعا وتوبيخا وهم يسمعون ذلك اه وكشعيب عليه السلام قال تعالى في سورة الاعراف (فتولى عنهم وقال ياقوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين؟)

قال الحافظ ابن كثير أي فتولى عنهم شعيب عليه السلام بعد ما أصابهم ما أصابهم من العذاب والنقمة والنكال، وقال مقرعا لهم وموبخا (ياقوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم)اه

ولا يخفاك أن المؤلف عزا روايته الى البخاري وأصحاب السنن، وهذا دال على أن مسلما لم يخرجه، وهو غفلة فاحشة فان مسلما أخرجه في (باب عرض مقعد الميت من الجنة والنار عليه وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه) ولفظه هكذا

عن أنس بن مالك قال كنا مع عمر بين مكة والمدينة فتراءينا الهلال وكنت رجلا حديد البصر فرأيته وليس أحد يزعم انه رآه غيري ، قال فجعلت أقول لعمر أما تراه ؟ فجعل لا يراه ، قال يقول عمر سأراه وأنا مستلق على فراشي ، ثم أنشأ يحدثنا عن أهل بدر فقال ان رسول الله ﷺ كان يرينا مصارع أهل بدر بالامس يقول «هذا مصرع فلان غدا ان شاء الله ، قال فقال عمر فوالذي بعثه بالحق ما أخطؤا الحدود التي حد رسول الله ﷺ قال فجعلوا في بئر بعضهم على بعض ، فانطلق رسول الله ﷺ حتى انتهى اليهم فقال « يافلان ابن فلان و يافلان ابن فلان هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقا فاني قد وجدت ما وعدني الله حقا ؟ » قال عمر يارسول الله كيف تكلم أجسادا لا أرواح فيها قال «ما أنتم بأسمع لما أقول منهم غير انهم لا يستطيعون أن يردوا علي شيئا » وفي رواية أخرى له عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ ترك قتلى بدر ثلاثا ثم أتاهم فقام عليهم فناداهم فقال « ياأبا جهل بن هشام ياأمية بن خلف يا عتبة بن ربيعة يا شيبة بن ربيعة أليس قد وجدتم ما وعدكم ربكم حقا فاني قد وجدت ما وعدني ربي حقا »فسمع عمر قول النبي (ص) فقال يا رسول الله كيف يسمعون أو أنى يجيبون وقد جيفوا ؟ قال «والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكنهم لا يقدرون أن يجيبوا» ثم أمر بهم فسحبوا فألقوا في قليب بدر اه

وفي جنائز مسلم عن هشام عن أبيه قال ذكر عند عائشة رضي الله عنها أن ابن عمر يرفع الى النبي (ص) « ان الميت يعذب في قبره ببكاء أهله » فقالت وهل انما قال رسول الله (ص) انه ليعذب بخطيئته أو بذنبه وان أهله ليبكون عليه الآن وذلك مثل قوله ان رسول الله (ص) قام على القليب يوم بدر وفيه قتلى بدر من المشركين فقال لهم ما قال انهم ليسمعون ما أقول وقد وهل انما قال انهم ليعلمون

ان ما كنت أقول لهم حق ثم قرأت (انك لا تسمع الموتى وما أنت بمسمع من في القبور) يقول حين تبوؤا مقاعدهم من النار اه

وأيضا القول المذكور يدل على أن أصحاب السنن كلهم أخرجوا هذا الحديث مع أني راجعت السنن الاربعة ، وتتبعت مظانه ولم آل جهدا فيه فلم أجده الا في سنن النسائي . قال القسطلاني تحت حديث ابن عمر وأخرجه أيضا فى المغازي مطولا ومسلم فى الجنائز ، وكذا النسائي ، ولم يذكر أحد فيما أعلم أن الحديث أخرجه أبوداود والترمذي وابن ماجه ، فهذا أوضح دليل على قصور نظر المؤلف وقلة علمه وكثرة غلطه وخطئه

قوله ﴿ وأما ما جاء من الآثار ، عن الائمة الاحبار ، والعلماء الاخيار ، والاولياء الكبار ، مما يدل على جواز ذلك النداء والخطاب فشيء كثير تنقضي دون نقله الاعمار ومضى على ذلك القرون والاعصار ولا وقع منهم إنكار ﴾

أقول : دلالة ما جاء من الآثار على جواز نداء الاموات والجمادات نداء حقيقيا بحيث يطلب فيه منهم مالا يقدر عليه إلا الله ممنوعة ، ومن يدعي فعليه البيان وأما مطلق النداء فلا يمنعه أحد

قوله ﴿ فكيف يجوز الاقدام على تكفير المسلمين ، بشيء قام ثبوته بالبراهين ﴾

أقول انما نكفر بالنداء الحقيقي الذي يطلب فيه من الاموات والجمادات ما لا يقدر عليه إلا الله ، وهذا شيء لم تثبت بعد بالبراهين بل قام الدليل على كونه كفرا

قوله ﴿ وفي الحديث الصحيح « من قال لاخيه المسلم يا كافر فقد باء بها أحدهما إن كان كما قال وإلا رجعت عليه ﴾

أقول من نادى الاموات والجمادات نداء حقيقيا وطلب منهم ما لا يقدر عليه إلا الله فقد انسلخ من الاسلام فلا يكون مكفره مصداقا لهذا الحديث

قوله ﴿فلا يحكم على أحد من أهل القبلة بالكفر إلا بأمر واضح قاطع للاسلام﴾

أقول لاشك أن عبادة غير الله أمر واضح قاطع للاسلام ، والنداء المذكور عبادة غير الله بلامرية، فكيف لايحكم على من يرتكبه بالكفر ؟

قوله ورأيت رسالة للشيخ محمد بن سليمان الكردي المدني صاحب الحواشي على مختصر « بافضل » في الفقه على مذهب الامام الشافعي (رض) قال في تلك الرسالة يخاطب محمد بن عبد الوهاب حين قام بالدعوة وكان محمد بن عبد الوهاب من تلامذة الشيخ محمد بن سليمان المذكور وقرأ عليه بالمدينة المنورة ، قال في تلك الرسالة يا ابن عبد الوهاب، سلام على من اتبع الهدى ، فاني أنصحك لله تعالى أن تكف لسانك عن المؤمنين ، فان سمعت من شخص انه يعتقد تأثير ذلك المستغاث به من دون الله فعرّفه الصواب واذكر له الادلة على أنه لاتأثير لغير الله تعالى ، فان أبى فكفره حينئذ بخصوصه ولا سبيل لك إلى تكفير السواد الاعظم من المسلمين وأنت شاذ عن السواد الاعظم ، فنسبة الكفر إلى من شذ عن السواد الاعظم أقرب لانه اتبع غير سبيل المؤمنين . قال تعالى (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية﴾

أقول: لم يكفّر الشيخ محمد بن عبد الوهاب أحداً من المؤمنين ابتداء ، انما دعا عُباد القبور إلى إخلاص العبادة لله ، ونهاهم عن دعاء الانبياء والاولياء والصالحين بحيث يطالب فيه منهم ما لا يقدر عليه إلا الله من قضاء الحاجات ، وتفريج الكربات ، وبيّن انه من أعظم الشرك الذي كفّر الله به المشركين ، وإذا دعا أحدهم لديه الانبياء والصالحين الذين كانوا يعبدونهم مع رب العالمين نهاه عن ذلك وزجره وعرّفه الصواب وحذره، فقالوا إن كان الذي نحن عليه من الدعوات والاعتقادات بأهل القبور كفراً وشركا فنحن كفار ومشركون ، فهم هم الذين شهدوا على أنفسهم بالكفر ، فها أنا أذكر من ترجمته (رح) ما يتضح به عندك صحة ما ادعيناه فأقول :

خلاصة ترجمة الشيخ محمد عبد الوهاب

رحمه الله ودعوته الى التوحيد (*

قال الشيخ حسين بن غنام الاحسائي في (روضة الافكار والافهام ، لمرتاد حال الامام ، وتعداد غزوات ذوي الاسلام)

أما نسبه رحمه الله تعالى وأفاض عليه سحائب غفرانه ووالى فهو محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن احمد بن راشد بن بريد بن محمد بن بريد بن مشرف . ولد رحمه الله تعالى سنة خمس عشرة بعد المائة والالف من الهجرة النبوية في بلد العينية من البلدان النجدية فأنبته الله نباتا حسنا ، وتجلا به عن طرف الدهر وسنه ، وبقي بعد سن الطفولة زمنا يتعلم في تلك القرآن ، معتزلا في غالب الاوقات لعب الصبيان، ولهو الجهال والغلمان، حتى حفظ القرآن عن ظهر قلبه قبل بلوغ العشر ، وكان حاد الفهم سريا ، وقاد الذهن ذكيا، سريع الحفظ ، فصيح اللفظ ، ألمعي الفطنة

---

*) العنوان للمصحح

اشتغل في العلم على أبيه وجدّ في الطلب، وأدرك بعض الارب، وهو في بلد العينية في تلك الحال ، قبل رحلته لطلب العلم والارتحال، وتطوافه له في كثير من البلاد ، حتى نال منه المراد، وفاز بالسعد والاسعاد ، وحاز الرشد والارشاد

وكان والده قد توسم ذلك ، ويحدث بذلك ويبديه، ويؤمل ذلك منه ويرجوه، كما حدث به سليمان أخوه قال كان عبد الوهاب أبوه يتعجب من فهمه وادراكه، قبل بلوغه وادراكه ، ومناهزته الاحتلام وافراكه . ويقول أيضا لقد استفدت من ولدي محمد فوائد من الاحكام ، أو قريباً من هذا الكلام

وقد كتب والده الى بعض اخوانه رسالة نوه فيها بشأنه يثني فيها عليه وان له فهما جيدا أولديه ، ولو يلازم الدرس سنة على الولاية . ظهر في الحفظ والاتقان آية، وقد تحققت انه بلغ الاحتلام، قبل اكمال اثني عشرة سنة على الاتمام، ورأيته أهلا للصلاة بالجماعة والائتمام، فقدمته لمعرفته بالاحكام ، وزوّجته بعد البلوغ في ذلك العام ، ثم طلب مني الحج الى بيت الله الحرام، فأجبته بالاسعاف لذلك المرام ، فحج وقضى ركن الاسلام ، وأدى المناسك على التمام ، ثم قصد مدينته عليه الصلاة والسلام، وأقام فيها شهرين ثم رجع بعد ذلك، فائزاً بأجر الزيارة والمناسك، وأخذ في القراءة على والده في الفقه على مذهب الامام أحمد ، فسلك فيه الطريق الاحمد، ورزق مع الحفظ سرعة الكتابة ، فكان يحير أصحابه ، بحيث انه يخط بالخط الفصيح في المجلس الواحد كراس[1] من غير سآمة ولا نصب ولا التباس

ثم بعد ذلك رحل في العلم وسار ، وجدّ في الطلب الى مايليه من الامصار ، وما يحاذيه من الاقطار ، فزاحم فيه العلماء الكبار ، وأشرق طالعه واستنار ،

---

١) لم ينصب كلمة كراس لاجل النطق بها ساكنة لمناسبة السجع وهي لغة ربيعة وسيأتي مثل هذا في أسجاعه وكتبه محمد رشيد رضا

وصار لهلاله إقمار، فوطىء الحجاز والبصرة لذلك مرار، والى الاحساء لنلك الاوطار، وأخذ العلم عن جماعة منهم الشيخ عبدالله بن ابراهيم النجدي ثم المدني وأجازه من طريقين، وأول حديث سمعه منه الحديث المشهور المسلسل بالاولية نقلت من خطه ما نصه اه الخ

وأيضا قال فيه وقد سمع رحمه الله الحديث والفقه من جماعة بالبصرة كثيرة، وقرأ بها النحو وأتقن تحريره، وكتب الكثير من اللغة والحديث في تلك الاقامه، وبحث على طريق الهدى والاستقامة، وكان أكثر لبثه لأخذ العلم بالبصرة ومقدمه، وقد نشر للتوحيد فيها لدى بعض الناس أعلامه، وحقق لهم في ذلك الشأن اتقانه واعلامه، وأوضح لهم سبله وأحكامه، فقال ان الدعوة كلها لله، يكفر من صرف شيئا منها الى سواه، واذا ذكر أحد بمجلسه بشارات الطواغيت والصالحين، الذين كانوا يعبدونهم مع رب العالمين، نهاه عن ذلك وزجره، وبين له الصواب وحذره، وقال ان محبة الاولياء والصالحين انما هي اتباع هديهم وآثارهم، والاستنارة بضياء أنوارهم، لاصرف الحقوق الربانية الى الاجسام الوثنية، وقد وقع ذلك بمجلسه مرة فأبدى للقائل نهيه وزجره، وأظهر عليه أغلاظه ونكره، فتغير وجه القائل وحال، واستغرب ذلك المقال وقال ان كان ما تقوله حقا هذا الانسان، فالناس ليسوا على شيء من زمان

قال (رح) وكان ناس من مشركي البصرة يأتون إلي، بشبهات يلقونها علي، فأقول وهم قعود لدي، لا يصلح العبادة كلها إلا لله، فيبهت كل منهم فلا ينطق فاه،

ثم رجع بعد ذلك السفر، فاذا والده عبدالوهاب قد رفض سكنى العيينة وهجره، وانحدر لسكنى حريملا فأقام بها واستقر، فقدم فيها مع أبيه، يعلن بالتوحيد ويبديه، ويبدي ابطال دعوة غير الله ونفيه، وينصح من عدل عن الحق والرشاد، ويسلك

يحي ذلك سبيل السداد، ويزجر الناس عن الشرك والباطل والفساد، حتى رفع الله شأنه فساد، وجد (رح) في تعليم الواجب وبذل المناصحة للخاص والعام، ونشر شرائع الاسلام، ومهد سنة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، وأزال ما غطى القلوب، من رين الشرك الذي هو أعظم الذنوب، وكشف الذنوب المظلمة للناس، وأماط أذى اللبس والالتباس، ويحذرهم ان داموا على ما هم فيه من وقوع النقمة والباس، ورفض منهج الغلول والخيانة، وأدى من العلم الامانة، وترك ما كان علماء السوء قبله له سالكون، وفي قعره العميق راكسون، وفي ارجائه المغبرة ماكثون، وخشي الوقوع في تغليظ الوعيد، كما نطق به القرآن المجيد (ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون) فأي وعيد فوق هذا الوعيد، وأي تهديد وراء هذا التهديد؟ كلا ما على لعنة من مزيد، فلله دره من جهبذ عالم، وداعٍ الى التوحيد قائم، وناصح لله ملازم، ومجدد لتلك المشاهد السنية والمعالم، ومُحيٍ لآثار سلفية لم يبق منها سوى الاطلال والمراسم، ومميت لبدع رفضية، شابهت المجوسية، وأمور شركية، اعتقدها أكثر البرية، أمورا حسنة دينية، فأقاموا بها أعيادا ومواسم، وعكفوا عليها والاغلب لها سائم، وانشيدها والذب عنها رائم، فندب هذا الامام الذي أضحى الحق به بدره مشرقا باسم، والباطل بحججه مظلما سادم، مناديا على رءوس العوالم، باخلاص العبادة وتنكير الاشراك والمظالم، وإبطال دعوة غيره من نبي وولي وظالم وحاكم، فلم يخف في الله لومة لائم حتى نال من مولاه المنح العظائم والعطايا الكرائم الجسائم اه.

وأيضاً قال فيه :

مهمات

(الاولى) أنه (رح) لما تظاهر بذلك الامر والشأن في تلك الاوقات والازمان ، والناس قد أشربت منهم القلوب، بمحبة المعاصي والذنوب ،وتولعوا بما كانوا عليه من العصيان ، وقبائح الاهواء الغالبة على كل انسان ، لم يسرع له لسان ، ولم يصمم منه لب وجنان ، على تكفير أولئك "العربان ، بل توقف تورعا عن الاقدام في ذلك الميدان ، حتى نهض عليه جميع العدوان ، وماجوا وصاحوا بتكفيره وجماعته في جميع البلدان ، ولم يتثبتوا فيما جاءوا من الافك والبهتان، ولم يكترثوا بما حكوا عليه من الزور ، وما اقترفوه من الفجور ، بل كان لهم على شنيع ذلك المقال، اقدام وإسراع واقبال ، ولم يأمر بسفك دم ولا قتال،على أكثر أهل الاهواء والضلال، حتى بدءوه بالحكم عليه وأصحابه بالقتل والتكفير،وكان ذلك سبب حسن العاقبة للامام من العليم الخبير ، ومساعدة القضاء له والتدبير ، وشؤم ذلك على الاعداء الذين تمالؤا على ذلك الامر المبير ،الذي كانت عقباه عليهم الهلاك والتدمير (جزاءً بما كانوا يَكسِبونَ*ثمَّ كانَ عاقبةُ الذين أَساءوا السوءى أَنْ كذَّبوا بآياتِ اللهِ وكانوا بهَا يَستهزِئونَ)

نعم ثبت لدينا، ونقل نقلا صحيحاً الينا، أنهم هم الذين شهدوا على أنفسهم وألقوها في مظالم قعر المهالك ، ونظموا أرواحهم مع الكفار في تلك المسالك، وألحقوها من عند أنفسهم بأولئك، فقالوا إن كان كفراً الذي نفعل من الدعوات والاعتقادات بأهل القبور ،في تلك الازمنة الماضية والدهور ، فنحن كفار ضلال، من غير ريب ولا إشكال .ولقد لهج بتلك الاحوال، ذووا الاحلام منا والجهال، فهم الذين ألزموا أنفسهم بتلك المقالة ووسموا أنفسهم بميسم الكفر والضلالة اه

(اتهام خصوم الشيخ إياه اثنتي عشرة تهمة وجوابه عنها)[١]

قال الشيخ في الرسالة التي كتبها الى عبد الله بن سحيم ما نصه:

اذا تبين هذا فالمسائل التي شنع بها منها هو البهتان الظاهر وهي قوله إني مبطل كتب المذاهب (وقوله) إني أقول ان الناس من ستمائة ليسوا على شيء (وقوله) اني أدعي الاجتهاد (وقوله) إني خارج عن التقليد (وقوله) اني أقول ان اختلاف العلماء نقمة (وقوله) اني أكفر من توسل بالصالحين (وقوله) اني أكفر البوصيري لقوله يا أكرم الخلق (وقوله) اني أقول لو أقدر على هدم حجرة الرسول ﷺ لهدمتها ، ولو أقدر على الكعبة لأخذت ميزابها وجعلت لها ميزابا من خشب (وقوله) اني أنكر زيارة قبر النبي ﷺ وأنكر زيارة قبر الوالدين وغيرهم واني أكفر من يحلف بغير الله فهذه اثنتا عشرة مسئلة جوابي فيها ان أقول :

(سبحانك هذا بهتان عظيم) ولكن قبله من بهت محمداً ﷺ انه يسب عيسى ابن مريم ويسب الصالحين(تشابهت قلوبهم) وبهتوه بأنه يزعم ان الملائكة وعيسى وعزيراً في النار فأنزل الله تعالى في ذلك (إِنَّ الذينَ سَبَقَتْ لهمْ مِنَّا الحسنى أُولئِكَ عنْها مُبْعَدُونَ) الآية اه

تكذيب الشيخ اتهامه بتكفير كل من يخالفه

وأيضاً قال في تلك الرسالة وأضيف اليها مسئلة سادسة وهي لفتائي بكفر شمسان وأولاده ومن شابهه وسميتهم طواغيت وذلك أنهم يدعون الناس الى عبادتهم من دون الله عبادة أعظم من عبادة اللات والعزى بأضعاف وليس في كلامي مجازفة : بل هو الحق لان عباد اللات والعزى يعبدونها في الرخاء

(١) العنوان لطبعة المنار

ويخلصون لله في الشدة ، وعبادة هؤلاء أعظم من عبادتهم إياهم في شدائد البر والبحر انتهى

قال الشيخ حسين بن غنام في روضة الافكار : وأما قوله ومن أعظمها ان من لم يوافقه في كل ماقال ويشهد ان ذلك(١) يقطع بكفره ، ومن وافقه وصدقه في كل ماقال قال أنت موحد ولو كان فاسقاً محضاً أو مكاسا وبهذا يظهر انه يدعو الى توحيد نفسه لا إلى توحيد الله ـ فمراده بذلك ان من وافق الشيخ على توحيد الله وتبرأ من عبادة الاوثان تاج وشمسان وإدريس وقريوه والمغربي وتبرأ من الشرك وأهله سماه موحداً ، ومن لم يوافقه على توحيد الله واخلاص العبادة له بجميع أنواعها واستمر على عبادة المخلوقين مع الله وسب دين الله الذي يدعو اليه هذا الشيخ يقطع بكفره ، وهذا الخبيث وأشباهه لا يعرفون الشرك في العبادة ويظنون ان المشرك (٢) اذا جعل الانسان مخلوقا مع الله في التدبير والملك والاحياء والاماتة والنفع والضر

وأما كونه يجعل المخلوقين وسائط بينه وبين الله يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات ، وقصده بذلك التقرب الى الله وطلب شفاعتهم فهذا عند هؤلاء المشركين من اعظم القربات ، وافضل الطاعات ، ومن أنكر هذا كفروه وبدعوه وخرجوه ونسبوه الى السفه والضلال اه

وأيضاً قال فيها : وأما قوله ومن وافقه في كل ماقال قال أنت موحد ولو كان فاسقاً او مكاساً .

فمراده بذلك أن من وافقه على إخلاص العبادة والدعوة لله وتاب وأناب الى الله مما كان يفعله من الشرك بالله ودعوة الصالحين وغيرهم من الاحياء

(١) كذا في الاصل فيراجع في روضة الافكار

(٢) لعل أصله الشرك بدون ميم

والاموات، وعرف قول لاإله إلا الله وانها نفي واثبات، فشطرها الاول نفي الالهية مطلقا (والثاني) اثباتها لله دون ماسواه من أهل السموات والارض ومن الاحياء والاموات سماه موحداً، ولو كان فاسقاً أو مكاسا وهو صادق في ذلك . وذلك أن الانسان اذا عرف التوحيد وشهد ان لاإله الا الله، وان محمداً رسول الله صدقاً من قلبه والتزم مضمون هاتين الشهادتين فهو عند الشيخ (رح) مؤمن موحد ولو كان فاسقا أو مكاسا وكذلك عند سائر العلماء من أهل السنة والجماعة، وذلك ان الانسان اذا دخل في الاسلام وحكم باسلامه لايخرجه من الاسلام مايفعله من الكبائر كالسرقة والزنا وشرب المسكر، وأخذ الاموال ظلما وعدوانا، وانما يخرجه من الاسلام إلى الكفر هو الشرك بالله وانكار ما جاء به الرسول من الدين بعد معرفته بذلك واقامة الحجة عليه اهـ

اتخاذ الوسائط بين الله وعباده كفر بشرطه

وقال الشيخ في الرسالة التي كتبها الى سليمان بن سحيم : وأما الثانية وهي ان الذي يجعل الوسائط هو الكافر، وأما المجعول فلا يكفر فهذا كلام تلبيس وجهالة، ومن قال ان عيسى وعزيراً وعلي بن ابي طالب وزيد بن خطاب وغيرهم من الصالحين يلحقهم نقص بجعل المشركين إياهم وسائط حاشا وكلا (ولا تزر وازرة وزر أخرى)

وانا كفرنا هؤلاء الطواغيت أهل الخرج وغيرهم بالامور التي يفعلونها هم (منها) أنهم يجعلون آباءهم وأجدادهم وسائط (ومنها) أنهم يدعون الناس الى الكفر (ومنها) أنهم يبغضون عند الناس دين محمد ﷺ ويزعمون أهل العارض كفروا لما قالوا لا يعبد إلا الله، وغير ذلك من أنواع الكفر وهذا أمر أوضح من الشمس لا يحتاج الى تقرير، ولكن أنت رجل جاهل مشرك مبغض لدين الله وتلبس على الجهال الذين يكرهون دين الاسلام ويحبون الشرك ودين آبائهم وإلا فهؤلاء الجهال لو مرادهم اتباع الحق عرفوا ان كلامك من أفسد مايكون

مسألة عدم تكفير المسلم بالذنب

وأما المسألة الثالثة وهي من أكبر تلبيسك الذي تلبس به على العوام ان أهل العلم قالوا لا يجوز تكفير المسلم بالذنب وهذا حق وليس هذا مما نحن فيه . وذلك ان الخوارج يكفرون من زنى و سرق أو سفك الدم ، بل كل كبيرة اذا فعلها المسلم كفر .

وأما أهل السنة فمذهبهم ان المسلم لا يكفر إلا بالشرك ، ونحن ما كفرنا الطواغيت وأتباعهم الا بالشرك ، لكنك رجل من أجهل الناس تظن ان من صلى وادعى انه مسلم لا يكفر فاذا كنت تعتقد ذلك فما تقول في المنافقين الذين يصلون ويصومون ويجاهدون ؟ قال الله تعالى فيهم (إِنَّ المنافقينَ في الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ)

وما تقول في الخوارج الذين قال فيهم رسول الله ﷺ « لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد ، أينما لقيتموهم فاقتلوهم » أتظنهم ليسوا من أهل القبلة ؟

ماتقول في الذين اعتقدوا في علي بن ابي طالب (رض) مثل اعتقاد كثير من الناس في عبد القادر وغيره فأضرم لهم علي بن ابي طالب (رض) ناراً فأحرقهم بها . وأجمعت الصحابة على قتلهم ، لكن ابن عباس (رض) أنكر تحريقهم بالنار وقال يقتلون بالسيف ، أتظن ان هؤلاء ليسوا من أهل القبلة؟ أم أنت تفهم الشرع وأصحاب رسول الله ﷺ لا يفهمونه ؟ أرأيت أصحاب رسول الله ﷺ لما قاتلوا من منع الزكاة ، فلما أرادوا التوبة قال ابو بكر لا نقبل توبتكم حتى تشهدوا ان قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار .

وقال الشيخ في الرسالة التي كتبها الى عبد الرحمن بن عبد الله (منها) ما ذكرتم أني أكفر جميع الناس الا من اتبعني وأزعم ان أنكحتهم غير صحيحة ، ويا عجباً كيف يدخل هذا في عقل عاقل ؟ هل يقول هذا مسلم أو كافر أو عارف أو مجنون؟ اه

وأيضاً قال الشيخ في جواب مسئلة. وأما الكذب والبهتان فمثل قولهم انا نكفر بالعموم ونوجب الهجرة الينا على من قدر على إظهار دينه ، وانا نكفر من لم يكفر ولم يقاتل ، ومثل هذا وأضعاف أضعافه فكل هذا من الكذب والبهتان الذي يصدون به عن دين الله ورسوله

واذا كنا لا نكفر من عبد الصنم الذي على قبر عبد القادر والصنم الذي على قبر احمد البدوي وأمثالها لاجل جهلهم وعدم من ينبههم فكيف نكفر من لم يشرك بالله اذا لم يهاجر الينا أو لم يكفر ويقاتل؟ سبحانك هذا بهتان عظيم اه

وقال الشيخ في الرسالة التي كتبها لاهل مكة بعد مناظرتهم : اذا عرف هذا فالذي نعتقده وندين الله به ان من دعا نبياً أو ولياً أو غيرها وسأل منهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات ان هذا من أعظم الشرك الذي كفر الله به المشركين حيث اتخذوا أولياء وشفعاء ، ويستجلبون بهم المنافع ، ويستدفعون بهم المضار بزعمهم قال الله تعالى (وَيَعبدونَ مِنْ دُونِ اللهِ مالاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنْفَعُهُمْ وَيقُولونَ هؤلاَءِ شفعاؤنا عِنْدَ الله)

فمن جعل الانبياء أو غيرهم كابن عباس او المحجوب او أبي طالب وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم جلب المنافع بمعنى ان المخلوق يسألهم وهم يسألون الله ، كما ان الوسائط عند الملوك يسألون الملوك حوائج الناس لقربهم منهم ، والناس يسألونهم أدبا منهم أن يباشروا سؤال الملك، او لكونهم أقرب الى الملك، فمن جعلهم وسائط على هذا الوجه فهو كافر مشرك حلال الدم والمال اه

قال الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب في ديباجة رسالة اختصرت من الرسائل المؤلفة للشيخ (١)

(١) قول المنقول من تلك الرسالة هنا الى قوله اعلم عن «الهدية السنية»

أما بعد فانا معاشر غزو الموحدين لما من الله علينا وله الحمد بدخول مكة المشرفة نصف النهار يوم السبت ثامن شهر محرم الحرام سنة ١٢١٨ بعد ان طلب أشراف مكة وعلماؤها وكافة العامة من أمير الغزو سعود حماه الله الامان، وقد كانوا تواطؤا مع أمراء الحجيج وأمير مكة على قتاله أو الاقامة في الحرم الشريف ليصدوه عن البيت، فلما زحفت أجناد الموحدين ألقى الله الرعب في قلوبهم فتفرقوا شذر مذر، كل واحد يعد الاياب غنيمة، وبذل الامير حينئذ الامان لمن بالحرم الشريف ودخلنا شعارنا التلبية آمنين محلقين رءوسنا ومقصرين، غير خائفين من أحد المخلوقين، بل من مالك يوم الدين، ومن حين دخل الجند الحرم وهم على كثرتهم مضبوطون متأدبون، لم يعضدوا به شجرة، ولم ينفروا به صيداً، ولم يريقوا دما إلا دم الهدي أو ما أحل الله من بهيمة الانعام على الوجه المشروع

ولما تمت عمرتنا جمعنا الناس ضحوة الاحد وعرض الامير عافاه الله تعالى على العلماء ما نطلب من الناس ونقاتلهم عليه وهو إخلاص التوحيد لله تعالى وحده وعرفهم انه لم يكن بيننا وبينهم خلاف له وقع إلا في أمرين :

(أحدهما) إخلاص التوحيد ومعرفة أنواع العبادة وان الدعاء من جملتها وتحقيق معنى الشرك الذي قاتل الناس عليه نبينا محمد ﷺ واستمر دعاؤه برهة من الزمان بعد النبوة الى ذلك التوحيد وترك الاشراك قبل أن تفرض عليه أركان الاسلام الاربعة

(والثاني) الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي لم يبق عندهم إلا اسمه، وانمحى أثره ورسمه، فوافقونا على استحسان ما نحن عليه جملة وتفصيلا، وبايعوا ذلك الامير على الكتاب والسنة، وقبل منهم وعفا عنهم كافة، فلم يحصل على أحد منهم أدنى مشقة، ولم يزل يرفق بهم غاية الرفق لاسيما العلماء ويقرر لهم حال اجتماعهم وحال انفرادهم لدينا أدلة ما نحن عليه، ويطلب منهم المناصحة

والمذاكرة ، وبيان لهم الحق ، وعرفناهم بأن صرح لهم الامير حال اجتماعهم بأنا قابلون ما وضحوا برهانه من كتاب أوسنة او أثرعن السلف الصالح كالخلفاء الراشدين المأمورين باتباعهم بقوله ﷺ « فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي » وعن الأئمة الاربعة المجتهدين ومن تلقى العلم عنهم الى آخر القرن الثالث لقوله ﷺ «خيركم قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم» وعرفناهم انا دائرون مع الحق أينما دار ، وتابعون للدليل الجلي الواضح ، ولا نبالي حينئذ بمخالفة ماسلف عليه من قبلنا، فلم ينقموا علينا أمراً ، فألحينا عليهم في مسألة طلب الحاجات من الاموات ان بقي لديهم شبهة فذكر بعضهم شبهة او شبهتين فرددناها بالدلائل القاطعة من الكتاب والسنة حتى أذعنوا ولم يبق عند أحد منهم شك ولا ارتياب فيما قاتلنا الناس عليه انه الحق الجلي الذي لا غبار عليه، وحلفوا لنا الايمان المعقدة من دون استحلاف لهم على انشراح صدورهم وجزم ضمائرهم أنه لم يبق لديهم شك فيمن قال يا رسول أو يا ابن عباس أو يا عبد القادر أو غيرهم من المخلوقين طالباً بذلك دفع شر أو جلب خير من كل مالا يقدر عليه إلا الله تعالى من شفاء المريض والنصر على العدو والحفظ من المكروه ونحو ذلك انه مشرك الشرك الاكبر يهدر دمه ويبيح ماله وإن كان يعتقد ان الفاعل المؤثر في تصريف الكون هو الله تعالى ، لكنه يقصد المخلوقين بالدعاء متشفعا بهم ومتقربا لهم لقضاء حاجته من الله بسرهم وبشفاعتهم له فيها أيام البرزخ ، وان ما وضع من البناء على قبور الصالحين صارت في هذه الازمان أصناما تقصد لطلب الحاجات ويتضرع عندها ويهتف بأهلها في الشدائد كما كانت تفعله الجاهلية الاولى

وكان من جملتهم مفتي الحنفية الشيخ عبد الملك القليعي وحسين المغربي مفتي المالكية وعقيل بن يحيى العلوي فبعد ذلك أزلنا جميع البناء على القبور وغيرها حتى لم يبق في البقعة الطاهرة طاغوت يعبد فالحمد لله على ذلك. ثم رفعت المكوس

والرسوم وكسرت آلات التنباك ونودي بتحريمه ، وأحرقت أماكن الحشاشين والمشهورين بالفجور ، ونودي بالمواظبة على الصلاة في الجماعات ، وعدم التفرق في ذلك بأن يجتمعوا في كل صلاة على امام واحد يكون ذلك الامام من أحد المقلدين للاربعة رضوان الله عليهم . واجتمعت الكلمة حينئذ وعبد الله وحده وحصلت الالفة ، وسقطت الكلفة ، وأمّر عليهم واستتب الامر من دون سفك دم ولا هتك عرض ، ولا مشقة على أحد والحمد لله رب العالمين

ثم دفعت لهم الرسائل المؤلفة للشيخ محمد(رح) في التوحيد المتضمنة للبراهين وتقرير الادلة على ذلك بالآيات المحكمة والاحاديث المتواترة مما يثلج الصدر .

واختصر من ذلك رسالة مختصرة للعوام تنشر في مجالسهم وتدرس في محافلهم ويبين لهم العلماء معانيها ليعرفوا التوحيد فيتمسكوا بعروته الوثيقة ، ويتضح لهم الشرك فينفروا عنه وهم على بصيرة آمنين . . . اه

ثم نقل تلك الرسالة وفيها: فاذا عرفت هذه فاعرف ان المشركين الذين كانوا في زمن رسول الله ﷺ أخف شركا من عباد [١] مشركي زمننا ، لان أولئك كانوا يخلصون [٢] لله في الشدائد وهؤلاء يدعون مشايخهم في الشدة والرخاء والله المستعان

وكان فيمن حضر مع علماء مكة وشاهد غالب .. صار حسين بن محمد بن الحسين الابريقي الحضرمي ثم الحياني ، ولم يزل يتردد علينا ويجتمع بسعود وخاصته من أهل المعرفة ويسأل عن مسألة الشفاعة التي جرد السيف بسببها دون حياء ولا خجل لعدم سابقة جرم له ، فأخبرناه بأن مذهبنا في أصول الدين مذهب أهل السنة والجماعة ، وطريقتنا طريقة السلف التي هي الطريق الاسلم والأعلم والاحكم خلافا لمن قال طريقة الخلف أعلم اه

(١) في الاصل عقلاء (٢) في نسخة يخضعون

وأيضا فيها : وأما ما يكذب علينا ستراً للحق، وتلبيسا على الخلق، بأنا نفسر القرآن برأينا، ونأخذ من الحديث ما وافق فهمنا، من دون مراجعة شرح، ولا نعول على شيخ، وانا نضع من رتبة نبينا محمد ﷺ بقولنا النبي رمة في قبره، وعصا أحدنا أنفع له منه، وليس له شفاعة، وأن زيارته غير مندوبة وانه كان لا يعرف معنى لا إله الا الله حتى انزل عليه (فاعلم انه لا اله الا الله) مع كون الآية مدنية، وانا لا نعتمد أقوال العلماء، ونتلف مؤلفات أهل المذاهب لكون فيها الحق والباطل وانا مجسمة، وانا نكفر الناس على الاطلاق، ومن بعد الستمائة إلا من هو على ما نحن عليه. ومن فروع ذلك انا لا نقبل بيعة أحد حتى نقرر عليه بأنه كان مشركا، وان أبويه ماتا على الاشراك بالله، وانا ننهي عن الصلاة على النبي ﷺ، ونحرم زيارة القبور المشروعة مطلقا، وان من دان بما نحن عليه سقط عنه جميع التبعات حتى الديون، وانا لا نرى حق لاهل البيت رضوان الله عليهم، وانا نجبر على تزويج غير الكفء لهم، وانا نجبر بعض الشيوخ على فراق زوجته الشابة لتنكح على مرافعة لدينا ولا وجه لذلك =

= فجميع هذه الخرافات وأشباهها لما استفهمنا عنها من ذكر أولا كان جوابنا عليه في كل مسئلة من ذلك (سبحانك هذا بهتان عظيم) فمن روى عنا شيئا من ذلك أو نسبه الينا فقد كذب علينا وافترى. ومن شاهد حالنا وحضر مجالسنا وتحقق ما عندنا علم قطعا ان جميع ذلك وضعه علينا جماهير أعداء الدين واخوان الشياطين، تنفيراً للناس عن الاذعان لاخلاص التوحيد لله بالعبادة: فانا نعتقد ان من فعل أنواعا من الكبائر كقتل المسلم بغير حق والزنا والربا وشرب الخمر وتكرر ذلك منه لا يخرج بفعل ذلك عن دائرة الاسلام، ولا يخلد به في دار الانتقام، اذا كان موحداً لله في جميع أنواع العبادة اهـ

وأيضا فيها ان قال قائل منفر عن قبول الحق والاذعان له: يلزم من تقريركم

وقطعكم في ان من قال يارسول الله أسألك الشفاعة انه مشرك مهدر الدم أن يقال غالب الامة لاسيما المتأخرين(١) لتصريح علمائهم المعتبرين من أن ذلك مندوب وشنوا الغارة على من خالف ذلك — قلت لا يلزم ذلك لان لازم المذهب ليس بمذهب كما هو مقرر ، ومثل ذلك لا يلزم أن نكون مجسمة وإن قلنا بالجهة كما ورد الحديث بذلك ونحن نقول فيمن (مات تلك أمة قد خلت) ولا نكفر إلا من بلغته دعوتنا ووضحت له الحجة ومات وعليه الحجة(٢) وأصر مستكبراً معانداً ، كغالب من نقاتلهم: يصرون على ذلك الاشراك ويمتنعون من فعل الواجبات ، ويتظاهرون بأفعال الكبائر المحرمات ، وغير الغالب انما نقاتله لمناصرته لمن هذا حاله ورضاه به وبتكثير سواد من ذكر والتغلب معه حينئذ حكمة في حد قتاله(٣) ونعتذر عمن مضى بأنهم مخطئون معذورون لعدم عصمتهم من الخطأ والاجماع في ذلك قطعا ، ومن شن الغارة فقد غلط ، ولا بدع أن يغلط فقد غلط من هو خير منه مثل عمر بن الخطاب فلما نبهته(٤) امرأة رجع في مسألة المهر وفي غير ذلك ، يعرف ذلك من سيرته ، بل غلط الصحابة وهم جمع ونبينا محمد ﷺ بين أظهرهم سار فيهم نوره فقالوا. اجعل لنا ذات أنواط فرد هم

فان قلت هذا فيمن ذهل ولما نبه انتبه فما القول فيمن حرر الادلة ، واطلع على كلام الائمة القدوة ، فاستمر مصراً على ذلك إلى أن مات ؟

قلت ولا مانع أن يعتذر لمن ذكر ولا نقول انه كافر أولا لما تقدم انه مخطئ ، وان استمر على خطئه . لعدم من يناضل عن هذه المسألة في وقته بلسانه وسيفه وسنانه ،

(١) يظهر انه سقط من هنا كلمة خبر المبتدا وان الاصل : غالب الامة ولاسيما المتأخرين مشركون (٢) كذا في النسخة ولعل اصله : وقامت عليه الحجة (٣) هكذا في النسخة وهو كما ترى ففيه تحريف في النقل يعسر تصحيحه بالرأي. وكتبه وما قبله محمد رشيد رضا (٤) فى نسخة نبهته

فلم تتم عليه حجة ،ولا وضحت له الحجة ، بل الغالب على من ألف زمن المؤلفين المذكورين التواطؤ على وهي(١) كلام أئمة السنة في ذلك رأساء ومن اطلع عليه أعرض عنه قبل أن يتمكن في قلبه ،ولم تزل أكابرهم تنهي أصاغرهم عن مطلق النظر في ذلك،وصولة الملوك ظاهرة(٢) لمن وقر في قلبه شيء من ذلك إلا من شاء الله منهم

هذا وقد روي عن معاوية وأصحابه منابذة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في وقته ومشاجرته في الحرب وهم في ذلك مخطئون إجماعا ،واستمروا على ذلك الخطأ حتى ماتوا ولم يشتهر عن أحد من السلف تكفير أحد منهم إجماعا ولا تفسيقه، بل أثبتوا لهم أجر الاجتهاد وإن كانوا مخطئين كما ذلك مشهور عند أهل السنة . ونحن كذلك لا نقول بكفر من صحت ديانته وشهر صلاحه وورعه وزهده ، وحسنت سيرته ، وبالغ في نصح الامة، يبذل نفسه في تدريس العلوم النافعة والتآليف فيها وإن كان مخطئا في هذه المسئلة أو غيرها ، كابن حجر الهيتمي ؛فانا نعلم كلامه في (الدر المنظم) ولا ننكر سعة علمه ولهذا نعتني بكتبه كشرح الاربعين والزواجر وغيرها ونعتمد على نقله إذا نقل لانه من جملة علماء المسلمين

هذا ما نحن عليه مخاطبين به من له عقل أو علم وهو متصف بالانصاف، خال من الميل الى التعصب والاعتساف ؛ ينظر الى ما يقال لا الى من قال ،وأما من شأنه لزوم مألوفه وعادته سواء كان حقا أو غير حق ، مقلدا لمن قال تعالى فيهم (إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون) وعادته وجبلته أن يعرف الحق بالرجال لا الرجال بالحق، فلا نخاطبه وأمثاله إلا بالسيف حتى يستقيم أوده ويصلح معوجه ، فجنود التوحيد منصورة ، وراياتهم بالسعد منشورة (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) وان حزب الله هم الغالبون (وكان حقا علينا نصر المؤمنين — والعاقبة للمتقين)اه

---

(١) في نسخة هجر (٢) في نسخة قاهرة

قال بعض أهل التحقيق* في الرد على بعض معاصريه : وقد رأيت لبعض المعاصرين كتابا يعارض به ما قرره شيخنا من أصول الدين، ويجادل بمنع تضليل عُبّاد الاولياء والصالحين، ويناضل عن غلاة الرافضة والمشركين، الذين أنزلوا العباد بمنزلة الله رب العالمين، وأكثر التشبيه بأنهم من الامة، وانهم يقولون لا إله إلا الله، وانهم يصلون ويصومون، ونسي في ذلك عهود الحمى وما قرره كافة الراسخين من العلماء، وأجمع عليه الموافق والمخالف من الجمهور والدهماء، ونص عليه الاكابر والخواص، من اشتراط العلم والعمل في الاتيان بكلمة الاخلاص، والحكم بوجب الردة على فاعل ذلك من سائر العبيد والاشخاص، وسمى كتابه (جلاء الغمة عن تكفير هذه الامة) ومراده بالامة هنا من عبد آل البيت وغلا فيهم وعبد الصالحين ودعا واستغاث بهم، وجعلهم وسائط بينه وبين الله يدعوهم ويتوكل عليهم . هذا مراده ولكنه أوقع عليهم لفظ الامة ترويجا على الاغمار والجهال، ولبسا للحق بالباطل، وهو يعلم ذلك، وسيجزيه الله ما وعد به أمثاله من المفترين . قال الله تعالى (ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين) فلكل مفتر نصيب منها بحسب جرمه، وعلى قدر ذنبه ، وقد رأيت على هذا الرجل من الذلة والمهانة مدة حياته ما هو ظاهر بيّن يعرفه من عرفه

(*) هو الشيخ عبد اللطيف بن الشيخ عبد الرحمن بن حسن في كتابه مصباح الظلام في الرد على صاحب كشف الغمة عثمان بن منصور اه من حاشية خطية على الاصل

فصل

قال المعترض: قد ابتلى الله أهل نجد بل جزيرة العرب بمن خرج عليهم ولم يتخرج على العلماء الامناء، كما صح عندنا وثبت عن مشايخنا الامجاد النقاد، وسعى بالتكفير للامة خاصها وعامها وقاتلها على ذلك جملة إلا من وافقه على قوله، لما وجد من يعينه على ذلك بجهله

(والجواب) أن يقال انه من المعلوم عند كل عاقل خبر الناس وعرف أحوالهم وسمع شيئا من أخبارهم وتواريخهم أن أهل نجد وغيرهم ممن تبع دعوة الشيخ واستجاب لدعوته من سكان جزيرة العرب كانوا على غاية من الجهالة والضلالة، والفقر والعالة، لا يستريب في ذلك عاقل، ولا يجادل فيه عارف، كانوا من أمر دينهم في جاهلية، يدعون الصالحين ويعتقدون في الاشجار والاحجار، والغيران[1] يطوفون بقبور الاولياء ويرجون الخير والنصر من جهتها، وفيهم من كفر الاتحادية والحلولية وجهالة الصوفية ما يرون انه من شعب الايمان والطريقة المحمدية، وفيهم من اضاعة الصلوات ومنع الزكاة وشرب المسكرات ما هو معروف مشهور فمحا الله بدعوته شعار الشرك ومشاهده، وهدم به بيوت الكفر والشرك ومعابده، وكبت الطواغيت والملحدين، وألزم من ظهر عليه من البوادي وسكان القرى بما جاء به محمد ﷺ من التوحيد والهدى، وكفّر من أنكر البعث واستراب فيه من أهل الجهالة والجفا، وأمر باقام الصلاة وايتاء الزكاة، وترك المنكرات والمسكرات، ونهى عن الابتداع في الدين، وأمر بمتابعة السلف الماضين، في الاصول والفروع من مسائل الدين، حتى ظهر دين الله واستعلن، واستبان بدعوته منهاج الشريعة والسنن، وقام قائم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر. وحدت الحدود الشرعية، وعزرت التعازير الدينية، وانتصب علم الجهاد، وقاتل

[1]) الغيران جمع غار اهمن الاصل

لاعلاء كلمة الله أهل الشرك والفساد، حتى سارت دعوته وثبت نصحه لله ولكتابه ولرسوله ولعامة المسلمين ولأئمتهم، وجمع الله به القلوب بعد شتاتها، وتألفت بعد عداوتها، وصاروا بنعمة الله إخوانا، فأعطاهم الله بذلك من النصر والعز والظهور، ما لا يعرف مثله اسكان تلك الفيافي والصخور، وفتح عليهم الاحساء والقطيف، وقهروا سائر العرب من عمان الى عقبة مصر، ومن اليمن إلى العراق والشام، دانت لهم عربها، وأعطوا الزكاة، فأصبحت نجد تضرب اليها أكباد الابل في طلب الدين والدنيا، وتفتخر بما نالها من العز والنصر والاقبال والسناء، كما قال عالم صنعا وشيخها:

قفي واسألي عن عالم حل سوحها ... به يهتدي من ضل عن منهج الرشد
محمد الهادي لسنة أحمد ... فياحبذا الهادي وياحبذا المهدي
لقد سرني ما جاءني من طريقه ... وكنت أرى هذي الطريقة لي وحدي

وقال عالم الاحساء وشيخها:

لقد رفع المولى به رتبة الهدى ... بوقت به يعلو الضلال ويرفع
وجرت به نجد ذيول افتخارها ... وحق لها بالالمعي ترفع

وهذا في أبيات لا نطيل بذكرها، وقد شهد غيرهما مثل ذلك واعترفوا بنعمه وفضله وهدايته وقد قال الله تعالى (قُلْ أَرَأَيتم إِنْ كانَ مِنْ عِندِ الله وَكَفَرْتم بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي اسْرائيلَ عَلى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمين)

وروى ابن جرير بسنده عن قتادة عن حال أول هذه الامة أن المسلمين لما قالوا لا إله إلا الله أنكر ذلك المشركون وكبر عليهم فأبى الله إلا أن يمضيها وينصرها، ويظهرها على من ناوأها، انها كلمة من خاصم بها فلج ومن قاتل بها نصر، إنما يعرفها أهل هذه الجزيرة من المسلمين التي يقطعها الراكب في ليال قلائل، ويسير الراكب في فئام من الناس لا يعرفونها ولا يقرون بها.

وهذا المعترض [1] عاش في ظل ذلك وتولى القضاء وصارت له الرياسة عند أهل محلته بانتسابه إلى هذا الدين ، ودعواه محبة الشيخ ، وأنه شرح بعض كتبه ، ومع ذلك تجرد لمسبته ومعاداته ، وجحد ما جاء به وقرره من الهدى ودين الحق قال الله تعالى (وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ) وقال بعضهم :

وماضر نور الشمس إن كان ناظرا … إليها عيون لم تزل دهرها عميا

ولا ينكر ما قررناه إلا مكابر في الحسيات، ومباهت في الضروريات، يرى أن عبادة الصالحين ودعاءهم والتوكل عليهم وجعلهم وسائط بينهم وبين الله مما جاءت به الرسل ونزلت به الكتب، وأنه هو الاسلام، وأهله هم الامة المحمدية ، ومن أنكر عليهم وضللهم فهو خارج مارج، كما قال هذا الرجل وصاحبه ابن سند في منظومته التي أنشدها لما استولت العساكر المصرية على بلاد الدرعية

* لقد فتحت للدين أعينه الرمد *

ثم أخذ في سب المسلمين وتضليلهم والشماتة بهم ومدح من عبد الصالحين ودعاهم مع الله وجعلهم اندادا تعبد

وقد أجابه الزكي الاديب الشيخ أحمد بن مشرف بمنظومته ذكر فيها حال العساكر المصرية وما اشتهر عنهم من اللواطة والشركيات والزنا وشرب المسكرات واضاعة الصلاة ، ثم أنشد في أثناء رده

فان كان هذا عندك الرشد والهدى … لقد فتحت للدين أعينه الرمد

وبالجملة فلا يقول مثل هذا في الشيخ (رح) إلا رجل مكابر، لا يتحاشا من البهت والافتراء والى الله ترجع الامور وعنده تنكشف السرائر

(١) هو عثمان بن منصور الذي تقدم ذكره في صفحة ٤٤٠ وكتبه محمد رشيد رضا

﴿ زعمه أن الشيخ لم يتخرج على العلماء الامناء ﴾

وأما قوله «ولم يتخرج على العلماء الامناء» فهذه الدعوى الضالة نشأت من سوء المعتقد وخبث الطوية، وهذا الرجل لا زمام ولا خطام لأكاذيبه وأباطيله، يرسلها حيث يشاء، ويكابر أهل العلم ولا يتحاشى، وقد عرف طلب الشيخ للعلم ورحلاته في تحصيله كما ذكره صاحب التاريخ الشيخ حسين بن غنام الاحسائي، وقد اجتمع بأشياخ الحرمين في وقته ومحدثيها، وأجازه بعضهم ورحل إلى البصرة، وسمع وناظر والي الاحساء، وهي إذ ذاك آهلة بالعلماء، فسمع من أشياخها وباحث في أصول الدين ومقالات الناس في الايمان وغيره، وسمع من والده ومن فقهاء نجد في وقته، واشتهر عندهم بالعلم والذكاء وعرف به على صغر سنه، وأيضا فقد كان أهل العلم سلفا وخلفا يسمعون الاحاديث ويروونها ويحفظون السنن ويستنبطون منها الاحكام؛ وهذا عندهم هو الغاية التي يرحل اليه المحدثون، وينتهي اليها الطالبون، وليس من عادتهم القراءة في كتب الرأي والفروع كما هو المعروف عند الناس. رحل الشافعي الى المدينة وسمع الموطأ وتصدى للفتيا، وأنكر على من لم يطمئن في صلاته لما دخل مسجد محمد بن الحسن بالكوفة ولم يسمع من مالك ولا غيره كتابا في الرأي والمذهب وهكذا غيره من أهل العلم والفتوى

وأما قوله «كما صح وثبت عن مشايخنا الامجاد النقاد» فجوابه أن هذه الدعوى في مشايخه كل يدعيها. فالقدرية والرافضة والجهمية والمعتزلة وغلاة عباد القبور يرون أن مشايخهم أمجاد نقاد يؤخذ عنهم ويحفظ عنهم. ويسمون أهل السنة والجماعة وأهل الحديث حشوية مجسمة وناصبة ومجبرة. وعباد القبور يسمون الموحدين متنقصة الانبياء والصالحين؛ ويقرر ذلك أشياخ كل طائفة واتباعهم يرون أنهم بذلك أمجاد نقاد، ولو يعطى الناس بدعواهم لادعى رجال دماء قوم وأموالهم

قال تعالى (وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)

إذا عرفت هذا فمشايخ هذا الرجل الذين أثنى عليهم من أكابر المعاندين، ورءوس المخالفين، وقد عرف ذلك عن ابن سند وابن سلوم وأمثالهم من أشياخه الذين كثر في هذا الباب سبابهم ، وغلظ عن معرفة الله ومعرفة حقه حجابهم

﴿ افتراؤه عليه تكفير الامة إلا من وافقه ﴾

وأما قوله « فسعى بالتكفير للامة خاصها وعامها وقاتلها على ذلك جملة الا من وافقه على قوله » فهذه العبارة تدل على تهور في الكذب ووقاحة تامة ، وفي الحديث« انما أدرك الناس من كلام النبوة الاولى:إذا لم تستح فاصنع ما شئت»

وصرح هذه العبارة أن الشيخ كفر جميع الامة [1] من المبعث النبوي الى قيام الساعة إلا من وافقه على قوله الذي اختص به ، وهل يتصور هذا عاقل عرف حال الشيخ وما جاء به ودعا اليه ، بل أهل البدع كالقدرية والجهمية والرافضة والخوارج لا يكفرون جميع من خالفهم بل لهم أقوال وتفاصيل يعرفها أهل العلم . والشيخ رحمه الله لا يعرف له قول انفرد به عن سائر الامة ولا عن أهل السنة والجماعة منهم ، وجميع أقواله في هذا الباب أعني ما دعا اليه من توحيد الاسماء والصفات وتوحيد العمل والعبادات مجمع عليه عند المسلمين، لا يخالف فيه إلا من خرج عن سبيلهم، وعدل عن مناهجهم. كالجهمية والمعتزلة وغلاة عباد القبور ، بل قوله ما اجتمعت عليه الرسل واتفقت عليه الكتب كما يعلم ذلك

(١) وزعم غير هذا المعترض انه كفر الامة منذ مئات من السنين لا من اولها كما اقتضاه اطلاقه بل منذ فشا فيها تشييد القبور وبناء المساجد عليها والطواف بها ودعاء الموتى فان هذا لم يكن في القرون الاولى ولكن الحق الواقع أن الشيخ لم يكفر الامة كلها في زمنه فضلا عما قبله وانما كفر من اشرك بالله بغير عذر الجهل • وكتبه محمد رشيد رضا

بالضرورة من عرف ما جاؤا به وتصوره ولا يكفر إلا على هذا الاصل بعد قيام الحجة المعتبرة فهو في ذلك على صراط مستقيم متبع لا مبتدع، وهذا كتاب الله وسنة رسوله وكلام أصحاب رسول الله ﷺ ومن بعدهم من أهل العلم والفتوى معروف مشهور مقرر في محاله في حكم من عدل بالله وأشرك به وتقسيمهم الشرك الى أكبر وأصغر والحكم على المشرك الشرك الاكبر بالكفر مشهور عند الامة لا يكابر فيه إلا جاهل لا يدري ما الناس فيه من أمر دينهم وما جاءت به الرسل

وقد أفرد هذه المسألة بالتصنيف غير واحد من أهل العلم، وحكى الاجماع عليها وأنها من ضروريات الاسلام كما ذكره تقي الدين بن تيمية وابن قيم الجوزية وابن عقيل وصاحب الفتاوى البزازية وصنع الله الحلبي والمقريزي الشافعي ومحمد ابن حسين النعمي الزبيدي ومحمد بن اسماعيل الصنعاني ومحمد بن علي الشوكاني وغيرهم من أهل العلم(١)

﴿ افتراؤه عليه جعل بلاد المسلمين دار كفر ﴾

وأما قوله وجعل بلاد المسلمين كفاراً أصليين، فهذا كذب وبهت ماصدر ولا قيل ولا أعرفه عن أحد من المسلمين، فضلا عن أهل العلم والدين، بل كلهم مجمعون على أن بلاد المسلمين لها حكم الاسلام في كل مكان وزمان، وإنما تكلم الناس في بلاد المشركين الذين يعبدون الانبياء والملائكة والصالحين، ويجعلونهم أنداداً لله رب العالمين، ويسندون اليهم التصرف والتدبير كغلاة القبوريين، فهؤلاء تكلم الناس في كفرهم وشركهم وضلالهم والمعروف المتفق عليه عند أهل العلم أن من فعل ذلك ممن يأتي بالشهادتين يحكم عليه بعد بلوغ الحجة بالكفر

(١) يعني أن هؤلاء وأمثالهم صرحوا بان ماعليه كثير من المسلمين الجاهلين من عبادة القبور ودعاء الموتى شرك جلي واما اصل المسأله فقد اجمع عليها الفقهاء قبلهم

والردة ولم يجعلوه كافراً أصليا ، وما رأيت ذلك لاحد سوى محمد بن اسماعيل في رسالته تجريد التوحيد المسمى بتطهير الاعتقاد ، وعال هذا القول بأنهم لم يعرفوا ما دلت عليه كلمة الاخلاص فلم يدخلوا بها في الاسلام مع عدم العلم بمدلولها وشيخنا لا يوافقه على ذلك ، ولكن هذا المعترض لا يتحاشى من الكذب ولو كان من الميتة والموقوذة والمتردية ، وما رأيت شيخ الاسلام أطلق على بلد من بلاد المنتسبين الى الاسلام أنها بلد كفر ، ولكنه قرر أن دعاء الصالحين وعبادتهم بالاستعانة والاستغاثة والذبح والنذر والتوكل على أنهم وسائط بين العباد وبين الله في الحاجات والمهمات هو دين المشركين ، وفعل الجاهلية الضالين ، من الاميين والكتابيين ، فظن هذا أن لازم قوله أنه يحكم على هذه البلاد أنها بلاد كفر وهذا ليس بلازم ، ولو لزم فلازم المذهب ليس بمذهب ونحن نطالب الناقل بتصحيح نقله اهـ

وأيضا قال : وأما قول المعترض (لما رأى في هذه الامة من الاحداث التي لا تزال موجودة فيها تقل وتكثر ، ولا تزال علماؤها تجدد لها دينها من الباب الواسع وهو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتحاشى عن الدخول عليها من الباب الضيق وهو تكفيرها الذي حذر عنه نبيها) إلى آخر عبارته .

فالجواب أن يقال قضية هذا الكلام أن الشيخ انما كفر وقاتل وأخذ الاموال باحداث لا تزال موجودة في الامة تقل وتكثر ، وأنه لا يكفر بها أحدا ، وأن تكفير الصحابة[1] لمن كفروه من أهل الردة على اختلافهم وتكفير علي للغلاة ،

(١) قوله وان تكفير الصحابه وما عطف عليه لم يأت فيما بعده خبر له تتم به الفائدة، فلعله سقط من الكلام او وقع فيه تحريف . والمعنى ان مقتضى تخطئة هذا المعترض للشيخ في تكفير الناس بما ذكر وزعمه ان المسلم لا يكفر بشيء صدر عنه مهما يكن يقتضي أن الصحابة كانوا مخطئين في تكفير اهل الردة وكذا علي في تكفير من عبدوه من الغلاة وكذا سائر الائمة والخلفاء فيمن كفروهم . وكتبه محمد رشيد رضا

وتكفيرهم للسحرة وقتلهم وتكفير من بعدهم للقدرية ونحوهم وتكفير من بعد أولئك الجهمية وقتلهم لجعد بن درهم وجهم بن صفوان ومن على رأيهم وقتلهم للزنادقة — وهكذا في كل قرن وعصر من أهل العلم والفقه والحديث طائفة قائمة تكفر من كفره الله ورسوله وقام الدليل على كفره لا يتحاشون عن ذلك بل يرونه من واجبات الدين وقواعد الاسلام وفي الحديث « من بدل دينه فاقتلوه »[١] وبعض العلماء يرى أن هذا والجهاد عليه ركن لا يتم الاسلام بدونه وقد سلك سبيلهم الائمة الاربعة المقلدون وأتباعهم في كل عصر ومصر، وكفروا طوائف من أهل الاحداث كالقرامطة والباطنية، وكفروا العبيديين ملوك مصر وقاتلوهم وهم يبنون المساجد ويصلون ويؤذنون ويدعون نصرة أهل البيت، وصنف ابن الجوزي كتابا سماه « النصر على مصر » ذكر فيه وجوب قتالهم وردتهم، وقد عقد الفقهاء في كل كتاب من كتب الفقه المصنفة على مذاهبهم بابا مستقلا في حكم أهل الاحداث التي توجب الردة وسماه باب الردة أكثرهم، وعرفوا المرتد بأنه الذي يكفر بعد اسلامه، وذكروا أشياء دون ما نحن فيه من المكفرات حكموا بكفر فاعلها وان صلى وصام وزعم أنه مسلم اه

وأيضا قال فيه وأما قوله « ان تكفيرها حذر منه نبيها محمد ﷺ غاية التحذير » فيمن ان زعمت ان النبي ﷺ حذر عن تكفير من أتى ما يوجب الكفر ويقتضيه ممن بدّل دينه، فهذا مكابرة وجحد للضروريات والحسيات وقائله إلى أن يعالج أحوج منه إلى تلاوة الآيات والاحاديث وحكاية الاجماع وفعل الامة طبقة طبقة وقرنا قرنا، وان أراد النهي عن تكفير عموم الامة وجميعها، فهذا لم يقله أحد ولم نسمع عنه عن مارق ولا مبتدع، وهل يقول هذا من له عقل يدرك به ويعرف ما في الامة من العلم والايمان والدين ؟ وأما بعض الامة فلا مانع من

(١) رواه أحمد والبخاري وأصحاب السنن الاربعة عن ابن عباس (رض)

تكفير من قام الدليل على كفره كبني حنيفة وسائر أهل الردة في زمن أبي بكر وعلاة القدرية والمارقين الذين مرقوا في زمن علي (رض) وغلوا فيه ، وهكذا الحال في كل وقت وزمان ، ولولا ذلك لبطل الجهاد وترك الكلام في أهل الردة وأحكامهم اه

وأيضا قال فيه : قال الشيخ (رح) في رسالة إلى السويدي البغدادي: وما ذكرت اني أكفر جميع الناس إلا من اتبعني وأزعم أن أنكحتهم غير صحيحة فيا عجبا كيف يدخل هذا في عقل عاقل؟ هل يقول هذا مسلم أو كافر أو عارف أو مجنون إلى أن قال وأما التكفير ، فأنا اكفر من عرف دين الرسل ، ثم بعد ما عرفه سبه ونهى الناس عنه وعادى من فعله ، فهذا هو الذي اكفره وأكثر الامة ولله الحمد ليس كذلك

وقال رحمه الله في رسالته للشريف : وأما الكذب والبهتان مثل قولهم انا نكفر بالعموم ونوجب الهجرة الينا على من قدر على اظهار دينه ، وانا نكفر من لم يكفر ومن لم يقاتل ومثل هذا وأضعاف أضعافه ، فكل هذا من الكذب والبهتان الذي يصدون به الناس عن دين الله ورسوله ، وإذا كنا لا نكفر من عبد الصنم الذي على قبر عبد القادر والصنم الذي على قبر أحمد البدوي وأمثالهم لاجل جهلهم وعدم من ينبههم ، فكيف نكفر من لم يشرك بالله إذا لم يهاجر الينا ولم يكفر ويقاتل؟ سبحانك ! هذا بهتان عظيم

فاذا كان هذا كلام الشيخ (رح) فيمن عبد الصنم الذي على القبور إذا لم يتيسر له من يعلمه ويبلغه الحجة، فكيف يطلق على الحرمين أنها بلاد كفر

وإذا ما عرفت ما ذكرنا لك من العبارات فاعلم أن الكلام على ما نقله المؤلف عن الشيخ محمد بن سليمان الكردي المدني بوجوه

(الاول) أنه يطالب بتصحيح النقل فالاعتماد مرتفع عن نقاه

(والثاني) ان دعوى كون محمد بن عبد الوهاب من تلامذة الشيخ المذكور مفتقرة الى التبيين

(والثالث) انه لا يعلم من حال الشيخ المذكور ما يدل على أنه من أهل العلم والديانة حتى يعول على قوله

(والرابع) أنه بعد ثبوت صحة ما نقل وكون الشيخ محمد بن عبد الوهاب من تلامذة المذكور ، وكون الشيخ المذكور من العلماء الراسخين المتدينين ، يحتمل أن يكون نصحه المذكور مبنيا على ما اشتهر على ألسنة أعداء الشيخ محمد بن عبد الوهاب من تكفيره السواد الاعظم من المسلمين لا على التحقيق

(والخامس) لو سلمنا هذا النقل فأي حجة فيه على أن الحق مع استاذه في ذلك؟ ومتابعة الاساتذة لا تحمد مطلقا

(والسادس) انك قد عرفت فيما تقدم أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب لم يكفر السواد الاعظم من المسلمين ومن كفره فلم يكفره بارتكاب ذنب من الكبائر كما هو مذهب الخوارج انما كفره بدعوة غير الله بحيث يطلب فيها منه ما لا يقدر عليه إلا الله : وهذا لا يستريب أحد من أهل العلم والديانة أنها عبادة لغير الله وعبادة غير الله لا شك في كونها كفرا مع أنه لم يكفره أيضا حتى عرفه الصواب ونبهه

وأيضا قد عرفت فيما مر أن الشيخ ليس بمتفرد في هذا التكفير بل جميع أهل العلم من أهل السنة والجماعة يشاركونه فيه لا أعلم أحداً مخالفا له ، منهم تقي الدين بن تيمية ، وابن قيم الجوزية ، وابن عقيل ، وصاحب الفتاوى البزازية، وصنع الله الحلبي، والمقريزي الشافعي، ومحمد بن حسين النعمي الزبيدي، ومحمد بن اسماعيل الصنعاني، ومحمد بن علي الشوكاني، وصاحب الاقناع، وابن حجر المكي،

وصاحب النهر الفائق، والامام البكري الشافعي، والحافظ عماد بن كثير، وصاحب الصارم المنكي، والشيخ حمد ناصر، والعلامة الامام الحسن بن خالد، والشيخ العلامة محمد بن الحفظي وغيرهم .

(السابع) قول الشيخ محمد بن سليمان المذكور، فان سمعت من شخص أنه يعتقد تأثير ذاك المستغاث به من دون الله تعالى فعرفه الصواب اه — فيه أن الكفر لا يتوقف على اعتقاد تأثير ذلك المستغاث به من دون الله تعالى بل مجرد دعاء غير الله بحيث يشتمل على طلب ما لا يقدر عليه إلا الله كفر كما تقدم غير مرة

(الثامن) قول ذلك الشيخ ولا سبيل لك إلى تكفير السواد الاعظم من المسلمين وأنت شاذ عن السواد الاعظم فنسبة الكفر الى من شذ عن السواد الاعظم أقرب اه فيه أنه لم يعرف معنى السواد الاعظم فانه ليس معناه جمهور من يدعي الاسلام بل هو أهل الحق وان قلوا كما مر تحقيقه بما لا مزيد عليه فتذكر

***

وقال العلامة الامام الحسن بن خالد في كتاب (منفعة قوت القلوب في اخلاص توحيد علام الغيوب) وليس السواد الاعظم إلا أهل الحق وان قلوا اه

وقال الامام ابن القيم (رح) في الكلام على قوله تعالى(فَلَوْلا كَانَ مِنَ القُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِمَّنْ أَنجَيْنَا) الآية: الغرباء في هذا العالم هم أهل هذه الصفة المذكورة في هذه الآية وهم الذين أشار اليهم النبي ﷺ في قوله « بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء » قيل ومن الغرباء يا رسول الله ؟ قال « الذين يصلحون اذا أفسد الناس » وفي حديث عبد الله بن عمر قال قال رسول

الله ﷺ ذات يوم ونحن عنده « طوبى للغرباء » قيل ومن الغرباء يا رسول الله ؟ قال « ناس صالحون قليل في ناس سوء كثير من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم » فأهل الاسلام بين أكثر الناس غرباء وأهل الايمان بين أهل الاسلام غرباء وأهل العلم في المؤمنين غرباء وأهل السنة الذين تميزوا بها عن الاهواء والبدع فيهم غرباء والداعون اليها الصابرون على الاذى فيها أشد غربة ، ولكن هؤلاء المخالفين لهم هم أهل الله حقا ، فلا غربة عليهم وانما غربتهم بين الاكثرين قال الله تعالى فيهم ﴿ وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ ﴾ فأولئك هم الغرباء إلى الله ورسوله وغربتهم هي الغربة الموحشة الوحشة ، وإن كانوا هم المعروفين المشار اليهم ، فالغربة ثلاثة أنواع غربة أهل الله وأهل سنة رسوله بين هذا الخلق وبين الغربة التي مدح رسوله ﷺ وأخبر عن الدين الذي جاء به أنه بدأ غريبا وأنه سيعود غريبا وأن أهله يصيرون غرباء ، وقال الحسن : المؤمن في الدنيا كالغريب لا يجزع من ذلها ولا ينافس في عزها ، للناس حال وله حال ، ومن صفات هؤلاء الغرباء الذين غبطهم النبي ﷺ التمسك بالسنة إذا رغب عنها الناس ، وترك ما أحدثوه وإن كان هو المعروف عندهم ، وتجريد التوحيد وان أنكر ذلك أكثر الناس ، وترك الانتساب الى أحد غير الله ورسوله ، لا طريق ولا مذهب ولا طائفة ، بل هؤلاء الغرباء ينتسبون الى الله تعالى بالعبودية له وحده ، والى رسوله بالاتباع لما جاء به وحده ، وهؤلاء القابضون على الجمر حقا ، فاغربتهم بين هذا الخلق يعدونهم أهل شذوذ وبدعة ومفارقة للسواد الاعظم ، وقال النبي ﷺ « انهم النزاع من القبائل » اه هكذا نقله بعض المحققين في الرد على جلاء الغمة

* * *

قوله ﴿ والحاصل ان هؤلاء المانعين للزيارة والتوسل قد تجاوزوا الحد فكفروا أكثر الامة واستحلوا دماءهم وأموالهم وجعلوهم مثل المشركين الذين كانوا في زمن النبي ﷺ وقالوا ان الناس مشركون في توسلهم بالنبي ﷺ وبغيره من الانبياء والاولياء والصالحين ، وفي زيارتهم قبره ﷺ وندائهم له بقولهم يا رسول الله نسألك الشفاعة ﴾

أقول المانعون للزيارة والتوسل لم يتجاوزوا الحد قط وانما كفروا من كفروا لأجل عبادتهم لغير الله كدعائهم الاموات بحيث يطلب فيه منهم ما لا يقدر عليه إلا الله ، وكالذبح لهم والنذر لهم والتوكل عليهم بعد تعريف الصواب والتنبيه عليه، ولم يقولوا ان الناس هم مشركون في مجرد توسلهم بالنبي ﷺ وبغيره من الانبياء والاولياء والصالحين ، وفي مجرد زيارتهم قبره ﷺ ، هذا افتراء بحت وبهت محض ، انما أشركوا بالتوسل والزيارة اللذين يشتملان على عبادة غير الله من الدعاء والذبح والنذر

وأما التوسل كأن يتوسل بالنبي ﷺ بتصديقه على الرسالة والايمان بما جاء به وطاعته في أمره ونهيه ، وكأن يتوسل بدعائه ﷺ في حياته ، وكأن يدعو الرب سبحانه باضافته الى عباده الصالحين ، وكأن يتوسل بالصلاة على النبي ﷺ ، كذلك الزيارة الشرعية فلا يمنعه أحد ، نعم التوسل بأن يقول اللهم اني أسألك بحق فلان عبدك ، وشد الرحل لمجرد الزيارة فيه اختلاف لأهل العلم والمحققون يمنعونهما ويقولون انهما ليستا بثابتين وانهما من البدع ولكن لا يكفرون من ارتكبه ، وأما النداء وطلب الشفاعة فلا يكفرون بهما مطلقا بل إذا كانا متضمنين لعبادة غير الله ، وقد مر تفصيله فتذكر

قوله ﴿ وحملوا الآيات القرآنية التي نزلت في المشركين على خواص المؤمنين وعوامهم كقوله تعالى (فلا تدعوا مع الله أحداً) وقوله تعالى (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون * وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) إلى قوله: كلها، حملوا الدعاء فيها على النداء ثم حملوها على المؤمنين الموحدين ﴾

أقول : الكلام عليه بوجوه (الاول) ان نزول جميع الآيات المتلوة هنا في المشركين غير مسلم ، ألا ترى ان الآية الاولى (وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً) المخاطب فيها النبي ﷺ والمؤمنون . قال الحافظ ابن كثير : يقول الله تعالى آمرا عباده أن يوحدوه في محال عبادته ولا يدعى معه أحد ولا يشرك به كما قال قتادة في قوله تعالى (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا) قال كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبيعهم أشركوا بالله ، فأمر الله نبيه ﷺ أن يوحدوه وحده اه

وفي فتح البيان : قال مجاهد كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبيعهم أشركوا بالله ، فأمر الله نبيه والمؤمنين أن يخلصوا لله الدعوة إذا دخلوا المساجد كلها، يقول فلا تشركوا فيها صنما أو غيره مما يعبد اه

وأما كون اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبيعهم أشركوا بالله فنزول الآية فيه لا يقتضي أن لا يكون الدعاء المذكور منهيا عنه في حق المؤمنين

وكذلك المأمور والمخاطب في قوله تعالى (فلا تدع مع الله إلهاً آخر فتكون من المعذبين) هو النبي ﷺ . قال في فتح البيان: ثم لما قرر الله سبحانه حقية القرآن وانه منزل من عنده أمر نبيه ﷺ بدعاء الله وحده فقال (فلا تدع مع الله إلها آخر فتكون من المعذبين) إن فعلت ذلك الذي دعوك اليه ، وخطاب النبي ﷺ بهذا

— مع كونه منزهاً عنه ، معصوما منه — لحث العباد على التوحيد ، ونهيهم عن شوائب الشرك ، وكأنه قال أنت أكرم الخلق علي وأعزهم عندي ولو اتخذت معي إلها لعذبتك فكيف بغيرك من العباد؟

وقد أخطأ المؤلف في نقل هذه الآية فكتب الواو بدل الفاء ، وكذلك ورد الخطاب مع النبي ﷺ في غير هذه الآية مما لم يذكره المؤلف ، منه قوله تعالى في سورة يونس (ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك إذاً من الظالمين) ومنه قوله تعالى في سورة القصص (وادع إلى ربك ولا تكونن من المشركين * ولا تدع مع الله إلها آخر لا إله الا هو) ومنه قوله تعالى في سورة النساء (قل أندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله كالذي استهوته الشياطين في الارض حيران له أصحاب يدعونه الى الهدى ائتنا)

وبالجملة كفى بتلك الآيات حجة على منع دعاء غير الله سواء قيل انها نزلت في المشركين أو غيرهم ، اذ المأمور فيها هو النبي ﷺ والمؤمنون

(والثاني) انا ما حملنا الآيات على خواص المؤمنين وعوامهم انما حملناها على من يدعو غير الله رغبة ورهبة ويطلب منه ما لا يقدر عليه الا الله وينحر له وينذر له وهم مشركون قطعا كما مر تقريره

(والثالث) انه لو سلم ان بعض الآيات نزلت في المشركين فألفاظها عامة كلفظ من يدعو من دون الله ، والذين يدعون من دونه ، وقد تقرر في محله ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، ولو خصصت الآيات بما نزلت فيه لبطل معظم أحكام الاسلام

قوله ﴿ وكلامهم كله باطل لان الدعاء الذي في الآيات بمعنى العبادة وهم لبسوا

على الخلق وجعلوه بمعنى النداء وقد علمت بطلانه من النصوص السابقة ﴾

أقول : الدعاء كونه في الاصل بمعنى النداء والطلب مما لا مرية فيه ، وأما كونه بمعنى العبادة فلم يثبت بعد حقيقة لا لغة ولا شرعا فان ثبت اطلاقه عليها فانما يكون مجازا ،يرشدك إلى هذا انه ليس في كتاب من كتب اللغة فيما أظن ان الدعاء معناه العبادة ولا في كلام أحد من فصحاء الجاهلية لا في نظم ولا نثر ما يقتضي ذاك فضلا عن كونه نصا عليه ، ولنذكر هنا عبارات كتب اللغة لتتضح لديك معانيه الحقيقية فنقول :

قال الجوهري في الصحاح : ودعوت فلانا أي صحت به واستدعيته، ودعوت الله له وعليه دعاء، والدعوة المرة الواحدة ، والدعاء واحد الادعية اه وقال في القاموس :الدعاء الرغبة الى الله تعالى دعاه دعاء ودعوى والدعاءة السبابة وهو مني دعوة الرجل أي قدر ما بيني وبينه ذاك،ولهم الدعوة على غيرهم أي يبدأ بهم في الدعاء، وتداعوا عليهم تجمعوا، ودعاه ساقه والنبي ﷺ داعي الله ويطلق على المؤذن، والداعية صريخ الخيل في الحروب، وداعية اللبن بقيته التي تدعو سائره ودعاها في الضرع أبقاها فيه،ودعاه الله بمكروه أنزله به ودعوته زيدا وبزيد سميته به اه

وقال الفيومي في المصباح المنير : دعوت الله أدعوه دعاء ابتهلت اليه بالسؤال ورغبت فيما عنده من الخير ودعوت زيدا ناديته وطلبت اقباله ودعا المؤذن الناس الى الصلاة فهو داعي الله والجمع دعاة وداعون مثل قاضي وقضاة وقاضون والنبي داعي الخلق الى التوحيد ودعوت الولد زيدا وبزيد اذا سميته بهذا الاسم اه

وبالجملة ليس في شيء من كتب اللغة الدعاء بمعنى العبادة نعم قال الحافظ ابن حجر ويطلق الدعاء أيضا على العبادة ونصه في دعوات الفتح هكذا بفتح المهملتين جمع دعوة بفتح أوله وهي المسألة الواحدة والدعاء الطلب والدعاء إلى الشيء الحث على فعله ، ودعوت فلانا سألته ودعوته استغثته، ويطلق أيضا على رفعة القدر كقوله تعالى(ليس له دعوة في الدنيا والآخرة) كذا قال الراغب ،ويمكن رده

الى الذي قبله ؛ ويطلق الدعاء أيضا على العبادة، والدعوى بالقصر الدعاء كقوله تعالى (وآخر دعواهم) والادعاء كقوله تعالى (فما كان دعواهم إذ جاءهم بأسنا) وقال الراغب الدعاء والنداء واحد لكن قد يتجرد النداء عن الاسم والدعاء لايكاد يتجرد . وقال الشيخ أبو القاسم القشيري في شرح الاسماء الحسنى ما ملخصه جاء الدعاء في القرآن على وجوه، (منها) العبادة (ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك) ومنها الاستغاثة (وادعوا شهداءكم ، ومنها السؤال (ادعوني أستجب لكم) ومنه القول (دعواهم فيها سبحانك اللهم) والنداء (يوم يدعوكم) والثناء (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن) اه[١]

وقال تحت قوله ـ وقول الله تعالى (ادعوني أستجب لكم) الآية وهذه الآية ظاهرة في ترجيح الدعاء على التفويض ، وقالت طائفة الافضل ترك الدعاء والاستسلام للقضاء ، وأجابوا عن الآية بأن آخرها دل على أن المراد بالدعاء العبادة لقوله (ان الذين يستكبرون عن عبادتي) واستدلوا بحديث النعمان بن بشير عن النبي ﷺ قال « الدعاء هو العبادة » ثم قرأ (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي) الآية ، أخرجه الاربعة وصححه الترمذي والحاكم ، وشذت طائفة فقالوا المراد بالدعاء في الآية ترك الذنوب . وأجاب الجمهور أن الدعاء من أعظم العبادة فهو كالحديث الآخر « الحج عرفة » أي معظم الحج وركنه الاكبر ، ويؤيده ما أخرجه الترمذي من حديث أنس رفعه « الدعاء مخ العبادة » اه

وقال القسطلاني في (إرشاد الساري) كتاب الدعوات بفتح الدال والعين المهملتين جمع دعوة بفتح أوله مصدر يراد به الدعاء قال دعوت الله أي سألته اه

وقال تحت قوله تعالى (ادعوني أستجب لكم) لما كان من أشرف أنواع

---

(١) أي كلام العسقلاني في الفتح وقال ـ أي العسقلاني أيضا فيه

الطاعات الدعاء والتضرع أمر الله تعالى به فضلا و كرما ،وتكفل لهم بالاجابة ، وقيل المراد بقوله (ادعوني أستجب لكم) الامر بالعبادة بدليل قوله بعد (ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) صاغرين ذليلين . والدعاء بمعنى العبادة كثير في القرآن كقوله(إن يدعون من دونه إلا اناثا) وأجاب الاولون بأن هذا ترك الظاهر فلا يصار اليه إلا بدليل

وقال العلامة تقي الدين السبكي : الاولى حمل الدعاء في الآية على ظاهره . وأما قوله بعد ذلك (عن عبادتي) فوجه الربط أن الدعاء أخص من العبادة ، فمن استكبر عن العبادة استكبر عن الدعاء ، وعلى هذا فالوعيد إنما هو في حق من ترك الدعاء استكباراً ومن فعل ذلك كفر اه

وقال في مجمع البحار :والدعاء الغوث ومنه(ادعونى أستجب لكم)أي استغيثوا إذا نزل بكم ضر (دعوا الرحمن ولدا) أي جعلوا (ان ندعو من دونه)ان نعبد يقال دعوته إذا ناديته وإذا سميته ، وفيه ان نساء يدعون أي يطلبن بالمصابيح من جوف الليل. وفيه« ان تدعو الله ندا »الدعاء النداء . ويستعمل استعمال التسمية والسؤال والاستغاثة . وهو هنا متضمن معنى الجعل. وفيه الدعاء وهو العبادة أي يستأهل أن يسمى عبادة لدلالته على الاقبال عليه والاعراض عما سواه ؛ويمكن إرادة لغته أي الدعاء ليس الا اظهار التذلل (ادعوني أستجب لكم)اعبدوني أثبكم لقوله (ان الذين يستكبرون عن عبادتي)اه ملتقط

إذا دريت تلك العبارات فقد عرفت ان الدعاء قد يطلق أيضا على العبادة ولكن هنا مبحث (الاول) ان هذا ادعاء بلا دليل ،وأما ما يذكر له من الشواهد والامثلة من القرآن المجيد كقوله تعالى (ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك وقوله تعالى (ادعوني أستجب لكم) وقوله تعالى(ان يدعون من دونه إلا اناثا) وقوله تعالى(ان ندعو من دونه)وغيرها من الآيات فلا يصلح شاهدا

له، إذ يحتمل أن يراد بالدعاء في هذه الآيات كلها السؤال بجلب النفع ودفع الضرر الذي هو معناه الحقيقي، بل هو المتعين لانه ليس هناك صارف يصرف عن إرادة المعنى الحقيقي، وقد صرح غير واحد من أهل العلم بأن المراد بالدعاء في قوله تعالى (ادعوني أستجب لكم) هو السؤال بجلب النفع ودفع الضرر لا العبادة وان اختلف الناس فيه

وذكر الامام الرازي تحت قوله تعالى (ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك إذاً من الظالمين) مايقتضي أن المراد بالدعاء في هذه الآية طلب المنفعة والمضرة ونصه هكذا: يعني لو اشتغلت بطلب المنفعة والمضرة من غير الله فأنت من الظالمين، لان الظلم عبارة عن وضع الشيء في غير موضعه، فاذا كان ماسوى الحق معزولا عن التصرف كانت اضافة التصرف الى ماسوى الحق وضعا للشيء في غير موضعه، فيكون ظلما اه

فان قلت الصارف هناك ماقد ذكر صاحب الرسالة فيما تقدم من انه لو كان كل نداء دعاء وكل دعاء عبادة شمل ذلك نداء الاحياء والاموات، فيكون كل نداء ممنوعا مطلقا سواء كان الاحياء والاموات أم الحيوانات والجمادات وليس الامر كذلك

(قلنا) هذا لا يصلح صارفا، فان المراد بالدعاء عندنا ليس مطلق النداء بل النداء الذي فيه طلب ما لا تقدر عليه الا الله كما تقدم — لا يقال فعلى هذا ليس هذا المعنى حقيقيا فانه فرد من أفراد مطلق النداء، واذا أطلق المطلق وأريد به الخاص فهو مجاز، لانا نقول كما ان لفظ الدعاء وضع في الاصل لمطلق النداء كذلك وضع للنداء الذي ذكرناه، يرشدك الى هذا عبارات الجوهري وصاحب القاموس والفيومي التي ذكرت فيما تقدم فتذكر، فيكون النداء المذكور حقيقة شرعية

وعلى تقدير تسليم أن لفظ الدعاء ليس بحسب اللغة موضوعا للنداء المذكور

يقال لاشك في أن لفظ الدعاء بحسب الشرع موضوع للنداء المذكور ، فان الله تعالى ورسوله جعل الدعاء من أفراد العبادة قال الله تعالى (ادعوني أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) وقال رسوله ﷺ «الدعاء هو العبادة» وأيضا قال «الدعاء مخ العبادة»

وقد أمر الله تعالى ورسوله بالدعاء في غير ماموضع ، وهذا دال على أن الدعاء الشرعي عبادة ، ولا مرية في أن مطلق النداء ليس بعبادة ، فاذاً المراد به هو النداء المذكور فيكون النداء المذكور حقيقة شرعية للفظ الدعاء ، ويمكن أن يراد بالدعاء في الايات المذكورة مطلق النداء ويخصص بمخصصات أُخَر ، فيكون من قبيل العام الذى خص منه البعض فيكون فيما بقي من الافراد حجة ظنية ، وليس هناك مخصص يخرج دعاء الاموات من الانبياء والصالحين الذي يتضمن طلب ما لا يقدر عليه الا الله من هذا العموم

(والثاني) انه لو سلم اطلاق الدعاء على العبادة ، فهذا مجاز ، ومن ثم قال القسطلاني ، وأجاب الاولون بأن هذا ترك الظاهر فلا يصار اليه إلا بدليل ، وهكذا قال الامام الرازي

وقال في فتح البيان (وَقَالَ رَبُّكم ادْعُونِى أَسْتجبْ لكم) قال أكثر المفسرين المعنى وحدوني واعبدوني أتقبل عبادتكم وأغفر لكم وأجبكم وأثبكم ، وقيل هذا الوعد بالاجابة مقيد بالمشيئة أي أستجب لكم ان شئت كقوله (فيكشف ما تدعون اليه ان شاء) ، وقيل المراد بالدعاء السؤال بجلب النفع ودفع الضرر ، قيل الاول أولى لان الدعاء في أكثر استعمالات الكتاب العزيز هو العبادة (قلت) بل الثاني أولى ، لان معنى الدعاء حقيقة وشرعا هو الطلب ، فان استعمل في غير ذلك فهو مجاز على أن الدعاء في نفسه باعتبار معناه الحقيقي هو عبادة بل مخ العبادة كما ورد بذلك الحديث الصحيح فالله سبحانه

قد أمر عباده بدعائه ووعدهم بالاجابة ووعده الحق وما يبدل القول لديه ولا يخلف الميعاد اه

وقال في نزل الابرار وقد حقق العلامة الشوكاني في مؤلفاته أنها بمعنى الدعاء في القرآن وفي الحديث « وعليه الفحول من العلماء في القديم والحديث » وحيث تقرر أن الدعاء عبادة أفتى الراسخون في العلم بأن دعاء من سوى الله كائنا من كان شرك وعبادة لذلك الغير ، والبحث في هذا يطول جدا انظره في كتاب (الدين الخالص) فان مؤلفه قضى الوطر بذلك اه

وقال الامام الرازي وحقيقة الدعاء استدعاء العبد ربه جل جلاله العناية ، واستمداده إياه المعونة ، وقال أيضا الدعاء مغاير للعبادة في المعنى اه

وإذا ثبت أن العبادة معنى مجازي للدعاء فلا يصار اليه إلا عند تعذر الحقيقة وفيما نحن فيه تعذر الحقيقة ممنوع ·

(والثالث) ان الدعاء إذا كانت العبادة معنى مجازيا له فما العلاقة بينهما فنقول العلاقة بينهما إما العموم والخصوص ، فان العبادة عام والدعاء خاص ، قال العلامة تقي الدين السبكي الاولى حمل الدعاء في الآية على ظاهره ، وأما قوله بعد ذلك عن عبادتي فوجه الربط أن الدعاء أخص من العبادة ، فمن استكبر عن العبادة استكبر عن الدعاء ، كذا ذكره القسطلاني في (ارشاد الساري)

وأيضا قال القسطلاني لما كان من أشرف أنواع الطاعات الدعاء والتضرع أمر الله تعالى به فضلا وكرما وتكفل لهم بالاجابة

وقال الامام الرازي وقال الجمهور الاعظم من العقلاء ان الدعاء أهم مقامات العبودية ويدل عليه وجوه من النقل والعقل

وأيضا قال ولما كان أشرف أنواع الطاعات الدعاء والتضرع ، لا جرم أمر الله تعالى به في هذه الآية فقال (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم)اه

وأيضا قال واعلم أن الدعاء نوع من أنواع العبادة وقال بل نقول الدعاء يفيد معرفة ذلة العبودية، ويفيد عزة الربوبية، وهذا هو المقصود الاشرف الاعلى من جميع العبادات ، وبيانه أن الداعي لا يقدم على الدعاء إلا إذا عرف من نفسه كونه محتاجا الى ذلك المطلوب وكونه عاجزاً عن تحصيله وعرف من ربه وإلهه أنه يسمع دعاءه ويعلم حاجته وهو قادر على دفع تلك الحاجة وهو رحيم تقتضي رحمته ازالة تلك الحاجة ، وإذا كان كذلك فهو لا يقدم على الدعاء إلا إذا عرف كونه موصوفا بالحاجة وبالعجز وعرف كون الاله سبحانه موصوفا بكمال العلم والقدرة والرحمة ، فلا مقصود من جميع التكاليف إلا معرفة ذل العبودية وعز الربوبية ، فاذا كان الدعاء مستجمعا لهذين المقامين لا جرم كان الدعاء أعظم أنواع العبادات اه أو العلاقة بينهما السببية والمسببية فان العبادة سبب للدعاء ، قال الامام الرازي تحت قوله تعالى (إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثاً) ويدعون بمعنى يعبدون لأن من عبد شيئا فانه يدعوه عند احتياجه اليه

وقال أيضا ان الغالب من حال من يعبد غيره أن يلتجىء اليه في المسألة ليعرف مراده إذا سمع دعاءه ثم يستجيب له في بذل منفعة أو دفع مضرة اه

(والرابع) أن الله تعالى قال بعد الامر بالدعاء (إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) فلولا أن الدعاء بمعنى العبادة لما بقي لقوله (ان الذين يستكبرون عن عبادتي) معنى ، فنقول الربط لا يتوقف على ذلك بل هناك ثلاث احتمالات

(الاول) ما ذكر أي يراد بالدعاء العبادة

(والثاني) أن يراد بالعبادة الدعاء ، فكما أن العبادة معنى مجازي للدعاء كذلك الدعاء معنى مجازي للعبادة

(والثالث) أن يراد بكليهما معناهما الحقيقي ، وانما يشكل الربط على هذا

التقدير فقط ، فوجه الربط على هذا ما ذكره السبكي وقد ذكرت عبارته فيما تقدم وقريب منه أن يقال ان العبادة أعم من الدعاء ، فمن استكبر عن الدعاء استكبر عن العبادة فتفطن

وجملة القول في الباب أن الدعاء معناه الحقيقي طلب جلب النفع ودفع الضر وأما كونه بمعنى العبادة فممنوع ولو سلم فهو معنى مجازي ولا يصار إلى المجاز مع امكان الحقيقة (١)

قوله ﴿ وأما جعلهم التوحيد نوعين توحيد الربوبية وتوحيد الالوهية فباطل

أيضا . فان توحيد الربوبية هو توحيد الالوهية ، ألا ترى الى قوله تعالى (ألست

بربكم قالوا بلى) ولم يقل ألست بالهكم فاكتفى منهم بتوحيد الربوبية ، ومن

١) أكثر ما أورده من النقول مباحث اصطلاحية لاحاجة اليها والتحقيق أن الدعاء في أصل اللغة النداء والطلب وهو قسمان عادي وعبادي فما وجهه الداعي الى مثله من طلب يقدر المدعو على اجابته بمقتضى الاسباب العادية فهو دعاء عادي ـ وما وجهه الى من يعتقد أن له قدرة أو سلطانا غيبيا فوق الاسباب العادية فهو العبادة سواء اكان المدعو يستجيب له بقدرته الذاتية أم بتأثيره وشفاعته ووساطته عند ذي القدرة الذاتية . والاول دعاء الموحدين لا يتوجهون فيه إلا إلى ربهم وحده ، والثاني دعاء المشركين الذين يتوجهون الى اثنين فأكثر واحد قادر بذاته وغيره قادر بشفاعته وواسطته عند القادر بذاته ، و بهذا كان يصرح مشركو العرب كما حكى الله عنهم . ومن العجيب أن يخفى هذا الشرك في أعلى أنواع العبادة والفرد الكامل منها على أدعياء العلم وهو الدعاء الديني منذ قرون مع دلالة الآيات الكثيرة عليه دلالة قطعية . ومثل الدعاء غيره من الاقوال والافعال التي يختلف حكمها وتسميتها باختلاف من توجه اليه كالاستعانة والاستغاثة والسجود والطواف فان توجهت إلى صاحب القدرة والسلطان الغيبي بالذات أو الوساطة كانت عبادة وإلا كانت عادة . وكتبه محمد رشيد رضا

المعلوم أن من أقر لله بالربوبية فقد أقر له بالالوهية إذ ليس الرب غير الاله بل هو الاله بعينه »

أقول لا مرية في أننا مأمورون باعتقاد أن الله وحده هو ربنا ليس لنا رب غيره، وباعتقاد أن الله وحده هو معبودنا ليس لنا معبود غيره وأن لا نعبد إلا إياه، والامر الاول هو الذي يقال له توحيد الربوبية والامر الثاني هو الذي يقال له توحيد الالوهية، والاشراك في الاول يسمى الاشراك في الربوبية والاشراك في الثاني يسمى الاشراك في الالوهية. والآيات الدالة على الامر الاول كثيرة

منها قوله تعالى في سورة البقرة (أَلَمْ تَرَ إِلَى الذي حَاجَّ ابْرَاهِيمَ في ربه أَنْ آتَاهُ اللهُ المُلْكَ إِذْ قال ابْرَاهِيمُ رَبِّيَ الذي يحيي ويميتُ قال أَنَا أُحْيِي وأُميتُ قال ابْرَاهِيمُ فَإنَّ اللهَ يَأتِي بالشَّمْسِ مِنَ المشْرِقِ فأْتِ بِهَا منَ المغْرِبِ فَبُهِتَ الذي كَفَر) ومنها قوله تعالى في آل عمران (وَرَسُولاً إِلَى بَنِي اسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ) إلى قوله تعالى (إِنَّ اللهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ) ومنها قوله تعالى فيه قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُم أَنْ لا نَعْبُدَ إِلاَّ اللهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً من دُونِ اللهِ) ومنها قوله تعالى فيه (وَلا يَأْمُرَكُم أَنْ تَتَّخِذُوا المَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَاباً أَيَأْمُرُكُم بِالكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُم مُسْلِمُونَ) ومنها قوله تعالى في سورة النساء (وَاعْبُدُوا اللهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً) الآية ومنها قوله تعالى في المائدة (وقال المسيح يا بني اسرائيل

اعبدوا اللهَ ربي وربكم) ومنها قوله تعالى في الانعام (ثم الذين كفروا بربهم يعدلون) ومنها قوله تعالى فيها (فلما جنَّ عليه الليلُ رأى كوكباً قال هذا ربي فلما أفلَ قال لا أُحبُّ الآفلين ـ إلى قوله تعالى ـ إني وجهتُ وجهيَ للذي فطرَ السموات والأرضَ حنيفاً وما أنا من المشركين) ومنها قوله تعالى فيها (بديعُ السمواتِ والأرضِ أنى يكونُ له ولدٌ ولم تكن له صاحبةٌ وخلقَ كلَّ شيء وهو بكل شيء عليم * ذلكم اللهُ ربكم لا إله إلا هو خالقُ كلِّ شيء فاعبدوه) ومنها قوله تعالى فيها (قل أغيرَ اللهِ أبغي رباً وهو ربُّ كلِّ شيء) ومنها قوله تعالى في الاعراف (إنَّ ربكم اللهُ الذي خلقَ السمواتِ والأرضَ في ستةِ أيامٍ ثم استوى على العرشِ ـ إلى قوله تعالى ـ تبارك اللهُ ربُّ العالمين) ومنها قوله تعالى فيها (ألستُ بربكم ؟) ومنها قوله تعالى في التوبة (اتخذوا أحبارَهم ورهبانَهم أرباباً من دونِ اللهِ والمسيحَ ابنَ مريمَ) ومنها قوله تعالى في سورة يونس (إنَّ ربكم اللهُ الذي خلقَ السمواتِ والأرضَ في ستةِ أيامٍ ـ إلى قوله ـ ذلكمُ اللهُ ربكم فاعبدوه) ومنها قوله تعالى فيها (قل من يرزقكم من السماءِ والأرضِ أمَّن يملكُ السمعَ والأبصارَ ، ومن يُخرجُ الحيَّ من الميت ويُخرجُ الميتَ من الحيِّ ومن يدبرُ الأمرَ ؟ فسيقولون اللهُ فقل أفلا تتقونَ * فذلكم اللهُ ربكم الحقُّ فماذا بعدَ الحقِّ إلا الضلالُ فأنى تصرفون ؟) ومنها قوله تعالى في سورة يوسف (ءأربابٌ متفرقون خيرٌ أمِ اللهُ الواحدُ القهار ؟) ومنها قوله تعالى في سورة الرعد (قل من ربُّ السموات والأرضِ ؟ قلِ الله) ومنها قوله تعالى فيها (قل هو ربي لا إله إلا هو) ومنها قوله تعالى في الكهف (لكنَّا هو اللهُ ربي ولا أُشركُ بربي

أحداً) ومنها قوله تعالى فيها (ويقولُ ياليتني لم أُشرِك بربي أحداً) ومنها قوله تعالى في مريم (وما كان ربُّكَ نسيًّا * ربُّ السموات والارضِ وما بينهما فاعبدْهُ واصطبر لعبادتهِ) ومنها قوله تعالى في سورة طه (قال ربُّنا الذى أعطى كلَّ شيءٍ خلقَهُ ثم هَدَى) ومنها قوله في سورة الانبياء (قال بل ربُّكم ربُّ السموات والأرضِ الذى فطرَهُنَّ وأنا على ذلكم من الشاهدين) ومنها قوله تعالى في الحج (الذين أُخرِجوا من ديارِهم بغيرِ حقٍّ إلا أن يقولوا ربُّنا الله) ومنها قوله تعالى في الصافات (إنَّ إلهكم لواحد * ربُّ السموات والأرض وما بينهما وربُّ المشارق) ومنها قوله تعالى في ص (وما من إله إلا اللهُ الواحدُ القهارُ * ربُّ السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار) ومنها قوله تعالى في الزمر عقب بيان شيء من صفات الله تعالى (ذلكم اللهُ ربُّكم له المُلكُ لا إله إلا هو فأنّى تُصرفون ؟) ومنها قوله تعالى في المؤمن (وقال رجلٌ مؤمنٌ من آلِ فرعونَ يكتُمُ إيمانه أتقتُلونَ رجلا أنْ يقول ربيَ اللهُ وقد جاءكم بالبينات من ربِّكم ؟) ومنها قوله تعالى في المؤمن بعد ذكر بعض صفات الله تعالى (ذلكم اللهُ ربكم خالقُ كل شيءٍ لا إله إلا هو فأنّى تؤفكون؟) ومنها قوله تعالى فيها (ذلكم اللهُ ربكم فتبارك الله ربُّ العالمين * هو الحيُّ لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمدُ لله ربِّ العالمين) ومنها قوله تعالى في حم السجدة (قل أئنكم لتكفرُون بالذى خلق الارض في يومين وتجعلون له أنداداً ذلك ربُّ العالمين) ومنها قوله تعالى في الشورى (ذلكم اللهُ ربي عليه توكلتُ واليه أُنيب)

وأما الآيات الدالة على الامر الثاني فأكثر من أن تحصى منها بعض ما لآيات الامر الاول من الآيات ، ومنها ما أتلو عليك الآن فنقول

منها قوله تعالى في الفاتحة (إياك نعبدُ وإياك نستعين) وقوله تعالى في البقرة (ياأيها الناسُ اعبدُوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون * الذي جعل لكم الأرضَ فراشاً والسماء بناء وأنزلَ من السماء ماء فأخرجَ به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون) وقوله تعالى فيها (وإذ أخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون إلا الله) وقوله تعالى فيها (أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموتُ اذ قال لبنيه ماتعبدون من بعدي ؟ قالوا نعبد إلهك وإله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق إلها واحدا ونحن له مسلمون) وقوله تعالى فيها (وإلهكم إله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم) وقوله تعالى فيها (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون) وقوله تعالى فيها (الله لا اله الا هو الحي القيوم) وقوله تعالى في آل عمران (وما من اله الا الله) وقوله تعالى في النساء (انما الله اله واحد) وقوله تعالى في المائدة (وقال المسيح يابني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم انه من يشرك بالله فقد حرَّم اللهُ عليه الجنةَ ومأواه النار وما للظالمين من أنصار) وقوله تعالى فيها (وما من اله الا اله واحد) وقوله تعالى فيها (أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا) وقوله تعالى في الانعام (قل اني نُهيتُ أن أعبد الذين تدعون من دون الله) وقوله تعالى في الاعراف (ولقد أرسلنا نوحا — الى قوله — فقال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره) وقوله تعالى فيه (والى عاد أخاهم هودا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره) وقوله تعالى فيه (قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا ؟) وقوله تعالى فيه (والى ثمود أخاهم صالحا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره) وقوله تعالى فيه (والى مدين أخاهم شعيبا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره)

وقوله تعالى في التوبة (وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون)

ولا أظنك شاكا في أن مفهوم الرب ومفهوم الاله متغايران وإن كان مصداقهما في نفس الامر وفي اعتقاد المسلمين المخلصين واحدا، وذلك يقتضي تغاير مفهومي التوحيدين، فيمكن أن يعتقد أحد من الضالين توحيد الرب ولا يعتقد توحيد الاله، وأن يشرك واحد من المبطلين في الالوهية ولا يشرك في الربوبية، وإن كان هذا باطلا في نفس الامر، ألا ترى ان مصداق الرازق ومالك السمع والابصار والمحيي والمميت، ومدبر الامر، ورب السموات السبع ورب العرش الكريم، ومن بيده ملكوت كل شيء والخالق ومسخر الشمس والقمر ومنزل الماء من السماء ــ ومصداق الاله واحد؟ ومع ذلك كان مشركوا العرب يقرون بتوحيد الرازق ومالك السمع والابصار وغيرها، ويشركون في الالوهية والعبادة، والدليل عليه ما قال تعالى في سورة يونس (قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر؟ فسيقولون الله، فقل أفلا تتقون* فذلكم الله ربكم الحق، فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون؟)

وقوله تعالى في سورة المؤمنين (قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون؟ * سيقولون لله قل أفلا تذكرون* قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم؟* سيقولون لله قل أفلا تتقون * قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون؟ سيقولون لله قل فأنى تسحرون) وقوله تعالى في سورة العنكبوت (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون؟) وقوله تعالى فيها أيضا (ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله؟ قل الحمد لله بل أكثرهم

لا يعقلون) وقوله تعالى في سورة لقمان (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون) وقوله تعالى في سورة الزمر (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله) وقوله تعالى في سورة الزخرف (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم وقوله تعالى فيها أيضا (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون؟)

فكذلك عباد القبور الذين لم يبق فيهم من الاسلام إلا اسمه يقرون بتوحيد الرازق والمحيي والمميت والخالق والمؤثر والمدبر والرب[1] ومع ذلك يدعون غير الله من الاموات خوفا وطمعا ، ويذبحون لهم وينذرون لهم ويطوفون بهم ويحلقون لهم ، ويخرجون من أموالهم جزءا لهم ، وكون مصداق الرب عين مصداق الاله في نفس الامر وعند المسلمين المخلصين لا تقتضي اتحاد مفهوم توحيد الربوبية وتوحيد الالوهية ، ولا اتحاد مصداق الرب والاله عند المشركين من الامم الماضية وهذه الامة

أما تعقل ان لفظ توحيد الربوبية ، ولفظ توحيد الالوهية كلاهما مركبان اضافيان والمضاف في كليهما كلي ؟ وهذا غني عن البيان ، وكذلك المضاف اليه في كليهما ، فان الربوبية والالوهية معنيان مصدريان منتزعان من الرب والاله وهما كليان . أما الرب فلأن معناه المالك والسيد والمتصرف للاصلاح والمصلح والمدبر والمربي والجابر والقائم والمعبود ، وكل واحد مما ذكر معنى كلي

(١) الامر الواقع انهم يقرون بهذه الالفاظ كلفظ الاله ولكنهم يعتقدون ان للاولياء تأثيرا غيبيا في مصالحهم إما بالذات وإما بالشفاعة أو لكرامتهم عند الله ولذلك يدعونهم وحدهم او مع الله في طلب الرزق وتدبير الامور . فاعتقادهم شرك في الالوهية وعقيدتهم شرك بالربوبية . ومنهم من يسند اليهم التصرف في الكون كله ففي بعض كتب الرفاعية ان احمد الرفاعي كان يفقر ويغني ويسعد ويشقي ويميت ويحيي وفيها ان السموات السبع في رجله كالخلخال . وكتبه محمد رشيد رضا

وأما الاله فلأن معناه المعبود بحق أو باطل ، وهو معنى كلي فالمنتزع منهما أيضا يكون معنى كليا ، فتوحيد الربوبية اعتقاد أن الرب واحد سواء كان ذلك الرب عين الاله أو غيره ، وتوحيد الالوهية اعتقاد أن الاله واحد سواء كان ذلك الاله عين الرب أو غيره

وإذا تقرر هذا فنقول يمكن أن يوجد في مادة توحيد الربوبية ولا يوجد توحيد الالوهية كمن يعتقد أن الرب واحد ولا يعتقد أن الاله واحد بل يعبد آلهة كثيرة ، ويمكن أن يوجد في مادة توحيد الالوهية ولا يوجد توحيد الربوبية كمن يعتقد أن المستحق العبادة واحد ، ولا يعتقد وحدانية الرب ، بل يقول ان الارباب كثيرة متفرقة ، ويمكن أن يجتمعا في مادة واحدة كمن يعتقد أن الرب والاله واحد ، فثبت أن مفهوم توحيد الربوبية مغاير لمفهوم توحيد الالوهية

نعم توحيد الربوبية من حيث ان الرب مصداقه انما هو الله تعالى لا غير يستلزم توحيد الالوهية من حيث ان الاله مصداقه انما هو الله تعالى لا غير لكن هاتين الحيثيتين زائدتان على نفس مفهومي التوحيدين ثابتتان بالبرهان العقلي والنقلي

على انا لو قطعنا النظر عن بحث تغاير مفهومي التوحيدين فمطلوبنا حاصل ايضا فان توحيد الالوهية لا يتأتى إنكاره من أحد من المسلمين وهو كاف لاثبات اشراك عباد القبور فانهم إذا دعوا غير الله رغبة ورهبة وخوفا وطمعاً ، وطلبوا منهم ما لا يقدر عليه إلا الله ، ونحروا لهم ونذروا لهم وطافوا لهم وحلقوا لهم ، وأخرجوا من أموالهم جزءاً له ، وصنعوا غير ذلك من العبادات فقد عبدوا غير الله واتخذوهم آلهة من دون الله

(فان قلت) ان عبّاد القبور لا يعتقدون ان الاموات من الانبياء والصالحين أرباب وآلهة أصلا ، ولا يطلقون لفظ الارباب والالهة أبدا فكيف يكونون مشركين؟ (قلت) في هذا ذهول عن معنى الاشراك في الالوهية والعبادة فان

الاشراك في العبادة عبادة غير الله من الدعاء والذبح والنذر والطواف وغيرها سواء يعتقده ربا أو إلها أم لا؟ وسواء يطلق لفظ الرب والاله عليه أم لا ؟ يدل عليه الآيات الكثيرة منها قوله تعالى (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم — الى قوله — فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون) وقوله تعالى (قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا) وقوله تعالى (وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون) وقوله تعالى (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله، قل أتنبؤن الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض سبحانه وتعالى عما يشركون) وقوله تعالى (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) وقوله تعالى (وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار) وقوله تعالى (وأن أقم وجهك للدين حنيفا ولا تكونن من المشركين) وقوله تعالى (ءإله مع الله؟ تعالى الله عما يشركون) وقوله تعالى (فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون) وقوله تعالى : (ولقد أوحي اليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين * بل الله فاعبد وكن من الشاكرين) وقوله تعالى (قل انما أدعو ربي ولا أشرك به أحدا)

وأما استدلال المؤلف (١) على اتحاد توحيد الربوبية وتوحيد الالوهية بقوله تعالى (ألست بربكم؟ قالوا بلى) ولم يقل ألست بالهكم بأنه تعالى اكتفى منهم بتوحيد الربوبية فليس بشيء ، فان غاية ما يثبت من الآية أن الله تعالى لم يذكر في هذه الآية توحيد الالوهية ، وهذا لا دلالة له بشيء من الدلالات على

(١) أي دحلان

اتحادهما، فرب حكم يذكر في آية دون أخرى، وتوحيد الالوهية وان لم يذكر في هذه الآية فهو مذكور في الآيات التي تلونا آنفا، وتوجيه الاكتفاء بتوحيد الربوبية ليس منحصراً في أنهما لما كانا متحدين اكتفى بذكر أحدهما بل هناك احتمالات أخر

(الاول) ان الاقرار بتوحيد الربوبية مع لحاظ قضية بديهية وهي أن غير الرب لا يستحق للعبادة يقتضي الاقرار بتوحيد الالوهية عند من له عقل سليم وفهم مستقيم، فيكون الاقرار المذكور حجة عليهم كما احتج الله تعالى على المشركين بتوحيد الرازق، ومالك السمع والابصار، والمحيي والمميت، ومدبر الامر، ومن له الارض ومن فيها، ورب السموات السبع ورب العرش العظيم، ومن بيده ملكوت كل شيء، ومن خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر، ومن نزل من السماء ماء، ومن خلقهم — في الآيات التي تلبت فيما تقدم — على وحدانية الالوهية

قال الحافظ ابن كثير تحت قوله تعالى (قل من يرزقكم من السماء والارض أمن يملك السمع والابصار) الآية: يحتج تعالى على المشركين باعترافهم بوحدانية ربوبيته على وحدانية ألوهيته، وقال (فقل أفلا تتقون) أي أفلا تخافون منه أن تعبدوا معه غيره بآرائكم وجهلكم؟ وقوله (فذلكم الله ربكم الحق) الآية أي فهذا الذي اعترفتم بأنه فاعل ذلك كله هو ربكم والهكم الحق الذي يستحق أن يفرد بالعبادة، فماذا بعد الحق إلا الضلال، أي فكل معبود سواه باطل لا اله إلا هو واحد لا شريك له (فأنى تصرفون؟) أي فكيف تصرفون عن عبادته الى عبادة ما سواه وأنتم تعلمون أنه الرب الذي خلق كل شيء والمتصرف في كل شيء اه

وقال تحت قوله تعالى (قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون؟ سيقولون

لله) الآية يقرر تعالى وحدانيته واستقلاله بالخلق والتصرف والملك ليرشد إلى أنه الله الذي لا إله إلا هو ولا تنبغي العبادة إلا له وحده لا شريك له ، ولهذا قال لرسوله محمد ﷺ أن تقول للمشركين العابدين معه غيره المعترفين له بالربوبية وأنه لا شريك له فيها ، ومع هذا فقد أشركوا معه في الالهية فعبدوا غيره معه ، مع اعترافهم أن الذين عبدوهم لا يخلقون شيئاً ولا يملكون شيئاً ولا يستبدون بشيء ، بل اعتقدوا أنهم يقربونهم إليه زلفى (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) فقال (قل لمن الأرض ومن فيها) أي من مالكها الذي خلقها ومن فيها من الحيوانات والنباتات والثمرات وسائر صنوف المخلوقات (إن كنتم تعلمون؟ سيقولون لله) أي فيعترفون لك بأن ذلك لله وحده لا شريك له . فإذا كان ذلك (قل أفلا تذكرون) أنه لا تنبغي العبادة إلا للخالق الرازق لا لغيره (قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم؟) أي من هو خالق العالم العلوي بما فيه من الكواكب النيرات، والملائكة الخاضعين له في سائر الاقطار والجهات ، ومن هو رب العرش العظيم ، يعني الذي هو سقف المخلوقات قال وقوله (سيقولون لله قل أفلا تتقون) أي إذا كنتم تعترفون بأنه رب السموات ورب العرش العظيم أفلا تخافون عقابه وتحذرون عذابه في عبادتكم معه غيره وإشراككم به ؟

قال وقوله (سيقولون لله) أي سيعترفون أن السيد العظيم الذي يجير ولا يجار عليه هو الله تعالى وحده لا شريك له (قل فأنى تسحرون ؟) أي فكيف تذهب عقولكم في عبادتكم معه غيره مع اعترافكم وعلمكم بذلك اهـ

وقال تحت قوله تعالى (الله خيرٌ أمّا يشركون ؟ أمّن خلق السموات والارض وأنزل لكم من السماء ماءً فأنبتنا به حدائق ذات بهجة . ما كان لكم أن تُنبتوا شجرها ، أإلهٌ مع الله ؟ بل هم قوم يعدلون) استفهام انكار على المشركين في عبادتهم مع الله آلهة أخرى ثم شرع يبين انه

المتفرد بالخلق والرزق والتدبير دون غيره ، أي لم تكونوا تقدرون على إنبات أشجارها ،وإنما يقدر على ذلك الخالق والرازق المستقل بذلك ، المنفرد به دون ماسواه من الاصنام والانداد كما يعترف به هؤلاء المشركون كماقال الله تعالى في الآية الاخرى (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله – ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله) أيهم معترفون بأنه الفاعل لجميع ذلك وحده لا شريك له ، ثم هم يعبدون معه غيره مما يعترفون انه لا يخلق ولا يرزق ،وانما يستحق أن يفرد بالعبادة من هو المنفرد بالخلق والرزق ، ولهذا قال تعالى (أإله مع الله ؟) يعبد وقد تبين لكم ولكل ذي لب مما يعترفون به أيضا انه الخالق الرازق اهـ

وقال تحت قوله تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون؟) الآية : يقول تعالى مقرراً انه لا إله الا هو،لان المشركين الذين يعبدون معه غيره معترفون بأنه المستقل بخلق السموات والارض والشمس والقمر وتسخير الليل والنهار ، وانه الخالق الرازق لعباده ، ومقدر آجالهم واختلاف أرزاقهم ففوت بينهم، فمنهم الغني والفقير وهو العليم بما يصلح كلا منهم ، ومن يستحق الغنى ممن يستحق الفقر ،فذكر انه المستقل بخلق الاشياء المتفرد بتدبيرها ،فاذا كان الامر كذلك فلم يعبد غيره ولم يتوكل على غيره ؟ فكما انه الواحد في ملكه فليكن الواحد في عبادته ، وكثيرا مايقرر تعالى مقام الالهية بالاعتراف بتوحيد الربوبية ، وقد كان المشركون يعترفون بذلك كما كانوا يقولون في تلبيتهم : لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك، تملكه وماملك اهـ

وقال تحت قوله تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل الحمد لله) الآية يقول تعالى مخبرا عن هؤلاء المشركين به انهم يعرفون ان الله خالق السموات والارض وحده لا شريك له ومع هذا يعبدون معه شركاء يعترفون

انها خلق له وملك له ولهذا قال تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل الحمد لله) أي إذ قامت عليكم الحجة باعترافكم (بل اكثرهم لا يعلمون) اهـ

وقال تحت قوله تعالى (يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض؟ لا إله الا هو فأنى تؤفكون؟) ينبه تعالى عباده ويرشدهم إلى الاستدلال على توحيده في افراد العبادة له كما انه المستقل بالخلق والرزق فكذلك فليفرد بالعبادة، ولا يشرك به غيره من الاصنام، والانداد والاوثان، ولهذا قال تعالى (لا إله الا هو فأنى تؤفكون؟) أي فكيف تؤفكون بعد هذا البيان، ووضوح هذا البرهان؟ وأنتم بعد هذا تعبدون الانداد والاوثان اهـ

وقال تحت قوله تعالى (ذلكم الله ربكم له الملك لا اله الا هو فأنى تصرفون) أي هذا الذي خلق السموات والارض وما بينهما، وخلقكم وخلق آباءكم، وهو الرب له الملك والتصرف في جميع ذلك (لا اله الا هو) أي الذي لا تنبغي العبادة الا له وحده لا شريك له (فأنى تصرفون؟) أي فكيف تعبدون معه غيره؟ أين يذهب بعقولكم؟ اهـ

وقال تحت قوله تعالى في الزمر (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله) يعني المشركين كانوا يعترفون بأن الله عز وجل هو الخالق للاشياء كلها ومع هذا يعبدون معه غيره ممن لا يملك لهم ضرا ولا نفعا اهـ

وقال تحت قوله تعالى في الزخرف (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم) يقول تعالى ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين بالله العابدين معه غيره، من خلق السموات والارض؟ ليقولن خلقهن العزيز العليم أي ليعترفن بأن الخالق لذلك هو الله وحده لا شريك له وهم مع هذا يعبدون معه غيره من الاصنام والانداد اهـ

وقال تحت قوله تعالى فيه أيضا (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى

يؤفكون؟) أي ولئن سألت هؤلاء المشركين بالله العابدين معه غيره من خلقهم؟ (ليقولن الله) أي هم يعترفون انه الخالق للاشياء جميعها وحده لا شريك له في ذلك ومع هذا يعبدون معه غيره ممن لا يملك شيئا ولا يقدر على شيء فهم في ذلك في غاية الجهل والسفاهة وسخافة العقل ولهذا قال تعالى (فأنى يؤفكون؟) اهـ

(والاحتمال الثاني) ان في الآية اختصارا والمقصود «ألست بربكم والهكم؟» يدل عليه أثر ابن عباس ان الله مسح صلب آدم فاستخرج منه كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة، فأخذ منهم الميثاق أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وتكفل لهم بالارزاق الحديث، وأثر أبي بن كعب في قوله تعالى (واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم) الآية قال فجمعهم له يومئذ جميعا ماهو كائن منه الى يوم القيامة فجعلهم في صورهم ثم استنطقهم فتكلموا وأخذ عليهم العهد والميثاق وأشهدهم على أنفسهم (ألست بربكم؟ قالوا بلى) الآية قال فاني أشهد عليكم السموات السبع والارضين السبع وأشهد عليكم أباكم آدم أن تقولوا يوم القيامة لم نعلم بهذا، اعلموا انه لا اله غيري ولا رب غيري ولا تشركوا بي شيئا، واني لأرسل اليكم رسلي لينذروكم عهدي وميثاقي وأنزل عليكم كتبي، قالوا نشهد انك ربنا والهنا لا رب لنا غيرك ولا اله لنا غيرك فأقروا له يومئذ بالطاعة. ذكر هذين الاثرين الحافظ ابن كثير في تفسيره

وقال أيضا فيه يخبر تعالى انه استخرج ذرية بني آدم من أصلابهم شاهدين على أنفسهم ان الله ربهم ومليكهم وانه لا اله الا هو كما انه تعالى فطرهم على ذلك وجبلهم عليه اهـ

(والاحتمال الثالث) أن المراد بالرب، المعبود، قال القرطبي والرب المعبود، وعن عكرمة في تفسير قوله تعالى (ولا يتخذ بعضنا بعضاً أربابا من دون الله) قال: يسجد بعضنا لبعض، كذا قال الحافظ ابن كثير في تفسيره وغيره، وقال الله تعالى في سورة التوبة (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا

من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون) فالمراد بالارباب في تلك الآية هم المعبودون بدليل قوله تعالى (وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هوسبحانه عما يشركون) وكذلك فهم عدي بن حاتم (رض) وقرره النبي ﷺ عليه ، روى الامام أحمد والترمذي وابن جرير من طرق عن عدي بن حاتم (رض) أنه لما بلغته دعوة رسول الله ﷺ فر إلى الشام وكان قد تنصر في الجاهلية فأسرت أخته وجماعة من قومه ، ثم من رسول الله ﷺ علي أخته وأعطاها فرجعت إلى أخيها فرغبته في الاسلام وفي القدوم على رسول الله ﷺ ، فقدم عدي المدينة وكان رئيساً في قومه طيء وأبوه حاتم الطائي المشهور بالكرم ، فتحدث الناس بقدومه ، فدخل على رسول الله ﷺ وفي عنق عدي صليب من فضة وهو يقرأ هذه الآية (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله) قال فقلت انهم لم يعبدوهم ، فقال « بلى انهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم فذلك عبادتهم اياهم » الحديث

وقوله(١) ﴿ ومن المعلوم أن من أقر لله بالربوبية فقد أقر له بالالوهية إذ ليس الرب غير الاله بل هو الاله بعينه ﴾

فيه أنه ان اراد أن مفهوم الرب عين مفهوم الاله فقد تبين بطلانه آنفاً فيما سلف ، وان أراد ان مصداقه عين مصداق الاله ، فهذا حق بحسب نفس الامر واعتقاد المسلمين المخلصين ولكن المشركين من الامم الماضية وهذه الامة لا يسلمون عينية مصداقهما ، وإذا كان الامر كذلك فأمكن منهم أن يقروا لله بتوحيد الربوبية

---

(١) أي دحلان

ولا يقروا له بتوحيد الالوهية(١) وقد وقع كذلك دل عليه قوله تعالى في المؤمنون (قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم؟ سيقولون لله قل أفلا تتقون) ففي هذه الآية أن المشركين كانو معترفين بأن الله هو رب السموات السبع ورب العرش العظيم ومع ذلك كانوا يعبدون الاصنام والاوثان ، وههنا بحثان

(الاول) ان الآية لا يثبت منها إلا ثبوت الربوبية لله تعالى لا ان غيره تعالى ليس ربا اذ ليس هناك أداة حصر

(والثاني) ان الثابت منها انه هو ربوبيته تعالى للسموات السبع والعرش العظيم فحسب لا ربوبيته لجميع المخلوقات ، فيحتمل أن يكون رب غير السموات السبع والعرش العظيم عندهم غير الله تعالى

والجواب عن الاول أن عدم ذكر المشركين غير الله تعالى في جواب السؤال برهان واضح على انحصار الربوبية ، فان السكوت في معرض البيان بيان سيما فيما يتم به عليهم الحجة ، فلو كان غير الله عندهم ربا لذكروه في الجواب البتة(٢)

والجواب عن الثاني أن المقصود أن رب جميع المخلوقات هو الله تعالى ، وتخصيص السموات السبع والعرش العظيم بالذكر لانها من أكبر الاجرام وأعظمها وأشدها خلقا يدل عليه ان معنى الرب هو المالك المتصرف وكون الله تعالى وحده مالكا متصرفا لجميع المخلوقات ، ثابت باقرار المشركين قال الله تعالى (قل من يرزقكم من السماء والارض أمن يملك السمع والابصار

(١) الصواب الواقع أنهم يقرون له تعالى وحده باسم الرب واسم الاله ، ويشركون أولياءه معه في معناها جهلا منهم بمدلول اللغة لانها ليست لغتهم بالسليقة بخلاف عرب الجاهلية ، فالرب هو المدبر لكل امر والمتصرف فيه بكل شيء غير مقيد بالاسباب وهؤلاء يشركون معه غيره في هذا التصرف الخاص بالربوبية ولكنهم يسمون اولياءهم متصرفين ومدبرين ولا يسمونها اربابا كما تقدم قريبا وكتبه محمد رشيد رضا (٢) أي حتى والبتة أخذتها تستعمل في النفي فقط

ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر؟فسيقولون الله فقل أفلا تتقون * فذلكم الله ربكم الحق) وقال الله تعالى (قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون؟ سيقولون لله قل أفلا تذكرون) وقال تعالى قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون؟ سيقولون لله قل فأنى تسحرون) وقال تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر؟ ليقولن الله فأنى يؤفكون) وقال تعالى (ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الارض من بعد موتها ؟ ليقولن الله، قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون)

فان قلت هناك آيات دالة على أن المشركين لم يكونوا مقرين بتوحيد الربوبية منها قوله تعالى (ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله) فهذا دال على أن المشركين من أهل الكتاب كانوا هم يتخذ بعضهم بعضاً أربابا من دون الله ومنها قوله تعالى (فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين) إلى قوله (يا قوم اني بريء مما تشركون) فان الخليل عليه السلام قال هذا في الثلاث الآيات مستعملا لهم مبكتا متكلما على خطئهم حيث يسمون الكواكب أربابا، ومنها قوله تعالى (أغير الله ابغي ربا وهو رب كل شيء ؟) وهذا نص على أن المشركين كانوا يبغون غير الله من الاصنام والاوثان ربا ومنها قوله تعالى (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم) ومنها قوله تعالى (ياصاحبي السجن أرباب متفرقون أم الله الواحد القهار؟) . فان يوسف عليه السلام سماهم أربابا لانهم كانوا يسمونهم كذلك ، ومنها قوله تعالى (فقال أنا ربكم الاعلى) فهذا يدل على أن فرعون كان يثبت الربوبية لنفسه وغيره من الاوثان

(قلت) جوابه بوجوه

(الاول) انه ليس في شيء من الآيات المذكورة أن مشركا قال في حق غير الله تعالى إنه رب[1] غير أن فرعون قال أنا ربكم الاعلى وهو لم يكن مشركا بالله بل دهريا منكراً لله تعالى حيث قال وما رب العالمين ؟ انما هو في بعضها اتخاذ الارباب، وهذا ليس نصاً على أنهم مقرون بربوبيتهم بل يحتمل أن يكون اتخاذهم الارباب بمعنى صرف شيء من العبادة اليهم، أو بمعنى اتباع ماشرعوا لهم من تحريم الحلال وتحليل الحرام لا أنهم كانوا يطلقون لفظ الرب عليهم

قال العلامة الامام حسن بن خالد (رح) في (منحة قوت القلوب في إخلاص توحيد علام الغيوب) ومن هنا تعلم أن من صرف شيئاً من العبادة إلى غير الله فقد اتخذه ربا، أما كونه اتخذه إلها فقد صار له مألوها والمألوه المعبود، واذا كان رسول الله ﷺ قال لاصحابه وقد سأله بعض حديثي الاسلام منهم أن يجعل لهم ذات أنواط فقال «الله أكبر هذا كما قال بنو اسرائيل اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة لتركبن سنن من كان قبلكم» أخرجه بن أبي شيبة وأحمد والترمذي وصححه والنسائي عن أبي واقد الليثي مع أنهم لا يعبدون الشجرة ولا يسألونها بل ينوطون بها أسلحتهم ومتاعهم، فجعل اتخاذهم لها لذلك اتخاذ آلهة فكيف بقصد مخلوق معظم ندعوه والهتف به عند الشدائد، فأي نسبة للقضية

---

[1]) هذا النفي العام غير مسلم فان بعض البشر اتخذوا اربابا من دون الله ومن اتخذ ربا سماه ربا إن كانت هذه التسمية لغة قومه، وقريش ما كانت تتخذ آلهتها أربابا. والنصارى يسمون المسيح ربهم ولا يطلقون اسم الرب على من عبدوهم من دونه ومن اتخذوهم اربابا وآلهة وكذلك من اتبع سننهم من مبتدعة المسلمين كما تقدم وراجع تفسير (اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا) الآية في الجزء العاشر من تفسير المنار. وقوم ابراهيم اتخذوا الكواكب اربابا والاصنام آلهة فراجع قصته في سورة الانعام وتفسيرها في الجزء السابع من تفسير المنار والمصنف ومن نقل عنهم ما كانوا يعرفون تاريخ الكلدانيين وامثالهم من القدماء . وكتبه محمد رشيد رضا

بشجرة الى الفتنة بمن توحي اليهم الشياطين ؟ وأما كونه قد اتخذه ربا فلتشبيهه لله في الربوبية ، وقد قال الله تعالى (ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا)

وسبب نزول هذه الآية ما ذكروا أن اليهود والنصارى قالوا للنبي ﷺ أتريد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى بن مريم ؟ فقال رسول الله ﷺ «معاذ الله أن يعبد غير الله أو نأمر بعبادة غير الله ما بذلك بعثني ولا بذلك أمرني » فأنزل الله تعالى في ذلك (ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون * ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون) فالرسول نفى أن يعبد غير الله أو يأمر بعبادة غير الله في جوابه عليهم ، والقرآن نزل بنفي أمره باتخاذ الملائكة والنبيين أربابا ، لان الربوبية من لوازم الالهية ، فنفي أحدهما نفي للآخر ، واثبات أحدهما اثبات للآخر ، لان المعبود لا بد أن يكون مالكا للنفع والضر ، ومن يملك النفع والضر هو المعبود ، فمن أثبت العبادة لأحد فقد أثبت له الربوبية ومن أثبت الربوبية لاحد فقد أوجب له العبادة اه

وقال أيضا فيه : اذا علمت أن معنى الرب المتصرف المالك ، وأن معنى الاله المعبود ، وأن معنى الالاهه والالوهة العبادة والمعبودية ، وأن العبادة هي أقصى مراتب الخضوع حبا وذلا ، علمت أن من قصد غير الله بشيء من العبادة أو أثبت له بعض خواص الرب سبحانه وتعالى فقد اتخذه ربا والها سواء أطلق عليه اسم الاله أم لم يطلقه ، فان الاله المعبود وغلب على المعبود بحق وهو الله تعالى اه

وفي بعضها قول الخليل عليه السلام هذا ربي . وهذا ليس مما عرى أن قومه عليه السلام يسمون الكواكب أربابا اذ في الآية أقوال

منها أنه كان هذا منه عليه السلام عند قصور النظر لانه في زمن الطفولية، وقيل كان بعد بلوغ ابراهيم (ع م) ثم اختلف في تأويل هذه الآية فقيل أراد قيام الحجة على قومه كالحاكي لما هو عندهم وما يعتقدونه لاجل الزامهم ، وقيل معناه أهذا ربي ؟ أنكر أن يكون مثل هذا ربا ، وقيل المعنى وأنتم تقولون هذا ربي. فأضمر القول ، وقيل المعنى على حذف مضاف أي هذا دليل ربي

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره : وقد اختلف المفسرون في هذا المقام هل هو مقام نظر أو مناظرة ؟ فروى ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ما يقتضي أنه مقام نظر ، واختاره ابن جرير مستدلا عليه بقوله (لئن لم يهدني ربي) الآية، وقال محمد بن اسحق قال ذلك حين خرج من السرب الذي ولدته فيه أمه حين تخوفت عليه من نمرود بن كنعان لما كان قد أخبر بوجود مولود يكون ذهاب ملكه على يديه فأمر بقتل الغلمان عامئذ ، فلما حملت أم ابراهيم به وحان وضعها ذهبت به الى سرب ظاهر البلد فولدت فيه ابراهيم وتركته هناك وذكر أشياء من خوارق العادات كما ذكره غيره من المفسرين من السلف والخلف ، والحق ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام كان في هذا المقام مناظراً لقومه مبيناً لهم بطلان ما كانوا عليه من عبادة الهياكل والاصنام ، فبين في المقام الاول مع أبيه خطأهم في عبادة الاصنام الارضية التي هي على صورة الملائكة السماوية ليشفعوا لهم الى الخالق العظيم الذي هم عند أنفسهم أحقر من أن يعبدوه ، وانما يتوسلون اليه بعبادة ملائكته ليشفعوا لهم الى الخالق عنده في الرزق وغير ذلك مما يحتاجون اليه ، وبين في هذا المقام خطأهم وضلالهم في عبادة الهياكل وهي الكواكب السيارة السبعة المتحيرة اهـ

(قلت) لا يخفى عليك أن عبارة الحافظ دالة على أن مقصود ابراهيم (ع م) بهذا القول بيان بطلان ما كانوا عليه من عبادة الهياكل ، وهذا لا يتوقف على

كون قومه قائلين بربوبية الهياكل بل يستقيم هذا البيان على تقدير كون قومه جاحدين لربوبيتها أيضا بأن يقال ان هذه الهياكل اذ لا تصلح للربوبية فكيف تصلح للالهية؟ وفي بعضها أن الله تعالى أمر نبيه ﷺ أن يقول (أغير الله أبغي ربا وهو رب كل شيء؟) ففيه بغي غير الله رب وهو مثل اتخاذ الرب

وقد عرفت فيما تقدم ان اتخاذ شيء ربا ليس نصا على اقرار ربوبيته لاحتمال أن يكون اتخاذ الرب بمعنى صرف شيء من العبادة اليه أو بمعنى اتباع ما شرعوا لهم يدل عليه ما في التفاسير من أنه جواب على المشركين لما دعوه الى عبادة غيره سبحانه . قال الحافظ ابن كثير في تفسيره : يقول تعالى قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله في اخلاص العبادة له والتوكل عليه (أغير الله أبغي ربا؟) أي أطلب ربا سواه وهو رب كل شيء يربيني ويحفظني ويكلؤني ويدبر أمري أي لا أتوكل الا عليه ولا أنيب الا اليه، لانه رب كل شيء ومليكه، وله الخلق والامر، ففي هذه الآية الامر باخلاص العبادة والتوكل كما تضمنت الآية التي قبلها اخلاص العبادة له لا شريك له اهـ

وفي بعضها أن يوسف (ع . م) قال لصاحبي السجن (أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار؟) وهذا ليس فيه تصريح أنهم كانوا يطلقون لفظ الارباب على الاصنام حتى يلزم انكار توحيد الربوبية ، بل يحتمل أن يكون المقصود بين بطلان ما كانوا عليه من عبادة الاصنام بأن القول بالارباب المتفرقة باطل قطعاً لا يتأتى انكاره من أحد من أهل العقل ، وما لا يصلح للربوبية لا يصلح للعبادة دل عليه قوله تعالى (ما تعبدون من دونه الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان، ان الحكم الا لله، أمر أن لا تعبدوا الا اياه، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون)

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره : ان يوسف (ع . م) قبل ...

بالمخاطبة والدعاء لهما الى عبادة الله وحده لا شريك له وخلع ما سواه من الاوثان التي يعبدها قومهما فقال (أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ؟) أي الذي ذل كل شيء لعز جلاله وعظمة سلطانه اه

وجملة القول انه ليس في آية من الآيات ان واحداً من المشركين قال ان غير الله رب حتى يلزم إنكار توحيد الربوبية

(والوجه الثاني) انه يحتمل أن يكون المراد بالرب في الآيات المذكورة المعبود وقد عرفت فيما تقدم ان الرب ربما يجيء بمعنى المعبود

(والثالث) ان الكلام في مشركي العرب، والآيات المذكورة أكثرها في حق غيرهم من مشركي أهل الكتاب وقوم ابراهيم وقوم يوسف عليهما السلام(١) فلا يصح بتلك الآيات الاستدلال على أن مشركي العرب لم يكونوا مقرين بتوحيد الربوبية . ولعلك قد تفطنت من ههنا فساد قول العلامة محمد بن اسماعيل الامير حيث قال «فان قلت» أهل الجاهلية تقول في أصنامها انهم يقربونهم إلى الله زلفى كما تقوله القبوريون (ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) كما تقوله القبوريون (قلت) لا سواء فان القبوريين مثبتون التوحيد لله قائلون انه لا إله إلا هو ، ولو ضربت عنقه على أن يقول ان الولي إله مع الله لما قالها، بل عنده اعتقاد جهل ان الولي لما أطاع الله كان له بطاعته عنده تعالى جاه به تقبل شفاعته ويرجى نفعه ، لا انه إله مع الله بخلاف الوثني فانه امتنع عن قول لا إله الا الله حتى ضربت عنقه زاعماً ان وثنه إله مع الله ويسميه رباً وإلهاً . قال يوسف عليه السلام (أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ؟) سماهم أرباباً لانهم كانوا يسمونهم بذلك كما قال الخليل (هذا ربي) في الثلاث الآيات مستفهماً لهم مبكتاً متكلماً على خطئهم حيث يسمون الملائكة أرباباً وقالوا (أجعل الالهة إلهاً واحداً) وقال قوم ابراهيم

(١) هذا الوجه اوجه الوجوه الثلاثه واصحها في المسألة . وكتبه محمد رشيد رضا

(من فعل هذا بآلهتنا)(أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم؟)وقال ابراهيم (ءإفكا آلهة دون الله تريدون) ومن هنا يعلم أن الكفار غير مقرين بتوحيد الالوهية والربوبية كما توهمه من توهم من قوله (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله) (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم) (قل من يرزقكم من السماء والارض - الى قوله - ليقولون الله) فهذا اقرار بتوحيد الخالقية والرازقية ونحوهما لا انه اقرار بتوحيد الربوبية لانهم يجعلون أوثانهم أربابا كما عرفت اه

وجه الفساد ان الاقرار بتوحيد الخالقية والرازقية ونحوهما اقرار بتوحيد الربوبية لما عرفت في تقدم من أن معنى الرب هو المالك المتصرف وكون الله تعالى وحده خالقا ورازقا ونحوهما يستلزم كونه تعالى وحده مالكا متصرفا في جميع المخلوقات على أن قوله تعالى في المؤمنون (قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم ؟ سيقولون لله) نص على الاقرار بتوحيد الربوبية واضح ؛ وقد علمت الجواب عما فيه من البحثين فتذكر ، وأما قوله يجعلون أوثانهم أربابا فقد عرفت الجواب عنه فيما سلف بما لا مزيد عليه (١)

***

قوله «ومما يعتقده هؤلاء الملاحدة المكفرة للمسلمين ان قصد الصالحين والاعتقاد فيهم والتبرك بهم شرك أكبر»

أقول جوابه قراءة قوله تعالى (سبحانك هذا بهتان عظيم) لم يقل أحد

---

١) وقد علمت مما سلف أيضا ان الفرق بين المسلم والجاهلي في اطلاق اسم العبادة والاله ان التسمية عند الاول اصطلاحية وعند الثاني لغوية فكل تعظيم ودعاء فيما هو فوق الاسباب يسمى عنده عبادة و يسمى المعظم المطلوب منه ذلك معبودا وإلها لان هذا مقتضى لغته والمسلم ليس كذلك فهو لا يعرف لهذه الاسماء إلا المعنى الشرعي وان جهل اصله اللغوي . وكتبه محمد رشيد رضا

من الموحدين المتبعين للكتاب والسنة قالوا ان قصد الصالحين والاعتقاد فيهم والتبرك بهم شرك ، سينالهم ان شاء الله تعالى هذا المفتري غضب من ربه وذلة في الحياة الدنيا . قال الله تعالى (ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين) انما منعوا الناس أن يشدوا الرحال لزيارة قبور الصالحين وأين هذا من ذلك ؟ ولم يقولوا فيه أيضاً انه شرك أكبر انما قالوا انه بدعة محرمة

قوله « فان رسول الله ﷺ أمر صاحبيه عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب

(رض) أن يقصدا أويس القرني ويسألاه الدعاء والاستغفار كما في صحيح مسلم

أقول ليس في صحيح مسلم في فضل أويس (رض) الا حديث عمر (رض) والفاظه مختلفة ففي رواية أن رسول الله ﷺ قد قال « ان رجلا يأتيكم من اليمن يقال له أويس لا يدع باليمن غير أم له قد كان به بياض فدعا الله فأذهبه عنه الا موضع الدينار أو الدرهم فمن لقيه منكم فيستغفر لكم » وفي لفظ سمعت رسول الله ﷺ يقول « ان خير التابعين رجل يقال له أويس وله والدة وكان به بياض فمروه فيستغفر لكم » وفي لفظ سمعت رسول الله ﷺ يقول « يأتي عليكم أويس بن عامر مع امداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن كان به برص فبرأ منه الا موضع درهم له والدة هو بها بر لو أقسم على الله لأبره فان استطعت أن يستغفر لك فافعل » فاستغفر لي فاستغفر له اه

وليس فيه أن رسول الله ﷺ أمر صاحبيه عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب أن يقصدا أويسا ، ولو كان هذا اللفظ واقعاً في حديث لما كان فيه حجة للخصم أيضاً . فان هذا اللفظ لا يقتضي جواز شد الرحال لزيارة الاحياء فضلا عن جوازه لزيارة الاموات الذي كلامنا فيه ، وما ورد في صحيح مسلم

ليس فيه إلا أنه ان جاءنا أحد من أهل الخير والصلاح فمن لقيه منا فطلب الدعاء له منه جائز وهذا لا ينكره أحد

قوله ﴿ وأما التبرك بآثار الصالحين - إلى قوله - ليس فيه شيء من الاشراك ولا الحرمة ، وانما هؤلاء القوم يلبسون على المسلمين توصلا إلى أغراضهم فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ﴾

أقول هذه اطالة لا طائل تحتها ، فانه ليس أحد منا معاشر أهل التوحيد والسنة منكراً للتبرك بآثار الصالحين ، انما نمنع شد الرحال لزيارة قبور الصالحين ودعاء الاموات وطلب الدعاء منهم ، والروايات المذكورة ليس فيها أثر من جواز هذه الامور

قوله ﴿ كان محمد بن عبد الوهاب الذي ابتدع هذه البدعة يخطب للجمعة في مسجد الدرعية ويقول في كل خطبة ومن توسل بالنبي فقد كفر ﴾

أقول هذه المسألة من المسائل التي أجاب الشيخ نفسه عنها في الرسالة التي كتبها إلى عبد الله بن سحيم بما نصه

فهذه اثنا عشر[1] مسألة جوابي فيها أن أقول سبحانك هذا بهتان عظيم ، ولكن قبله من بهت محمداً ﷺ أنه يسب عيسى بن مريم ويسب الصالحين (تشابهت قلوبهم) وبهتوه بأنه يزعم أن الملائكة وعيسى وعزير في النار فأنزل الله في ذلك (إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون) الآية

قال الشيخ حسن بن غنام الاحسائي في روضة الافكار والافهام (العاشرة) قولهم في الاستسقاء لا بأس بالتوسل بالصالحين ، وقول أحمد يتوسل بالنبي ﷺ خاصة مع قولهم انه لا يستغاث بمخلوق ، فالفرق ظاهر جداً وليس الكلام مما

1) الصواب اثنتا عشرة

نحن فيه ، فكون بعض يرخص بالتوسل بالصالحين وبعضهم يخصه بالنبي ﷺ ، وأكثر العلماء ينهى عن ذلك ويكرهه هذه المسألة من مسائل الفقه، ولو كان الصواب عندنا قول الجمهور أنه مكروه فلا ننكر من فعله ولا انكار في مسائل الاجتهاد ، لكن انكارنا على من دعا المخلوق أعظم مما يدعو الله تعالى ويقصد القبر يتضرع عند الشيخ عبد القادر أو غيره يطلب منه تفريج الكربات، وإغاثة اللهفات، وإعطاء الرغبات، فأين هذا ممن يدعو الله مخلصا له الدين؟ لا يدعو مع الله أحداً ولكن يقول في دعائه أسألك بنبيك أو بالمرسلين أو بعبادك الصالحين أو يقصد قبر معروف أو غيره يدعو عنده لكن لا يدعو إلا الله يخلص له الدين ، فأين هذا مما نحن فيه ؟ اهـ

وقال بعض المحققين في الرد على كتاب جلاء الغمة : إذا ظهر هذا وعرفت أن كلام الشيخ متجه لا غبار عليه (فاعلم) أن قول هذا الملحد فجعل بكلامه هذا كما ترى التوسل بذوات الصالحين والرسل عليهم الصلاة والسلام وطلبه جل وعلا بأوليائه من دين المشركين الشرك الأكبر المخرج عن الملة وكفر به كما ترى صريحاً من قوله تمويه وتلبيس أدخل فيه قوله وطلبه جل وعلا بأوليائه ليوهم الجهال ومن لا علم عندهم بحقيقة الحال

وموضوع الكلام أن مراد الشيخ مسألة التوسل في دعاء الله بجاه الصالحين وهذه مسألة ودعاء الصالح وقصده فيما لا يقدر عليه إلا الله مسألة أخرى، فخلطهما يروج بذلك فقبحاً قبحاً ، وسحقاً سحقاً ، لمن ورث اليهود وحرف الكلم عن مواضعه : وكلام الشيخ صريح فيمن دعا مع الله إلهاً آخر في حاجته وملماته وقصده بعباداته فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى كحال من عبد عبد القادر، أو أحمد البدوي، أو العيدروس، أو علياً أو الحسين: ومع هذا الصنيع الفظيع والشرك الجلي يقول أنا لا أشرك بالله شيئاً، وأشهد أنه لا يخلق ولا يرزق ولا ينفع ولا

يضر إلا الله، ظنا منهم أن ذلك هو الاسلام فقط ، وأنه ينجو به من الشرك وما رتب عليه، فكشف الشيخ شبهته، وأدحض حجته، بما تقدم من الآيات (وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم)

وأما مسألة الله بحق أنبيائه وأوليائه أو بجاههم بأن يقول السائل: اللهم اني أسألك بحق أنبيائك أو بجاه أوليائك أو نحو هذا فليس الكلام فيه ، ولم يقل الشيخ انه شرك ولا له ذكر في كلامه ، وحكمه عند أهل العلم معروف ، وقد نص على المنع منه جمهور أهل العلم بل ذكر الشيخ[1] في رده على ابن البكري أنه لا يعلم قائلا بجوازه إلا ابن عبد السلام في حق النبي ﷺ ولم يجزم بذلك بل علق القول به على ثبوت حديث الاعمى وصحته . وفيه من لا يحتج به عند أهل الحديث ، وعلى تسليم صحته فليس الكلام فيه . وفي المثل أريها السهى[2] وتريني القمر اهـ

وأيضا قال فيها والتوسل صار مشتركا في عرف كثير ؛ فبعض الناس يطلقه على قصد الصالحين ودعائهم وعبادتهم مع الله ؛ وهذا هو المراد بالتوسل في عرف عباد القبور وأنصارهم وهو عبادة الله ورسوله وعند أولي العلم من خلقه بالشرك الاكبر والكفر البواح ، والاسم لا تغير الحقائق . ويطلق أيضا في عرف السنة والقرآن وأهل العلم بالله ورسله على التوسل والتقرب إلى الله تعالى بما شرعه من الايمان به وتوحيده وتصديق رسله وفعل ما شرعه من الاعمال الصالحة التي يحبها الرب ويرضاها كما توسل أهل الغار الثلاثة بالبر والعفة والامانة؛ فهذا اطلاق التوسل في كتاب تعالى وسنة رسوله وكلام أهل العلم من خلقه فهذا هو المراد لا ما اصطلح عليه المشركون الجاهلون بحدود ما أنزل الله على رسوله فلبس هذا المعترض بكلمة مشتركة ترويجا لباطله اهـ

---

(١) يعني تقي الدين بن تيمية

(٢) السهى نجم صغير يقرب صورة الدب الاكبر يمتحن به حدة البصر لشدة صغره

نحن فيه ، فكون بعض يرخص بالتوسل بالصالحين وبعضهم يخصه بالنبي ﷺ ، وأكثر العلماء ينهى عن ذلك ويكرهه هذه المسألة من مسائل الفقه، ولو كان الصواب عندنا قول الجمهور أنه مكروه فلا ننكر من فعله ولا انكار في مسائل الاجتهاد، لكن انكارنا على من دعا المخلوق أعظم مما يدعو الله تعالى ويقصد القبر يتضرع عند الشيخ عبد القادر أو غيره يطلب منه تفريج الكربات، واغاثة اللهفات، واعطاء الرغبات، فأين هذا ممن يدعو الله مخلصا له الدين؟ لا يدعو مع الله أحداً ولكن يقول في دعائه أسألك بنبيك أو بالمرسلين أو بعبادك الصالحين أو يقصد قبر معروف أو غيره يدعو عنده لكن لا يدعو إلا الله مخلصا له الدين ، فأين هذا مما نحن فيه ؟ اهـ

وقال بعض المحققين في الرد على كتاب جلاء الغمة : إذا ظهر هذا وعرفت أن كلام الشيخ متجه لا غبار عليه (فاعلم) أن قول هذا الملحد فجعل بكلامه هذا كما ترى التوسل بذوات الصالحين والرسل عليهم الصلاة والسلام وطلبه جل وعلا بأوليائه من دين المشركين الشرك الأكبر المخرج عن الملة وكفر به كما ترى صريحاً من قوله تمويه وتلبيس أدخل فيه قوله وطلبه جل وعلا بأوليائه ليوهم الجهال ومن لا علم عندهم بحقيقة الحال

وموضوع الكلام أن مراد الشيخ مسألة التوسل في دعاء الله بجاه الصالحين وهذه مسألة ودعاء الصالح وقصده فيما لا يقدر عليه إلا الله مسألة أخرى، فخلطها ليروج باطله فقبحاً قبحاً وسحقاً سحقاً ، لمن ورث اليهود وحرف الكلام عن مواضعه ؛ وكلام الشيخ صريح فيمن دعا مع الله إلها آخر في حاجته وملماته وقصده بعباداته فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى كحال من عبد عبد القادر، أو أحمد البدوي، أو العيدروس، أو عليا أو الحسين، ومع هذا الصنيع الفظيع والشرك الجلي يقول أنا لا أشرك بالله شيئاً، وأشهد أنه لا يخلق ولا يرزق ولا ينفع ولا

يضر إلا الله، ظنا منهم أن ذلك هو الاسلام فقط ،وأنه ينجو به من الشرك وما رتب عليه، فكشف الشيخ شبهته، وأدحض حجته، بما تقدم من الآيات (وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم)

وأما مسألة الله بحق أنبيائه وأوليائه أو بجاههم بأن يقول السائل: اللهم اني أسألك بحق أنبيائك أو بجاه أوليائك أو نحو هذا فليس الكلام فيه ، ولم يقل الشيخ انه شرك ولا له ذكر في كلامه ، وحكمه عند أهل العلم معروف ، وقد نص على المنع منه جمهور أهل العلم بل ذكر الشيخ[1] في رده على ابن البكري أنه لا يعلم قائلا بجوازه إلا ابن عبد السلام في حق النبي ﷺ ولم يجزم بذلك بل علق القول به على ثبوت حديث الاعمى وصحته ، وفيه من لا يحتج به عند أهل الحديث ، وعلى تسليم صحته فليس الكلام فيه . وفي المثل أريها السهى[2] وتريني القمر اه

وأيضا قال فيها والتوسل صار مشتركا في عرف كثير ، فبعض الناس يطلقه على قصد الصالحين ودعائهم وعبادتهم مع الله ، وهذا هو المراد بالتوسل في عرف عباد القبور وأنصارهم وهو عند الله ورسوله وعند أولي العلم من خلقه الشرك الاكبر والكفر البواح ، والاسماء لا تغير الحقائق . ويطلق أيضا في عرف السنة والقرآن وأهل العلم بالله ودينه على التوسل والتقريب إلى الله تعالى بما شرعه من الايمان به وتوحيده وتصديق رسله وفعل ما شرعه من الاعمال الصالحة التي يحبها الرب ويرضاها كما توسل أهل (الغار) الثلاثة بالبر والعفة والامانة، فهذا أطلق التوسل في كتاب الله تعالى وسنة رسوله وكلام أهل العلم من خلقه فهذا هو المراد لا ما اصطلح عليه المشركون الجاهلون بحدود ما أنزل الله على رسوله فلبس هذا المعترض بكلمة مشتركة ترويجا لباطله اه

(١) يعني تقي الدين بن تيمية

(٢) السهى نجم صغير بقرب صورة الدب الاكبر يمتحن به حدة البصر لشدة صغره

(قلت) وقد علمت تحقيق التوسل وحكمه وما يجوز من أفراده وما لا يجوز وما كان منها شركا وما ليس بشرك فيما تقدم بما لا مزيد عليه فتذكر .

قوله ﴿ وكان أخوه الشيخ سليمان بن عبد الوهاب من أهل العلم فكان ينكر عليه انكاراً شديداً في كل ما يفعله أو يأمر به ولم يتبعه في شيء مما ابتدعه وقال له أخوه سليمان يوما : كم أركان الاسلام يا محمد بن عبد الوهاب ؟ فقال خمسة فقال أنت جعلتها ستة ، السادس من لم يتبعك فليس بمسلم هذا عندك ركن سادس الاسلام ﴾

أقول لعل هذا وأمثاله مأخوذ من كتاب (جلاء الغمة عن تكفير هذه الامة) فلأنقل أولا لفظ هذا الكتاب ثم نذكر ما قال بعض المحققين في الرد عليه ، قال المعترض في كتاب جلاء الغمة ولكن هذا الرجل جعل طاعته ركنا سادسا للاركان الخمسة كما قال ذلك أخوه لامه وأبيه الشيخ سليمان بن عبد الوهاب حين خطأه في القتال ، ونهاه عن سفك الدماء ونهب الاموال فلم يفعل

وقال بعض المحققين في الرد عليه ما نصه : والجواب أن يقال قد علم أهل العلم والايمان براءة الشيخ من هذا ، وان دعوته الى طاعة الله ورسوله يأمر بتوحيده وينهى عن الشرك به وعن معصيته ومعصية رسوله ، ويصرح بأن من عرف الاسلام ودان به فهو المسلم في أي زمان وأي مكان ويشهد الله كثيراً في رسائله ومصنفاته [illegible] أن أصحابه ان جاءوه عن الله أو عن رسوله بما يرد شيئاً من قوله ويحكم بخطئه يقبلونه على الرأس والعين ، ويترك ما خالفه [illegible] وهذا معروف بحمد الله . ولكن ترميه بمثال هذا البهت وينسبه اليه من جعل زوره [illegible] أهل الايمان جسرا يتوصل منه ويعبر الى ما انطوى عليه

وزينه له الشيطان من عبادة الصالحين والتوسل بهم ، وعدم الدخول تحت أمر أولي العلم وترك القبول منهم ، والاستغناء بما نشأ عليه أهل الضلال واعتادوه من العقائد الضالة والمذاهب الجائرة ، قال تعالى حاكيا عن فرعون وقومه فيما رموا به كليمه موسى ونبيه هارون عليهما السلام من قصد العلو والدعوة الى أنفسهما (قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الارض وما نحن لكما بمؤمنين) وقال لقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون وملئه فاستكبروا وكانوا قوماً عالين * فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون ؟* فكذبوهما فكانوا من المهلكين)

فانظر إلى ما أفادته الآية ، ان كنت من ذوي الالباب والافهام ، وقال تعالى عن قوم نوح انهم قالوا لنبيهم (ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء الله لأنزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين)

فانظر يا من نور الله قلبه ما زعم هذا المعترض ونزله على هذه الآيات الكريمات تعرف أن آل فرعون وقوم نوح لهم ورثة وأتباع ، وعصابة وأشياع ، يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا ، ويستكبرون على الرسل وأعلام الهدى تعاظما وحرجا ، ولا بد من الحساب يوم يقوم الناس لرب العالمين

وقد رأيت رسالة لشيخنا رحمه الله تعالى تشهد لما قررناه ونصها :

من محمد بن عبد الوهاب إلى الاخ حمد التويجري ألهمه الله رشده ، وبعد وصل الخط (١) أوصلك الله ما يرضيه . وأشرفنا على الرسالة المذكورة ، وصاحبها ينتسب الى مذهب الامام أحمد (رح) وما تضمنته الرسالة من الكلام في الصفات مخالف لعقيدة الامام أحمد (رح) وما تضمنته من الشبه الباطلة في تهوين أمر الشرك بل في اباحته . فمن أبين الامور بطلانا لمن سلم من الهوى والتعصب ، وكذلك تمويهه

(١) أي الكتاب والخطاب والرسالة

على الطغام بأن ابن عبد الوهاب يقول الذي ما يدخل تحت طاعتي كافر، ونقول (سبحانك هذا بهتان عظيم) بل نشهد الله على ما يعلمه من قلوبنا بأن من عمل بالتوحيد وتبرأ من الشرك وأهله، فهو المسلم في أي زمان وأي مكان وانما نكفر من أشرك بالله في الالهية بعد ما تبين له الحجة على بطلان الشرك، وكذلك نكفر من حسنه للناس أو أقام الشبه الباطلة على اباحته، وكذلك من قام بسيفه دون هذه المشاهد التي يشرك بالله عندها وقاتل من أنكرها وسعى في ازالتها والله المستعان اه المقصود منه

وأما نسبة ذلك إلى أخيه سليمان فلا مانع من ذلك لولا وجوب رد خبر هذا الفاسق وعدم قبوله إلا بعد التبين، ثم لو فرضت صحته فمن سليمان وما سليمان؟ هذه دلائل السنة والقرآن تدفع في صدره، وتدرأ في نحره، وقد اشتهر ضلاله ومخالفته لاخيه مع جهله وعدم ادراكه لشيء من فنون العلم

وقد رأيت له رسالة يعترض فيها على الشيخ وتأملتها فاذا هي رسالة جاهل بالعلم والصناعة، مزجى التحصيل والبضاعة. لا يدري ما طحاها، ولا يحسن الاستدلال بذلك على من فطرها وسواها

هذا وقد من الله وقت تسويد هذا بالوقوف على رسالة لسليمان فيها البشارة برجوعه عن مذهبه الاول، وأنه قد استبان له التوحيد والايمان، وندم على ما فرط من الضلال والطغيان، وهذا نصها

(بسم الله الرحمن الرحيم)

من سليمان بن عبد الوهاب إلى الاخوان أحمد بن محمد التويجري وأحمد ومحمد ابني عثمان بن شبانة

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد

وأحمد إليكم الله تعالى الذي لا إله إلا هو، وأذكركم ما من الله به علينا وعليكم

من معرفة دينه ،ومعرفة ما جاء به رسوله ﷺ من عنده ، وبصرنا من العمى ، وأنقذنا من الضلالة ، وأذكركم بعد أن جئتمونا في الدرعية من معرفتكم الحق على وجهه ، وابتهاجكم به ، وثناءكم على الله الذي أنقذكم ، وهذه آدابكم في سائر مجالسكم عندنا ، وكل من جاءنا من حمد الله[1] يثني عليكم والحمد لله على ذلك ، وكتبت اليكم بعد ذاك كتابين غير هذا أذكركم وأحضكم ، ولكن يا اخواني معلومكم ما جرى منا من مخالفة الحق واتباعنا سبل الشيطان ومجاهدتنا في الصد عن اتباع سبل الهدى ، والآن معلومكم لم يبق من أعمارنا إلا اليسير ، والايام معدودة ، والانفاس محسوبة ، والمأمول منا أن نقوم لله ونفعل الهدى أكثر مما فعلنا مع الضلال وأن يكون ذاك لله وحده لا شريك له لا لما سواه ، لعل الله سبحانه يمحو عنا سيئات ما مضى وسيئات ما بقي ، ومعلومكم عظم الجهاد في سبيل الله وما يكفر من الذنوب ، وأن الجهاد باليد والقلب واللسان والمال ، وتفهمون أجر من هدى الله به رجلا واحدا ، والمطلوب منكم أكثر مما تفعلون الآن ، وأن تقوموا لله قيام صدق ، وأن تبينوا للناس الحق على وجهه ، وأن تصرحوا لهم تصريحاً بينا بما أنتم عليه من الغي والضلال . فيا اخواني الله الله ، فالامر أعظم من ذلك ، فلو خرجنا نجأر الى الله في الفلوات وعدّنا الناس من السفهاء والمجانين في ذلك لما كان بكثير منا ، وأنتم رؤساء الدين ، ومكانكم أعز من الشيوخ ، والعوام كلهم تبع لكم ، فاحمدوا الله على ذلك ، ولا تعلثوا[2] بشيء من الموانع ، وتفهمون أن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر لا بد أن يرى ما يكره ، ولكن أرشدكم في ذلك إلى الصبر كما حكى عن العبد الصالح في وصيته لابنه ، فلا أحق من أن تحبوا لله وتبغضوا

---

١ في نسخة تصحيح خطي : جاءنا من المجمعة

٢) هكذا في الاصل بالثاء المثلثة يقال علث البر بالشعير اذا خلطه به ، ويجوز أن تكون الكلمة محرفة او مصحفة وكتبه وما قبله محمد رشيد رضا

لله وتوالوا لله وتعادوا لله ، وترى يعرض في هذا أمور شيطانية وهي أن من الناس من ينتسب لهذا الدين ، وربما يلقي الشيطان لكم أن هذا ما هو بصادق وأن له ملحظا دنيويا ، وهذا أمر ما يطلع عليه إلا الله ، فاذا أظهر أحد الخير فاقبلوا منه ووالوه ، فاذا ظهر من أحد شر وادبار عن الدين فعادوه وا كرهوه، ولو أحب حبيب. وجامع الامر في هذا أن الله خلقنا لعبادته وحده لا شريك له ومن رحمته بعث لنا رسولا يأمرنا بما خلقنا له ويبين لنا طريقه، وأعظم ما نهانا عنه الشرك بالله وعداوة أهله [1] وبغضهم — وتبيين الحق وتبيين الباطل ، فمن التزم ما جاء به الرسول ﷺ فهو أخوك ولو أبغض بغيض ، ومن نكب عن الصراط المستقيم فهو عدوك ولو هو ولدك أو أخوك ، وهذا شيء أذكركوه مع أني بحمد الله أعلم أنكم تعلمون ما ذكرت لكم ومع هذا فلا عذر لكم عن التبيين الكامل الذي لم يبق معه لبس ، وأن تذاكروا دائما في مجالسكم ما جرى منا ومنكم أولا، وأن تقوموا مع الحق أكثر من قيامكم مع الباطل ، فلا أحق من ذلك ولا لكم عذر ، لان اليوم الدين والدنيا ولله الحمد مجتمعة في ذلك ، فتذكروا ما أنتم فيه أولا في أمور الدنيا من الخوف والاذى والاعتداء واستيلاء الظلمة والفسقة عليكم، ثم رفع الله ذلك كله بالدين، وجعلكم السادة والقادة ، ثم أيضا ما من الله به عليكم من الدين

انظروا إلى مسألة واحدة فيما نحن فيه من الجهالة كون البدو نجري عليهم أحكام الاسلام مع معرفتنا ان الصحابة قاتلوا أهل الردة وأكثرهم متكلمون بالاسلام، ومنهم من أتى بأركانه ، ومع معرفتنا أن من كذب بحرف من القرآن كفر ولو كان عابداً ، وأن من استهزأ بالدين أو بشيء منه فهو كافر ، وأن من

---

(١) هكذا في الام ولا يستقيم معناه فلعله سقط منه شيء اه من حاشية الطبع وزاد فيه بعضهم بالخط : وامرنا بعداوة اهله

جحد حكما مجمعاً عليه فهو كافر — إلى غير ذلك من الاحكام المكفرات وهذا كله مجتمع في البدوي وأزيد ، ونجري عليهم أحكام الاسلام اتباعا لتقليد من قبلنا بلا برهان

فيا اخواني تأملوا وتذاكروا في هذا الاصل يدلكم على ماهو أكثر من ذلك ، وأنا أكثرت عليكم الكلام لوثوقي بكم انكم ماتشكون في شيء فيما تحاذرون ، ونصيحتي لكم ولنفسي ، والعمدة في هذا أن يصير دأبكم في الليل والنهار أن تجأروا إلى الله أن يعيذكم من أنفسكم وسيئات أعمالكم ، وأن يهديكم الى الصراط المستقيم الذي عليه رسله وأنبياؤه وعباده الصالحون ، وأن يعيذكم من مضلات الفتن ، فالحق وضح وابلوج (وماذا بعد الحق الا الضلال؟)

فالله الله تروا الناس اللي[1] في جهاتكم تبع لكم في الخير والشر ، فان فعلتموا ما ذكرت لكم ما قدر أحد من الناس يرميكم بشر ، وصرتوا كالاعلام هداة للحيران ، فان الله سبحانه تعالى هو المسؤول أن يهدينا وإياكم سبل السلام . والشيخ وعياله وعيالنا طيبين ولله الحمد ويسلمون عليكم ، وسلموا لنا على من يعز عليكم ، والسلام . وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم ، اللهم اغفر لكاتبه ولوالديه ولذريته ، ولمن نظر فيه فدعا له بالمغفرة والمسلمين والمسلمات أجمعين

فأجابوه برسالة ينبغي أن تذكر ونصها :

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا سيد المرسلين ، من كاتبه الفقير أحمد التويجري وأحمد بن عثمان وأخيه محمد ، إلى من من الله علينا وعليه باتباع دينه ، واقتفاء هدي محمد ﷺ نبيه وأمينه ، الاخ سليمان بن عبد الوهاب زادنا الله وإياه

[1] اللي كلمة عامية بمعنى : الذي

من التقوى والايمان، وأعاذنا وإياه من نزغات الشيطان ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، بعد إبلاغ الشيخ وعياله وعبد الله واخوانه السلام

وبعد فوصل الينا نصيحتكم جعلكم الله من الائمة الذين يهدون بأمره ، الداعين اليه وإلى دين نبيه محمد ﷺ ، فنحمد الله الذي فتح علينا وهدانا لدينه ، وعدانا عن الشرك والضلال ، وأنقذنا من الباطل والبدع المضلة، وبصرنا بالاسلام الصرف الخلي عن شوائب الشرك، فلقد من الله علينا وعليكم، فله الفضل والمنة بما نورلنا من تباع كتابه وسنة رسوله ﷺ ، وعدانا عن سبيل من ضل وأضل بلا برهان ، ونسأله أن يتوب علينا وعليكم ويزيدنا من الايمان، فلقد خصنا فيما مضى بالعدول عن الحق ودحضناه ، وارتكبنا الباطل ونصرناه ، جهلا منا وتقليداً لمن قبلنا ، فحق علينا أن نقوم مع الحق قيام صدق أكثر مما قمنا مع الباطل على جهلنا وضلالنا .

فالمأمول والمبغي منا ومنكم وجميع اخواننا التبيين الكامل الواضح لئلا يغتر بأفعالنا الماضية من يقتدي بجهلنا ، وأن نتمسك بما اتضح وابلولج من نور الاسلام وما بين الشيخ محمد رحمه الله تعالى من شريعة النبي ﷺ فلقد حاربنا الله ورسوله واتبعنا سبيل الغي والضلال ، ودعونا إلى سبيل الشيطان ، ونبذنا كتاب الله وراء ظهورنا جهلا منا وعداوة . وجهدنا في الصد عن دين الله ورسوله ، واتبعنا كل شيطان تقليداً وجهلا بدينه ؛ فلا حول ولا قوة إلا بالله (ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين * لا إله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين)

فالواجب منا لما رزقنا معرفة الحق أن نقوم معه أكثر وأكثر من قيامنا مع الباطل ، ونصرح للناس بأنا على باطل فيما فات ، ونقوم له مثنى وفرادى ، ونتوكل على الله عسى أن يتوب علينا ، ويعيذنا من شرور انفسنا وسيئات أعمالنا ، وأن يهدينا سبيل السلام ، ويجعلنا من الداعين الى الهدى لا من

الدعاة الى النار ، فنحمد الله الذي لا اله الا هو حيث من علينا بهذا الشيخ في آخر هذا الزمان ، وجعله باذنه وفضله هاديا للتائه الحيران، نسأل الله العظيم أن يمتع المسلمين به ويعيذه من شر كل حاسد وباغ ، ويبارك في أيامه ، وأن يجعل جنة الفردوس مأواه وإيانا ، وأن ينفعنا بما بينه ، فلقد بين دين نبيه ﷺ على رغم أنف كل جاحد ، وصار علما للحق حين طمس ، ومصباحا للهدى حيث درست أعلامه ونكس ، وأطفأ الله به الشرك بعد ظهوره حين عبدت الاوثان صرفا الا رمس، ولم يزل ـ من الله عليه برضاه ـ ينادي : أيها الناس هلموا الى دين نبيكم الذي بعث به إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ثم لم ينقم منه وعيه إلا أنه يقول : أيها الناس اعبدوا ربكم واعطوه حقه الذي خلقكم لاجله . وخلق لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه ، ان الله تعالى يقول (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون) وقال (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) وقال (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً) وقال (فان حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن) وفسر إسلام الوجه بالقصد في العبادة ، فاذا دعا غير الله أو نذر لغير الله أو استغاث بغير الله أو توكل على غير الله أو التجأ الى غير الله ، فهذه عبادة لمن قصد بذلك ، هذا والله الشرك الاكبر، ونشهد بذلك وقمنا مع أهله ثلاثين سنة، وعادينا من أمر بتجريد التوحيد العداوة البينة ، التي ما بعدها عداوة

فلو حب علينا اليوم نصر الله ودينه وكتابه ورسوله ، والتبري من الشرك وأهله، وعداوتهم وجهادهم باليد واللسان، لعل الله أن يتوب علينا ويرحمنا ، ويستر مخازينا ، وأكبر من هذا البدو الذين لا يدينون دين الحق، لا يصلون ولا يزكون ولا يورثون ، ولا لهم نكاح صحيح ، ولا حكم عن الله ورسوله يدينون به صريح

وتقول هم إخواننا في الاسلام (سبحانك هذا بهتان عظيم) ومكابرة لما جاء به رسول رب العلمين ، فنقول: لا خلاف ان التوحيد لا بد أن يكون بالقلب واللسان والعمل ، فان اختل من هذا شيء لم يكن الرجل مسلما ، فاذا عرف التوحيد ولم يعمل به فهو كافر معاند كفرعون وإبليس ، وإن عمل بالتوحيد ظاهرا وهو لا يفهمه ولا يعتقده بقلبه فهو منافق شر من الكافر ، أعاذنا الله وإياكم من الخزي يوم تبلى السرائر

فالواجب علينا وعلى من نصح نفسه أن عمل العمل الذي يحصل به فكاك نفسه ، وأن عبد الله ولا يعبد غيره . فالعبادة حق الله على العبيد ليس لأحد فيها شرك ، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ، فضلا عن السفلة والشياطين . وحق الله علينا أن نجأر اليه بالليل والنهار والسر والعلانية في الخلوات والفلوات ، عسى أن يتوب علينا ويعفو عنا ما فات ، ويعيذنا من مضلات الفتن ، فالحق بحمد الله وضح وابلولج (وماذا بعد الحق الا الضلال) ولا حول ولا قوة إلا بالله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين اه .

قاله بعض المحققين في الرد على (جلاء الغمة)

قوله ﴿ وقال رجل آخر يوما لمحمد بن عبد الوهاب كم يعتق الله كل ليلة في رمضان ؟ فقال له يعتق في كل ليلة مائة ألف وفي آخر ليلة يعتق مثل ما أعتق في الشهر كله . فقال له لم يبلغ من اتبعك عشر عشر ما ذكرت ، فمن هؤلاء المسلمون الذين يعتقهم الله تعالى وقد حصرت المسلمين فيك وفيمن اتبعك ؟ فبهت الذي كفر ﴾ اه

أقول: جوابه من وجوه (الاول) عدم الاعتماد على خبر الفاسق الكاذب المفتري بلا بعد التبين

(والثاني) ان في نفس هذا الخبر والحكاية مايقتضي كذبه من أن محمد بن عبد الوهاب قال له « يعتق في كل ليلة مائة الف ، وفي آخر ليلة يعتق مثل ما أعتق في الشهر كله » فان هذا العدد لم يقع في حديث صحيح ولا حسن انما وقع في رواية ضعيفة شديدة الضعف أو موضوعة [1] ومحمد بن عبد الوهاب بحمد الله تعالى كان من نقد أهل الحديث، فكيف يتصور أن يجيب بهذا الجواب السخيف الساقط ؟ نعم جاء في حديث « ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة » وفي حديث « انه يغفر لأمته في آخر ليلة من رمضان » وعلى هذا فليس فيه إشكال ، على أن هذين الحديثين ايضا فيهما مقال ، أما الاول فلأن الترمذي قال في جامعه بعد ذكر هذا الحديث: وحديث أبي هريرة الذي رواه أبو بكر بن عياش حديث غريب لانعرفه من رواية أبي بكر بن عباش عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة إلا من حديث أبي بكر . وسألت محمد بن اسمعيل عن هذا الحديث فقال نا الحسن ابن الربيع نا أبو الاحوص عن الاعمش عن مجاهد قوله قال إذا كان أول ليلة من شهر رمضان فذكر الحديث قال محمد وهذا أصح عندي من حديث أبي بكر ابن عياش ، وأما الثاني فلأن في سنده هشام بن زياد أبو المقدام ضعفه أحمد وغيره قال النسائي متروك ، وقال ابن حبان يروي الموضوعات عن الثقات ، وقال ابو داود كان غير ثقة ، وقال البخاري تكلموا فيه . كذا في الميزان

(والثالث) ان عدد المعتقين الواقع في الرواية المذكورة في هذه الحكاية ان كان في كل زمن، فهذا في غاية السقوط فانه لا يصدق في زمان بداية الاسلام حين كان المسلمون قليلين لم يبلغوا هذا العدد ، وان كان في بعض الزمان فقد بلغ

(١) الرواية موضوعة قطعا ولو عقل هذا المفتري لعلم أنه ما اورده على الشيخ يرد على اتباع النبي (ص) في عصره. اذ لم يكونوا يبلغون عشر هذا العدد في الحديث الموضوع وكتبه محمد رشيد رضا

أتباع الشيخ محمد بن عبدالوهاب في بعض الزمان أضعاف أضعاف العدد المذكور ، على انه لو فرض عدم بلوغ أتباع الشيخ هذا العدد فأي محذور على هذا التقدير؟ اذ وجود المسلمين قبل زمان الشيخ أو بعده موافقا لهذا العدد كاف في صدق هذه الرواية

(والرابع) ان صدقه في كل زمان من أوضح الاباطيل اذ يجيء في قرب الساعة زمان يقبض فيه روح كل مؤمن فكيف يصدق هذا الحديث فهو إما باطل أو مؤول بأن يحمل على زمان يبلغ فيه عدد المسلمين هذا المبلغ أو يزيد وهذا التأويل كما يمكن من جانب من ليس من أتباع الشيخ كذلك يمكن من جانب أتباعه من غير فرق

(والخامس) ان بناء هذا التشنيع على أن يكون الشيخ قائلا بحصر المسلمين في نفسه وأتباعه وقد علم فيما تقدم ان هذا افتراء على الشيخ صريح

وأما قول المؤلف في حق الشيخ «فبهت الذي كفر» فجرأة عظيمة على الندر وكفر ، قال رسول الله ﷺ « أيما رجل قال لأخيه كافرا فقد باء بها أحدهما » والشيخ (رح) بحمد الله تعالى بريء من الكفر فقد باء به هذا المؤلف

قوله ﴿ ومن طال النزاع بينه وبين أخيه خاف أخوه أن يأمر بقتله فارتحل الى المدينة المنورة وألف رسالة في الرد عليه وأرسلها له فلم ينته ﴾

أقول هذا كان حين تبين غيه وضلاله ومخالفته للشيخ ، وأما بعده فقد رجع أخوه عن مذهبه الاول وقد استبان له التوحيد والايمان ، وندم على ما فرط من الضلال والطغيان ، وقد علمته فيما تقدم

قوله ﴿ وألف كثير من علماء الحنابلة وغيرهم رسائل في الرد عليه وأرسلوها له فلم ينته ﴾

أقول جوابه من وجوه (الاول) ان كثيرا من العلماء المحققين أجابوا على تلك الرسائل وانتصروا للشيخ

(والثاني) ان رد كثير من العلماء على الشيخ لا يقتضي بطلان ما عليه الشيخ، وحقية ما عليه خصومه، إنما معيار الحقية شهادة الكتاب العزيز والسنة المطهرة، وإذا كان قوله وعمله موافقا للثقلين[1] فلا مبالاة بمخالفة أحد كائنا من كان

(والثالث) ان غير واحد من علماء الصحابة والتابعين وتبع التابعين قد خالفه كثير من العلماء فهذا مما يشارك الشيخ فيه غيره فلا وجه للطعن

قوله ﷺ وقال له رجل آخر مرة وكان رئيسا على قبيلة بحيث انه لا يقدر أن يسطو عليه ما تقول إذا أخبرك رجل صادق ذو دين وأمانة وأنت تعرف صدقه بأن قوما كثيرين قصدوك وهم وراء الجبل الفلاني فأرسلت الف خيال ينظرون القوم الذين وراء الجبل فلم يجدوا أثرا ولا أحدا منهم بل ما جاء تلك الارض أحد، أتصدق الالف أم الواحد الصادق عندك؟ فقال أصدق الالف، فقال له ان جميع المسلمين من العلماء الاحياء والاموات في كتبهم يكذبون في ما أتيت به ويزيفونه فنصدقهم ونكذبك فلم يعرف جوابا لذلك

أقول الجواب عنه من وجوه (الاول) عدم الاعتماد على هذا النقل (والثاني) أن ما حكاه عن الشيخ في جواب الصورة المفروضة من أنه قال أصدق الالف لا يتصور أن يكون جوابا صحيحا عموما، بل إذا كان الالف ذوي صدق ودين وأمانة ممن لا يخافون في الحق لومة لائم، والواحد من الناس بذي صدق أو دين أو أمانة أو يخاف الناس كخشية الله فيكون الجواب على عكس ما حكي عن الشيخ وحين حكى الجواب عموما فهذا دليل على كذب هذه الحكاية

(والثالث) ان هذا المثل ليس في محله فان ما عابه الشيخ ليس خبر رجل

[1]) اي الكتاب والسنة



صادق ذي دين وأمانة، بل هو قول رسول كريم * ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين * فلا اعتداد بقول من خالفه وإن كانوا ألوفا إذ الشيخ لم يدع الى رأيه أو الى رأي أحد من الصحابة أو التابعين أو تبع التابعين أو رأي غيرهم من العلماء إنما دعا الى اخلاص التوحيد الذي هو منطوق صريح لغير واحدة من الآيات (١)

(الرابع) ان قول السائل ان جميع المسلمين من العلماء الاحياء والاموات في كتبهم يكذبونك فيما أتيت به ويزيفونه . كذب صريح — هذا شيخ الاسلام ابن تيمية وابن القيم وابن كثير وابن عبد الهادي وغيرهم من أهل التوحيد ممن سبق الشيخ يصدقون الشيخ فيما أتى به — بل لو ادعي ان جميع المسلمين من العلماء الاحياء والاموات موافقون للشيخ لكان له وجه(٢) فان كلهم يقولون ان الدعاء عبادة وعبادة غير الله شرك

---

١) بل آيات التوحيد بانواعها تعد بالمئات (٢) الحق الواقع ان ما دعا اليه الشيخ من التوحيد هو ما دعا اليه رسول الله (ص) وخلفاؤه واصحابه وجميع المسلمين في خير القرون ، ثم نجمت قرون الشرك وسمي بغير اسمه فلما فشا فى العوام كان شيخ الاسلام ابن تيمية أول من قاومه واطال الحجج فى دحض شبهاته وتفنيد خرافاته، ولم يخالفه في هذا احد من علماء عصره بل قال بعضهم انه نبهنا لامر كنا غافلين عنه اللهم الا ابن البكري الف رسالة فى الرد عليه وعرضها على علماء الازهر وغيرهم ليجيزوها فلم يوافقه عليها أحد ، وكان من فروعها بدع الزيارة وشد الرحال خالفه فيها تقي الدين السبكي ولكنه لم يبح دعاء غير الله تعالى لا النبي (ص) ولا غيره . وانما كثر المضلون فى هذه المسألة بعد ظهور الشيخ محمد عبد الوهاب لان الجهل بالتوحيد صار اعم ولان الله تعالى سخر له آل سعود فأسسوا للاسلام دولة عربية افزعت الدولة التركية فقاتلت الدولة العربية وجعلت دعوى الدين حجة لها وكتبه محمد رشيد رضا

قوله ﴿ وقال له رجل آخر مرة هذا الدين الذي جئت به متصل أم منفصل؟ فقال له مشايخي ومشايخهم إلى ستمائة سنة كلهم مشركون، فقال له الرجل إذاً دينك منفصل لا متصل فعمن أخذته؟ فقال وحي إلهام كالخضر فقال له إذاً ليس ذلك محصورا فبك كل أحد يمكنه أن يدعي وحي الالهام الذي تدعيه ﴾

أقول هذا افتراء على الشيخ واضح لم يقل الشيخ قط ان مشايخي ومشايخهم الى ستمائة سنة كلهم مشركون وان ديني وحي إلهام. وراويه أحد الكاذبين ومن يدعي صحته فعليه البيان

قوله ﴿ ثم قال له ان التوسل مجمع عليه — الى قوله فلاوجه لك في التكفير أصلا ﴾

أقول لعل هذه الحكاية مجعولة، فان الشيخ قد قال في الرسالة التي كتبها إلى عبد الله بن سحيم في جواب هذا الطعن (سبحانك هذا بهتان عظيم)

قوله ﴿ هذا حجة عليك. فان استسقاء عمر بالعباس إنما كان لاعلام الناس بصحة الاستسقاء والتوسل بغير النبي صلى الله عليه وسلم ﴾

أقول هذا ادعاء بلا دليل، بل يرده لفظ الحديث فان فيه ان عمر (رض) قال: اللهم إنا كنا نتوسل اليك بنبينا صلى الله عليه وسلم فتسقينا وإنا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا، هذا لفظ البخاري وهو عند الاسماعيلي من رواية محمد بن المثنى عن الانصاري باسناد البخاري الى أنس قال كانوا إذا قحطوا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم استسقوا به فيستسقي لهم فيسقون. فلما كان في إمارة عمر فذكر الحديث هكذا في الفتح

قوله ﴿ وكيف تحتج باستسقاء عمر بالعباس وعمر هو الذي روى حديث توسل آدم بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يخلق؟ ﴾

أقول قد عرفت فيما تقدم ان هذا الحديث واه جداً لا يصلح لأن يحتج به

قوله ﴿ فبهت وتحير وبقي على عماوته ومقابحه الشنيعة ﴾

أقول هذا كذب فيما أظنه بيّن، كيف وقد يعلم ضعف حديث التوسل من له أدنى إلمام بفن الجرح والتعديل فلا وجه للبهت والتحير

قوله ﴿ ومن مقابحه انه لما منع الناس من زيارة النبي ﷺ خرج ناس من الاحساء وزاروا النبي ﷺ ﴾

أقول هذا كذب وافتراء فان الشيخ قال في جواب اثني عشرة مسألة منها إنكار زيارة قبر النبي ﷺ ما نصه : فهذه اثنتا عشرة مسألة جوابي فيها أن أقول (سبحانك هذا بهتان عظيم) هكذا قال الشيخ في الرسالة التي كتبها الى عبد الله بن سحيم

قوله ﴿ وبلغه مرة أن جماعة من الذين لم يتابعوه من الآفاق البعيدة قصدوا الزيارة والحج ﴾

أقول هذا افتراء بحت، ألم تر أن الشيخ نفسه قد قصد مدينته عليه الصلاة والسلام وأقام فيها شهرين ثم رجع بعد ذلك فائزاً بأجر الزيارة والمناسك كذا في (روضة الافكار) وقد نقلت فيما تقدم عبارتها الطويلة

قوله ﴿ وكان ينهي عن الصلاة على النبي ﷺ — الى قوله — وأحرق دلائل الخيرات وغيرها من كتب الصلاة على النبي ﷺ ﴾

أقول قد أجاب الشيخ في بعض رسائله عن هذا بقوله: وأما دلائل الخيرات فلذلك سبب وذلك أني أشرت على من قبل نصيحتي من اخواني ان لا يصير

في قلبه أجلّ من كتاب الله ويظن أن القراءة فيه أنفع من قراءة القرآن

وأما إحراقه والنهي عن الصلاة على النبي ﷺ بأي لفظ كان فهذا من البهتان.

كذا في (روضة الافكار) وأيضا فيها وأما قوله وأحرق أيضا «روض الرياحين» وسماه روض الشياطين فهذا من الكذب والزور المبين اه

وأما قوله وأبطل الصلاة على رسول الله ﷺ في يوم الجمعة وليلتها ، فهذا الكلام مع بشاعة لفظه فيه ايهام وايهام وتسنيع بظاهره عند العوام، وتنفير لهم من توحيد الملك العلام ، فإن الشيخ رحمه الله لم ينه عن ذلك ولم يبطله ، الا انما الذي يفعل في كثير من البلدان ؛ وقد أبطله جماعة قبله من الاعيان ، وأنكره جماعة من نقاد هذا الشان ، وقالوا لا يتقرب الى الله تعالى (به) ولا يدان ؛ لانه بدعة محضة أظهرها في مقام العبادة الشيطان اه

وقال أيضا فيها وأيضا افترى هذا الكذب . والواقف على هذا الخطاب ، ان خلاصة البيان عن ذلك في الجواب ، ان الذي أنكره من غير شك ولا

---

(١) ان اصحاب الطرائق وضعوا للناس أورادا وأحزابا مدونة من اذكار وادعية وصلوات يتعبدون بها في اوقات معينة كالصلوات الخمس فهذا العمل منتقد شرعا من عدة وجوه (١) ان فيها اوصافا لله تعالى ولرسوله (ص) مخالفة للثابت في الكتاب والسنة (٢) ان فيها ما لا يقبل منه الا بنص منهما لانه توقيفي على الراجح المختار عند ائمة الامة كما قال صاحب الجوهرة

واختير ان اسماه توقيفية كذا الصفات فاحفظ السمعية

(٣) ان التزامها وتقييدها في الاوقات المعينة — و لاجتماع لبعضها — ورفع الصوت بها — وجعلها من قبيل الشعائر — يدخلها في عموم البدعة الاضافية ويخرجها من عموم العبادات المطلقة على فرض ورودها فيها كما حققه الامام الشاطبي في الاعتصام (٤) انهم آثروها على التعبد بتلاوة القرآن التي هي اعلى العبادات المطلقة والاذكار لسنة كما حققناه في تفسير المنار) راجع صفحة ٢٧٤ جزء ١٠)

ارتياب، هو ما يفعل في غالب الامصار، ويعمل في كثير من الاقطار، لا سيما الحرمين كما صح بالمشاهدة والاخبار، وذلك أن يصعد ثلاثة أو أكثر على رءوس المنابر، ويقرءون آيات من القرآن ويصلون على النبي بأرفع صوت واعلان، ويأتون بقبيح الالحان، وأصوات تحكي غناء قيان، ويمطون آيات الله الكريمة، ويغيرون حرمة أسمائه العظيمة، وينقلونها من معناها الى معنى[1] وكفى به اثما وهنا، وتغيير الما أراده الله بتمامه وصفاته[2] فقد خسر والله من ضل سعيه وهو يحسب انه يحسن صنعا اه

وقال الشيخ في الرسالة التي كتبها الى عبدالرحمن بن عبد الله والحاصل ان ما ذكر عنا من الاسباب غير دعوة الناس الى التوحيد والنهي عن الشرك فكله من البهتان اه والسبب العلامة علامة عصره محمد بن اسماعيل الامير اليمني نظم في مدح الحديث مشتمل على فصول حكم في فصل منه على دلائل الخيرات بالتحريق فقال

وحرّق عمدا للدلائل دفترا أصاب ففيها ما يجل عن العد
غلو نهى عنه الرسول وفرية بلا مرية فاتركه ان كنت تستهدي
أحاديث لا تعزى الى عالم ولا تساوي فلسا ان رجعت الى النقد
وصيرها الجهال للدرس ضرة يرى درسها أزكى لديه من الحمد

ولما اطلع الشيخ الفاضل العلامة ناصر بن حسن المحبش الصنعاني على هذه الابيات أرسل اليه نظما سأل فيه عن وجه هذا الحكم فأجاب السيد العلامة أولا على النظم بالنظم ثم حرر ادلة على دعواه في النثر على وجه الاتقان. وهذا السؤال والجواب كلاهما منتشران في بلاد اليمن ونواحيه ذكره السيد العلامة مولانا السيد صديق حسن سلمه الله تعالى في كتابه (اتحاف النبلاء)

---

(١) كذا في نقل الاصل ولعله: الى ما ليس له معنى، او الى ما لا يصح له معنى. (٢) لعله في أصله زيادة «الحسنى» وكتبه محمد رشيد رضا

(ماكان عليه الوهابية من الاتباع والاجتهاد في الاصول والفروع)

قوله ﴿وكان يمنع أتباعه من مطالعة كتب الفقه والتفسير والحديث وأحرق كثيرا منها وأذن لكل من اتبعه أن يفسر القرآن بحسب فهمه حتى همج الهمج من أتباعه﴾

أقول قد فرغ الشيخ من جوابه بما قال في الرسالة التي كتبها الى عبد الله بن سحيم في المسائل التي شنع بها منها ماهو البهتان الظاهر وهي قوله اني مبطل كتب المذاهب وقوله اني أدعي الاجتهاد وقوله اني خارج عن التقليد اه ملخصا

وقال في الرسالة التي كتبها الى عبد الرحمن بن عبد الله وأخبرك أني ولله الحمد متبع ولست بمبتدع ، عقيدتي وديني الذي أدين الله به مذهب أهل السنة والجماعة الذي عليه أئمة المسلمين مثل الائمة الاربعة وأتباعهم الى يوم القيامة ، لكني بينت للناس اخلاص الدين ونهيتهم عن دعوة الاحياء والاموات من الصالحين وغيرهم اه

قال عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب في رسالة اختصرت من الرسائل المؤلفة للشيخ محمد بن عبد الوهاب إن مذهبنا في أصول الدين مذهب أهل السنة والجماعة وطريقتنا طريقة السلف . ونحن أيضا في الفروع على مذهب الامام أحمد بن حنبل رحمه الله ، ولا ننكر على من قلد أحد الاربعة دون غيرهم لعدم ضبط مذاهب الغير كالرافضة والزيدية والامامية(١) ونحوهم فلا نقرهم على شيء من مذاهبهم الفاسدة بل نجبرهم على تقليد أحد الأئمة ، ولا نستحق مرتبة(٢) الاجتهاد المطلق ولا أحد لدينا يدعيها ، إلا أننا في بعض المسائل اذا صح لنا نص جلي من كتاب أو سنة غير منسوخ ولا مخصص ولا معارض بأقوى منه وقال به أحد الائمة الاربعة أخذنا به وتركنا المذهب كارث الجد والاخوة . فانا نقدم الجد بالارث وان خالف

---

(١) لم يكونوا يعلمون ان مذاهب الزيدية والامامية والاباضية مدونة وقد عم ذلك في عصرنا فلم يبق لاجبارهم على تقليد غيرها سبب (٢) كذا ولعله مرتبة بدون ياء

مذهب الحنابلة ، ولا نفتش على أحد في مذهبه ولا نعترض عليه إلا اذا اطلعنا على نص جلي كذلك مخالف لمذهب بعض الائمة وكانت المسألة مما يحصل بها شعار ظاهر كامام الصلاة ، فنأمر الحنفي والمالكي مثلا بالمحافظة على نحو الطمأنينة في الاعتدال والجلوس بين السجدتين لوضوح دليل ذلك(١) بخلاف جهر الامام الشافعي بالبسملة وشتان بين المسألتين ، فاذا قوي الدليل أرشدناهم للنص(٢) وان خالف المذهب ، وذلك انما يكون نادرا جدا ، ولا مانع من الاجتهاد في بعض المسائل دون بعض فلا مناقضة لعدم دعوى الاجتهاد المطلق ، وقد سبق جمع من المذاهب الاربعة الى اختيارات لهم في بعض المسائل مخالفين للمذهب الملتزمين تقليد صاحبه ثم انا نستعين على فهم كتاب الله بالتفاسير المتداولة المعتبرة ومن أجلها لدينا تفسير ابن جرير ومختصره لابن كثير الشافعي ، وكذلك البيضاوي والبغوي والخازن والحداد(٣) والجلالين وغيرهم ، وعلى فهم الحديث بشروحه كالقسطلاني والعسقلاني على البخاري ، والنووي على مسلم والمناوي على الجامع الصغير ونحوهم على كتب الحديث خصوصا الامهات الست وشروحها ، ونعتني بسائر الكتب في سائر الفنون أصولا وفروعا وقواعد وسيراً وصرفا ونحواً ، وجميع علوم الامة ، ولا نأمر باتلاف شيء من المؤلفات أصلا ، إلا ما توقع الناس في الكفر(٤) كروض الرياحين ، أو يحصل بسببه خلل في العقائد كعلوم المنطق فانه قد حرمه كثير من العلماء ، على انا لا نفحص عن مثل ذلك وكالدلائل إلا أن تظاهر به صاحبه معاندا أتلف عليه ، وما اتفق لبعض البدوان في اتلاف كتب أهل الطائف انما صدر لجهله وقد زجر هو وغيره عن مثل ذلك

(١) يزاد عليه ان من لم يقل بفرضيته الطمأنينة يقول بانها هي السنة العملية بل صرح الحنفية بوجوبها (٢) كذا في نسخة الكتاب والعبارة غير صحيحة لغة فلعلها محرفة والمعنى المراد ظاهر . وكتبه محمد رشيد رضا

(٣) في نسخة الحداد (٤) في نسخة الشرك

ولانرى قتل النساء والاطفال ، وأما ما يكذب علينا ستراً للحق ، وتلبيساً على الخلق، بأنا نفسر القرآن لرأينا(١) ونأخذ من الحديث ما وافق فهمنا، من دون مراجعة شروح، ولا نعول على شيخ ، وانا نضع من رتبة نبينا محمد ﷺ بقولنا النبي رمة في قبره وعصا أحدنا أنفع منه، وليس له شفاعة، وان زيارته غير مندوبة، وانه كان لا يعرف معنى لا إله إلا الله حتى أنزل عليه (فاعلم أنه لا إله إلا الله) مع كون الآية مدنية وانا لا نعتمد أقوال العلماء ، ونتلف مؤلفات أهل المذاهب لكون فيها الحق والباطل ، وانا مجسمة وانا نكفر الناس على الاطلاق ومن بعد الست المائة إلا من هو على ما نحن عليه . ومن فروع ذلك انا لا نقبل بيعة أحد حتى نقرر عليه أنه كان مشركا ، وان أبويه ماتا على الاشراك بالله ، وانا ننهي عن الصلاة على النبي ﷺ ونحرم زيارة القبور المشروعة مطلقا ، وان من دان بما نحن عليه سقط عنه جميع التبعات حتى الديون . وانا لا نرى حقا لاهل البيت رضوان الله عليهم ، وانا نجبر على تزويج غير الكفؤ لهم ، وانا نجبر بعض الشيوخ على فراق زوجته الشابة لتنكح شاب على مرافعة لدينا ولا وجه لذلك — فجميع هذه الخرافات وأشباهها لما استفهمنا عنها من ذكر أولا . ما كان جوابنا عليه في كل مسئلة من ذلك إلا (سبحانك هذا بهتان عظيم) فمن روى عنا شيئاً من ذلك أو نسبه الينا فقد كذب علينا وافترى ، ومن شاهد حالنا ورأى مجالسنا وتحقق ما عندنا ، علم قطعا ان جميع ذلك وضعه علينا وافتراه جماهير أعداء الدين ، واخوان الشياطين ، تنفيراً للناس عن الاذعان لاخلاص التوحيد لله بالعبادة فانا نعتقد ان من فعل أنواعا من الكبائر كالقتل للمسلم بغير حق والزنا والربا وشرب الخمر، وتكرر ذلك منه لا يخرج بفعل ذلك عن دائرة الاسلام ولا يخلد به في دار الانتقام، اذا مات موحداً لله في جميع أنواع العبادة

(١) لعل اصله: نفسر القرآن برأينا

والذي نعتقده في مرتبة نبينا محمد ﷺ (أنها) أعلى مراتب المخلوقات على الاطلاق ، وانه حي في قبره حياة مستقرة أبلغ من حياة الشهداء المنصوص عليها في التنزيل ، إذ هو أفضل منهم بلا ريب ، وانه يسمع سلام من يسلم عليه ، وتسن زيارته إلا انه لايشد الرحال إلا لزيارة المسجد والصلاة فيه ، واذا قصد مع ذلك الزيارة فلا بأس ، ومن أنفق نفيس أوقاته في الاشتغال بالصلاة عليه الواردة عنه فقد فاز بسعادة الدارين وكفي همه كما جاء في الحديث .

قوله (وتارة يقول ان الشريعه واحدة فما لهؤلاء جعلوها مذاهب أربعة)

(أقول) قال عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب في ديباجة الرسالة المذكورة مانصه : ونودي بالمواظبة على الصلوات في الجماعات وعدم التفرق في ذلك بأن يجتمعوا في كل صلاة مع امام واحد يكون ذلك الامام من أحد المقلدين للاربعة رضوان الله عليهم اهـ وقد تقدم أيضاً قوله بل نجبرهم على تقليد أحد الائمة الاربعة فعلم بذلك ان هذا افتراء بحت

قوله (وكان كثير من المشايخ أن يعني الشيخ محمد بن سليمان الكردي والشيخ محمد حيات السندي الحنفي وغيرهما من أشياخه يتفرسون فيه الالحاد والضلال ، ويقولون سيضل هذا ويضل الله به من أبعده وأشقاه ، فكان الامر كذلك وما أخطأت فراستهم فيه)

أقول : هذا نقل مع لا استناد عليه

قوله (وكان والده عبد الوهاب من العلماء الصالحين وكان أيضاً يتفرس في ولده المذكور الالحاد ويذمه كثيراً ويحذر الناس منه)

أقول : هذا كذب صريح فان والده قد أتى عليه ثناء بليغا كما يظهر من عبارة (روضة الافكار) وقد نقلت فيما تقدم

قوله (وكذا أخوه سليمان بن عبد الوهاب فكان ينكر ما أحدثه من البدع والضلال والعقائد الزائغة وتقدم انه ألف كتابا في الرد عليه)

أقول : نعم قد كان أخوه سليمان في أول الامر كما قال هذا القائل ثم رجع عن مذهبه الاول وندم على ما فرط من الضلال والطغيان كما يلوح من كتابه الذي كتب الى احمد بن محمد التويجري واحمد ومحمد ابني عثمان بن شبانة وقد نقل فيما سبق فتذكر

قوله (وكانت ولادة محمد بن عبد الوهاب سنة ألف ومائة واحد عشر)

أقول : هذا غلط والصحيح ما في (الروضة) من انه (رح) ولد سنة خمس عشرة بعد المائة والالف كما تقدم

قوله (ولما أراد إظهار ما زينه له شيطان من البدعة والضلالة)

أقول : هذا بهتان عظيم فان الشيخ (رح) سعى سعيا عظيما في إزالة البدعة والضلالة وانه دعا الناس الى التوحيد الخالص واتباع السنة وترك الشرك والبدعة

قوله (ويفهمهم ان ما عليه الناس كله شرك وضلال)

أقول : هذا بعمومه افتراء بحت

قوله (وكان يقول لهم اني ادعوكم الى الدين وجميع ما هو تحت السبع الطباق مشرك على الاطلاق ؛ ومن قتل مشركا فله الجنة)

أقول : هذا كله افتراء بلا ريب على الشيخ يعرفه من له رائحة من الايمان والعلم والعقل

قوله (وكانوا ملكوا الطائف في ذي القعدة سنة ١٢١٧ قتلوا الكبير والصغير والمأمور والآمر ، ولم ينج إلا من طال عمره ، وكانوا يذبحون الصغير على صدر أمه ، ونهبوا الاموال ، وسبوا النساء — الى قوله — فانهم كانوا يحكمون على الناس بالكفر من منذ ستمائة ، وغلوا أيضاً عن استباحتهم أموال الناس ودمائهم وانتهاكهم حرمة النبي ﷺ بارتكابهم انواع التحقير له ولمن أحبه وغير ذلك من مقابحهم التي ابتدعوها وكفروا الامة بها ، وكانوا اذا اراد احد أن يتبعهم على دينهم طوعاً او كرهاً يأمرونه بالاتيان بالشهادتين اولا ثم يقولون له اشهد على نفسك انك كنت كافراً او اشهد على والديك انهما ماتا كافرين واشهد على فلان وفلان انه كان كافراً ويسمون له جماعة من أكابر العلماء الماضين ، فان شهدوا بذلك قبلوهم وإلا أمروا بقتلهم ، وكانوا يصرحون بتكفير الامة من منذ ستمائة سنة . واول من صرح بذلك محمد بن عبد الوهاب فتبعوه على ذلك ، واذا دخل انسان في دينهم وكان قد حج حجة الاسلام قبل ذلك يقولون له حج ثانيا فان حجتك الاولى فعلتها وأنت مشرك فلا يسقط عنك الحج ، ويسمون من اتبعهم من الخارج المهاجرين ومن كان من أهل بلدتهم يسمونهم الانصار ، والظاهر من حال محمد بن عبد الوهاب انه يدعي النبوة إلا انه ماقدر على إظهار التصريح بذلك وكان في أول أمره مولعاً بمطالعة أخبار من ادعى النبوة كاذبا كمسيلمة الكذاب وسجاح ، والاسود العنسي ، وطليحة الاسدي واضرابهم فكأنه يضمر في نفسه

دعوى النبوة ، ولو أمكنه إظهار هذه الدعوة لاظهرها ، وكان يقول لأتباعه اني أتيتكم بدين جديد ويظهر ذلك من أقواله وأفعاله ، ولهذا كان يطعن في مذاهب الائمة وأقوال العلماء ، ولم يقبل من دين نبينا ﷺ إلا القرآن ويؤوله على حسب مراده ، مع انه انما قبله ظاهراً فقط لئلا يعلم الناس حقيقة أمره فيكشفوا عنه بدليل انه هو واتباعه انما يؤولونه على حسب مايوافق أهواءهم لا بحسب مافسره به النبي ﷺ وأصحابه والسلف الصالح وأئمة التفسير فانه كان لا يقول بذلك ولا يقول بما عدا القرآن من احاديث النبي ﷺ وأقاويل الصحابة والتابعين ، والائمة المجتهدين ، ولا بما استنبطه الائمة من القرآن والحديث ، ولا يأخذ بالاجماع ، ولا بالقياس الصحيح ، وكان يدعي الانتساب الى مذهب الامام احمد (رح) كذبا وتستراً وزوراً والامام احمد بريء منه)

أقول: الجواب على هذه الاقوال كلها انها على طولها وكثرتها كاذبة خبيثة فلا تعجبك كثرة الخبيث

قوله حتى أخوه سليمان بن عبد الوهاب ألف رسالة في الرد عليه كما تقدم

أقول : قد عرفت فيما تقدم ان الشيخ سليمان قد رجع عن قوله الاول فالاستناد بالقول المرجوع عنه عجيب

قوله (وتمسك في تكفير المسلمين بآيات نزلت في المشركين فحملها على الموحدين)

أقول : انما تمسك الشيخ في تكفير الذين يسمون أنفسهم مسلمين وهم يرتكبون أموراً مكفرة بعموم آيات نزلت في المشركين ، وقد ثبت في علم الاصول ان العبرة بعموم اللفظ ، لا لخصوص السبب ، وهذا مما لا مجال الاختلاف فيه لأحد .

قوله ﴿ وقد روى البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في وصف الخوارج أنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها في المؤمنين ﴾

أقول قد وصله الطبري في مسند علي من تهذيب الآثار من طريق بكير ابن عبد الله بن الأشج أنه سأل نافعا كيف كان رأي ابن عمر في الحرورية؟ قال كان يراهم شرار الخلق انطلقوا الى آيات الكفار فجعلوها في المؤمنين . قلت وسنده صحيح قاله الحافظ في الفتح ، والشيخ رحمه الله تعالى بريء من هذا الصنيع بحمد الله ، والدليل عليه أنه ذكر في كتاب التوحيد باب اثم من فجر بالقرآن حديث أبي سعيد الخدري المروي في الخوارج وذكر هذا الأثر، فكيف يرتكب ما يشنع به على الخوارج ؟ نعم قد استدل الشيخ (رح) على كفر عباد القبور بعموم آيات نزلت في الكفار ، وهذا مما لا محذور فيه ، إذ عباد القبور ليسوا بمؤمنين عند أحد من المسلمين (١)

---

(١) ان المؤلف يختصر في دحض هذه المفتريات لما سبق له من التفصيل فيما يفندها من بطلان النقل وادلة الشرع. ومن عجائب جهل دحلان وامثاله انهم يظنون أن ما بينه القرآن من بطلان شرك المشركين خاص بهم لذواتهم وليس حجة على من يفعل مثل فعلهم كأن من ولد مسلما يباح له الشرك لجنسيته الاسلامية وان اشرك بالله في كل ما عده كتاب الله شركا وعلى هذا لا يتصور وقوع الردة في الاسلام لأن من سمي مسلما يجب أن يسمى كفره وشركه اسلاما ، أو يعد مباحا له أو حراما على الاقل وقد يعدونه مشروعا بالتأويل ! وكتبه محمد رشيد رضا

قوله ﴿وفي رواية أخرى عن ابن عمر عند غير البخاري أنه ﷺ قال «أخوف ما أخاف على أمتي رجل متؤول القرآن يضعه في غير موضعه﴾

أقول في هذا الكلام خطأ من وجوه

(الاول) ان هذا الحديث من رواية عمر بن الخطاب لا من رواية ابن عمر كما ستعرفه عن قريب

(والثاني) أن المتبادر من قوله عند غير البخاري أن غير البخاري من الائمة الستة قد أخرجوه مع أنه ليس له أثر في شيء من الكتب الستة ، فهذا تدليس واضح ، وان كان المراد بغير البخاري الطبراني فقط فكان التصريح بالطبراني أولى بالديانة من هذا الابهام والتلبيس

(والثالث) لفظ الحديث هكذا عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « أكثر ما أتخوف على أمتي من بعدي رجل يتأول القرآن يضعه على غير مواضعه ورجل يرى أنه أحق بهذا الامر من غيره» رواه الطبراني في الاوسط كذا في مجمع الزوائد ، والمؤلف قد أخطأ في نقل هذه الرواية في غير ما موضع كما لا يخفى

(والرابع) في سنده اسماعيل بن قيس الانصاري وهو متروك الحديث كذا في مجمع الزوائد ، قال الذهبي في الميزان اسماعيل بن قيس بن سعد بن زيد بن ثابت الانصاري أبو مصعب عن أبي حازم ويحيى بن سعيد الانصاري قال البخاري والدار قطني منكر الحديث ، وقال النسائي وغيره ضعيف ، وقال ابن عدي وعامة ما يرويه منكر اه ملخصا

(والخامس) أن مصداقه على الشيخ محمد بن عبد الوهاب غير مسلم ومن يدعي فعليه البيان

وقد ورد في هذا المعنى أحاديث أخر

منها حديث حذيفة ، قال الحافظ أبو يعلى حدثنا أبو موسى حدثنا أبو عمرو ابن عاصم حدثنا المعتمر عن أبيه عن قتادة عن الحسن بن جندب بن عبد الله أنه بلغه عن حذيفة أو سمعه منه يحدث عن رسول الله ﷺ أنه ذكر « إن في أمتي قوم يقرؤون القرآن ينثرونه نثر الدقل يتأولونه على غير تأويله » لم يخرجوه كذا في تفسير الحافظ ابن كثير

ومنها حديث علي بن أبي طالب (رض) قال قال رسول الله ﷺ « اني لا أتخوف على أمتي مؤمنا ولا مشركا ، فأما المؤمن فيحجزه إيمانه ، وأما المشرك فيقمعه كفره ، ولكن أتخوف عليكم منافقا عليم اللسان يقول ما تعرفون ويعمل ما تنكرون » رواه الطبراني في الصغير والاوسط من رواية الحارث وهو الاعور وقد وثقه ابن حبان وغيره

ومنها حديث عمران بن حصين (رض) قال قال رسول الله ﷺ « ان أخوف ما أخاف عليكم بعدي كل منافق عليم اللسان » رواه الطبراني في الكبير والبزار ورواته محتج بهم في الصحيح ، ورواه أحمد من حديث عمر بن الخطاب كذا في الترغيب والترهيب للمنذري ؛ وقال في مجمع الزوائد رواه البزار وأحمد وأبو يعلى ورجاله موثقون

ومنها حديث معاذ بن جبل قال قال رسول الله ﷺ « اني أخاف عليكم ثلاثا وهن كائنات ، زلة عالم وجدال منافق بالقرآن ودنيا تفتح عليكم » رواه الطبراني في الثلاثة وفيه عبد الحكيم بن منصور وهو متروك الحديث

ومنها حديث معاذ بن جبل أيضا عن رسول الله ﷺ « إياكم وثلاثة ، زلة عالم وجدال منافق بالقرآن ودنيا تقطع أعناقكم . فأما زلة عالم فإن اهتدى فلا تقلدوه دينكم ، وان زل فلا تقطعوا عنه أناتكم ، وأما جدال منافق بالقرآن فان

قرآن مناراً كمنار الطريق، فما عرفتم فخذوه، وما أنكرتم فردوه إلى عالمه ، وأما
الدنيا تقطع أعناقكم فمن جعل الله في قلبه غنى فهو غني » رواه الطبراني في الاوسط
وعمرو بن مرة لم يسمع من معاذ وعبد الله بن صالح كاتب الليث وثقه عبد الملك
بن شعيب بن الليث ويحيى في رواية منه وضعفه أحمد وجماعة

ومنها حديث عمر بن عوف قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « اني أخاف
على أمتي من ثلاث، من زلة عالم ومن هوى متبع ومن حكم جائر » رواه البزار
وفيه كثير بن عبد الله بن عوف وهو متروك وقد حسن له الترمذي

ومنها حديث عمر بن الخطاب قال حذرنا رسول الله ﷺ كل منافق
عليم اللسان ، رواه البزار واحمد وابو يعلى ورجاله موثقون

ومنها حديث عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ قال « اني أخاف على أمتي
اثنتين القرآن واللبن ، أما اللبن فيتبعون الريف ويتبعون الشهوات ويتركون
الصلاة ، وأما القرآن فيتعلمه المنافقون فيجادلون به الذين آمنوا » رواه أحمد
والطبراني في الكبير وفيه دراج أبو السمح وهو ثقة مختلف في الاحتجاج به كذا
في مجمع الزوائد

وعن زياد بن حدير قال قال لي عمر : هل تعرف ما يهدم الاسلام ؟ قال قلت
لا ، قال يهدمه زلة العالم وجدال المنافق بالكتاب وحكم الأئمة المضلين . رواه
الدارمي وعن عمرو بن الاشج أن عمر بن الخطاب قال : سيأتي ناس يجادلونكم
بشبهات القرآن فخذوهم بالسنن فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله . رواه الدارمي

(والسادس) أن المراد في الحديث من يتعمد بموته رجال يتغي تأويل ما تشابه
من القرآن ، ويدل عليه ما أخرجه أبو نعيم في المعجم الكبير عن أبي مالك
الاشعري أنه سمع رسول الله ﷺ يقول « لا أخاف على أمتي إلا ثلاث خصال
أن يكثر لهم المال فيتحاسدوا فيقتتلوا ، وأن يفتح لهم الكتاب فيأخذه المؤمن

يبتغي تأويله (وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به) الآية وان يروا ذا علمهم فيضيعوه ولا يبالون عليه » كذا في تفسير ابن كثير

وقبح تأويل ما تشابه من القرآن ثابت بالكتاب اي قوله تعالى (فأَمَّا الذينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الفِتْنَةِ وَابتغاء تَأوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأوِيلَهُ إلاَّ اللهُ) الآية وبالسنة الصحيحة وهو ما روي عن عائشة (رض) قالت: تلا رسول الله ﷺ (هُوَ الذِي أَنْزَلَ عَلَيكَ الكِتابَ مِنهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ) وقرأ إلى وما يذكر إلاَّ أولوا الألباب، قالت قال رسول الله ﷺ « فاذا رأيت – وعند مسلم رأيتم – الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سماهم الله فاحذروهم » متفق عليه والخوارج داخلون فيهم دخولا أوليا بل ان قيل انهم هم المراد في الحديث الذي ذكره صاحب الرسالة وفي الآية لم يكن بعيدا ، فان اول بدعة وقعت في الاسلام هي فتنة الخوارج ثم نشعبت منهم شعوب وقبائل وآراء وأهواء ومقالات ونحل كثيرة منتشرة ثم انبعثت القدرية ثم المعتزلة ثم الجهمية وغير ذلك من أهل البدع فهم اصل كل اهل البدعة ورأسهم(١) ويدل لك ما أخرجه الحافظ ابويعلى عن الحسن بن جندب بن عبدالله انه بلغه عن حذيفة او سمعه منه يحدث عن رسول الله ﷺ انه ذكر « ان في امتي قوما » الحديث وقد ذكر آنفا

وما اخرجه احمد عن ابي غالب قال: سمعت ابا امامة يحدث عن النبي ﷺ في قوله تعالى (فَأَمَّا الذينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ ما تَشَابَهَ مِنْهُ) قال هم الخوارج، وفي قوله تعالى (يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ) وقد رواه ابن مردويه من غير وجه عن ابي غالب عن ابي امامة فذكره كذا في تفسير

(١) نسي المصنف هنا غلاة الشيعة كالسبائيين فهم قبل الخوارج وشر منهم

ابن كثير ، فالفرد الكامل للحديث والآية هو الخوارج، ولكل اهل بدعة كفل منها على قدر بدعته حتى الخلف من الذين يسمون أنفسهم اهل السنة ومنهم صاحب الرسالة فانهم يؤولون آيات الصفات واحاديثها

واذا عرفت هذا فاعلم ان الشيخ ليس مصداق هذا الحديث بيقين فانه يشنع تشنيعاً بليغاً على من يبتغي تأويل المتشابهات ، فكيف يكون مصداقه ؟ وقد عقد في كتاب التوحيد بابا لما جاء في اتباع المتشابه ، وقد ذكر فيه حديث عائشة المذكور ، وأثر عمر (رض) هل تعرف ما يهدم الاسلام ؟ الحديث وقال : ولما سمع صبيغ يسأل عن الذاريات وأشباهها فعل به عمر ما فعل ، والقصة مشهورة . وقال في الرسالة التي اختصرت لاهل مكة : فأخبرناه بأن مذهبنا في أصول الدين مذهب أهل السنة والجماعة ، وطريقتنا طريقة السلف التي هي الطريق الاسلم والاعلم والاحكم ، خلافا لمن قال طريقة الخلف أعلم ، وهي انا نمر آيات الصفات والاحاديث على ظاهرها ونكل معناها إلى الله تعالى ، فان مالكا وهو من أجل علماء السلف لما سئل عن الاستواء قال الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والايمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة .

قوله ﴿وأعجب من ذلك كله انه كان يكتب إلى عماله الذين هم من أجهل الجاهلين اجتهدوا بحسب فهمكم وانظروا حكمتم بما ترونه مناسبا لهذا الدين﴾

أقول هذا كذب بحت، فان الشيخ قال في الرسالة التي اختصرت لاهل مكة: ونحن أيضا في الفروع على مذهب الامام أحمد بن حنبل (رح) ولا ننكر على من قلد أحد الاربعة دون غيرهم لعدم ضبط مذاهب الغير كالرافضة والزيدية والامامية ونحوهم، فلا نقرهم على شيء من مذاهبهم الفاسدة بل نجبرهم على تقليد أحد الائمة الاربعة[1] ولا نستحق مرتبة الاجتهاد المطلق ولا أحد لدينا يدعيها إلا اننا في بعض المسائل

---

(١) تقدم أن مذاهبهم مدونة وقوله ولا نستخف كانت ولا نستحق وهو تصحيف

إذا صح لنا نص جلي من كتاب أو سنة غير منسوخ ولا مخصص ولا معارض بأقوى منه وقال به أحد الائمة الاربعة أخذنا به وتركنا المذهب كارث الجد والاخوة فانا نقدم الجد وإن خالف مذهب الحنابلة ، ولا نفتش على أحد في مذهبه ولا نعترض إلا اذا اطلعنا على نص جلي كذلك مخالف لمذهب بعض الائمة وكانت المسألة مما يحصل به شعار ظاهر كامام الصلاة فنأمر الحنفي والمالكي مثلا بالمحافظة على نحو الطمأنينة في الاعتدال والجلوس بين السجدتين لوضوح دليل ذلك بخلاف جهر الامام الشافعي بالبسملة وشتان بين المسألتين ، فاذا قوي الدليل أرشدناهم بالنص وان خالف المذهب ، وذلك انما يكون نادراً جداً ، ولا مانع من الاجتهاد في بعض المسائل دون بعض فلا مناقضة لعدم دعوى الاجتهاد المطلق ، وقد سبق جمع من أئمة المذاهب الاربعة الى اختياراتهم في بعض المسائل مخالفة للمذهب الملتزمين تقليد صاحبه اه

قوله ﴿ وقد اعتنى كثير من العلماء من أهل المذاهب الاربعة للرد عليه ﴾

أقول قد اعتنى كثير من العلماء من أهل التحقيق بالجواب على ذلك الرد

قوله ﴿ وسألوه عن مسائل يعرفها أقل طلبة العلم فلم يقدر على الجواب عنها لانه لم يكن له تمكن في العلوم ﴾

أقول تمكنه في العلوم الدينية مما لا مجال للكلام فيه فان الشيخ إمام الموحدين ورأس العلماء العاملين ، وغرة الائمة المحققين ، كان حفظ القرآن عن ظهر قلبه قبل بلوغه العشر ، وكان حاد الفهم ، سريع الحفظ ، اشتغل في العلم على أبيه ، وأخذ في القراءة على والده في الفقه ورحل في العلم وسار ، وجدَّ في الطلب فزاحم فيه علماء كبيرة ، وأخذ العلم عن جماعة منهم الشيخ عبدالله بن ابراهيم النجدي ثم المدني . وقد سمع (ح) الحديث والفقه من جماعة بالبصرة كثيرة وقرأ بها النحو

وأتقن تحريره، وكتب الكثير من اللغة والحديث، فلله دره من جهبذ عالم، وداع إلى توحيد الله قائم، وناصح لله ملازم، ومجدد لتلك المشاهد السنية والمعالم. كذا في الروضة للشيخ حسين بن غنام الاحسائي وقال عالم صنعاء وشيخها

قفي واسألي عن عالم حل سوحها ... به يهتدي من ضل عن منهج الرشد

محمد الهادي لسنة أحمد ... فيا حبذا الهادي ويا حبذا المهدي

لقد سرني ما جاءني من طريقه ... وكنت أرى هذي الطريقة لي وحدي

وقال عالم الاحساء وشيخها

لقد رفع المولى به رتبة الهدى ... بوقت به يعلو الضلال ويرفع

وجرت به نجد ذيول افتخارها ... وحق لها بالألمعي ترفع

وقد عرف طلب الشيخ ورحلته في تحصيله كما ذكره صاحب التاريخ الشيخ حسين بن غنام الاحسائي، وقد اجتمع بشيخ الحرمين في وقته ومحدثيها وأجازه بعضهم ورحل الى البصرة، وسمع وناظر — وأتى الاحساء وهي ذاك آهلة بالعلماء فسمع من أشياخها، وبحث في اصول الدين ومقالات الناس في الايمان وغيره وسمع من والده ومن فقهاء نجد في وقته، واشتهر عندهم بالعلم والذكاء. كذا قاله بعض المحققين في تأليف رد فيه على (جلاء الغمة في تكفير هذه الامة

وللشيخ رسائل وتآليف تدل على سعة علمه منها كتاب (التوحيد) وكتاب (اصول الايمان واستنباط الاحكام من بعض السور وغيرها) وحكاية السؤال عن المسائل وعدم القدرة على الجواب عنها حكاية رجل خائن لا يعتمد على حكايته

قوله ﷺ فمن جملة ما سأله عنه قوله أسألك عن قوله تعالى (والعاديات ضبحا)

الى آخر السورة التي هي من قصار المفصل كم فيها من حقيقة شرعية وحقيقة لغوية

وحقيقة عرفية (الى قوله) وما فيها من احتراس وتتميم وبيّن لنا موضع كل ماذكر

فلم يقدر محمد بن عبد الوهاب على الجواب عن شيء مما سأله عنه ﴾

أقول الكلام فيه من وجوه (الاول) عدم الاعتماد على هذه الحكاية (والثاني) عدم القدرة على جواب مثل هذا السؤال لا يدل على عدم تمكنه في العلوم الدينية من الحديث والتفسير والفقه (والثالث) ان هذا السؤال من جنس محارات العلماء وهي غير جائزة بل من جنس الاغلوطات وهو منهي عنه لما روى ابو داود عن معاوية قال ان النبي ﷺ نهى عن الاغلوطات. وعن تميم الداري ان رسول الله ﷺ قال «كل مشكل حرام وليس في الدين إشكال» رواه الطبراني في الكبير وفيه الحسين بن عبدالله بن ضميرة وهو مجمع على ضعفه

وعن ثوبان عن رسول الله ﷺ قال «سيكون أقوام من أمتي يتعاطون فقهاءهم عضل المسائل أولئك شرار أمتي» رواه الطبراني وفيه يزيد بن ربيعة وهو متروك كذا في مجمع الزوائد، قال الذهبي في ترجمة الحسين بن عبدالله بن ضميرة كذبه مالك، وقال ابو حاتم متروك الحديث، وقال أحمد لا يساوي شيئا، وقال ابن معين ليس بثقة ولا مأمون. وقال البخاري منكر الحديث ضعيف، وقال ابو زرعة ليس بشيء اضرب على حديثه اه

وقال في ترجمة يزيد بن ربيعة الرحبي الدمشقي قال البخاري أحاديثه مناكير وقال ابو داود وغيره ضعيف، وقال النسائي متروك، قال أبو مسهر كان يزيد بن ربيعة فقيها غير متهم ما ينكر عليه انه أدرك أبا الاشعث ولكن أخشى عليه سوء الحفظ والوهم. وقال الجوزجاني أخاف أن تكون أحاديثه موضوعة، وأما ابن عدي فقال أرجو أنه لا بأس به اه

وحديث تميم الداري وثوبان وان كانا ضعيفين ولكن بكفيان الاستئناس

والتقوية ، لا يقال ان حديث ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ «ان من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وانها مثل المسلم فحدثوني ماهي ؟» الحديث رواه البخاري يدل على خلاف ما رواه أبو داود عن معاوية (قلت) دلالته على الخلاف غير مسلمة فان حديث ابن عمر يدل على أن امتحان العالم أذهان الطلبة بما يخفى مع بيانه لهم إن لم يفهموه جائز ، وأما حديث معاوية فمحمول على صعاب المسائل مما لا نفع فيه أو ماخرج على سبيل تعنيت المسئول أو تعجيزه كذا قال الحافظ في الفتح ولا ريب ان السؤال الذي ذكره المؤلف خرج على سبيل تعنيت المسئول وتعجيزه

(والرابع) ان رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم وأهل بيته رضوان الله عليهم أجمعين وأهل العلم من التابعين وتبع التابعين ولاسيما الائمة الاربعة من الفقهاء والائمة الستة من أهل الحديث لو سئلوا عن أمثال تلك المسائل فهل يقدرون على الجواب عن شيء منها أم لا ؟ على الثاني فللشيخ رحمه الله تعالى أسوة حسنة في هؤلاء السادة الكبار ، والاول مستبعد جداً فان رسول الله ﷺ ما كان يعرف شيئاً من حقيقة شرعية وحقيقة لغوية وحقيقة عرفية ومجاز مرسل وغيرها من الامور المذكورة في هذا السؤال، وكذا أصحابه وأهل بيته رضي الله عنهم وكذلك أهل العلم من التابعين وتبع التابعين ، وكذلك الفقهاء الاربعة والائمة الستة

قوله ، وقد أخبر النبي ﷺ عن هؤلاء الخوارج في احاديث كثيرة فكانت

تلك الاحاديث من اعلام نبوة النبي ﷺ لانها من الاخبار بالغيب ، وتلك

الاحاديث كلها صحيحة بعضها في صحيحي البخاري ومسلم وبعضها في غيرهما ﴾

أقول : كون الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتباعه مصداق تلك الاحاديث ، وكذلك كون تلك الاحاديث كلها صحيحة محل نظر كما ستقف عليه إن شاء الله تعالى

قوله ، فمنه قوله ﷺ « الفتنة من ههنا الفتنة من ههنا » وأشار الى المشرق ﴾

أقول رواه البخاري في كتاب الفتن من حديث ابن عمر ولفظه هكذا عن سالم عن أبيه عن النبي ﷺ أنه قام إلى جنب المنبر فقال « الفتنة ههنا الفتنة ههنا من حيث يطلع قرن الشيطان » أو قال « قرن الشمس » ، وفي رواية عنه أنه سمع رسول الله ﷺ وهو مستقبل المشرق يقول « ألا أن الفتنة ههنا من حيث يطلع قرن الشيطان » ، وفي رواية عنه قال ذكر النبي ﷺ « اللهم بارك لنا في شامنا اللهم بارك لنا في يمننا » قالوا وفي نجدنا قال « اللهم بارك لنا في شامنا اللهم بارك لنا في يمننا » قالوا يا رسول الله وفي نجدنا فأظنه قال « في الثالثة هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان » اه

قال الحافظ في الفتح قوله « الفتنة ههنا الفتنة ههنا » كذا فيه مرتين ، وفي رواية يونس « ها إن الفتنة ههنا » أعادها ثلاث مرات ، قوله « من حيث يطلع قرن الشيطان » أو قال « قرن الشمس » كذا هنا بالشك ، وفي رواية عبد الرزاق « ههنا أرض الفتن » وأشار إلى المشرق يعني حيث يطلع قرن الشيطان ، وفي رواية شعيب « ألا إن الفتنة ههنا » يشير إلى المشرق حيث يطلع قرن الشيطان ، وفي رواية يونس مثل معمر لكن لم يقل أو قال « قرن الشيطان » بل قال يعني المشرق

ولمسلم من رواية عكرمة بن عمار عن سالم سمعت ابن عمر يقول سمعت رسول الله ﷺ يشير بيده نحو المشرق ويقول « ها إن الفتنة ههنا » ثلاثا « حيث يطلع قرن الشيطان » ، وله من طريق حنظلة عن سالم مثله لكن قال « إن الفتنة ههنا » ثلاثا ، وله من طريق فضيل بن غزوان سمعت سالم بن عبد الله بن عمر يقول يا أهل العراق ما أسألكم عن الصغيرة وأركبكم الكبيرة ! سمعت أبي يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن الفتنة تجيء من ههنا ، وأومأ بيده نحو المشرق « من حيث يطلع قرنا الشيطان » كذا فيه بالتثنية ، وله في صفة إبليس من طريق مالك عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر مثل سياق حنظلة سواء ، وللطبراني نحوه من رواية

الثوري عن عبد الله بن دينار أخرجه في الطلاق ثم ساق هنا من رواية الليث عن نافع عن ابن عمر مثل رواية يونس إلا انه قال « ألا ان الفتنة ههنا » ولم يكرر وكذا لمسلم ، وأورده الاسماعيلي من رواية احمد بن يونس عن الليث فكررها مرتين اه

(قلت) قد عرفت من هنا أن زيادة لفظة (من) لا تعرف في شيء من طرق الحديث ولعلها من أغلاط المؤلف ، ولا يستبعد ذلك منه ، فانه كثيراً ما يغلط في نقل الروايات لانه ليس من أهل هذا الشأن ، وهذا الحديث لا شك في صحته وقد وردت في هذا المعنى أحاديث صحيحة أخر

منها ما روى البخاري في المناقب عن أبي مسعود يبلغ به النبي ﷺ قال « من ههنا جاءت الفتن — نحو المشرق — والجفاء وغلظ القلوب في الفدادين أهل الوبر عند أصول اذناب الابل والبقر ، في ربيعة ومضر » ولفظ مسلم هكذا عن ابي مسعود قال : اشار النبي ﷺ بيده نحو اليمن فقال « الا ان الايمان ههنا وان القسوة وغلظ القلوب في الفدادين عند اصول اذناب الابل حيث يطلع قرنا الشيطان في ربيعة ومضر »

ولمسلم عن ابي هريرة ان رسول الله ﷺ قال « رأس الكفر نحو المشرق والفخر والخيلاء في أهل الخيل والابل الفدادين أهل الوبر والسكينة في أهل الغنم »

وله في رواية عنه ان رسول الله ﷺ قال « الايمان يمان والكفر قبل المشرق والسكينة في اهل الغنم والفخر والرياء في الفدادين اهل الخيل والوبر »

وله في رواية عنه قال سمعت النبي ﷺ يقول « جاء اهل اليمن هم ارق أفئدة واضعف قلوبا الايمان يمان والحكمة يمانية ، والسكينة في أهل الغنم والفخر والخيلاء في الفدادين اهل الوبر قبل مطلع الشمس »

وله في رواية عنه قال قال رسول الله ﷺ « أتاكم أهل اليمن هم ألين قلوبا

وأرق افئدة ، الايمان يمان والحكمة يمانية، رأس الكفر قبل المشرق »

وله عن جابر بن عبد الله يقول قال رسول الله ﷺ « غلظ القلوب والجفاء في المشرق والايمان في أهل الحجاز »

قال الحافظ في الفتح: وقال غيره -- أي غير الخطابي — كان أهل المشرق يومئذ أهل كفر فأخبر ﷺ أن الفتنة تكون من تلك الناحية فكان كما أخبر وأول الفتن كان من قبل المشرق فكان ذلك سبباً للفرقة بين المسلمين ، وذلك ما يحبه الشيطان ويفرح به ، وكذلك البدع نشأت من تلك الجهة اه

وقال القسطلاني : انما أشار عليه الصلاة والسلام إلى المشرق لان أهله يومئذ اهل كفر فأخبر أن الفتنة تكون من تلك الناحية . وكذا وقع فكان وقعة الجمل ووقعة صفين ثم ظهور الخوارج في ارض نجد والعراق وما وراءها من المشرق ، وكان اصل ذلك كله وسببه قتل عثمان بن عفان (رض) وهذا علم من اعلام نبوته ﷺ وشرف وكرم اه

وقال أيضاً : يبدأ من المشرق ومن ناحيتها يخرج يأجوج ومأجوج والدجال، وبها الداء العضال، وهي الهلاك في الدين اه

وقال النووي والمراد بذلك اختصاص المشرق بمزيد من تسلط الشيطان ومن الكفر كما قال في حديث آخر « رأس الكفر نحو المشرق » وكان ذلك في عهده ﷺ حين قال ذلك ويكون حين يخرج الدجال من المشرق وهو فيما بين ذلك منشأ الفتن العظيمة ، ومثار الكفرة الترك العاسقة العاتية الشديدة البأس اه

وقال صاحب مجمع البحار ومنه حديث « قرنا الشيطان قبل المشرق » اي جمعاه المعنويان او شيعتاه من الكفار ، يريد مزيد تسلطه في المشرق وكان ذلك في عهده ﷺ ويكون حين يخرج الدجال من المشرق ،وهو فيما بين ذلك منشأ الفتن العظيمه ومثار الترك العاتية اه

ولا يخفى عليك ان لفظا من ألفاظ هذا الحديث لا يقتضي ان كل من يولد في المشرق او يسكن فيه يكون مصداقا لهذا الحديث حتى يثبت ما ادعاه المؤلف من كون الشيخ مصداقا له ، والمؤلف لم يبين وجه الاستدلال به حتى يتكلم فيه ويجاب عليه ؛ ومجرد وقوع الفتنة في موضع لا يستلزم ذم كل من يسكنه

ألا ترى الى ما روى الشيخان عن اسامة بن زيد قال أشرف النبي ﷺ على أطم من آطام المدينة فقال « هل ترون ما ارى ؟ » قالوا لا قال « فاني لأرى الفتن تقع في خلال بيوتكم كوقع المطر »

وإلى ماروى ابوداود عن ابي ذر قال كنت رديفا خلف رسول الله ﷺ يوماً على حمار فلما جاوزنا ببوت المدينة قال « كيف بك يا اباذر اذا كان بالمدينة جوع تقوم عن فراشك ولا تبلغ مسجدك حتى يجهدك الجوع ؟ » قال قلت الله ورسوله اعلم قال « تعفف يا اباذر (قال) كيف بك يا ابا ذر اذا كان بالمدينة موت يبلغ البيت العبد حتى انه يباع القبر بالعبد ؟ » قال قلت الله ورسوله اعلم قال « تصبر يا اباذر (قال) كيف بك يا ابا ذر اذا كان بالمدينة قتل تغمر الدماء احجار الزيت ؟ » قال قلت الله ورسوله اعلم قال « تأتي من انت منه » قال قلت وألبس السلاح ؟ قال « شاركت القوم إذاً » قلت فكيف أصنع يارسول الله ؟ قال « ان يبهرك شعاع السيف فألق ناحية ثوبك على وجهك ليبوء بإثمك وإثمه » [1]

---

١) هذا الحديث اخرجه البغوي في المصابيح وعزاه مخرجوه وصاحب المشكاة الى ابي داود وهو غير موجود في نسخ ابي داود التى فى الايدي بهذا اللفظ ولكنه جاء فيه بلفظ آخر يشير الي انه سبقه غيره . واحجار الزيت مكان فى المدينة معروف قال بعضهم هو الموضع الذي وقعت فيه الوقعة فى زمن يزيد بن معاوية حين استباح المدينة وهو من جهتها الغربية ، وقوله « تأتي من انت منه » وعند ابي داود « عليك بمن انت منه » معناه الزم اهلك وعشيرتك ولا تنغمس في الفتنة وقيل الزم إمامك الذي بايعته . وكتبه محمد رشيد رضا

وإلى ماروى البخاري عن ابن المسيب قال وقعت الفتنة الاولى - يعني مقتل عثمان - فلم يبق من اصحاب بدر احد، ثم وقعت الفتنة الثانية - يعني الحرة - فلم يبق من اصحاب الحديبية احد ، ثم وقعت الفتنة الثالثة فلم ترفع وبالناس طباخ

وهذه الاحاديث وغيرها مما ورد في هذا الباب دالة على وقوع الفتن في المدينة النبوية ، فلو كان وقوع الفتنة في موضع مستلزما لذم ساكنيه لزم ذم سكان المدينة كلهم أجمعين ، وهذا لا يقول به أحد ، على أن مكة والمدينة كانتا في زمان موضع الشرك والكفر ، وأي فتنة أكبر منهما ؟ بل وما من بلدة أو قرية إلا وقد كانت في زمن أو ستصير في زمان موضع الفتنة ، فكيف نجتريء مؤمن على ذم جميع مسلمي الدنيا ؟ وانما مناط ذم شخص معين كونه مصدراً للفتن من الكفر والشرك والبدع والظلم ، وأما مجرد تولده في موضع الفتنة أو سكناه فيه مع كونه ماحياً للفتن ، ومحيياً للسنن ، فليس سبباً الذم والعيب ، بل موجب الثناء والوصف الجميل . كيف لا وهو كالمقاتل خلف الفارين وكغصن أخضر في شجر يابس ، ومثل مصباح في بيت مظلم ؟ كما ورد في الحديث

وملاك الامر في كون الرجل أولى الناس بالرسول هو تقواه من كان وحيث كان ، يدل عليه ما روى الامام احمد بن محمد بن حنبل عن معاذ بن جبل قال : لما بعثه رسول الله ﷺ الى اليمن خرج معه رسول الله ﷺ يوصيه ومعاذ راكب ورسول الله ﷺ يمشي تحت راحلته ، فلما فرغ قال « يا معاذ انك عسى أن لا تلقاني بعد عامي هذا ، ولعلك أن تمر بمسجدي هذا وقبري » فبكى معاذ جشعاً[1] لفراق رسول الله ﷺ ثم التفت فأقبل بوجهه نحو المدينة فقال « ان أولى الناس بي المتقون ، من كانوا وحيث كانوا »

---

(١) الجشع بالتحريك الجزع لفراق الالف وهو المراد هنا كما في اللسان وغيره قال والجشع اسوأ الحرص وقيل اشده على الطعام وغيره وكتبه محمد رشيد رضا

قوله ﴿وقوله ﷺ «يخرج ناس من قبل المشرق ويقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية لا يعودون فيه حتى يعود السهم إلى فوقه، سيماهم التحليق — والفوق بضم الفاء موضع الوتر﴾

أقول الحديث أخرجه البخاري في كتاب التوحيد عن معبد بن سيرين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال «يخرج ناس من قبل المشرق ويقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ثم لا يعودون فيه حتى يعود السهم إلى فوقه» قيل ما سيماهم؟ قال «سيماهم التحليق أو قال ـ التسبيد» اهـ وليس فيما نقله المؤلف لفظة (ثم) ولا لفظة (قيل ما سيماهم)

وأخرج مسلم عن أبي نضرة عن أبي سعيد ان النبي ﷺ ذكر قوما يكونون في أمته يخرجون في فرقة من الناس سيماهم التحالق قال «هم شر الخلق أو من أشر الخلق يقتلهم أدنى الطائفتين إلى الحق» قال فضرب النبي ﷺ لهم مثلا او قال قولا «الرجل يرمي الرمية ـ أو ـ قال الغرض فينظر في النصل فلا يرى بصيرة، وينظر في النضي فلا يرى بصيرة[1] وينظر في الفوق فلا يرى بصيرة» قال قال أبو سعيد: وأنتم قتلتموهم يا أهل العراق اهـ

وفي رواية له عن سهل بن حنيف قال يتيه قوم قبل المشرق محلقة رءوسهم

وأخرج أبو داود عن أبي سعيد الخدري وأنس بن مالك عن رسول الله ﷺ قال «سيكون في أمتي اختلاف وفرقة قوم يحسنون القيل ويسيئون الفعل، يقرءون القرآن لا يجوز تراقيهم، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، لا يرجعون حتى يرتد على فوقه، هم شر الخلق والخليقة، طوبى لمن قتلهم وقتلوه، يدعون إلى كتاب

(١) النضي كغني قدح السهم او ما جاوز الريش منه الى النصل. والبصيرة أثر الدم

الله وليسوا منه في شيء، من قاتلهم كان أولى بالله تعالى منهم » قالوا يارسول الله ماسيماهم ؟ قال « التحايق »

وله عن أنس ان النبي ﷺ نحوه قال « سيماهم التحليق والتسبيد (١) فاذا رأيتموهم فأنيموهم » وأخرج النسائي عن شريك بن شهاب قال كنت أتمنى أن ألقى رجلا من أصحاب النبي ﷺ أسأله عن الخوارج فلقيت أبابرزة في يوم عيد في نفر من أصحابه ، فقلت له هل سمعت رسول الله ﷺ يذكر الخوارج؟ فقال نعم سمعت رسول الله ﷺ بأذني ورأيته بعيني : أتي رسول الله ﷺ بمال فقسمه فأعطى من عن يمينه ومن عن شماله ولم يعط من ورائه شيئا، فقام رجل من ورائه فقال يامحمد ماعدلت في القسمة ، رجل اسود مطموم الشعر (٢) عليه ثوبان أبيضان فغضب رسول الله ﷺ غضبا شديداً وقال « والله لاتجدون بعدي رجلا هو أعدل مني » ثم قال « يخرج في آخر الزمان قوم كأن هذا منه يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية ، سيماهم التحليق ، لايزالون يخرجون حتى يخرج آخرهم مع المسيح الدجال ، فاذا لقيتموهم فاقتلوهم ، هم شر الخلق والخليقة » قال أبو عبد الرحمن شريك بن شهاب ليس بذاك المشهور اه

وأخرج ابن ماجه عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ « يخرج في آخر الزمان أو في هذه الامة قوم يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم اوحلوقهم إذا رأيتموهم — أو — إذا لقيتموهم فاقتلوهم » اه

قال الحافظ في الفتح : وقد ذكر ﷺ للخوارج علامة اخرى ففي رواية

---

(١) التحليق المبالغة في حلق الشعر والتسبيد بالباء استئصاله فهو بمعناه وقيل هو التشعيث بترك الغسل والدهن وفي نسخة والتسميد بالميم وهو بمعناه كتبه محمد رشيد رضا (٢) أي محلوقه

معبد بن سيرين عن أبي سعيد قال ما سيماهم؟ قال «سيماهم التحليق» وفي رواية عاصم بن سمح عن أبي سعيد فقام رجل فقال يا نبي الله هل في هؤلاء القوم علامة؟ قال «يحلقون رءوسهم» فيهم ذو ثدية وفي حديث أنس عن أبي سعيد «هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا» قيل يا رسول الله ما سيماهم؟ قال «التحليق» هكذا اخرجه الطبري وعند أبي داود بعضه اه

هذا ما اطلعت عليه من الاحاديث التي فيها ذكر الحلق، وليس فيها اللفظ الذي نقله المؤلف، ولعل هذا من أوهامه وأغلاطه

قوله ﴿وقوله ﷺ «سيكون في أمتي اختلاف وفرقة قوم يحسنون القيل ويسيئون الفعل» الحديث﴾

أقول قد عرفت فيما سبق ان الحديث أخرجه ابوداود من حديث ابي سعيد الخدري وأنس بن مالك، ولكن أخطأ المؤلف في نقله في مواضع (الاول) انه زاد لفظة (ايمانهم) حيث قال لايجاوز ايمانهم تراقيهم (والثاني) انه قال لفظة (يعود) موضع يرتد (والثالث) انه زاد لفظة سهم (والرابع) انه قال لفظة (الى) موضع على (والسادس) انه قال «لمن قتلهم اوقتلوه» بأو، والموجود في سنن أبي داود (لمن قتلهم وقتلوه) بالواو

قوله ﴿وقوله ﷺ «سيخرج في آخر الزمان قوم أحداث الاسنان، سفهاء الاحلام، يقولون قول خير البرية» الحديث﴾

اقول هذا حديث علي قد اخرجه البخاري عن سويد بن غفلة عن علي (رض) إذا حدثتكم عن رسول الله ﷺ حديثا فوالله لأن أخر من السماء احب إلي من ان أكذب عليه، وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فان الحرب خدعة، وإني

سمعت رسول الله ﷺ يقول « سيخرج قوم في آخر الزمان حداث الاسنان سفهاء الاحلام، يقولون من خير قول البرية، لا يجاوز ايمانهم حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فان في قتلهم اجراً لمن قتلهم يوم القيامة ، وفي لفظ له « يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء الاسنان سفهاء الاحلام، يقولون من خير قول البرية، يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية، لا يجاوز ايمانهم حناجرهم فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فان قتلهم أجر لمن قتلهم يوم القيامة » ، وأخرجه مسلم ولفظه هكذا : سمعت رسول الله ﷺ يقول « سيخرج في آخر الزمان قوم احداث الاسنان سفهاء الاحلام، يقولون من خير قول البرية يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، فاذا لقيتموهم فاقتلوهم فان في قتلهم أجراً لمن قتلهم عند الله يوم القيامة » اه ، وأخرجه أبو داود ولفظه هكذا « يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء الاسنان سفهاء الاحلام، يقولون من خير قول البرية، يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية، لا يجاوز ايمانهم حناجرهم ، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فان قتلهم أجر لمن قتلهم يوم القيامة » ، وأخرجه النسائي ولفظه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « يخرج قوم في آخر الزمان احداث الاسنان سفهاء الاحلام ، يقولون من خير قول البرية لا يجاوز ايمانهم حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فاذا لقيتموهم فاقتلوهم فان قتلهم أجر لمن قتلهم يوم القيامة » ، وأخرجه الترمذي وابن ماجه من حديث عبد الله بن مسعود

أما لفظ الترمذي فهكذا قال قال رسول الله ﷺ « يخرج في آخر الزمان قوم احداث الاسنان سفهاء الاحلام، يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم، يقولون من من قول خير البرية يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية »

وأما لفظ ابن ماجه فهكذا قال قال رسول الله ﷺ « يخرج في آخر الزمان

قوم احداث الاسنان سفهاء الاحلام، يقولون من خير قول الناس يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية، فمن لقيهم فليقتلهم فان قتلهم أجر عند الله لمن قتلهم » اه

واللفظ الذي نقله المؤلف لا يوافق شيئا مما ذكر من الروايات، أما الرواية الاولى للبخاري فلأن لفظ البخاري « سيخرج قوم في آخر الزمان » ونقل المؤلف « سيخرج في آخر الزمان قوم » ولفظ البخاري « حداث الاسنان » والمؤلف قال « احداث الاسنان » ولفظ البخاري « يقولون من خير قول البرية » والمؤلف قال « يقولون قول خير البرية » وزاد لفظة « يقرؤن القرآن » وهذه اللفظة ليست في تلك الرواية وحذف « لفظة ايمانهم » وانما لفظ هذه الرواية هكذا « لا يجاوز ايمانهم حناجرهم » ولفظة الرواية « فأينما لقيتموهم » وقال المؤلف « فاذا لقيتموهم » والمؤلف زاد لفظة « عند الله » من عند نفسه ولفظة الرواية هكذا « لمن قتلهم يوم القيامة »

وأما الرواية الثانية له فأيضا تخالف ما ذكره المؤلف من وجوه وهي ان لفظة هذه الرواية « يأتي في آخر الزمان قوم » وقال المؤلف « سيخرج في آخر الزمان قوم » وفي الرواية « حدثاء الاسنان » وقال المؤلف « احداث الاسنان » ولفظ الرواية « يقولون من خير قول البرية » وقال المؤلف « يقولون قول خير البرية » وزاد المؤلف لفظ « يقرؤن القرآن » وليس هذا اللفظ في تلك الرواية أصلا ولفظ الرواية « لا يجاوز ايمانهم حناجرهم » وليس لفظ ايمانهم فيما نقله المؤلف وجملة « يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية » قبل قوله ﷺ « لا يجاوز ايمانهم حناجرهم » في الرواية وفيما ذكره المؤلف عكس القضية، ولفظ الرواية « يمرقون من الاسلام » وفيما نقله المؤلف « يمرقون من الدين » ولفظ الرواية « فأينما لقيتموهم » وفيما نقله المؤلف « فاذا لقيتموهم » ولفظ الرواية « فان

قتلهم أجر» وفيما نقله المؤلف «فان في قتلهم أجرا» وزاد المؤلف لفظ «عند الله» من عند نفسه وهذا اللفظ ليس في الرواية

وأما رواية مسلم فهي وان كانت أقرب الروايات إلى ما ذكره المؤلف ولكنها ليست عينه، فان لفظ الرواية «يقولون من خير قول البرية» وقال المؤلف «يقولون قول خير البرية»

وأما رواية أبي داود فعين الرواية الثانية للبخاري فحالها حالها

وأما رواية النسائي فأيضا مخالفة لما ذكره المؤلف، فان لفظ الرواية «يخرج قوم في آخر الزمان» والمؤلف قال «سيخرج في آخر الزمان» والرواية «يقولون من خير قول البرية» ونقل المؤلف «يقولون قول خير البرية» وزاد لفظ (يقرؤن القرآن) وحذف لفظ (ايمانهم) والرواية «فان قتلهم أجر» وقال المؤلف «فان في قتلهم أجرا» وزاد «عند الله» من عند نفسه

وأما رواية الترمذي فأيضا مخالفة لما ذكره المؤلف، فان الرواية «يخرج في آخر الزمان» وقال المؤلف «سيخرج» وفي الرواية جملة «يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم» قبل قوله ﷺ «يقولون من قول خير البرية» وفيما ذكره المؤلف عكس القضية ولفظ الرواية «تراقيهم» وفيما ذكره المؤلف «حناجرهم» وفي الرواية «يقولون من قول خير البرية» والمؤلف نقل «يقولون قول خير البرية» وقوله «فاذا لقيتموهم» الحديث ليس في رواية الترمذي

وأما رواية ابن ماجه فأيضا تخالف ما ذكره المؤلف، فان الرواية «يخرج» والمؤلف زاد لفظ السين والرواية «يقولون من خير قول الناس» والمؤلف ذكر «يقولون قول خير البرية» والرواية «تراقيهم» وذكر المؤلف «حناجرهم» والرواية «يمرقون من الاسلام» والمؤلف قال «يمرقون من الدين» والرواية «فمن لقيهم فليقتلهم» والمؤلف قال «فاذا لقيتموهم فاقتلوهم» والرواية «فان

قتلهم أجز عند الله لمن قتلهم » والمؤلف قال « فان في قتلهم أجراً لمن قتلهم عند الله يوم القيامة »

قوله ﴿ وقوله ﷺ « اناس من أمتي سيماهم التحليق يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية هم شر الخلق والخليقة » ﴾

أقول قد راجعت الامهات الست وسنن الدارمي والموطأ وزوائد مسند البزار فما وجدت الحديث بهذا اللفظ فعلى مدعي صحته بيان تخريجه واثبات دعواه

قوله ﴿ وقوله ﷺ « يخرج ناس من المشرق يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، لا يعودون فيه حتى يعود السهم إلى فوقه سيماهم التحليق » ﴾

أقول لفظه قريب مما رواه البخاري في آخر كتاب التوحيد من طريق معبد ابن سيرين عن أبي سعيد الخدري وقد تقدم ولكن ليس عينه فان الرواية من (قبل المشرق) والمصنف هنا أسقط لفظ (قبل) والرواية « ويقرؤن القرآن » باثبات الواو والمؤلف قد حذفها هنا والرواية « ثم لا يعودون فيه » والمؤلف لم يذكر لفظ « ثم » والرواية (قيل) ما سيماهم؟ قال والمؤلف لم يذكر هذا، وهذا الحديث قريب من ثاني الاحاديث التي ذكرها المؤلف بيد أنه ليس في هذا لفظ (قبل) والواو على رأس يقرؤن

وبالجملة واجب على المؤلف تخريج هذين الحديثين أي الثاني والسادس واثبات فرق بينهما وتبيين صحتهما ودونه خرط القتاد

قوله ﴿ وقوله ﷺ « رأس الكفر نحو المشرق والفخر والخيلاء في أهل الخيل والابل ﴾

أقول الحديث أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة وتمام الحديث هكذا « الفدادين أهل الوبر والسكينة في أهل الغنم »

قوله ﴿ وقوله ﷺ « من ههنا جاءت الفتن » وأشار نحو المشرق ﴾

أقول أخرجه البخاري في المناقب من حديث أبي مسعود لكن فيه وأشار نحو المشرق وقد تقدم

قوله ﴿ وقوله ﷺ « غلظ القلوب والجفاء بالمشرق والايمان في أهل الحجاز » ﴾

أقول أخرجه مسلم من حديث جابر بن عبد الله كما تقدم ، ولكن المؤلف قال بالمشرق وفي صحيح مسلم (في المشرق) وفي زوائد مسند البزار الهيثمي حدثنا محمد بن اسماعيل ثنا اسماعيل بن أبي إدريس ثنا بن أبي الزناد عن موسى ابن عقبة عن أبي الزبير عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ « غلظ القلوب والجفاء في أهل المشرق والايمان يمان والسكينة في أهل الحجاز »

(قلت) رواه مسلم خلا قوله « والسكينة في أهل الحجاز » قال البزار قد روي عن جابر من غير وجه اه . وقال في مجمع الزوائد رواه البزار وفيه ابن أبي الزناد وفيه خلاف وبقية رجاله رجال الصحيح اه

قوله ﴿ وقوله ﷺ « اللهم بارك لنا في شامنا اللهم بارك لنا في يمننا » قالوا يارسول الله وفي نجدنا ؟ » الحديث ﴾

أقول أخرجه البخاري في أبواب الاستسقاء (باب ما قيل في الزلازل والآيات) ولفظه هكذا حدثني محمد بن المثنى قال حدثنا حسين بن الحسن قال حدثنا ابن عون عن نافع عن ابن عمر قال قال « اللهم بارك لنا في شامنا وفي يمننا » قال قالوا وفي نجدنا فقال قال « اللهم بارك لنا في شامنا وفي يمننا » قال قالوا وفي نجدنا قال قال « هنالك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان » اه

قال الحافظ في الفتح حديث ابن عمر « اللهم بارك لنا في شامنا » الحديث وفيه قالوا وفي نجدنا قال « هناك الزلازل والفتن » هكذا وقع في هذه الروايات التي اتصلت لنا بصورة الموقوف عن ابن عمر قال « اللهم بارك » لم يذكر النبي ﷺ . وقال القابسي: سقط ذكر النبي ﷺ من النسخ ولابد منه لان مثله لا يقال بالرأي اه وهو من رواية الحسين بن الحسن البصري من آل مالك بن يسار عن عبدالله بن عون عن نافع ، ورواه أزهر السمان عن ابن عون مصرحا فيه بذكر النبي ﷺ كما سيأتي في كتاب الفتن ، ويأتي الكلام عليه أيضا هناك ونذكر فيه من وافق أزهر على التصريح برفعه ان شاء الله تعالى

وأخرج في كتاب الفتن ولفظه هكذا حدثنا علي بن عبدالله حدثنا أزهر بن سعد عن ابن عون عن نافع عن ابن عمر قال ذكر النبي ﷺ « اللهم بارك لنا في شامنا اللهم بارك لنا في يمننا » قالوا يارسول الله وفي نجدنا قال « اللهم بارك لنا في شامنا اللهم بارك لنا في يمننا » قالوا يارسول الله وفي نجدنا فأظنه قال في الثالثة « هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان » اه

قال الحافظ في الفتح كذا أورده عن علي بن عبدالله عن أزهر السمان، وأخرجه الترمذي عن بشر بن آدم بن بنت أزهر حدثني جدي ازهر بهذا السند ان رسول الله ﷺ قال . ومثله للاسماعيلي من رواية احمد بن ابراهيم الدورقي عن ازهر . وأخرجه من طريق عبد الله بن عبد الله بن عون عن أبيه كذلك ، وقد تقدم من وجه آخر عن ابن عون في الاستسقاء موقوفا ، وذكرت هناك الاختلاف فيه اه

وقال في مجمع الزوائد وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال « اللهم بارك لنا في شامنا وفي يمننا » فقال رجل وفي شرقنا يارسول الله فقال « اللهم بارك لنا في شامنا وفي يمننا » فقال رجل وفي شرقنا يارسول الله قال « اللهم بارك لنا في شامنا

وفي يمننا» ان من هنالك يطلع قرن الشيطان وبه تسعة أعشار الكفر وبه الداء العضال»
رواه الطبراني في الاوسط واللفظ له، وأحمد ولفظه ان رسول الله ﷺ قال
«اللهم بارك لنا في شامنا ويمننا» مرتين فقال رجل في مشرقنا يارسول الله، فقال
رسول الله ﷺ «من هنالك يطلع قرن الشيطان وبه تسعة اعشار الشرك»
ورجال احمد رجال الصحيح غير عبد الرحمن بن عطاء وهو ثقة وفيه خلاف لا يضر اه

وفي موطأ مالك انه بلغه ان عمر بن الخطاب أراد الخروج الى العراق فقال
له كعب الاحبار لا تخرج اليها يا امير المؤمنين فان بها تسعة أعشار السحر وبها
فسقة الجن وبها الداء العضال اه

قوله ﴿وقوله ﷺ «يخرج ناس من المشرق يقرءون القرآن لا يجاوز
تراقيهم كلما قطع قرن نشأ قرن آخر حتى يكون آخرهم مع المسيح الدجال﴾

أقول لم أقف على هذا اللفظ ولكن أخرج معناه النسائي من حديث أبي برزة
وقد ذكرناه فيما سلف، وأخرج ابن ماجه أيضا معناه من حديث ابن عمر ولفظه
ان رسول الله ﷺ قال «ينشأ نشء يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، كلما
خرج قرن قطع» قال ابن عمر سمعت رسول الله ﷺ يقول (كلما خرج قرن قطع)
اكثر من عشرين مرة حتى يخرج في عراضهم الدجال اه

وفي مجمع الزوائد عن عبد الله بن عمرو قال سمعت رسول الله ﷺ يقول
«يخرج ناس من قبل المشرق يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، كلما قطع قرن نشأ
قرن حتى يكون مع بقيتهم الدجال» رواه الطبراني وإسناده حسن اه

وكل من تلك الاحاديث لم تصل الى درجة الصحة، أما حديث أبي برزة
فلأن راويه شريك بن شهاب مجهول، قال النسائي شريك بن شهاب ليس بذلك
المشهور. قال الذهبي في الميزان شريك بن شهاب عن أبي برزة لا يعرف إلا

برواية الازرق بن قيس عنه اه وأما قول الحافظ ابن حجر في التقريب (مقبول) فلا يقتضي الصحة.

وأما حديث ابن عمر فلأن راويه هشام بن عمار بن نصير قد كبر فصار يتلقن. قال الذهبي في الميزان صدوق مكثر له ما ينكر، قال أبو حاتم صدوق قد تغير فكان كل ما لقنه تلقن. وقال ابو داود حدث بأربعمائة حديث لا اصل لها اه ملخصاً. وهو وإن وثقه جماعة لكن لا نسلم وصول ما تفرد به الى درجة الصحة.

وأما حديث عبد الله بن عمرو فاسناده وإن سلم كونه حسناً كما قال الهيثمي ولكن حسن الاسناد لا يقتضي حسن الحديث فضلا عن صحته

***

هذا الكلام منا كله كان متعلقا بتخريج الاحاديث وصحتها، والآن ننظر في ما ادعاه المؤلف من كون الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتباعه ممن يصدق عليهم تلك الاحاديث فنقول بحول الله وقوته:

ان جهة المشرق منشأ الفتن ومبدؤها، قال الحافظ في الفتح تحت قوله ﷺ «رأس الكفر نحو المشرق» الواقع في كتاب بدء الخلق وفي ذلك إشارة الى شدة كفر المجوس لان مملكة الفرس ومن أطاعهم من العرب كانت من جهة المشرق بالنسبة الى المدينة، وكانوا في غاية القوة والتكبر والتجبر حتى مزق ملكهم كتاب النبي ﷺ كما سيأتي في موضعه، واستمرت الفتن من قبل المشرق كما سيأتي واضحاً في الفتن

وقال الحافظ في الفتح تحت قوله ﷺ «هل ترون ما أرى؟» قالوا لا قال «فاني لأرى الفتن تقع خلال بيوتكم كوقع القطر» الواقع في كتاب الفتن وانما اختصت المدينة بذلك لان قتل عثمان (رض) كان بها ثم انتشرت الفتن في البلاد بعد ذلك، فالقتال بالجمل وصفين كان بسبب قتل عثمان، والقتال بالنهروان كان

بسبب التحكيم بصفين ، وكل قتال وقع في ذلك العصر انما تولد عن شيء من ذلك أو عن شيء تولد عنه

ثم ان قتل عثمان كان اشد أسبابه الطعن على أمرائه ثم عليه بتوليته لهم ، وأول ما نشأ ذلك من العراق وهي من جهة المشرق فلا منافاة بين حديث الباب وبين الحديث الآتي «ان الفتنة من قبل المشرق »اه

قال الحافظ في الفتح تحت قوله ﷺ «اللهم بارك لنا في شامنا » الحديث

وقال الخطابي نجد من جهة المشرق ومن كان بالمدينة كان نجده بادية العراق ونواحيها وهي مشرق أهل المدينة ، وأصل النجد ما ارتفع من الارض وهو خلاف الغور فانه ما انخفض منها ، وتهامة كلها من الغور ومكة من تهامة اه وعرف بهذا وهاء ما قاله الداودي: ان نجداً من ناحية العراق فانه توهم ان نجداً موضع مخصوص وليس كذلك بل كل شيء ارتفع بالنسبة إلى ما يليه يسمى المرتفع نجداً والمنخفض غورا اه

وقال الحافظ في الفتح (باب قتل الخوارج) وأصل ذلك ان بعض أهل العراق أنكروا سيرة بعض أقارب عثمان، فطعنوا على عثمان بذلك، وكان يقال لهم القراء لشدة اجتهادهم في التلاوة والعبادة ، الا انهم كانوا يتأولون القرآن على غير المراد منه ويستبدون برأيهم ويتنطعون في الزهد والخشوع وغير ذلك ، فلما قتل عثمان قاتلوا مع علي واعتقدوا كفر عثمان ومن تابعه واعتقدوا إمامة علي وكفر من قاتله من أهل الجمل الذين كان رئيسهم طلحة والزبير فانهما خرجا الى مكة بعد أن بايعا علياً فلقيا عائشة وكانت حجت تلك السنة فاتفقوا على طلب قتلة عثمان وخرجوا إلى البصرة يدعون الناس الى ذلك ، فبلغ عليا فخرج اليهم فوقعت بينهم وقعة الجمل المشهورة ، وانتصر علي وقتل طلحة في المعركة ، وقتل الزبير بعد أن انصرف من الوقعة، فهذه الطائفة هي التي كانت تطالب بدم عثمان

بالاتفاق ، ثم قام معاوية بالشام في مثل ذلك ، وكان أمير الشام اذ ذاك ، وكان علي أرسل اليه لان يبايع له أهل الشام ، فاعتل بأن عثمان قتل مظلوما ، وتجب المبادرة الى الاقتصاص من قتلته ، وانه أقوى الناس على الطلب بذلك ويلتمس من علي أن يمكنه منهم ، ثم يبايع له بعد ذلك ، وعلي يقول ادخل فيما دخل فيه الناس وحاكمهم إليّ أحكم فيهم بالحق ، فلما طال الامر خرج في أهل العراق طالباً قتال اهل الشام ، فخرج معاوية في أهل الشام قاصداً الى قتاله ، فالتقيا بصفين فدامت الحرب بينهما شهراً ، وكاد أهل الشام أن ينكسروا ، فرفعوا المصاحف على الرماح ونادوا : ندعوكم الى كتاب الله ، وكان ذلك باشارة عمرو بن العاص وهو مع معاوية ، فترك جمع كثير ممن كان مع علي وخصوصاً القراء — القتال بسبب ذلك تديناً ، واحتجوا بقوله تعالى (ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم) الآية ، فراسلوا أهل الشام في ذلك ، فقالوا ابعثوا حكما منكم وحكما منا ، ويحضر معهما من لم يباشر القتال ، فمن رأوا الحق معه أطاعوه ، فأجاب علي ومن معه الى ذلك ، وأنكرت ذلك تلك الطائفة التي صاروا خوارج

وكتب علي بينه وبين معاوية كتاب الحكومة بين أهل العراق والشام : هذا ما قضى عليه أمير المؤمنين علي معاوية فامتنع أهل الشام من ذلك وقالوا اكتبوا اسمه واسم أبيه فأجاب علي إلى ذلك فأنكره عليه الخوارج أيضا ، ثم انفصل الفريقان على أن يحضر الحكمان ومن معهما بعد مدة عينوها في مكان وسط بين الشام والعراق ويرجع العسكران إلى بلادهم إلى أن يقع الحكم ، فرجع معاوية إلى الشام ورجع علي إلى الكوفة ، ففارقه الخوارج وهم ثمانية آلاف ، وقيل كانوا أكثر من عشرة آلاف ، وقيل ستة آلاف ، ونزلوا مكانا يقال له (حروراء) بفتح المهملة وراءين الاولى مضمومة ومن ثم قيل لهم الحرورية ، وكان كبيرهم عبد الله بن

الكواء بفتح الكاف وتشديد الواو مع المد اليشكري وشبث بفتح المعجمة والموحدة بعدها مثلثة التميمي ، فأرسل اليهم علي ابن عباس فناظرهم فرجع كثير منهم معه ثم خرج اليهم علي فأطاعوه ودخلوا معه الكوفة معهم رئيساهم المذكوران ، ثم أشاعوا أن علياً تاب من الحكومة ولذلك رجعوا معه . فبلغ ذلك علياً فخطب وأنكر ذلك ، فتنادوا من جوانب المسجد لا حكم إلا لله ، فقال كلمة حق يراد بها باطل ، فقال لهم : لكم علينا ثلاثة أن لا نمنعكم من المساجد ولا من رزقكم من الفيء ولا نبدؤكم بقتال ما لم تحدثوا فسادا . وخرجوا شيئا بعد شيء إلى أن اجتمعوا بالمدائن فراسلهم في الرجوع فأصروا على الامتناع حتى يشهد على نفسه بالكفر لرضاه بالتحكيم ويتوب ، ثم راسلهم أيضا فأرادوا قتل رسوله ، ثم اجتمعوا على ان من لا يعتقد معتقدهم يكفر ويباح دمه وماله وأهله ، وانتقلوا إلى الفعل فاستعرضوا الناس فقتلوا من اجتاز بهم من المسلمين ، ومر بهم عبد الله بن خباب بن الارت وكان واليا لعلي على بعض تلك البلاد ومعه سرية وهي حامل فقتلوه وبقروا بطن سريته عن ولد ، فبلغ عليا فخرج اليهم في الجيش الذي كان هيأه للخروج إلى الشام فأوقع بهم بالنهروان ولم ينج منهم إلا دون العشرة ولا قتل ممن معه إلا نحو العشرة ، فهذا ملخص أول أمرهم اه

وقال الحافظ في الفتح في آخر كتاب التوحيد تحت قوله ﷺ « يخرج ناس من قبل المشرق » تقدم في كتاب الفتن أنهم الخوارج وبيان مبدأ أمرهم وما ورد فيهم ، وكان ابتداء خروجهم في العراق وهي من جهة المشرق بالنسبة إلى مكة المشرفة اه

وأخرج البخاري عن يسير بن عمرو ، وقال قلت لسهل بن حنيف : هل سمعت النبي ﷺ يقول في الخوارج شيئا ؟ قال سمعته يقول وأهوى بيده قبل العراق « يخرج منه قوم يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الاسلام

مروق السهم من الرمية » ، وفي رواية لمسلم وأشار بيده نحو المشرق ، وفي روايةله قال « يتيه قوم قبل المشرق محلقة رؤوسهم »

قال الحافظ في الفتح أخرج الطبراني في الاوسط بسند جيد من طريق الفرزدق الشاعر أنه سمع أبا هريرة وأبا سعيد وسألهما فقال اني رجل من أهل المشرق وإن قوما يخرجون علينا يقتلون من قال لا إله إلا الله ويؤمنون من سواهم فقال لي سمعنا النبي ﷺ يقول « من قتلهم فله أجر شهيد ومن قتلوه فله أجر شهيد » اهـ، وفي رواية لمسلم عن أبي سعيد قال : قال أبو سعيد وأنتم قتلتموهم يا أهل العراق

فعلم من تلك الروايات أن الخوارج يخرجون من المشرق والعراق وأن أهل العراق والمشرق هم الذين قتلوهم ، وهذا يدل دلالة واضحة على أن جميع أهل العراق والمشرق ليس ممن يصدق عليهم هذه الاحاديث التي فيها ذكر الخوارج بل منهم من يقتلونهم ، وكذلك المراد بنجد في حديث ابن عمر (هناك الزلازل والفتن) نجد والعراق ، قال بعض المحققين وأما قوله ﷺ لما قيل له وفي نجدنا « تلك موضع الزلازل والفتن وهنا يطلع قرن الشيطان » فالمقصود بها نجد العراق وشرق المدينة ، وقد ورد ذلك صريحا في حديث ابن عمر ونص عليه الخطابي وغيره وقد ترك الدعاء للعراق جملة بل وذمها

وقد روى الطبراني من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال « دخل ابليس العراق فقضى فيها حاجته ثم دخل الشام فطردوه ثم دخل مصر فباض فيها وفرخ وبسط عليها عبقريه » . ولا يقول مسلم بذم علماء العراق لما ورد فيها وأكابر أهل الحديث وفقهاء الامة وأهل الجرح والتعديل أكثرهم أهل العراق ، وامام السنة أحمد بن حنبل وشيخ الطريقة الجنيد بن محمد وعلم الزهاد الحسن وابن سيرين وأبو حنيفة وأصحابه وسفيان الثوري

وأصحابه واسحاق بن ابراهيم بن راهويه ومحمد بن اسماعيل[1] ومسلم بن الحجاج وأبو داود وأصحاب السنن وأصحاب الدواوين الاسلامية كلهم عراقي الدار مولداً أو سكنى ، والليث بن سعد ومحمد بن إدريس وأشهب ومن قبل هؤلاء كلهم سكن العراق ومصر ، وجملة من أكابر أصحاب رسول الله ﷺ ومن التابعين بعدهم ، ومن عاب الساكن بالسكنى والاقامة في مثل تلك البلاد فقد عاب جمهور الامة وسبهم وآذاهم بغير ما اكتسبوا ، وقد داول الله تعالى الايام بين البقاع والبلاد ، كما داولها بين الناس والعباد : قال تعالى (وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ)

وكم من بلد قد فتحت وصارت من خير بلاد المسلمين بعد أن كانت في أيدي الفراعنة والمشركين والفلاسفة والصابئين والكفرة من المجوس وأهل الكتابين ، بل الخربة التي كانت بها قبور المشركين صارت مسجداً هو أفضل مساجد المسلمين بعد المسجد الحرام ، ودفن بها أفضل المرسلين وسادات المؤمنين ،

ولا يعيب شيخنا بدار مسيلمة إلا من عاب أئمة الهدى ومصابيح الدجى بما سبق في بلادهم من الشرك والكفر المبين ، وطرد هذا القول جرأة على النبيين وأكابر المؤمنين ، وهذا المعترض كعنز السوء يبحث عن حتفه بظلفه ولا يدري ، وقد قال بعض الازهريين مسيلمة الكذاب من خير نجدكم ، فقلت وفرعون اللعين رأس مصركم ، فبهت ، وأين كفر فرعون من كفر مسيلمة لو كانوا يعلمون اهـ

وأيضا قال وقد تقدم أن طرد هذا الكلام يوجب ذم كل من سكن بلدة من بلاد المسلمين التي سكنها قبله أعيان المشركين ورؤوس الكافرين ، فأي أحد يبقى لو طرد هذا ؟ وقد قال النبي ﷺ « لو كان الايمان معلقاً بالثريا لناله

(١) أي البخاري

رجال من فارس » مع أن بلادهم من شر البلاد فيها الاوثان والنيران، وكفر فيها بالله الذي لا إله إلا هو الرحمن اه

وأيضا قال وسكنى الدار لا تؤثر ، فان الصحابة سكنوا مصر وبلاد الفرس وفضلهم لا يزال في مزيد ، وايمانهم قهر أهل الكفر والشرك والتنديد، وعادت تلك البقاع والاماكن من أفضل مساكن أهل التوحيد اه

وجملة القول أن الاحاديث التي ذكرها المؤلف في هذا المقام منها ماهو خاص باجماع المسلمين بالحرورية الخارجين على علي رضي الله تعالى عنه ، وهو ما عدا حديث ابن عمر « الفتنة ههنا الفتنة ههنا » وحديث أبي هريرة « رأس الكفر نحو المشرق » وحديث ابي مسعود « من ههنا جاءت الفتن » وحديث جابر « غلظ القلوب والجفاء في المشرق » وحديث ابن عمر « اللهم بارك لنا في شامنا وفي يمننا » الحديث ، قال بعض المحققين : والجواب أن يقال هذا كذب على رسول الله ﷺ ، لم يصف أهل نجد وأهل اليمامة بهذا ، ولا دخل في وصفه من يؤمن بالله ورسوله منهم ولا من غيرهم ، بل الموصوف باجماع المسلمين هم الحرورية الخارجون على علي الذين قاتلهم علي من أهل الكوفة والبصرة وما يليها وفيهم من بني يشكر ومن طي وتميم وغيرهم من قبائل العرب ودارهم ومسكنهم بالعراق ولا يختلف في هذا ، ودولتهم وشوكتهم كانت هناك دون النهر ولذلك نسبوا اليه وقيل أهل النهروان ، وحرورا بلدة هناك نسبوا اليها فقيل الحرورية اه ملخصا . وبعض ألفاظ الحديث في بعض الطرق دال على تلك الخصوصية كما وقع في رواية البخاري عن أبي سعيد « يخرجون على حين فرقة من الناس » قال أبو سعيد أشهد سمعت من النبي ﷺ وأشهد أن عليا قتلهم وأنا معه ، جيء بالرجل على النعت الذي نعته النبي ﷺ ، وفي رواية لمسلم عن أبي سعيد « تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين يقتلها أولى الطائفتين بالحق » اه

ولا شك أن هذا لا يمكن صدقه على الشيخ محمد عبد الوهاب وأتباعه »

لا يقال وقع في رواية النسائي عن أبي برزة « لا يزالون يخرجون حتى يخرج آخرهم مع المسيح الدجال » وفي رواية ابن عمر وابن ماجه « كلما خرج قرن قطع أكثر من عشرين مرة حتى يخرج في عراضهم الدجال » اهـ لأن كل من يأتي بعد قوم خرجوا على علي (رض) ممن يصلي بتخشع ويقرأ كتاب الله الى يوم القيامة ويجتهد في التلاوة والعبادة لا يكون من الخوارج بالضرورة وإلا لزم أن يكون معظم الأمة من أهل الفقه والحديث من الخوارج بل انما يكون من الخوارج من يستن بسنة هؤلاء الذين خرجوا على علي (رض) ويسلك مسالكهم من قتل أهل الاسلام ، وودع أهل الاوثان ، وتكفير من لا يعتقد معتقدهم ، وإباحة دمه وماله وأهله . وان عثمان وعليا وأصحاب الجمل وصفين وكل من رضي بالتحكيم كفار ، وان كل من أتى كبيرة فهو كافر مخلد في النار أبداً ، وان من لم يخرج ويحارب المسلمين فهو كافر ولو اعتقد معتقدهم ، وإبطال رجم المحصن وقطع يد السارق من الابط . وإيجاب الصلاة على الحائض في حال حيضها ، وكفر من ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر إن كان قادرا ، وإن لم يكن قادرا فقد ارتكب كبيرة ، وحكم مرتكب الكبيرة عندهم حكم الكافر ، وسائر معتقداتهم الفاسدة ، وأعمالهم الزائغة ، ولا يتحقق شيء من عقائدهم وأعمالهم في الشيخ وأتباعه ، بل مذهبهم في أصول الدين مذهب أهل السنة والجماعة ، وطريقتهم طريقة السلف التي هي الطريق الاسلم ، بل والاعلم والاحكم ، وهم في الفروع على مذهب الامام أحمد بن حنبل ، ومن روى عنهم شيئا من تلك أو نسبه اليهم فقد كذب عليهم وافترى . وهذا ظاهر لمن طالع كتابه (كتاب التوحيد) وسائر الرسائل المؤلفة للشيخ

ومن ثم عرفت فساد ماقال السيد محمد أمين المعروف بابن عابدين الحنفي

في (رد المحتار على الدر المختار) في باب البغاة تحت قول الماتن (ويكفرون أصحاب نبينا ﷺ) علمت أن هذا غير شرط في مسمى الخوارج، بل هو بيان لمن خرجوا على سيدنا علي (رض) والا فيكفي فيهم اعتقادهم كفر من خرجوا عليهم كما وقع في زماننا في أتباع عبدالوهاب الذين خرجوا من نجد وتغلبوا على الحرمين، وكانوا ينتحلون مذهب الحنابلة لكنهم اعتقدوا أنهم هم المسلمون، وان من خالف اعتقادهم مشركون، واستباحوا بذلك قتل أهل السنة وقتل علمائهم حتى كسر الله تعالى شوكتهم وخرب بلادهم، وظفر بهم عساكر المسلمين عام ثلاث وثلاثين ومائتين وألف اه

وكذا فساد ما على هامش سنن النسائي المطبوع في الهند في مطبع نظامي سنة ست وتسعين بعد الالف ومائتين في ص ٤١٢: ثم ليعلم ان الذين يدينون دين عبدالوهاب النجدي ويسلكون مسالكه في الاصول والفروع ويدعون في بلادنا باسم الوهابيين وغير المقلدين، ويزعمون ان تقليد أحد الائمة الاربعة رضوان الله عليهم شرك، وان من خالفهم هم المشركون، ويستبيحون قتلنا أهل السنة، وسبي نسائنا وغير ذلك من العقائد الشنيعة التي وصلت الينا منهم بواسطة الثقات وسمعنا بعضا منهم أيضا، هم فرقة من الخوارج، وقد صرح به العلامة الشامي في كتابه (رد المحتار) اه

وكذا فساد ما في هامش سنن النسائي المذكور في ص ٦٣٤ حيث قال وقد وقع خروجهم مراراً أفاده العيني، وقال الشامي كما وقع في زماننا خروج أتباع عبدالوهاب اه

وجه الفساد أن الشيخ وأتباعه لم يكفروا أحداً من المسلمين ولم يعتقدوا أنهم هم المسلمون وان من خالفهم هم مشركون، ولم يستبيحوا قتل أهل السنة وسبي نسائهم ولم يقولوا ان تقليد أحد الائمه الاربعة شرك. ولقد لقيت غير واحد من أهل العلم من أتباع الشيخ. وطالعت كثيراً من كتبهم فما وجدت هذه الامور أصلا

وأثرا بل كل هذا بهتان وافتراء [1] وليعلم أن ابن عابدين وصاحب الهامش قد أخطآ في قولهما (عبد الوهاب)والصواب محمد بن عبدالوهاب

وأما بقية الاحاديث التي ذكرها المؤلف في هذا المقام فأولاها بأن يشنع به على الشيخ وأتباعه حديث ابن عمر « اللهم بارك لنا في شامنا وفي يمننا » الحديث فانه ذكر فيه نجدا وقال ﷺ في شأنه «هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان » والشيخ من أهل نجد

(والجواب) ان المراد بنجد نجد العراق كما عرفت فيما تقدم ، ومما يؤيد هذا حديث ابن عباس (رض) قال دعا نبي الله ﷺ فقال « اللهم بارك لنا في صاعنا ومدنا ، وبارك لنا في شامنا ويمننا » فقال رجل من القوم يا نبي الله وعراقنا ؟ قال « ان بها قرن الشيطان وتهيج الفتن ، وان الجفاء بالمشرق » رواه الطبراني في الكبير ورواته ثقات كذا في (الترغيب والترهيب) للمنذري ، وان عمر بن الخطاب أراد الخروج إلى العراق فقال له كعب الاحبار :

---

(١) بل فى هذه الكتب خلاف ما ذكر وضده ففيها انهم لا يكفرون إلا من أتى بما هو كفر باجماع المسلمين ، وانهم فى الاصول على مذهب جمهور السلف الصالح وفى الفروع على مذهب الامام احمد ، وانهم يحترمون مذاهب الائمة الاربعة ولا يفرقون بين احد من مقلديهم . وانما قال ابن عابدين ومن تبعه ما قال تصديقا لا كاذيب الشيخ احمد دحلان ومفترياته مع عدم وجود شيء من كتب الشيخ وكتب اولاده واحفاده فى الايدي، ونحن كنا نصدق هذه الاشاعات التى اشاعتها السياسة التركية عنهم تصديقا لابن عابدين وامثاله ، وقد طبعت كتبهم وكتب انصارهم فى عصرنا فلا عذر لاحد فى تصديق الحشوية والمبتدعة وأهل الاهواء فيهم وقد ذكرت هذه الاشاعات مرة بمجلس الاستاذ الاكبر الشيخ أبى الفضل الجيزاوي شيخ الازهر في ادارة المعاهد الدينية فاستحضرت لهم نسخا من كتاب الهدية السنية فراجعها الشيخ الاكبر وعنده طائفة من اشهر علماء الازهر فاعترفوا بأن ما فيها هو عين مذهب جمهور أهل السنة والجماعة. وكتبه محمد رشيد رضا

لا تخرج اليها يا أمير المؤمنين ، فان بها تسعة أعشار السحر ، وبها فسقة الجن ، وبها الداء العضال . وقد تقدم تخريجه ، وحديث سفيان بن أبي زهير رضي الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « تفتح اليمن فيأتي قوم يبسون فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ، وتفتح الشام فيأتي قوم يبسون فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ، وتفتح العراق فيأتي قوم يبسون فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون » أخرجه البخاري ومسلم ، فانه ذكر في هذا الحديث في مقابلة اليمن والشام العراق لا نجد العرب ، وكذلك في أحاديث أخر مثل حديث ابن حوالة وهو عبد الله قال قال رسول الله ﷺ « سيصير الامر أن تكونوا أجنادا مجندة جند بالشام وجند باليمن وجند بالعراق » قال ابن حوالة خر لي[1] يارسول الله ان أدركت ذلك ؟ فقال « عليك بالشام فانها خيرة الله من أرضه يجتبي اليها خيرته من عباده ، فأما ان أبيتم فعليكم بيمنكم واسقوا من غدركم فان الله توكل » وفي رواية « تكفل لي بالشام وأهله » رواه أبو داود وابن حبان في صحيحه والحاكم ، وقال صحيح الاسناد كذا في (الترغيب والترهيب) للمنذري ، وحديث العرباض بن سارية (رض) عن النبي ﷺ أنه قام يوما في الناس فقال « يا أيها الناس توشكون أن تكونوا أجناداً مجندة ، جند بالشام ، وجند بالعراق ، وجند باليمن » الحديث كذا في (الترغيب والترهيب) للمنذري ، وحديث أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال « انكم ستجندون أجنادا ، جندا بالشام ومصر والعراق واليمن » الحديث كذا في زوائد مسند البزار ، ويكفي لذم العراق حديث سهل بن حنيف

---

١) خر بكسر الخاء امر من خار له بخير (ككال يكيل) اذا اختار له ما هو خير هذه الاماكن . وكتبه محمد رشيد رضا

الذي أخرجه البخاري وفيه قال: سمعته يقول وأهوى بيده قبل العراق «يخرج منه قوم» الحديث وقد تقدم

وقد ورد الأمر باللحوق بنجد في حديث رأيته في زوائد مسند البزار، ولفظه حدثنا محمد بن عبد الله بن المفضل الحراني ثنا عثمان بن عبد الرحمن الحرامي ثنا عبد الرحمن بن ثابت عن أبي العوام عن عبد الملك بن مساحق عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال «انكم ستجندون أجنادا» فقال رجل يا رسول الله خر لي فقال «عليك بالشام فانها صفوة الله من بلاده فيها خيرة الله من عباده فمن رغب عن ذلك فليلحق بنجده فان الله تكفل لي بالشام وأهله» قال البزار لا نعلمه يروى عن ابن عمر إلا بهذا الاسناد اه

ولا يغرنك أن نجداً موضع مخصوص من العرب فكيف يراد به العراق؟ لأن أصل النجد ما ارتفع من الارض، وهو خلاف الغور فإنه ما انخفض منها كما ظهر من كلام الحافظ في الفتح، وهذا يصدق على العراق، ومع أنه قد ورد ذم العراق في غير واحد من الأحاديث لا يقول مسلم بذم علماء العراق لأن أكابر المحدثين وفقهاء الامة وأهل الجرح والتعديل أكثرهم من أهل العراق، وجماعة من أكابر أصحاب رسول الله ﷺ ومن التابعين بعدهم قد سكنوا العراق. ألا ترى الى ما أخرج البخاري عن ابراهيم قال ذهب علقمة إلى الشام فأتى المسجد فصلى ركعتين فقال: اللهم ارزقني جليساً، فقعد إلى أبي الدرداء فقال ممن أنت؟ قال من أهل الكوفة، قال أليس فيكم صاحب السر الذي كان لا يعلمه غيره؟ — يعني حذيفة — أليس فيكم أو كان فيكم الذي أجاره الله على لسان رسوله ﷺ من الشيطان — يعني عماراً — أو ليس فيكم صاحب السواك والوسادة — يعني ابن مسعود — كيف كان عبد الله

يقرأ (والليل إذا يغشى) قال (والذكر والانثى) فقال ما زال هؤلاء حتى كادوا يشككونني ، وقد سمعتها من رسول الله ﷺ اهـ

وهذا ظاهر لمن تتبع أحوال الصحابة والتابعين ، وقد ذكرت فيما تقدم رواية مسلم عن أبي سعيد وفيها « وأنتم قتلتموهم يا أهل العراق » فعلم أن أهل العراق هم الذين قتلوا الخوارج، فكيف يجوز ذم جميع أهل العراق ؟ وان سلم أن المراد بنجد نجد العرب ، فالجواب أنه كما لا يجوز ذم جميع أهل العراق لورود أحاديث في ذمه ، كذلك لا يجوز ذم جميع أهل نجد بعد تسليم ورود ذمه في حديث.

وقد ورد في الاحاديث الصحيحة(١) ان رسول الله ﷺ غزا قبل نجد وبعث سرية قبل نجد ، وبعث خيلا قبل نجد فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة ابن اثال فربطوه بسارية من سواري المسجد فخرج اليه النبي ﷺ فقال «ماعندك يا ثمامة ؟ » فقال عندي خير يامحمد إن تقتلني تقتل ذا دم(٢) وان تنعم تنعم على شاكر ،وان كنت تريد المال فسل منه ما شئت ، فترك حتى كان الغد ثم قال له «ما عندك يا ثمامة ؟ » فقال ماقلت لك إن تنعم تنعم على شاكر ،فتركه حتى كان بعد الغد فقال «ماعندك يا ثمامة؟» قال عندي ماقلت لك فقال «اطلقوا ثمامة» فانطلق الى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال أشهد ان لا إله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ، يامحمد والله ما كان على الارض وجه أبغض الي من وجهك فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلي، والله ما كان من دين أبغض الي من دينك، فأصبح دينك أحب الدين الي، والله ما كان من بلد أبغض الي من بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد الي ، وان خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى ؟ فبشره

(١) أخرجه الشيخان وابو داود والنسائي من حديث أبي هريرة ولم يتذكر المؤلف منها الا البخاري (٢) يعني بذي الدم المستحق للقتل و كتبه وما قبله محمد رشيد رضا

رسول الله ﷺ وأمره أن يعتمر ، فلما قدم مكة قال له قائل صبوت ؟ قال لا والله ولكن أسلمت مع محمد رسول الله ﷺ ، ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبي ﷺ ، أخرج البخاري تلك الاحاديث في صحيحه

قوله (فبشره) قال الحافظ في الفتح أي بخيري الدنيا والآخرة ، أو بشره بالجنة أو بمحو ذنوبه وتبعاته السابقة اه

فلو لم يكن في أهل نجد خير ما غزى قبل نجد ، فان الغزو المقصود منه بالذات اسلام أهله وماقبل اسلام ثمامة بن اثال ولم يبشره بخيري الدنيا والاخرة أو بالجنة أو بمحو ذنوبه وتبعاته السابقة

وأخرج البخاري ومسلم عن طلحة بن عبيد الله يقول جاء رجل الى رسول الله ﷺ من أهل نجد ثائر الرأس نسمع دوي صوته ولا نفقه مايقول حتى دنا فاذا هو يسأل عن الاسلام فقال رسول الله ﷺ « خمس صلوات في اليوم والليلة » فقال هل علي غيرها ؟ قال « لا الا أن تطوع » قال رسول الله ﷺ « وصيام رمضان » قال هل علي غيره ؟ قال « لا الا أن تطوع » قال وذكر له رسول الله ﷺ الزكاة قال هل علي غيرها ؟ قال « لا الا أن تطوع » قال فأدبر الرجل وهو يقول والله لا أزيد على هذا ولا أنقص . قال رسول الله ﷺ « أفلح إن صدق » اه

فهذا الرجل من أهل نجد بشره ﷺ بالفلاح — وقد وقّت رسول الله ﷺ لاهل نجد قرن المنازل كما وقت لاهل المدينة ذا الحليفة ، ولاهل الشام الجحفة ولاهل اليمن يلملم ، فلو لم يكن في نجد خير فأي حاجة إلى تعيين الميقات لاهلها ؟ فقد علم رسول الله (ص) ان أهل نجد يأتون للحج كما ان اهل المدينة وأهل الشام وأهل اليمن يأتون له ؛ وقد ورد فضل بني تميم في الحديث ، والشيخ عبد الوهاب منهم وهم من أهل نجد

أخرج البخاري عن أبي هريرة قال ما زلت احب بني تميم منذ ثلاث سمعت من رسول الله (ص) يقول فيهم سمعته يقول «هم أشد أمتي على الدجال» قال وجاءت صدقاتهم فقال رسول الله (ص) «هذه صدقات قومنا» وكانت سبية منهم عند عائشة فقال «اعتقيها فانها من ولد اسماعيل» اهـ

وفي زوائد مسند البزار عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) وذكر بني تميم فقال «هم ضخام الهام ، ثبت الاقدام ، نصار الحق في آخر الزمان ، أشد قوما على الدجال» قال البزار سلام هذا أحسبه سلام المدائني وهو لين الحديث

وأيضاً فيه عن أبي هريرة قال ربما ضرب النبي (ص) على كتفي وقال «احبوا بني تميم» قال البزار لا نعلمه يروى عن النبي (ص) إلا من هذا الوجه

(فان قلت) قد جاء في حديث عمران بن حصين (رض) ما يشينهم ، قال جاء نفر من بني تميم إلى النبي ﷺ فقال يا بني تميم «أبشروا» قال بشرتنا فاعطنا ، فتغير وجهه ، فجاءه أهل اليمن فقال «يا أهل اليمن اقبلوا البشرى إذ لم يقبلها بنو تميم» قالوا قبلنا ، الحديث أخرجه البخاري

(قلت) هذا مقولة الجفاة منهم ، منهم الاقرع بن حابس ، ذكره ابن الجوزي كذا في الفتح

قال الحافظ ابن كثير في تفسير قوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ * وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) وقد ذكر أنها نزلت في الاقرع بن حابس التميمي (رض) فيما أورده غير واحد ، قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا وهيب حدثنا موسى بن عقبة عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن الاقرع بن حابس (رض) أنه نادى رسول الله ﷺ فقال يا محمد يا محمد ، وفي رواية يا رسول الله فلم يجبه ، فقال يا رسول ان حمدي لزين ، وان ذمي لشين ،

فقال « ذاك الله عز وجل » وقال ابن جرير حدثنا أبو عامر الحسين بن حريث المروزي حدثنا الفضل بن موسى عن الحسين بن واقد عن أبي اسحاق عن البراء في قوله تبارك وتعالى (إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ) قال جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال يا محمد ان حمدي زين وذمي شين ، فقال ﷺ « ذاك الله عز وجل » وهكذا ذكره الحسن البصري وقتادة مرسلا ، قال الحافظ في تفسير سورة الحجرات تحت حديث ابن أبي مليكة قال : كاد الخيران أن يهلكا أبا بكر وعمر رضي الله عنهما رفعا أصواتهما عند النبي ﷺ حين قدم ركب بني تميم فأشار أحدهما بالاقرع بن حابس أخي بني مجاشع وأشار الآخر برجل آخر . قال نافع لا أحفظ اسمه ، فقال أبو بكر لعمر : ما أردت إلا خلافي ، قال ما أردت خلافك ، فارتفعت أصواتهما في ذلك ، فأنزل الله (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم) الآية

قوله (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم) الآية زاد وكيع كما سيأتي في الاعتصام الى قوله (عظيم) ، وفي رواية ابن جريج فنزلت (يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله) الى قوله (ولو أنهم صبروا) وقد استشكل ذلك ، قال ابن عطية : الصحيح أن سبب نزول هذه الآية كلام جفاة العرب

(قلت) لا يعارض ذلك هذا الحديث ، فان الذي يتعلق بقصة الشيخين في تخالفهما في التأمير هو أول السورة (لا تقدموا) ولكن لما اتصل بها قوله (لا ترفعوا) تمسك عمر منها بخفض صوته ، وجفاة الاعراب الذين نزلت فيهم هم من بني تميم ، والذي يختص بهم قوله (ان الذين ينادونك من وراء الحجرات) قال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة إن رجلا جاء إلى النبي ﷺ من وراء الحجرات فقال يا محمد: ان مدحي زين، وان شتمي شين ، فقال النبي ﷺ « ذاك الله عز وجل » ونزلت

(قلت) ولا مانع أن تنزل الآية لأسباب تتقدمها فلا يعدل للترجيح مع ظهور الجمع وصحة الطرق اه

وقال الحافظ تحت قوله باب (ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون) وروى الطبراني من طريق مجاهد قال هم أعراب بني تميم ، ومن طريق أبي اسحاق عن البراء قال جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا محمد ان حمدي زين وان ذمي شين فقال « ذاك الله تبارك وتعالى » وروى من طريق معمر عن قتادة مثله مرسلا ، وزاد فأنزل الله (ان الذين ينادونك من وراء الحجرات) الآية ومن طريق الحسن نحوه اه

وقال الحافظ تحت قوله باب قوله (ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيراً لهم) هكذا في جميع الروايات الترجمة بغير حديث ، وقد أخرج الطبري والبغوي وابن أبي عاصم في كتبهم في الصحابة من طريق موسى بن عقبة عن أبي سلمه قال حدثني الاقرع بن حابس التميمي أنه أتى النبي ﷺ فقال يا محمد اخرج الينا فنزلت (ان الذين ينادونك من وراء الحجرات) الحديث وسياقه لابن جرير ، قال ابن منده الصحيح عن أبي سلمة أن الاقرع مرسل ، وكذا اخرجه أحمد على الوجهين

وقد ساق محمد بن اسحاق قصة وفد بني تميم في ذلك مطولة بانقطاع وأخرجها ابن منده في ترجمة ثابت بن قيس في المعرفة من طريق أخرى موصولة اه

وقال الترمذي في جامعه حدثنا أبو عمار الحسين بن حريث نا الفضل بن موسى عن الحسين بن واقد عن أبي اسحاق عن البراء بن عازب في قوله تعالى (ان الذين ينادونك من وراء الحجرات) قال قام رجل فقال يا رسول الله إن حمدي زين ، وان ذمي شين ، فقال النبي ﷺ « ذاك الله عز وجل » هذا حديث حسن غريب

وقد جاء في الاحاديث « فضل العرب عموما » أخرج البخاري عن أبي هريرة ان رسول الله ﷺ قال « بعثت من خير قرون بني آدم قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذي كنت فيه » اه

وأخرج الترمذي عن العباس أن النبي ﷺ قال « ان الله خلق الخلق فجعلني في خيرهم ثم جعلهم فرقتين فجعلني في خيرهم فرقة، ثم جعلهم قبائل فجعلني في خيرهم قبيلة، ثم جعلهم بيوتا فجعلني في خيرهم بيتا وخيرهم نفسا » وقال هذا حديث حسن

وأخرج الترمذي عن سلمان قال قال لي رسول الله ﷺ « يا سلمان لاتبغضني فتفارق دينك » قلت يا رسول الله كيف أبغضك وبك هداني الله؟ قال « تبغض العرب فتبغضني » وقال هذا حديث حسن غريب

وأخرج عن عثمان بن عفان قال قال رسول الله ﷺ « من غش العرب لم يدخل في شفاعتي ولم تنله مودتي » وقال هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حصين بن عمر الاحمسي عن مخارق، وليس حصين عند أهل الحديث بذاك القوي

وأخرج الترمذي عن محمد بن أبي رزين عن أمه قالت كانت أم الحرير إذا مات أحد من العرب اشتد عليها فقيل لها إنا نراك إذا مات الرجل من العرب اشتد عليك، قالت سمعت مولاي يقول قال رسول الله ﷺ « من اقتراب الساعة هلاك العرب » قال محمد بن أبي رزين: ومولاها طلحة بن مالك، هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث سليمان بن حرب [1]

وأخرج مسلم عن أم شريك انها سمعت النبي ﷺ يقول « ليفرن الناس

---

١) سليمان بن حرب الازدي الواشجي البصري القاضي بمكة امام حافظ روى عنه الجماعة كلهم كما في التقريب . وكتبه محمد رشيد رضا

من الدجال في الجبال» قالت أم شريك يارسول الله فأين العرب يومئذ؟ قال «هم قليل» وأخرجه الترمذي أيضا وقال هذا حديث حسن صحيح غريب

وأخرج مسلم عن جابر قال قال رسول الله ﷺ «ان الشيطان قد يئس من أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم» كذا في (مشكاة المصابيح) وأخرجه الترمذي بغير لفظ (في جزيرة العرب) وقال وفي الباب عن أنس وسليمان بن عمرو بن الاحوص عن أبيه هذا حديث حسن اه

وفي زوائد مسند البزار للهيثمي عن علي (رض) يقول أسندت النبي ﷺ إلى صدري فقال «ياعلي أوصيك بالعرب خيراً» قال البزار لانعلمه يروى عن علي إلا بهذا الاسناد، وأبو المقدام هو ثابت ا. داد روى عنه منصور بن المعتمر وسفيان الثوري وهو أبو عمرو بن ثابت

وأيضا فيه عن أبي موسى قال قال رسول الله ﷺ «اني دعوت للعرب فقلت اللهم من لقيك منهم مصدقا بك موقنا فاغفر له» قال البزار لا نعلم رواه عن ثابت إلا مروان ولا عنه إلا الحسن بن بشر اه

وفي زوائد مسند البزار في فضل جزيرة العرب حدثنا محمد بن العلاء ثنا الحسن ابن عطية ثنا قيس عن يونس يعني ابن عبيد عن الحسن عن الاحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب قال قال رسول الله ﷺ «لقد برأ الله هذه الجزيرة من الشرك مالم يضلهم النجوم» حدثنا احمد بن محمد بن الوليد ثنا موسى بن داود ثنا قيس عن يونس عن الحسن عن الاحنف عن العباس عن النبي ﷺ قال بنحوه قال البزار لانعلم رواه إلا العباس ولا له عنه إلا هذا الاسناد، حدثنا ابراهيم ابن زياد ثنا ابراهيم بن ابي العباس ثنا عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم عن أبي الدرداء قال قال رسول الله ﷺ «ان الشيطان قد يئس أن يعبد في جزيرة العرب ولكن قد رضي بمحقرات»

قال البزار قد روي من غير طريق عن أبي الدرداء حدثنا الفضل بن سهل ثنا معاوية بن عمرو ثنا أبو اسحاق الفزاري عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ «ان الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم هذه ولكن قد رضي منكم بالمحقرات» قال البزار قد رواه أبو اسحاق هكذا ورواه غيره عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة أو أبي سعيد اه

وأخرج الترمذي عن سليمان بن عمرو بن الاحوص عن أبيه قال سمعت رسول الله (ص) يقول في حجة الوداع «أي يوم هذا؟» الحديث وفيه «وان الشيطان قد يئس أن يعبد في بلادكم هذه أبداً ولكن ستكون له طاعة فيما تحقرون من أعمالكم فسيرضى به» قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح اه

فقد علم من هذه الاحاديث فضل العرب على غير العرب ، وقد ورد في الصحيح عن أبي هريرة «لو كان الايمان عند الثريا لناله رجال من هؤلاء»(١) وقد وقع هكذا ، فان كثيراً من أهل الحديث من أبناء فارس ، وإذا أمكن نيل جماعة من أهل فارس الذين هم في الخيرية أدون من أهل نجد التي هي من العرب وشرهم أزيد من شر أهل نجد — الايمان — فما ظنك بأهل نجد ؟

وجملة القول أن ورود مدح قبيلة أو موضع في الحديث لا يقتضي خيرية جميع أفراده وجميع سكانه ، وكذلك ورود ذم قبيلة أو موضع في الحديث لا يقتضي شرية جميع أفراده وجميع سكانه ، ألا ترى أن خيرية قريش والانصار وجهينه ومزينة واسلم وأشجع وغفار والاسد والاشعريين والازد وحمير وذهعصية وبني تميم وبني أسد وبني عبد الله بن غطفان وبني عامر بن صعصعة وربيعة ومضر وثقيف وبني حنيفة وبني أمية ، قد ورد في الاحاديث مع أن الاول قد جاءت منها أشرار أيضا ، والاخر قد جاءت منها أخيار أيضا

١) الاشارة الى الفرس لانه (ص) قال هذا ويده على سلمان الفارسي (رض) كما في الصحيحين

وكذلك قد ورد مدح اليمن وأهله وذم المشرق والعراق وأهلها مع أن الاسود العنسي قد نشأ في اليمن وكثير من أهل الحديث من المشرق والعراق ، وهذا لا يخفى على من له أدنى المام بفن التاريخ والرجال ، وحسبك من خيرية مضر كون النبي ﷺ من مضر

أخرج البخاري عن ربيبة النبي ﷺ زينب ابنة أبي سلمة قال قلت لها أرأيت النبي ﷺ أكان من مضر ؟ قالت فممن كان إلا من مضر من بني النضر بن كنانة اه ، وحسبك من خيرية ربيعة قول النبي ﷺ لوفد عبد القيس لما آتوا النبي ﷺ «من القوم ـ أو ـ من الوفد ؟ » قالوا ربيعة قال « مرحبا بالقوم — أو — بالوفد غير خزايا ولا ندامى » فقالوا يا رسول الله انا لا نستطيع أن نأتيك إلا في الشهر الحرام وبيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر فمرنا بأمر نخبر به من وراءنا وندخل به الجنة ، الحديث أخرجه البخاري من حديث ابن عباس

وفي زوائد مسند البزار عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ « خير أهل المشرق عبد القيس » قال البزار لا نعلم أحداً رواه بهذا اللفظ إلا ابن عباس ولا عنه إلا أبو حمزة ولا عنه إلا شبيل ، وشبيل بصري مشهور ، ولا رواه عنه إلا ابن سواء اه

والمقصود ان ربيعة ومضر مع أن ذمهم قد ورد في الحديث ومن الاخيرة سيد المرسلين ومن الاولى وفد عبد القيس وقد أثنى النبي ﷺ عليهم ، وأما عدا ذلك من الاحاديث التي ذكرها المؤلف مما ذكر فيه « ان الفتنة من المشرق ورأس الكفر نحو المشرق وغلظ القلوب والجفاء بالمشرق » فالتشنيع بها على الشيخ وأتباعه تشنيع على معظم هذه الامة من الفقهاء والمحدثين ، فان كثيرا منهم قد جاءوا من المشرق ، وهذا مما لا مجال لانكاره لأحد من أهل العلم بل هذا التشنيع من جنس تشنيع الرافضة على عائشة أم المؤمنين (رض) ان البخاري

أخرج عن عبد الله رضي الله عنه قال قام النبي ﷺ خطيبا فأشار نحو مسكن عائشة فقال « هنا الفتنة — ثلاثا — من حيث يطلع قرن الشيطان » بل هذا أخف منه على ما لا يخفى ، وإذ لم يكن التشنيع الذي هو أشد سببا للذم عند أهل السنة فما ظنك بالاخف؟

قوله ﴿لانهم كانوا يأمرون من اتبعهم أن يحلق رأسه ولا يتركونه يفارق مجلسهم إذا تبعهم حتى يحلقوا رأسه﴾

أقول هذا كذب صريح وبهتان قبيح(١)

قوله ﴿ولم يقع مثل ذلك قط من أحد من الفرق الضالة التي مضت قبلهم إلى قوله فانه لم يفعله أحد من المبتدعة غيرهم﴾

أقول هذا غلط صريح وخطأ شنيع ، قال الحافظ في كتاب المغازي من فتح تحت قوله محلوق سيأتي في أواخر التوحيد من وجه آخر أن الخوارج سيماهم التحليق، وكان السلف يوفرون شعورهم ولا يحلقونها ، وكانت طريقة الخوارج حلق جميع رؤوسهم اه

وقال في أواخر (كتاب التوحيد) تحت قوله التحليق، ثم اجاب بأن السلف كانوا لا يحلقون رءوسهم إلا للنسك وفي الحاجة ، والخوارج اتخذوه دينا فصار شعارا لهم وعرفوا به اه

فالسلب الكلي غلط قطعا

وقوله ﴿وكان ابن عبد الوهاب يأمر ايضا بحلق رؤوس النساء اللاتي تبعنه اه﴾

(١) ان غرض دحلان من مبالغته في هذا الكذب هو الاحتراز من اعتراض أ... بأن جميع علماء المسلمين في الحجاز ومصر والشام يحلقون رءوسهم ليقول ان ضلال الوهابية هو المبالغة في الحلق بما افتراه عليهم هنا

اقول هذا البهتان صريح

قوله ﴿ جاء في رواية قرنا الشيطان بصيغة التثنية قال بعض العلماء المراد من قرني الشيطان مسيلمة الكذاب وابن عبد الوهاب ﴾

اقول هذه رواية مسلم من حديث سالم بن عبد الله بن عمر يقول يا اهل العراق ما اسألكم عن الصغيرة واركبكم للكبيرة سمعت ابي عبد الله بن عمر يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول « ان الفتنة تجيء من هنا — واومأ بيده نحو المشرق — من حيث يطلع قرنا الشيطان » الحديث

قال النووي : وأما قرنا الشيطان فجانبا رأسه وقيل هما جمعاه اللذان يغريهما باضلال الناس ،وقيل شيعتاه من الكفار ، والمراد بذلك اختصاص المشرق بمزيد من تسلط الشيطان ومن الكفر اه

(قلت) لعل المراد بقرني الشيطان ربيعة ومضر ، والدليل عليه حديث أبي مسعود قال أشار النبي (ص) بيده نحو اليمن فقال « ألا ان الايمان ههنا وان القسوة وغلظ القلوب في الفدادين عند أصول اذناب الابل حيث يطلع قرن الشيطان في ربيعة ومضر » أخرجه مسلم

قوله ﴿ وجاء في بعض الروايات وبها ـ يعني نجد ـ الداء العضال ﴾

أقول هذه اللفظة قد وقعت في روايتين على ما أعلم (الاولى) رواية الطبراني عن ابن عمر كما نقلتها عن مجمع الزوائد (والثانية) رواية مالك في الموطأ وقد ذكرت فيما تقدم وليس في واحد منهما لفظ (نجد) بل في الاولى (وفي شرقنا) وفي الثانية لفظ (العراق) فارجاع الضمير إلى نجد جهل(١)

قوله ﴿ وفي بعض التواريخ بعد ذكر قتال بني حنيفة قال ويخرج في آخر الزمان في بلد مسيلمة رجل يغير دين الاسلام ﴾

(١) بل هو من تعمد الكذب الذي ليس له عند دحلان حد

أقول: هذه رواية بلا سند فلا اعتداد بها، على أن كون الشيخ مصداقا لها محل نظر (١)

قوله ﴿ وجاء في بعض الاحاديث التي فيها ذكر الفتن قوله (ص) منها فتنة عظيمة تكون في امتي لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته تصل إلى جميع العرب قتلاها في النار ، واللسان فيها أشد من وقع السيف ﴾

أقول : ماوجدته بهذا اللفظ ، وقد أخرج أبو داود عن عبدالله بن عمرو قال قال رسول الله (ص) «انها ستكون فتنة تستنظف العرب، قتلاها في النار ، اللسان فيها أشد من وقوع السيف» ورواه الترمذي وابن ماجه

قوله ﴿ وفي رواية ستكون فتنة صماء بكماء عمياء ﴾

أقول : الحديث أخرجه أبو داود من حديث أبي هريرة ان رسول الله (ص) قال «ستكون فتنة صماء بكماء عمياء من أشرف لها استشرفت له، وإشراف اللسان فيها كوقوع السيف»

أقول هذان الحديثان ليس فيهما لفظ يدل على تعيين الشيخ وأتباعه ، وجمهور العلماء حملوها على الفتنة التي وقعت بين علي ومعاوية . يدل عليه ان النبي (ص) قال اللسان فيها أشد من وقوع السيف يعني ان الطعن في إحدى الطائفتين ومدح الاخرى مما يثير الفتنة فالكف واجب

قوله ﴿ وفي رواية سيظهر من نجد شيطان تتزلزل جزيرة العرب من فتنته ﴾

أقول هذه الرواية لم اقف عليها ولم يذكر المؤلف سندها ولا يعتد بها

١) يالله العجب من التزام المصنف لهذه الاصطلاحات العلمية ووضعها في غير موضعها فمن المعلوم بالتواتر ان الشيخ رحمه الله تعالى جدد الاسلام في نجد وغير نجد فهل يصح ان يكتفي بقوله أن دعوى تغييره للاسلام محل نظر ؟ وصاحب الدعوى كذاب مشهور ينقل عن تاريخ مجهول . وكتبه محمد رشيد رضا

قوله ﴿ منها حديث مروي عن العباس بن عبد المطلب (رض) عم النبي ﷺ أسنده إلى النبي (ص) قال فيه «سيخرج في ثاني عشر قرنا في وادي بني حنيفة رجل كهيئة الثور لا يزال يلعق براطمه ، يكثر في زمانه الهرج والمرج ، يستحلون أموال المسلمين ويتخذونها بينهم متجرا ، ويستحلون دماء المسلمين ويتخذونها بينهم مفخرا ، وهي فتنة يعتز فيها الارذلون والسفل تتجارى بينهم الاهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه» قال ولهذا الحديث شواهد تقوي معناه ، وان لم يعرف من خرجه ﴾

اقول اذا لم يعرف من خرجه فكيف يصح الاستدلال به؟

قوله (وأصرح من ذلك ان هذا المغرور محمد بن عبد الوهاب من تميم ، فيحتمل انه من عقب ذي الخويصرة التميمي الذي جاء فيه حديث البخاري عن أبي سعيد الخدري)

أقول لاشك ان الشيخ من رأس تميم وأعيانهم كما صرح به بعض المحققين في الرد على (جلاء الغمة) ولكن ليس في حديث البخاري ولا في غيره ما يدل على أن كل من هو من تميم أو من ضئضئي ذي الخويصرة مصداق لهذا الحديث بل في الحديث لفظة (من) دالة على التبعيض المنافي لهذه الكلية ، واحتمال انه من عقب ذي الخويصرة لا يقتضي كونه من عقب ذي الخويصرة جزماً فضلاً عن كونه مصداقاً لهذا الحديث

وتقرير دليل المؤلف على طريقة الميزانيين هكذا: محمد بن عبد الوهاب من تميم ، وبعض من هو من تميم من عقب ذي الخويصرة فينتج ان محمد بن عبد الوهاب

من عقب ذي الخويصرة ، ثم يجعل هذه النتيجة صغرى لقياس آخر فيقال: ان محمد ابن عبدالوهاب من عقب ذي الخويصرة وبعض من هو من عقب ذي الخويصرة مصداق لحديث البخاري الوارد في شأن الخوارج ، فمحمد بن عبد الوهاب مصداق لحديث البخاري الوارد في شأن الخوارج

ولا يخفى جهل هذا المستدل على من له أدنى إلمام بعلم الميزان ، إذ كلية الكبرى التي هي شرط لانتاج الشكل الاول مفقودة في القياسين ، وإن ادعى كلية كبرى القياس فيقال ان كلية كبرى القياس الاول بديهة البطلان ، إذ ليس كل من هو من بني تميم من عقب ذي الخويصرة ، وكلية كبرى القياس الثاني أيضا باطلة ، لان الثابت بالحديث انما هو الجزئية التي تدل عليه لفظ (من) التبعيضية الواقعة في صدر الحديث

قوله ﴿ ولما قتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه الخوارج قال رجل: الحمد لله الذي أبادهم وأراحنا منهم ، فقال رضي الله عنه : كلا والذي نفسي بيده ان منهم لمن هو في أصلاب الرجال لم تحمله النساء وليكونن آخرهم مع المسيح الدجال ﴾.

أقول فيه كلام من وجهين

(الاول) أن المؤلف لم يذكر سنده فلا يصلح هذا لان يحتج به

(والثاني) على تقدير ثبوته ليس في الحديث لفظ يقتضي أن المراد به الشيخ وأتباعه

قوله ﴿ وجاء في حديث عن أبي بكر الصديق (رض) ذكر فيه بني حنيفة قوم مسيلمة الكذاب ، وقال فيه ان واديهم لا يزال وادي فتن إلى آخر الدهر ولا يزال في فتنة من كذابهم الى يوم القيامه ، وفي رواية ويل لليمامة ويل لا فراق له ﴾

اقول جوابه من وجهين

(الاول) انه لا بد على من يحتج به ذكر سنده وتوثيق رواته واثبات اتصاله
(والثاني) انه ليس فيه لفظ يقتضي أن الشيخ وأتباعه مصداق هذا الحديث
فان الشيخ ليس من بني حنيفة بل هو من تميم ، قال بعض المحققين في الرد على (جلاء الغمة) والجواب أن يقال لهذا المعنى إن شيخنا رحمه الله تعالى من رءوس تميم وأعيانهم وليس من بني حنيفة ، وتميم قبل الاسلام وبعده هم رءوس نجد وساداتهم وهم ممن قاتل بني حنيفة مع خالد وأبلوا بلاء حسنا اه ملخصا

ثم قال بعد ذلك قال تعالى (الأعْرَابُ أَشَدُّ كُفْراً وَنِفَاقاً وَأَجْدَرُ أَنْ لا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلى رَسُولِهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) ومع هذا فقد أثنى تعالى على من آمن بالله واليوم الآخر (ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول) الآية ، فمن آمن بالله ورسوله وكذب مسيلمة ولم يؤمن به فهو من المؤمنين ، وقد (وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم) وأما قول الصديق فالمراد به من آمن بمسيلمة وأدركه منهم كما وقع من ابن النواحة ، واما من بعدهم من نسلهم وذراريهم المؤمنين فلا يتوجه اليهم ذم ولا عيب ، والصديق أجل من أن يعيب من لم يؤمن بمسيلمة ولم يشهد عصره ، وأصحاب رسول الله ﷺ وأسلافهم كانوا على جاهلية وشرك وعبادة الاصنام والاحجار وغيرها ، ولا يتوجه عيب أحدمنهم بأسلافهم ، وقد يخرج الله من أصلاب المشركين والكفار من هو من خواص أوليائه وأصفيائه ، ولما استأذن ملك الجبال رسول الله ﷺ أن يطبق عليهم الاخشبين لما رجمه أهل الطائف ودعا بدعائه المشهور وهو قوله « اللهم اليك أشكو ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس ، أنت رب المستضعفين ، وأنت ربي إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني ، أو إلى عدو ملكته أمري ؟ ان لم يكن بك غضب علي فلا أبالي ، غير ان عافيتك هي أوسع لي ، لك العتبى حتى

ترضى ، أعوذ بنور وجهك أن ينزل بي سخطك أو يحل بي غضبك » فاستأذنه الملك عند ذلك فقال : بل أتأنى بهم لعل الله أن يخرج من أصلابهم من يعبده ولا يشرك به شيئا »

إذا عرفت هذا فشيخنا ليس من بني حنيفة أصلا ، والقصد بيان كلام الصديق وما أريد به اه

ثم قال : نم لو فرض أن من بني حنيفة عالما يدعو الى الله تعالى ، فما وجه عيبه وذمه بقومه ؟ وقد خالفهم في الايمان والدين ، وسلمان الفارسي وصهيب الرومي وبلال بن أبي رباح من أفضل الناس ، وأسلافهم من شر الناس ، بل والرسل أفضل الخلق وأكرمهم على الله تعالى والمكذبون لهم من قومهم أكثر من المستجيبين ، وابن نوح على أبيه السلام لم ينتفع بإيمان أبيه ورسالته ، ولم ينل بذلك ما يوجب سعادته وفلاحه ، وهذا المعترض جاهل الدين والمعرفة والمذهب اه

وقال في موضع آخر : وهل عاب الله ورسوله أحداً من المسلمين أو غيرهم ببلده ووطنه وكونه فارسيا أو زنجيا أو مصريا من بلاد فرعون ومحل كفره وسلطنته ، وعكرمة بن أبي جهل من أفاضل الصحابة وأبوه فرعون هذه الامة ، ومن العجب أن يقول في المؤمنين (فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا) وهو كما ترى من أكثف الناس حجابا وأغلظهم ذهنا يعيب من زكاهم الله ورسوله بالايمان به ومتابعة رسوله ببلاد قد كفر فيها بالله وعبد معه غيره ، وهو يعلم أن بلاد الخليل ابراهيم حران دار الصابئة المشركين عباد النجوم ، ودار يوسف دار فرعون الكافر اللعين ، وسكنها موسى بعده وأكابر بني اسرائيل ، وكذلك مكة المشرفة سكنها المشركون وعلقوا الاصنام على الكعبة المشرفة ، وأخرجوا نبيهم وقاتلوه المرة بعد المرة ، أفيستحل مؤمن أو عاقل أو جاهل أن يلمز أحداً من المهاجرين أو من مسلمة الفتح أو من بعدهم من المؤمنين بما سلف في مكة من الشرك بالله رب العالمين اه

قوله ﴿وفي حديث ذكره في (مشكاة المصابيح) سيكون في آخر الزمان قوم يحدثونكم بما لم تسمعوا أنتم ولا آباءكم فاياكم واياهم لا يضلونكم ولا يفتنونكم﴾

أقول لفظ المشكاة هكذا ، وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « يكون في آخر الزمان دجالون كذابون يأتونكم من الاحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فاياكم واياهم لا يضلونكم ولا يفتنونكم » رواه مسلم ، ولفظ المصابيح هكذا وقال « يكون في آخر الزمان دجالون كذابون يأتونكم من الاحاديث بمالم تسمعوا أنتم ولا آباءكم فاياكم واياهم لا يضلونكم ولا يفتنونكم » رواه ابو هريرة

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هانيء عن ابي عثمان مسلم بن يسار عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال « سيكون في آخر أمتي أناس يحدثونكم بما لم تسمعوا أنتم ولا آباءكم فاياكم واياهم »

ومن حديث شراحيل بن يزيد يقول : أخبرني مسلم بن يسار أنه سمع أبا هريرة يقول قال رسول الله ﷺ « يكون في آخر الزمان دجالون كذابون يأتونكم من الاحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباءكم فاياكم واياهم لا يضلونكم ولا يفتنونكم » اه

والمقصود من نقل هذه العبارات أن ما نقله المؤلف من المشكاة لا يوافق المشكاة ولا المصابيح ولا ما أخرجه مسلم ، على أن الشيخ وأتباعه لا يتصور كونهم مصاديق هذه الاحاديث ، فان المراد في الحديث قوم يتحدثون بالاحاديث الكاذبة ويبتدعون أحكاما باطلة واعتقادات فاسدة ، والشيخ وأتباعه براء من التحدث بالاحاديث الكاذبة وابتداع الاحكام الباطلة والاعتقادات الفاسدة بل

هم على طريقة السلف الصالح كما يشهد له رسائل الشيخ وأتباعه [١]

قوله ﴿ وأنزل الله في بني تميم (ان الذين ينادونك) ﴾

أقول نزل هذا في جفاة بني تميم وهذا لا يقتضي ذم بني تميم كلهم ، وقد ورد في ثنائهم ما ورد وقد ذكر فيما تقدم

قوله ﴿ وأنزل الله فيهم (لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) ﴾

أقول هذه الآية لم تنزل في بني تميم بل في افضل الامة أبي بكر وعمر ، أخرج البخاري عن ابن أبي مليكة قال كاد الخيران أن يهلكا أبا بكر وعمر (رض) رفعا أصواتهما عند النبي ﷺ حين قدم عليه ركب بني تميم فأشار أحدهما بالاقرع ابن حابس أخي بني مجاشع وأشار الآخر برجل آخر ، قال نافع لا أحفظ اسمه، فقال أبو بكر لعمر ما أردت الا خلافي ، قال ما أردت خلافك ، فارتفعت أصواتهما في ذلك ، فأنزل الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم) الآية قال ابن الزبير فما كان عمر يسمع رسول الله ﷺ بعد هذه الآية حتى يستفهمه ، ولم يذكر ذلك عن أبيه ، يعني أبا بكر ، اه

فان كان نزول هذه الآية موجباً لذم من نزلت فيه كما زعم المؤلف لزم ذم أبي بكر وعمر (رض) أعاذنا الله منه [٢]

قوله ﴿ قال السيد علوي الحداد المذكور آنفاً : إن الذي ورد في بني حنيفة وفي ذم تميم ووائل شيء كثير ﴾

---

١) ولكن كتاب الشيخ دحلان هذا يشهد عليه بانه من هؤلاء الدجالين الذين يحدثون الناس بما لم يسمعوا هم ولا آباؤهم الذين دونوا لهم كتب السنة وهو نفسه يعترف ببعضها انه لم يعرف له راو . وكتبه محمد رشيد رضا

٢) بل الآية تدل على فضل من نزلت فيهم اذ شرفتهم بخطاب الله لهم وشهادته لهم بالايمان وتأديب الله لهم شرف عظيم . وكتبه محمد رشيد رضا

أقول قد تقدم ما ورد في ذم بني تميم والجواب عليه وما ورد في مدحهم، وأما بنو حنيفة فقد ورد فيهم حديث عمران بن حصين قال مات النبي ﷺ وهو يكره ثلاثة أحياء : ثقيفا ، وبني حنيفة ، وبني أمية ، رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وهذا لا يقتضي ذم جميع بني حنيفة ، ألا ترى إلى ثمامة بن أثال الذي مر حديثه فيما تقدم بشره رسول الله (ص) بخيري الدنيا والآخرة او الجنة أو بمحو ذنوبه وهو رجل من بني حنيفة ، واما وائل فلم يذكر المؤلف في ذمهم شيئا ولم اقف عليه

قوله ﴿ وجاء عنه (ص) انه قال « كنت في مبدأ الرسالة أعرض نفسي على القبائل في كل موسم ولم يجبني أحد جوابا أقبح وأخبث من رد بني حنيفة » ﴾

أقول فيه كلام من وجوه

(الاول) المطالبة بسند هذا الخبر

(والثاني) أن الشيخ ليس من بني حنيفة بل من رءوس تميم

(والثالث)على تقدير ثبوته لا يقتضي هذا الخبر ذم جميع بني حنيفة

قوله ﴿ وأما ما نقل عن بعض العلماء أنه استصوب من فعل النجدي جمع البدو على الصلاة وترك الفواحش الظاهرة وقطع الطريق ، والدعوة إلى التوحيد . فهو غلط ؛ حيث حسن للناس فعله ولم يطلع على ما ذكرناه من منكراته وتكفيره الامة من ستمائة سنة، وحرق الكتب الكثيرة، وقتله كثيراً من العلماء وخواص الناس وعوامهم ، واستباحة دمائهم وأموالهم وإظهار التجسيم للباري تبارك وتعالى ، وعقده الدروس لذلك وتنقيصه النبي ﷺ وسائر الانبياء والمرسلين والاولياء ونبش قبورهم ، وأمر في الاحساء أن تجعل بعض قبور الاولياء محلا لقضاء الحاجة

ومنع الناس من قراءة دلائل الخيرات، ومن الرواتب والاذكار، ومن قراءة مولد النبي ﷺ ومن الصلاة على النبي ﷺ في المنائر بعد الاذان، وقتل من فعل ذلك وكان يعرض بعض الغوغاء الطغام بدعواه النبوة ويفهمهم ذلك من فحوى كلامه ومنع الدعاء بعد الصلاة، وكان يقسم الزكاة على هواه، وكان يعتقد ان الاسلام منحصر فيه وفيمن تبعه، وان الخلق كلهم مشركون، وكان يصرح في مجالسه وخطبه بتكفير المتوسل بالانبياء والملائكة والاولياء، ويزعم ان من قال لأحدنا مولانا أو سيدنا فهو كافر، ولا يلتفت إلى قول الله تعالى في سيدنا يحيى عليه السلام (وسيداً) ولا إلى قول النبي ﷺ للانصار «قوموا لسيدكم» يعني سعد بن معاذ (رض) ويمنع من زيارة النبي ﷺ ويجعله كغيره من الاموات، وينكر علم النحو واللغة والفقه والتدريس بهذه العلوم ويقول ان ذلك بدعة.

أقول: قوله «غلط» عجيب، فإن جمع البدو على الصلاة وترك الفواحش الظاهرة وترك قطع الطريق، والدعوة إلى التوحيد مما لا يرتاب أحد من المسلمين في كونه صواباً، وأما ما ذكره من مطاعن الشيخ فالجواب عنها ان منها ما هو البهتان الظاهر وهي تكفير الامة من ستمائة سنة، وحرق الكتب الكثيرة، وقتله كثيراً من العلماء وخواص الناس وعوامهم، واستباحة دمائهم وأموالهم، وإظهار التجسيم للباري تعالى وعقده الدروس لذلك وتنقيصه النبي ﷺ وسائر الانبياء والمرسلين والاولياء ونبش قبورهم وأمره أن يجعل قبور الاولياء محلا لقضاء الحاجة، ومنع الناس من الرواتب والاذكار، وقتل من قرأ دلائل الخيرات، ومن قرأ مولد النبي ﷺ، ومن صلى على النبي ﷺ على المنائر بعد الأذان وادعاء النبوة وقسمة

الزكاة على هواه ، واعتقاد أن الاسلام منحصر فيه وفيمن تبعه ، وان الخلق كلهم مشركون ، وتكفير المتوسل بالانبياء والملائكة والاولياء ، وتكفير من قال لأحدنا : مولانا وسيدنا ، والمنع من زيارة النبي ﷺ وجعله كغيره من الاموات . وإنكار علم النحو واللغة والفقه والتدريس بهذه العلوم ، فالجواب في هذه المطاعن كلها (سبحانك هذا بهتان عظيم)

وأما مسألة منع الناس من قراءة (دلائل الخيرات) فأجاب عنها الشيخ في الرسالة التي كتبها الى عبد الرحمن بن عبد الله حيث قال : وأما دلائل الخيرات فله سبب ، وذلك اني أشرت على من قبل نصيحتي من اخواني أن لا يصير في قلبه أجل من كتاب الله ويظن أن القراءة فيه أجل من قراءة القرآن ، وأما إحراقه والنهي عن الصلاة على النبي ﷺ بأي لفظ كان ، فهذا من البهتان اهـ

وأما قراءة مولد النبي ﷺ فلا شك في كونها بدعة محدثة ، فأي محذور في المنع منه . وكذلك الصلاة على النبي على المنائر بعد الاذان بدعة ، وإزالة المنكر والبدعة وتغييرها واجب بدلائل الاحاديث الصحيحة

وأما الدعاء بعد الصلاة فان كان بالالفاظ الواردة في الاحاديث الصحيحة من غير رفع اليدين كما ورد في الصحيحين عن المغيرة بن شعبة ان النبي ﷺ كان يقول في دبر كل صلاة مكتوبة « لا إله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد » وكما ورد عن سعد بن أبي وقاص انه كان يعلم بنيه بهؤلاء الكلمات كما يعلم المعلم الغلمان الكتابة ويقول : ان رسول الله ﷺ كان يتعوذ بهن دبر الصلاة « اللهم اني أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن ، وأعوذ بك أن أرد إلى أرذل العمر ، وأعوذ بك من فتنة الدنيا ، وأعوذ بك من عذاب القبر » رواه البخاري

وكما ورد عن أم سلمة ان النبي (ص) كان يقول إذا صلى الصبح حين يسلم « اللهم اني أسألك علما نافعا ورزقا طيبا وعملا متقبلا » رواه احمد وابن ماجه، وكما ورد عن معاذ بن جبل (رض) ان رسول الله (ص) قال له « أوصيك يا معاذ ، لا تدعن دبر كل صلاة أن تقول اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك » رواه احمد وأبو داود والنسائي بسند قوي

وكل هذه الاحاديث نقلتها عن (المنتقى) و (بلوغ المرام) فالشيخ لا يمنع منه ولا أحد من أتباعه بل ولا أحد من أهل الحديث ، وان كان الدعاء بالالفاظ غير المأثورة وبرفع اليدين ، فللعلماء فيه قولان (أحدهما) الجواز والاستحباب (والثاني) الكراهة فان اختار الشيخ أحد القولين فما وجه الطعن عليه [1]

وأما مسألة قولنا لأحدنا مولانا وسيدنا فنذكر ما ورد في الباب (منها) ما أخرجه مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) « لا يقولن أحدكم عبدي فكلكم عبيد الله . ولكن ليقل فتاي ، ولا يقول العبد ربي ولكن ليقل سيدي - وفي رواية له - ولا يقل العبد لسيده مولاي » وزاد في حديث أبي معاوية « فان مولاكم الله عز وجل » وفي رواية له « ولا يقل أحدكم ربي وليقل سيدي ومولاي ولا يقل أحدكم عبدي أمتي وليقل فتاي فتاتي غلامي » وأخرج هذا الحديث أبو داود أيضا . وأخرج أبو داود عن مطرف قال قال أبي انطلقت في وفد بني عامر الى رسول الله (ص) فقلنا أنت سيدنا فقال « السيد الله » فقلنا وأفضلنا فضلا

(١) الصحيح من القولين في الاذكار والادعية المأثورة بعد الصلاة انها مستحبة من غير تقييد لها بالاجتماع او رفع الصوت الذي يجعلها من الشعائر وهي ليست منها اذ لم يأمر النبي (ص) بهذا التقييد ولا فعله اصحابه ولا غيرهم من السلف وهذا التقييد لما أطلقه الشارع يطلق عليه العلامة الشاطبي اسم البدع الاضافية كما حققه في كتابه الاعتصام . وكتبه محمد رشيد رضا

وأعظمنا طولا فقال «قولوا بقولكم أو بعض قولكم ولا يستجرينكم الشيطان» وأخرج أبوداود عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال قال رسول الله ﷺ «لا تقولوا للمنافق سيد فانه إن يك سيدا فقد أسخطتم ربكم عز وجل» اه

فقد علم من تيك الاحاديث ان النبي ﷺ نهى عن إطلاق لفظ السيد والمولى على احدنا، ورخص فيهما أيضاً، ووجه التوفيق ان للسيد والمولى معاني فالنهي باعتبار بعض المعاني، والرخصة باعتبار البعض الآخر

قال في النهاية في مادة (السود) السيد يطلق على الرب والمالك والشريف والفاضل والكريم والحليم، ومتحمل أذى قومه والزوج والرئيس والمقدم اه

وقال في مادة (الولي) وهو اسم يقع على جماعة كثيرة فهو الرب والمالك والسيد والمنعم والمعتق والناصر والمحب والتابع والجار وابن العم والحليف والعقيد والصهر والعبد والمعتَق والمنعم عليه اه فالنهي عن إطلاق لفظ السيد والمولى على غير الله محمول على السيد والمولى بمعنى الرب، والرخصة محمولة عليهما بمعنى آخر من سائر المعاني. فان ثبت ان الشيخ قد منع من إطلاق لفظ السيد والمولى على غير الله، فمراده السيد والمولى بمعنى الرب، وأما بالمعنى الاخر فكيف يتصور أن يمنع الشيخ منه؟ فانه عقد باباً في كتاب التوحيد بهذا العنوان (باب لا يقول عبدي وأمتي) وأورد فيه حديث أبي هريرة المروي في مسلم الذي تقدم ذكره آنفا وفيه هذا اللفظ «وليقل سيدي ومولاي» فهذا اللفظ صريح في جواز اطلاق لفظ السيد والمولى على غير الله بالمعني الاخر (١)

وأما قول المؤلف: ولا يلتفت الى قول الله تعالى في سيدنا يحي عليه السلام (وسيداً) ولا إلى قول النبي ﷺ للانصار «قوموا لسيدكم» يعني سعد بن معاذ (رض) ففيه كلام من وجهين (الاول) ان لفظ الحديث «قوموا إلى سيدكم» لا «لسيدكم» فالمؤلف أخطأ في نقل الحديث. وهذا ليس بأول خطأ من المؤلف بل مثله كثير، ووجهه ان المؤلف ليس من أهل هذا الشأن

---

(١) وفيه وجه ثالث وهو ان يكون فيه مبالغة في الذل من قائله ومبالغة في الكبرياء من المقول له

(والثاني) ان لفظ السيد في قول الله تعالى في يحيي عليه السلام (وسيداً) وقوله ﷺ « قوموا الى سيدكم » ليس بمعنى الرب ، فالشيخ إن ثبت منعه من اطلاق لفظ السيد على غير الله فانما هو من السيد بمعنى الرب – فالآية والحديث لا ينافيان قول الشيخ ولا يصلحان ردا عليه

وليعلم ان لفظ السيد قد جاء في سورة يوسف في قول الله تعالى (وألفيا سيدها لدى الباب) وفي غير واحد من الاحاديث (منها) حديث ابن عمر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله (ص) يقول « كلكم راع ومسئول عن رعيته » وفيه « والخادم في مال سيده راع ومسئول عن رعيته » أخرجه البخاري (ومنها) حديث أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة » رواه مسلم

وحديث أبي هريرة في الحساب وفيه « أي فُلُ ألم أكرمك وأسودك وأزوجك » رواه مسلم ، وحديث أبي سعيد قال قال رسول الله (ص) « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر » رواه الترمذي ، وحديث عمر قال : أبو بكر سيدنا وخيرنا وأحبنا الى رسول الله (ص) رواه الترمذي ، وحديث أنس قال قال رسول الله (ص) « أبو بكر وعمر سيدا كهول اهل الجنة من الاولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين » رواه الترمذي ، وحديث أبي بكر قال رأيت رسول الله (ص) على المنبر والحسن بن علي إلى جنبه وهو يقبل على الناس مرة وعليه أخرى ويقول « ان ابني هذا سيد » رواه البخاري

وحديث أبي سعيد قال قال رسول الله ﷺ « الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة » رواه الترمذي وحديث عائشة قالت كنا أزواج النبي ﷺ عنده فأقبلت فاطمة ، وفيه قال « يافاطمة أترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة » متفق عليه ، وحديث عبد الله بن عمر ان رسول الله ﷺ قال « ان العبد إذا نصح لسيده وأحسن عبادة الله فله أجره مرتين » متفق عليه

وحديث أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « نعما للمملوك أن يتوفاه الله يحسن عبادة ربه وطاعة سيده نعما له » متفق عليه

وكذلك لفظ المولى جاء في غير واحد من الاحاديث (منها) حديث البراء

ابن عازب قال صالح النبي ﷺ يوم الحديبية على ثلاثة أشياء وفيه وقال لزيد «أنت أخونا ومولانا» متفق عليه . وحديث زيد بن أرقم ان النبي ﷺ قال «من كنت مولاه فعلي مولاه» رواه أحمد والترمذي

وحديث البراء بن عازب وزيد بن أرقم أن رسول الله ﷺ لما نزل بغدير خم الحديث وفيه «اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» فلقيه عمر بعد ذلك فقال : هنيئا يا ابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة . رواه أحمد

فعلم من ههنا أن اطلاق السيد والمولى بمعنى غير الرب على الانبياء والصديقين والشهداء والصالحين جائز لا وجه للمنع منه ، نعم زيادة لفظ سيدنا وكذا لفظ مولانا في تشهد الصلاة كما يفعله أهل الحرمين في زماننا، وكذلك زيادتهما في تشهد الأذان كما يفعله أهل القدس ، وكذلك زيادتهما في التصلية على النبي ﷺ في الصلاة بدعة لا بد من تغييرها ، فان الفاظ التشهد والأذان والتصلية في الصلاة توقيفية منقولة من الشارع لا يجوز الزيادة عليها ولا النقصان منها ، ويؤيده حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «اذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الايمن وقل اللهم أسلمت نفسي اليك وفوضت أمري اليك وألجأت ظهري اليك رهبة ورغبة اليك لا ملجأ ولا منجا منك إلا اليك آمنت بكتابك الذي أنزلت ونبيك الذي أرسلت فان مت مت على الفطرة واجعلهن آخر ما تقول» فقلت أستذكرهن وبرسولك الذي أرسلت ؟ قال «لا ، ونبيك الذي أرسلت» اه أخرجه البخاري

قوله { ثم قال السيد العلوي الحداد في كتابه المتقدم ذكره : والحاصل أن المحقق عندنا من أقواله وأفعاله ما يوجب خروجه عن القواعد الاسلامية لاستحلاله أموالا مجمعا على تحريمها معلومة من الدين بالضرورة بلا تأويل سائغ مع تنقيصه الانبياء والمرسلين والاولياء والصالحين ، وتنقيصهم عمداً كفر باجماع الأئمة الاربعة }

أقول الجواب عنه ان هذا كله بهتان صريح

قوله ﴿ كان رجل صالح من علماء البلدة اتي تسمى بالزبير اسمه الشيخ عبد الجبار يصلي اماما في مسجد تلك البلدة ، فاتفق أن اثنين تجادلا في شأن هذه الطائفة بعد أن جاء ابراهيم باشا إلى الدرعية ودمرها ودمر من فيها فقال أحد الرجلين المتجادلين لا بد أن يرجع أمر هذا الدين كما كان وترجع هذه الدولة كما كانت ، وقال الآخر لا يرجع أمرهم أبدا كما كان ولا ما كانوا عليه من البدعة ، ثم اتفقا على أنهما يذهبان في غد ويصليان صلاة الصبح خلف الشيخ عبد الجبار وينظران ما ذا يقرأ بعد الفاتحة في الركعة الاولى ويجعلان ذلك فألا يحكمان به فيما اختلفا فيه ، فذهبا وصليا خلفه فقرأ بعد الفاتحة في الركعة الاولى (وحرام على قرية أهلكناها انهم لا يرجعون) فتعجبا من ذلك ورضيا بذلك الفأل حكما ﴾ (١)

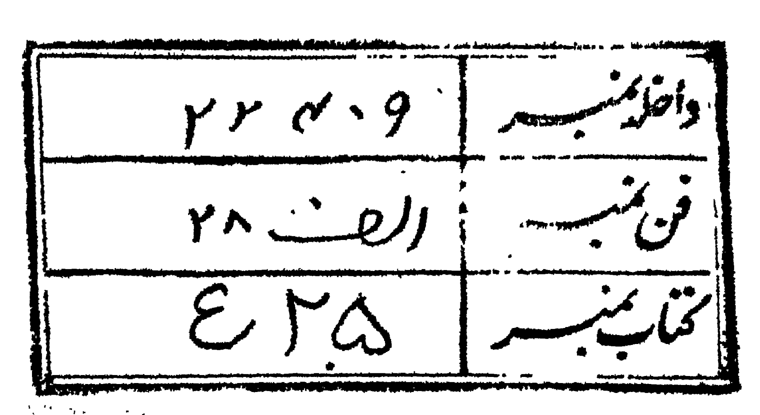
أقول من شرط الفأل أن لا يقصد اليه ، يدل عليه حديث ابي هريرة قال سمعت رسول الله (ص) يقول « لا طيرة وخيرها الفأل ـ قالوا وما الفأل؟ ـ قال الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم » متفق عليه ، وحديث أنس أن النبي ﷺ كان يعجبه إذا خرج لحاجة أن يسمع يا راشد يا نجيح ، رواه الترمذي.

قال الحافظ في الفتح : وأما الشرع فخص الطيرة بما يسوء والفأل بما يسر ومن شرطه أن لا يقصد اليه فيصير من الطيرة اه . وهذا الفأل كان بالقصد فلا يكون فألا بل طيرة فلا يجوز ، ومن ثم يعلم مسئلة الفأل من القرآن ومن كتب الصالحين فانه ليس بفأل بل طيرة فيكون جبتا وشركا وحراما

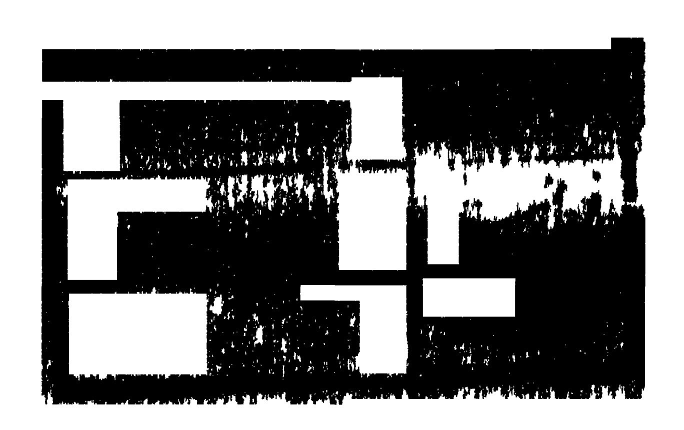
وهذا آخر ما أردناه من الرد على كتاب (الدرر السنية)

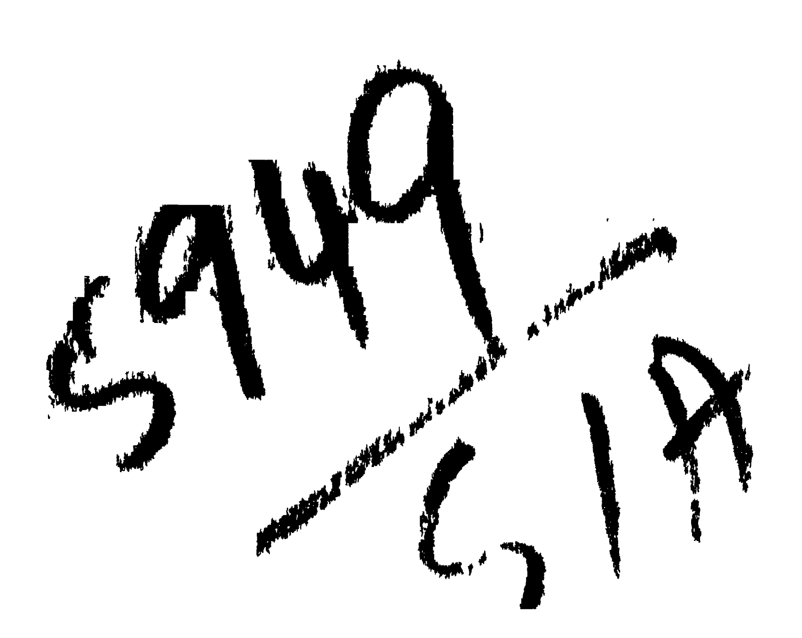
(لاحمد بن زيني دحلان)

(١) لقد كذب الله فألهم ، ودعوة الشيخ عادت على أبرك ما يكون وأقواه والحمد لله رب العالمين الذي بنعمته تتم الصالحات اه محمد بن عبد الرزاق حمزه



الوحي المحمدي




5949